



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارة

كتاب مسالك الإبصار في ممالك الأمصار

الجزء العاشر وزراء المشرق الإسلامي

اللوحات من (١ - ٥٦) دراسة وتحقيق

بجث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

أحمد علي هادي القحطاني

الرقم الجامعي / ٤٢٦٨٨١١٧

إشراف

الأستاذ الدكتور : مرزوق سعيد مرزوق عسيري

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء :


إلى والدي الحبيبة

حفظها الله وأمك في عمرها على طاعته ،

وختم لها بحسن الخاتمة .

قال تعالى:



• (١) 

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ... أما بعد :
فهذه الرسالة هي دراسة وتحقيق لكتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، الجزء العاشر من اللوحة (أ) إلى (٥٦) ، وهو الجزء الخاص بذكر (وزراء الخلفاء الأمويين والعباسيين) .
وقد اشتملت على مقدمة وقسمين رئيسيين (قسم الدراسة وقسم التحقيق) وخاتمة ، ومجموعة من الفهارس العلمية .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، وما أفرده ابن فضل الله العمري من اهتمام بالوزراء والكتاب في العصر الأموي والعباسي ، وأهم أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهج التحقيق ، ثم قسمت الدراسة إلى قسمين :
القسم الأول ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف ، وفيه أربعة مباحث : المبحث الأول نشأته ، والمبحث الثاني شيوخه وتلامذته ، والثالث ثقافته ومصنفاته ، والرابع أقوال العلماء فيه . الفصل الثاني : عصر المؤلف أحمد بن فضل الله العمري ، وفيه أربعة مباحث : المبحث الأول الأوضاع السياسية ، والثاني الأوضاع الدينية ، والثالث الأوضاع العلمية ، والرابع الأوضاع الاجتماعية . الفصل الثالث : دراسة الكتاب ، ويشتمل على أربعة مباحث : المبحث الأول : الكتاب وتحقيق نسبه إلى المؤلف ، والمبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية ، والمبحث الثالث : منهج المؤلف في كتابه ومصادر معلوماته ، والمبحث الرابع : منهج التحقيق .

القسم الثاني : النص والتحقيق ، والقسم الذي أقوم بتحقيقه من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار هو الجزء العاشر من هذا الكتاب والخاص بذكر وزراء الأمويين والعباسيين من اللوحة (١ - أ) إلى اللوح (٥٦ - أ) ، وكان عملي في الكتاب على النحو التالي : نسخ الكتاب ، المقابلة بين النسخ ، ترقيم النسخ ، والإشارة إلى نهاية النسخة المعتمد عليها داخل المتن ، وعزو الآيات القرآنية إلى مضانها ، وشرح الكلمات الغريبة ، والتعليق على المسائل التي تحتاج إلى ذلك ، والتعريف بالأماكن والبلدان ، والترجمة للأعلام .

عميد كلية الشريعة

المشرف

الطالب

د . سعود بن إبراهيم الشريم

أ. د . مريزن سعيد عسييري

أحمد علي هادي القحطاني

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، نبي نبع الماء من بين أصبعيه ، وحن الجذع عليه ؛ فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعلى من اقتضى أثره إلى يوم الدين ، أما بعد :

يعد كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - الذي يقع في سبع وعشرين جزءاً - من أهم ما وصل إلينا من التراث العربي والإسلامي من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وقد ألفه شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، الذي ولد بدمشق سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م ، وتوفي فيها سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م ، وأصبح هذا الكتاب متداولاً في العالم الإسلامي بعد وفاته ؛ حيث ألقى ضياءً ومؤثرات علمية على جميع المؤلفات التي ظهرت في عصره وفي العصور التالية، ولكن هذا الكتاب بدأ متاثراً في مكتبات العالم بحيث يتعذر الحصول على نسخة واحدة مكتملة له؛ فكانت تكشف بمرور الزمن مجلدات منفردة في مكتبات العالم الإسلامي وأوروبا إلى أن اكتشف العالم المصري أحمد زكي باشا في العقد الأول من القرن الماضي نسختين في إسطنبول تكملان نسخة كاملة من الكتاب .

وتكمن الأهمية الكبرى لهذا الكتاب الضخم في أنه لولا الله ثم لولاه لبقيت حقبة بأكملها من التطورات الإدارية وبنية الدولة في مصر والشام غامضة في سياقها العام وكثير من تفاصيلها ؛ فالقلقشندي في (صبح الأعشى) اعتمد بشكل كبير على مسالك الأبصار ، وتبعه المقرئ في خططه والذي استوعب فيه بآباً كاملاً من أبواب العمري ، وهو الباب الخاص عن دولة المماليك ، كما اعتمد السيوطي في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) على مسالك العمري ؛ فنقل عنه كل معلوماته عن مملكة مصر في زمن المماليك ، وهذه النقول من مؤرخين كبار لهم وزنهم على مر التاريخ تؤكد وتدلل على الغنى العلمي الذي اتسمت به موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .

كتبت هذه الموسوعة بعد مرحلة ليست بالبعيدة عن حدث سقوط بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، وهي مرحلة بذل فيها الكثير من العلماء جهوداً كبيرة لجمع شتات أكبر قدر من العلوم بعد أن دمر التتار كل شيء ، من إحراق الكتب أو قتل المفكرين ؛ فخاف أولئك العلماء على نسيان العلم وضياعه فقدموا لنا مؤلفاتهم الثمينة ، ومنها موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري .

فلا عجب أن يعد المختصون والعلماء هذا الكتاب موسوعة جغرافية تاريخية ، وقد وجدت الدراسات الحديثة فيه معيناً لا ينضب للجغرافية البشرية والتاريخية . والجميع كان ينبه إلى أهمية هذه الموسوعة ، تكلم العمري في موسوعته عن الدول التي قامت قبل الإسلام ، والدول التي قامت خلاله ، وعن الوزراء والكتاب في عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين . ولعل أكثر ما يهمننا في دراستنا هنا من ضمن كتابه هذا هو الجزء العاشر الذي يهتم بما نحن بصدده في دراستنا هنا ، ولأهمية نظام الوزارة في الإسلام اخترت هذا الجزء الذي يعطي دراسة مستفيضة عن وزراء المشرق الإسلامي ، أخص منهم وزراء الخلفاء منذ بداية العصر الأموي حتى سقوط دولة بني العباس . ولعل من المستحسن أن يعطى تعريفاً عاماً عنها خلال العصور ، فالوزارة كلمة مشتقة من الوزر وهو الثقل ؛ لأن الوزير يحمل أعباء الدولة ، ومن الوزر وهو الملجأ والمعتم ، بمعنى أنه يلجأ إليه ويرجع إلى رأيه وتدييره ؛ فقد طلب موسى من الله سبحانه وتعالى أن يمهده برجل من أهله يستعين به في المهمات ، وقد ورد في كتاب الله العزيز: ﴿

إذا أريد بالوزارة استعانة السلطان أو الأمير بمن يشد به أزره أو يعاونه في الحكم فهي تتصل بصدر الإسلام ؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يشاور أصحابه في الأمور العامة والخاصة ، وسار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده ، وكان هؤلاء الأعوان يعملون عمل الوزراء وإن كان اسم الوزير لم يطلق عليهم ؛ لأنه لم يكن معروفاً عند العرب في ذلك العصر لبساطة الإسلام ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية واستحالت إلى

(١) - سورة طه ، الآيات : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ .

ملك وراثي اختار الخلفاء بعض ذوي الرأي ليستعينوا بأرائهم ؛ فكان هؤلاء يقومون بعمل الوزراء وإن لم يقبوا بلقب الوزير ، ولما انتقلت الخلافة إلى العباسيين اتخذوا نظام الحكم عن الفرس ومنها الوزارة وإن كانت لم تتحدد بصورة واضحة في بداية العصر الأول ، ثم نمت وتدرجت حتى اتخذت شكلها النهائي في أواخر العصر الأول ؛ حيث أصبح الوزير ساعد الخليفة الأيمن ، فكان ينوب عنه في تنصيب العمال ، ويشرف على الضرائب ، ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته .

أما في العصر العباسي الثاني فقد أصبح للوزارة شأن آخر ؛ فقد أصبح الوزراء في كثير من عهود العصر العباسي الثاني أصحاب دور كبير ربما فاق دور الخلفاء ، بل إن منهم من استقطب أمور الخلافة وإدارة شؤون الدولة دون الرجوع إلى الخلفاء . ولأهمية نظام الوزارة فقد تناولها الكثير سيما العلماء قديماً وحديثاً ، ومنهم ابن النديم في كتابه الفهرست ، والمسعودي في كتابه مروج الذهب ، والجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب ، والصابي في كتابه تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، وابن خلدون في مقدمته .

وممن كتب في الوزارة من القدماء أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في الجزء الخاص بذكر الوزراء ، افتتح العمري كتابه هذا بمقدمة عن الوزارة ورتبتها في دولة الإسلام مؤكداً أن الوزارة لم تصبح رتبة إدارية في دار الخلافة إلا مع بداية العباسيين ، أما قبل ذلك فكانت مجرد اسم يطلق على من يعول عليه الخلفاء في المشورة وإدارة الدولة في كافة شؤونها السياسية والإدارية ، وكانت هذه النخبة تحيط بالخليفة وتشاركه في صنع القرار ، ثم استعرض بعد ذلك أسماء من ارتبطت بهم أمور الدولة في العصر الأموي من أهل المشورة والرأي ، وما كان لهم من دور في تسيير أمور الدولة السياسية والحربية والإدارية ، ثم عرج بعد ذلك على ذكر أسماء وزراء الخلفاء في دولة بني العباس بعد أن أصبحت الوزارة ذات معنى ودور عظيم في دار الخلافة العباسية . وقد وقف عند الكثير من أسماء الوزراء العظام الذين كان لهم دور كبير في سياسة الدولة وتسيير أمورها ؛ فجاء على تراجم الكثير من كبار الوزراء ذكراً أدوارهم السياسية والإدارية ومزاياهم

وصفاتهم ومناقبتهم ، ومن اشتهر منهم بالعدل والعلم والنقاء والتقوى والصدق والأمانة دون أن يغفل أولئك الوزراء الذين اتسموا بسمات ومساوئ وظلم وكانوا معول هدم في جسم دولة الإسلام ، وهنا تكمن أهمية كتاب الوزراء هذا في ذكره تفصيلات كثيرة عن وزراء دولة الإسلام لم نجدتها في غيره من الكتب التي تناولت الوزراء أمثال الجهشياري والصابئي والثعالبي ؛ ولعل ذلك من أهم الأمور التي دفعتني لتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً ، والذي آمل أن يصبح إضافة جديدة إلى المكتبة التاريخية والحضارية فيما يخص رسوم دار الخلافة وأنظمة الحكم والإدارة في دولة الإسلام ، إضافة إلى عوامل أخرى منها :

١- الشعور بالمسؤولية تجاه هذا الإرث الحضاري الإسلامي الذي تركه لنا العلماء المسلمون الأوائل ، وعسى أن يكون عملي هذا براً بهم وتقديراً مني لهم على ما قدموه للبشرية من علوم ومعارف تستحق التقدير من قبل الجميع .

٢- الرغبة في ممارسة هذا النوع من الدراسة وهو تحقيق المخطوطات للتعرف على هذا المنهج العلمي من خلال ممارسة التحقيق والعمل فيه .

٣- العمل على نشر التراث الإسلامي .

٤- كثرة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه ؛ فقد نقل من أصول كثيرة ربما فقدت مع ما فقد من تراث الأمة

٥- اكتساب الفائدة من هذا العمل ؛ فقد جنيت من هذا العمل فوائد عظيمة تمثلت في اطلاعي على عدد كبير من المراجع والمصادر التاريخية والأدبية ، وكتب الحديث والسير والمغازي والتراجم والمعاجم الجغرافية ومعاجم اللغة العربية ، إلى غير ذلك .

٧- الرغبة في تقديم دراسة سياسية اجتماعية اقتصادية علمية لعصر العمري ، هذا العصر الذي تميز بأهمية تاريخية وأدبية كبيرة ، وليس هناك عمل علمي جاد يتم دون مصاعب وعقبات ؛ فعندما بدأت التحقيق لهذا الجزء من المخطوطة واجهتني بعض الصعوبات منها ما يخص هذا الفن من التحقيق ، فلا بد من دراسة ومراجعة كتبه ، وذلك استغرق جهداً ووقتاً ليس بالقليل حتى تعرفت عليه وأخذت من أطرافه. ومن الصعوبات التي واجهتني أيضاً- النقولات الكثيرة التي عزاها المؤلف إلى أصحابها ومصادرهما ، وقد أخذت مني جهداً ووقتاً طويلاً حتى أحيلها إلى مصادرها المتوفرة.

كذلك أورد المؤلف - رحمه الله تعالى - بعض الأعلام في ثانيا النص لم أتمكن من إيجاد ترجمة لهم في المصادر المتوفرة ؛ لأنه يذكر بعضهم بالكنية، أو باسم واحد فقط ؛ فيصعب تحديد ترجمته .

أما عملي في هذه الدراسة فقد جاء على ذكر مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له ، والصعوبات التي واجهتني في البحث .
أما خطة الدراسة فقد قسمتها إلى قسمين : أحدهما يشمل الدراسة ومنهج التحقيق، والآخر يشمل النص وتحقيق الكتاب.

- اشتمل القسم الأول على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وأفرده للتعريف بالمؤلف ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تحدثت فيه عن حياة المؤلف من الناحية الاجتماعية ، وشمل ذلك اسمه، ونسبه ، ولقبه ، ومولده ، وأسرته ، وعقيدته ، ومذهبه .

المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته ، حيث أفرد لذكر بعض شيوخه الذين كان لهم أثر كبير في مسيرته العلمية ، وكذلك تلامذته الذين تلقوا العلم عنه .

المبحث الثالث: ثقافته ومصنفاته ، ذكرت فيه ثقافته وأهم مصنفاته في شتى العلوم.

المبحث الرابع: خصص هذا المبحث عما قاله العلماء في العمري ، وشهادتهم له بالبراعة وسعة العلم .

الفصل الثاني : عصر المؤلف أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري - رحمه الله - وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تحدثت فيه عن الحالة السياسية لعصر المؤلف ، وأهم الأحداث والنكبات التي مرت بالأمة الإسلامية ، والتقسيمات الإدارية في عصر المماليك وهو العصر الذي عاش فيه المؤلف .

المبحث الثاني: جاد على ذكر الحالة الدينية في عصر المؤلف ، وبيان جهود سلاطين المماليك في إنشاء المساجد والجوامع ودور العلم .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن الأوضاع العلمية في عصر المؤلف وازدهار الحركة العلمية في الدولة المملوكية ، وكيفية تشجيع المماليك لهذا الجانب من خلال بناء المدارس والمساجد ، وإعطاء الرواتب للمعلمين وطلاب العلم خاصة في الشام ومصر بحكم أن هذين الإقليمين يقعان تحت السيادة المملوكية .

المبحث الرابع : تحدثت فيه عن الحالة الاجتماعية ، وتقسيم المجتمع في العصر المملوكي وأحوالهم .

الفصل الثالث : التعريف بالجزء العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الخاص بذكر الوزراء) ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن الكتاب ، صفته ، وتحقيق نسبته إلى المؤلف ، والباعث على تأليفه .

المبحث الثاني : كان الحديث فيه عن قيمة كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار العلمية .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن منهج المؤلف في كتابه ، ومصادر معلوماته .

المبحث الرابع : وقد خصصته لذكر منهج التحقيق والأسلوب الذي اعتمده وسرت عليه في تحقيق هذا الجزء .

- القسم الثاني : أفردته لتحقيق النص وفق الأصول المتبعة في تحقيق النصوص .

ولا يستقيم أي عمل علمي إلا بخاتمة يذكر فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج في عمله .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري؛ لتفضله حفظه الله - تعالى - بقبول الإشراف على عملي هذا ، ولم يبخل علي بشيء من كتب مكتبته ، ولا بعلمه الواسع ، كما أنه كان ييدي الإرشادات والتوجيهات التي ساعدتني في إخراج هذا العمل ، فله جزيل الشكر والامتنان على ما أشعرتني به من ثقة وتفاؤل ، والسطور لا تكفي لشكره .

كما أقدم جزيل شكري لقسم الدراسات الإسلامية التاريخية والحضارية برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الله الغامدي ، والأستاذ الدكتور عبد الله الشنبري ، وأعضاء

مجلس القسم الأفاضل الذين يبذلون جهوداً كبيرةً لأجل طلبة القسم يسر الله أمرهم، ولا أنسى أن أقدم جزيل شكري لأعضاء مجلس الكلية الفضلاء بقيادة الشيخ الدكتور سعود الشريم وفقه الله ، وأشكر الزملاء الفضلاء الذين لم ييخلوا علي بأي جهد أخص بالذكر منهم أخي الفاضل مشعل الدهاس .

وهذا هو جهدي المتواضع ، فإن أصبت فهذا توفيق من الله - عز وجل - ، وإن لم أصب فمن نفسي والشيطان ، وأكون قد استفدت ؛ فحسبي أنني طالب علم في أول الطريق .

هذا والله أسأل أن يختم بالصلحات أعمالنا ، وأن يوردنا حوض نبيه محمد ﷺ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

الرموز المستخدمة في الرسالة

لقد استعملت في متن وحواشي الرسالة رموزاً ومختصرات فيما يلي بيان وتوضيح لها كالتالي :

قسمت أوراق المخطوطة الأصل إلى قسمين : [أ] ترمز إلى بداية الوجه الأيمن من ورق المخطوط ، و [ب] ترمز إلى بداية الوجه الأيسر من المخطوط .

[] هذه إشارة إلى وقع سقوط في النص .

[] هذه إشارة إلى وجود كلمة زائدة .

= هذه إشارة إلى أن الهامش متصل بالصفحة التالية .

وضعت الآيات القرآنية بين قوسين زهراوين ﴿ ﴾ ، ووضعت الألفاظ المنقولة بالنص بين أقواس صغيرة هكذا " " .

النسخة الأصل هي نسخة آيا صوفيا المكتبة السليمانية .

نسخة دار الكتب المصرية رمزت لها بالرمز (م) .

نسخة الكونجرس الأمريكي رمزت لها بالرمز (ك) .

د . ت . دون تاريخ نشر .

د . ط . دون طبعة .

القسم الأول

الدراسة ومنهج التحقيق

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف .

الفصل الثاني : عصر المؤلف .

الفصل الثالث : التعريف بالجزء العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الخاص بذكر الوزراء والكتاب) .

الفصل الأول

التعريف بالمؤلف

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : نشأته .

المبحث الثاني : شيوخه وتلامذته .

المبحث الثالث : ثقافته ومصنفاته .

المبحث الرابع : أقوال العلماء فيه .

المبحث الأول : نشأته

اسمه ونسبه :

بدأ ابن فضل الله العمري موسوعته الضخمة بذكر اسمه ونسبه فيقول :
" يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ابن
المجلي بن دعجان بن خلف أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد
بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمه بن
عبيد الله بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي ^(١) العدوي ^(٢) " .
فالمؤلف رحمه الله ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب ، ومن أجل ذلك عرف
بالعمري ، وصنف بخصوص ذلك كتاباً سماه (فواصل السمر في فضائل آل عمر) .
مولده ونشأته:

من خلال مطالعتي للمصادر وجدت اختلافاً بسيطاً بين العلماء والمؤرخين في زمن
مولد العمري ، فالصفي المعاصر للعمري يذكر بداية أن مولده في الثالث من شوال
سنة ٧٠٠هـ (١٣٠١م) ، ولكنه يعود ويذكر في موضع آخر غير هذا التاريخ فيقول :
" والظاهر أن مولده سنة إحدى وسبع مئة أو سنة سبع مئة " ^(٣) ، وابن تغري بردي
يذكر في كتابه (النجوم الزاهرة) أن زمن مولده هو ٧٠٠هـ ^(٤) ، ولكنه يذكر في
كتابه الآخر (المنهل الصافي) غير هذا التاريخ فيحدد ولادته في ٦٩٧هـ ^(٥) .
أما بقية المؤرخين فإنهم يجمعون على أن ولادته كانت في الثالث من شوال سنة سبع
مئة هجرية ^(٦) .

(١) يذكر القلقشندي أن مشاهير قريش الموجودين في زمنه عدة بطون ، البطن الأول منهم عدي ، وهم : بنو
عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو قريش ، والنسبة إلى عدي . القلقشندي : صبح الأعشى
٤٠٧/١ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٣٩٣/١ .

(٣) الصفي : الوافي بالوفيات ١٦٣/٨ - ١٧٤/ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٣٤ .

(٥) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ٢ / ٢٦١ .

(٦) الكتبي : فوات الوفيات ١٩١/١ . ابن حجر : الدرر الكامنة ٣٩٣/١ .

نشأ ابن فضل الله العمري في دمشق ، حيث عمل فيها في كتابة الإنشاء ، ثم انتقل والده إلى مصر ليُولى هناك منصب كتابة السر ، فانتقل ابنه معه ، وأصبح يقرأ على السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وفي مصر تغيرت الأحوال على ابن فضل الله العمري ، وسبب ذلك أن السلطان الناصر قام بتعيين رجل قبطي في وظيفة كاتب السر ، في سنة ٧٣٨هـ - ١٣٤٧م ، فأظهر العمري غضبه للسلطان على أن هذا الرجل قبطي ، فلم يلتفت السلطان الناصر لذلك ، وأمر ابن فضل الله أن يكتب لهذا الرجل زيادة في أجره ، فامتنع ابن فضل الله، وقال : أما يكفي أن يكون إلا مسلمي كاتب السر حتى يزداد معلومة" (١) ، وقام بين يدي السلطان مغضباً وقال : خدمتك عليّ حرام ، فاشتد غضب السلطان ، وعزله على الرغم من توسط والده له ، وأقام بدلاً عنه أخاه علاء الدين ، وبعدها لزم العمري بيته ، ولكن بعد وفاة والده استقر علاء الدين في منصبه، ورفع كتاباً يسأل فيه السفر إلى بلاد الشام ، فحرك ما كان ساكناً ، وأمر السلطان بطلبه واعتقاله وذلك سنة ٧٣٩هـ - ١٣٢٨م ، ثم رفع العمري طلباً يسأل فيه الإفراج ، فسأله الناصر عن قصته، ومن ثم أمر بالإفراج عنه سنة ٧٤٠هـ - ١٣٣٩م .

وفي نفس هذه السنة استدعاه الناصر فاستحلفه على المناصحة ، ثم ولاه كتابة السر في دمشق ، ثم عزله سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤٢م ، وطلبه إلى مصر لكثرة الشكوى منه ، فشفع له أخوه فعاد إلى دمشق (٢) .

وفي سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م انتشر الطاعون في دمشق (٣) مما أقلق العمري وأهمه، فعزم الذهاب إلى الحج ، وتجهز ولكنه توجه بأهله إلى القدس ، فماتت زوجته فدفنها هناك في شهر رمضان ، ورجع دمشق ، فمات بحمى الطاعون أصابته يوم عرفة التاسع من ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م (٤) .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ١/٣٩٣.

(٢) المصدر السابق ١/٣٩٤.

(٣) سيأتي ذكر هذا المرض عند الحديث عن الحياة الاجتماعية .

(٤) الصفيدي : الوايف بالوفيات ٨/١٧٤ . ابن حجر : الدرر الكامنة ١/٣٩٥.

الوظائف التي شغلها :

عاش ابن فضل الله العمري في عائلة ذات صلة وثيقة بالعمل في دواوين بلاد الشام ومصر، والتي عمل بها والده وإخوته ؛ فقد كان كاتباً في ديوان الإنشاء^(١) بدمشق ثم بمصر^(٢) وعندما تولى والده كتابة السر^(٣) بمصر أصبح هو الذي يقرأ البريد على السلطان ويقوم بجانب ذلك ببعض المهمات ، واستمر على هذه الحال في ولاية والده الأولى والثانية إلى أن حدث ما حدث بينه وبين السلطان ، فعزله عن منصبه ، ثم تحسنت العلاقات بينه وبين السلطان فأعادته إلى منصبه في دمشق ، ولم يزل في منصبه حتى عزل عنه في الثالث من شهر صفر سنة ٧٤٣هـ^(٤) ، كما عمل ابن فضل الله في الإفتاء بعد أن أُذن له بذلك على المذهب الشافعي ، أشار إلى ذلك المؤرخ صلاح الدين الصفدي الصديق المعاصر لابن فضل الله^(٥) ، ويذكر ابن تغري بردي أنه عمل - أيضاً - كاتباً فقيهاً^(٦) .

إذا تسلّم العمري وظائف هامة ومؤثرة مثل كتابة السر ، وقراءة البريد على السلطان، والإفتاء ، وهذه المناصب جميعها لا توكل إلا إلى رجل عالم متمكن حاذق وكذلك كان ابن فضل الله العمري ، ونلمس ذلك من خلال مؤلفاته التي تدل على خبرة

(١) الديوان اسم الموضع الذي يجلس فيه الكُتّاب ، وأما الإنشاء فهي مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه واخترعه على غير مثال يحتذى به ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، وحينئذ إضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين : أحدهما أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه ، والثاني أن الكاتب ينشأ لكل واقعة مقالاً . القلقشندي : صبح الأعشى ١٢٤/١ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة . ٣٩٣/١ .

(٣) وكتابة السر تعني : قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها ، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً ، والجلوس لقراءة القصص أي الطلبات والاستدعاءات بدل العدل والتوقيع عليها ، العمري : مسالك الأبصار . ١٢٠/ ، ويقول السيوطي : إن كتابة الإنشاء تارة يطلق على صاحب ديوان الإنشاء وتارة كاتب السر . السيوطي : حسن المحاضرة ٢٠٦/ ٢ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة . ١/ ٣٩٤/٣٩٥ .

(٥) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٤ / ٨ .

(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤/١٠ .

وممارسة وفهم وعلم، وأوضح على ذلك أن القلقشندي اعتمد بشكل كبير في موسوعته (صبح الأعشى) على كتاب العمري المسمى (التعريف بالمصطلح الشريف)، وهو كتاب خاص بالكتابة وأعمال الإنشاء في الدواوين .

وفاته :

لا يوجد خلاف بين المؤرخين على تاريخ وفاة العمري ، فكلهم يجمعون على أن وفاته كانت في التاسع من ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م ، ففي تلك السنة أصاب الطاعون مدينة دمشق ، وقد أقلق ذلك مؤرخنا كثيراً ، فانعزل عن الناس وعزم الذهاب إلى الحج وتجهز لذلك ولكنه تراجع ، وذهب بعد ذلك إلى بيت المقدس فتوفيت زوجته هناك فدفنها ثم عاد إلى دمشق ، وفي يوم وصوله أصيب بالحمى وتوفي على إثرها في يوم عرفة ، التاسع من ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م ، ودفن بالقرب من والده وأخيه بالصالحية^(١) بعد أن صُلي عليه بالجامع الأموي^(٢) .

وقد كتب المؤرخ صلاح الدين الصفدي - صديق ابن فضل الله العمري - كتاباً إلى شقيق ابن فضل الله يعزيه قائلاً: " يقبل الأرض وينهي ما عنده من الألم الذي برح ، والسقم الذي جرّ ذبول الدمع على الخدود وجرح ، لما قدره الله من وفاة القاضي شهاب الدين ، سقته بألطف أذرائها وأغزرها ساريات الغمام ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، قول من غاب شهابه ، وآب التهابه ، وذاب قلبه فصار للدمع قليلاً ، وشاب فوده لما شبّ جمر فؤاده ولا غرو فيومه جعل الولدان شيبا ، فيا أسفا على هذا الوجه المليء بالملاحة ، واللسان الذي طالما سحر العقول ببيانه فصاحت يا ملك الفصاحة ، واليد التي كم روضت الدروس أقلامها ، وأنشأت أسجاعاً لم تذكر معها بانات الحمى ولا حمامها ، فكأن أبا الطيب ما عنى سواه بقوله :

تعثرت بك في الأفواه ألسنها والبُردُ في الطرق والأقلام في الكتب

فرحم الله ذلك الوجه ، وبلغه ما يرجوه ، وضوؤه بالمغفرة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه"^(٣) .

(١) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٧٤/٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ١٠٧١/٢ .

(٣) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٧٤ /٨ .

ويذكر ابن إياس أن العمري رثى نفسه قبل أن يموت ببيتين من الشعر هما :

قلت لأقلامي اكتبني وانطقي
فشقت الألسن من حزنه
فقالت الأقلام واسوءتاه!
وولولت واسودَّ وجه الدواة^(١)

توفي العمري وليس في خاطره شيء إلا تحسره وعدم تصوره أنه سيترك الكتابة
والتأليف فرحمه الله - تعالى - .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور . ١ / ٥٣٣ .

المبحث الثاني شيوخه وتلامذته

شيوخه :

من خلال دراستنا لسيرة العمري نجد أن والده كان عالماً بالأدب ، وهذا يعني أن ابن فضل الله قد نشأ في بيئة وعائلة ترتبط وتهتم بالعلم .
فقد كان _ رحمه الله تعالى _ ذا هممة عالية في طلب العلم ؛ فقد تتلمذ على يد علماء كثر ؛ فقرأ الأدب على يد والده^(١) ، وقرأ العربية على يد الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة^(٢) ، ثم تعلم الفقه على يد قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله^(٣) ، والشيخ برهان الدين بن الفركاح^(٤) ، وسمع الحديث من جماعة من المحدثين الذين كان لهم دور

(١) يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان ، عمل كاتباً للسري في الشام ثم مصر ، وكان محمود السيرة ، توفي سنة ٧٣٨هـ . الصفدي : أعيان العصر . ٥٧٦/٥٧١/٥ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٠٤١ / ٢ . ابن حجر : الدرر الكامنة ١٩٢ / ٦ - ١٩٤ / .

(٢) عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي ، ولد بحوران سنة ٦٥٣هـ ، كان حسن الهيئة لم يتزوج قط وكان عالماً بالفقه و النحو ، قرأ عليه الكثير من الطلبة ، توفي سنة ٧٢٦هـ . الصفدي : أعيان العصر ٢٥/٣ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢٢٢/١٩ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٠٠٤/٣٠٠٣/٢ .

(٣) شهاب الدين محمد بن عبد الله المجد الأربلي ، ولد سنة ٦٦٢ ، وسمع مع ابن أبي اليسر وابن البخاري وابن أبي عمرو ابن الأنماطي وعبد الواسع الأبهري وغيرهم وأكثر ، كتب الطباق وتفقه إلى أن أفتى ودرس وجود العربية ، وتعلم الشروط فمهر فيها حتى صار إذا رأى المكتوب نظرة واحدة عرف فسادها ، كان ينوب في وكالة بيت المال ثم استقل بها ، ثم ولي القضاء بعد ابن جملة ، توفي سنة ٧٣٨هـ . الصفدي : الوايف بالوفيات ٢٩٥/٣ . ابن رافع : الوفيات . ٢٠٧/٢٠٦/١ . مج ١ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٠٤١/٢/ . ابن حجر : الدرر الكامنة . ٢١٢/٥ .

(٤) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ويعرف بابن الفركاح ، ولد سنة ٦٦٠هـ ، أسمعه أبوه الكثير في الصغر من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وغيرهم ، وبرع في الفقه على والده ، وقرأ العربية على عمه شرف الدين ، وقرأ الأصول وبعض المنطق وتفنن وجود الكتابة ونشأ في صون وخير وإكباب على العلم والإفادة عمره كله ، درس واشتغل بعد أبيه وتخرج به الأصحاب ، وأذن في الفتوى لجماعة ، وانتهى إليه إتقان غوامض المذهب ، وعلق في التبيين شرحاً حافلاً في مجلدات ، كان عذب العبارة صادق اللهجة طلق اللسان طويل الدروس يوردها كالفاتحة يكاد يقول في مسائل الرافعي هذه =

كبير في بناء شخصيته العلمية كست الوزراء^(١) والحجار^(٢)، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين ابن تيمية^(٣)، والعروض والأدب على الشيخ شمس الدين الصائغ^(٤)

= المسألة في المجلد الفلاني في الكراس الفلاني في الصفحة الفلانية؛ لأنه دربه وأدمن مطالعته وفرع من الوسيط دروساً ألقاها ، كان له حظ من صلاة وصيام وذكر ولطف وتواضع ولزوم خير وكف عن الغيبة ، برع في الفقه ، توفي سنة ٧٢٩هـ . الكتبي : فوات الوفيات ٧٧/٧٦/١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣١/٣٠/٦ . أعيان العصر . ٨٥/١ - ٨٩/ . القاضي شعبة : طبقات الشافعية . ٢٤٠/٢ - ٢٤٢/ . ابن تغري : المنهل الصائغ . ٩٩/١ - ١٠١/ .

(١) ست الوزراء أم محمد ابنة الشيخ تاج الدين أبي الفضل يحيى بن مجد الدين محمد بن حمزة التغلبي الدمشقي، ولدت سنة ٦٣٩هـ ، وأجاز لها ابن البخاري والضياء وعز الدين بن عساكر وعتيق السلماني وخطيب عقربا وجماعة، وهي من بيت الحديث وفيها مسند الشام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفضل سليمان لها إجازة من عدة شيوخ ، توفيت سنة ٧١٥هـ . الصفدي : أعيان العصر . ٤٠٢/٤٠١/٢ . الوافي بالوفيات . ٧٣/١٥ . ابن حجر: الدرر الكامنة : ٢٦٤/٢٦٣/٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٧ /٩ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣٥/٦ .

(٢) أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي الدمشقي الحجار ، عمل حجاراً بقلعة دمشق ، سنة ٦٤٣هـ كان عالماً ، سمع من جماعة من كبار العلماء ، ورحل إليه من البلاد خلق كثير ، وسمع منه أمم لا يحصون وتزاحموا عليه إلى أن توفي سنة ٧٣٠هـ . الصفدي : أعيان العصر . ٤٠٦ /٤٠٥/١ . الوافي بالوفيات . ١٤٢/٨ . ابن حجر: الدرر الكامنة . ٣٨٧/١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٠١٩/٢ . ابن تغري : المنهل الصائغ . ٢٤٩/٢ - ٢٥١/ .

(٣) الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله أبي قاسم الحراني ، الإمام العلامة الفقيه المفسر المحدث ، ولد سنة ٦٦١هـ ، كان من أئمة النقد متبحراً في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الإدراك سيال الفهم كثير المحاسن ، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم ، فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه ، والعمل بمقتضاه ، برع في علوم الآثار والسنن ودرس وأفتى وفسر وصنف التصانيف البديعة ؛ فله كتب في التفسير وأصول الفقه ، وانفرد بمسائل فينيل من عرضه لأجلها ، وتوفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ . الذهبي : معجم الذهبي . ٢٥/ - ٢٦/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١/٧ - ٢٠/ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٢٤/١ - ١٢٩/ . ابن حجر: الدرر الكامنة . ١٦٨/١ - ١٨٦/ . ابن الأثير : البداية والنهاية . ٣٠٠٩ /٢ - ٣٠١٢/ .

(٤) محمد بن الحسن بن سباع ، الشيخ العروضي ، ولد سنة ٦٤٥هـ ، كان مشيخة بالأدب ، واختصاصه العروض، شرح ملحّة الأعراب، وشرح الدرديدية في مجلدين ، واختصر صحاح الجوهري وجرده من الشواهد ، وله غير ذلك ، ونظم قصيدة تأتية تزيد على الألف بيت بكثير، وله المقالة الشهابية وشرفها ، توفي سنة ٧٢٢هـ . الكتبي : فوات الوفيات . ٣١٣/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٦٧/٢ . الصفدي : أعيان العصر . ٣٩٧/٤ - ٤٠٠/ .

وعلاء الدين الوداعي^(١) ، وقرأ جملة من المعاني والبيان وجملة من
الدواوين وكتب الأدب على العلامة شهاب الدين محمود^(٢) ، وقرأ
بعض من العروض على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني^(٣) ،

(١) علي بن المظفر بن إبراهيم بن زيد ، ويعرف بالوداعي ، كاتب وأديب بارع ولد سنة ٦٤٠ هـ ، كان ناظماً
وشاعراً وعني بالرواية ، فسمع من إبراهيم بن الخليل والكفرطابي وعثمان بن خطيب القوافه وغيرهم ، كتب
الأجزاء والطباق ، وتعلم الأدب فأجاد النظم والنثر والكتابة ، وولي مشيخة دار الحديث النفيسة ، كان له
شعر في غاية الجودة ، ومن شعره :

من زار بابك لم تبرح جوارحه تروي محاسن ما أوليت من منن
فالعين عن قرّة والكف عن صلة والقلب عن جابر والأذن عن حسن

توفي علاء الدين الوداعي سنة ٧١٦ هـ . الكتبي: فوات الوفيات . ١٤٩/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات
١٢٥/١٢٤/٢٢ . أعيان العصر . ٥٤٦/٣ . ابن حجر : الدرر الكامنة . ٢٦٣/٤ . ابن كثير : البداية والنهاية .
١٩٧١ / ٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٥/٩ .

(٢) محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي ، ولد سنة ٦٤٤ ، وسمع من الرضي بن البرهان ويحيى بن عبد
الرحمن الحلبي وغيرهم ، وفاق الأقران في حسن النظم والإنشاء والكتابة ، وكان يذكر أن له إجازة من ابن
خليل ، كتب الإنشاء أولاً بدمشق ، ثم نقل إلى الديار المصرية ، فكتب بها في ديوان الإنشاء ، ثم ولي كتابة
السرد بدمشق إلى أن مات ، وكان نائب السلطنة يحترمه ، وكان محباً لأهل الخير مواظباً على التلاوة والأدعية
والنوافل وقوراً ساكناً ، وقصائده كثيرة تدخل في ثلاث مجلدات ، كان ناظماً ناثراً عارفاً بأيام الناس
وتراجمهم ومعرفة خطوط الكتاب مع الأدب الكثير والديانة والعلم والرواية ، وله كتاب حسن التوسل في
صناعة التوسل ، وكتاب أهني المنائح في أسنى المدائح ، ومن مشهور نظمته :

تثنى وأغصان الأراك نواضر فنحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تتثنى وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

توفي شهاب الدين محمود سنة ٧٢٥ هـ . الكتبي : فوات الوفيات . ٤٧٠/٢ . ابن حجر : الدرر الكامنة .
٨٢/٦ - ٨٤/٦ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٩٩٩/٢ . ابن رافع : الوفيات . ٤٥٣/١ - ٤٥٤/١ .

(٣) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الزملكاني قاضي القضاة بحلب ، ولد سنة ٦٦٧ هـ ، وسمع من ابن
علان وابن الواسطي وغيرهم ، وطلب الحديث وقرأه ، وكان فصيحاً مشرعاً بصيراً بالمذهب وأصوله ، قوي
العربية وقد أتقنها ، كريم النفس عالي الهمة ، فصيحاً عارفاً بالفقه ودقائقه ، وكان يضرب بذكائه المثل ،
صنف أشياء منها رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق ، ورسالة في الرد عليه في
مسألة الزيارة ، ورسالة سماها رابع أربعة نظماً ونثراً وشرح قطعة جيدة من المنهاج وتخرج به الأصحاب وانتفع به
الطلبة ، ودرس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية ، وولي نظر ديوان الأفرم ونظر الخزانة ووكالة بيت المال =

وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين^(١).

= وكتب في ديوان الإنشاء ، توفي سنة ٧٢٧هـ - الذهبي . معجم المحدثين . ٢٤٦/٢٤٧ . الكتبي : فوات الوفيات
٤١١/٢ - ٤١٥/ . الصفدي : أعيان العصر . ٦٢٤/٤ . الوايفي بالوفيات . ١٥١/٤ - ١٥٦/ . ابن حجر: الدرر
الكامنة . ٣٢٨/٥ - ٣٣١/ .

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، عالم الديار المصرية وصاحب التصانيف
البيديعة ، نحوي عصره ولغويّه ومُحدثه ومُقرئه ومؤرخه وأديبه ، ولد سنة ٦٥٤هـ ، أخذ عن علماء الأندلس والعدوة
ومصر ، وتلا بالسبع على المليجي وغيره ، وسمع من العز الحراني ، ولي المنصورية ، كان إمام زمانه في علم
النحو إماماً في اللغة عارفاً بالقراءات والحديث شاعراً مجيداً صادق اللهجة كثير الإتقان والاستحضار ، كان
يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم ، توفي سنة ٧٤٥هـ . الذهبي : معجم المحدثين . ٢٦٧/٢٦٨ . الصفدي :
الوايفي بالوفيات . ١٧٥/٥ - ١٨٥/ . ابن حجر: الدرر الكامنة . ٥٨/٦ - ٦٥ . ابن العماد : شذرات الذهب
. ٧٩ / ٧٨/٦ .

تلقى العلم على يد العلامة أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري جمهرةً كبيرةً من الدارسين ، سمعوا منه وتفقهوا ، وقرؤوا عليه مؤلفاته ، ونبغ منهم الكثير نذكر منهم :

١- بدر الدين الشبلي الحنفي محمد بن عبد الله الفقيه العالم المحدث بدر الدين أبو البقاء الشبلي السابقي الدمشقي الحنفي، ولد سنة ٧١٢هـ ، كان من نبهاء الطلبة وفضلاء الشباب، سمع الكثير، وعني بالرواية على الشيوخ، ألف كتاباً في الأوائل ، ويكتب خطاً حسناً ، ولأزم القاضي شهاب الدين أبا العباس ابن فضل الله، وكتب كثيراً من إنشائه^(١).

٢- عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري عفيف الدين ، أبو محمد بن زين الدين بن القاضي جمال الدين بن المحب ، ولد بمكة سنة ٧٢٣هـ ، وسمع من عدد من علماء الحرميين ، وأجاز له من مصر جماعة منهم العلماء ومن دمشق ، وسمع من القاضي شهاب الدين بن فضل الله شيئاً من شعره ، مات بالمدينة في جمادى الآخرة سنة ٧٨٧هـ^(٢).

٣- علي بن عبد الله بن يوسف بن الحسن البيري ثم الحلبي علاء الدين ، نشأ بحلب وتعلم الأدب ، فمهر في النظم والنثر والإنشاء ، وكتب الخط الحسن ، ورتب في توقيع الدست^(٣) ، سافر مع الظاهر إلى حلب فلما قتل الناصري وعاد قتل في سنة ٧٩٤هـ بالقاهرة^(٤).

(١) الصفدي : الوايف بالوفيات. ٢٩٨/٣ . ابن حجر: الدرر الكامنة . ٢٣٥/٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة . ١٥/٣ .

(٣) الدست : كرسي من أربعة كراسي لكُتَّاب يكتبون بما يريد السلطان ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابة عنه وترسل للتفويض . محمد دهمان : ٧٥/ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة . ٨٩/٤ . المقرئزي : السلوك . ٣٣٠/٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة .

- ٤- عمر بن داود بن هارون بن يوسف الصفدي ، زين الدين كاتب الإنشاء ، ولد سنة ٩٣ هـ بصفد ، لازم عدداً من العلماء من بينهم القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري ، وقد برع في الإنشاء وعمل فيه في دمشق ومصر ، وكان شديد المداخلة للناس لطيف المؤانسة ، وله شعر وسط ونثر كذلك ، ولكنه كان إذا ترسل من غير سجع أتى بما يحمد ، وكان صبوراً على الكتابة لا يسأم منها ، مات في صفر سنة ٧٤٩ هـ^(١) .
- ٥ - محمد بن عيسى بن حسن بن كركر البغدادي شمس الدين المرواني ، من ولد مروان بن محمد آخر خلفاء بني مروان ، ولد في شهر ربيع الأول سنة ٦٨١ هـ وحفظ القرآن والعمدة وكتب وسمع من كثير من العلماء من بينهم القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، ونقل مذاهب القدماء وحررها ، وكان عزيز النفس شهماً عفيفاً^(٢) .
- ٦- عبد الوهاب بن عبد الرحيم بن عبد الله القاضي الناظم الناصر الكاتب المفتي فخر الدين المصري المعروف بكاتب الدرج^(٣) ، ولد سنة ٧١٦ هـ ، سمع من عدد من العلماء ، ومن بين العلماء الذين قابلهم واستفاد من علمهم القاضي شهاب الدين العمري^(٤) .
- ٧- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، صاحب المصنفات وأحد الذين استفادوا من علم القاضي شهاب الدين كما قال الصفدي ، حيث كان يعترف بالفضل في كثير من الحقائق التي أوردها في هذا الكتاب إلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري^(٥) .

(١) الصفدي : الواجبة بالوفيات . ٢٨٧/٢٢ .

(٢) المصدر السابق . ابن حجر: الدرر الكامنة . ١٩٤/٤ . ١٩٥/٢ . الصفدي : الواجبة بالوفيات . ٢١٥/٢١٤/٤ . ابن

حجر: الدرر الكامنة . ٣٨٨/٣٨٧/ . ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة . ٣٣١/٣٣٠/١٠ .

(٣) كاتب الدرج : وهو الاسم أو المرتبة التي أطلقت على كاتب الإنشاء في العصر الفاطمي وتحت يده ستة

كتاب يسمون كتاب الدست ، ويعبر عن كاتب الدرج في عصر القلقشندي بالموقع . القلقشندي : صبح

الأعشى ٤٣٧/٥ .

(٤) الصفدي : الواجبة بالوفيات . ٢٠٣/٢٠٢/١٩ .

(٥) المصدر السابق . ١٦٥/٨ .

المبحث الثالث

ثقافته ومصنفاته

لقد أمضى ابن فضل الله العمري _ رحمه الله تعالى _ معظم حياته في ديوان الإنشاء ، ورغم ذلك فقد ألّف في علوم وفنون متنوعة ، حيث ألّف كتباً تتعلق بقوانين الكتابة الديوانية ، وكتباً عن تراجم الرجال بالإضافة إلى أنه كتب في التاريخ، ويبحث تاريخ الدول التي قامت قبل الإسلام ، والدول التي قامت خلال المرحلة الإسلامية ، له كتابات عن وصف ملوك الإفرنج في عصره وعلاقاتهم مع المسلمين ، وكان للعمري إلمامٌ ونصيبٌ من الشعر ، فوجدنا له دواوين شعر متعددة .

ومع أن العمري لم يعيش طويلاً (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ ، ١٣٠١ - ١٣٤٩ م) ، لكنه ألّف كتباً متنوعة غايةً بالأهمية ، بعضها يعتبر مرجعاً أساسياً لجميع من جاؤوا من بعده ، وبشكل خاص (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) و (التعريف بالمصطلح الشريف) ، وبالعودة إلى ما كتبه القلقشندي والمقريزي والسيوطي فيما يتصل بمؤسسات الدولة ، وترتيب الجيش والتقسيمات الإدارية والنقود في النصف الأول من القرن الثامن الهجري نجد أنها مأخوذة من مسالك الأبصار وبالتحديد القسم الخاص الذي كتبه العمري عن دولة المماليك ، حتى أن كتاب القلقشندي (صبح الأعشى) اعتمد بشكل كبير على كتاب العمري (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) و (التعريف بالمصطلح الشريف) ، وأيضاً السيوطي في حسن المحاضرة نقل عن العمري الشيء الكثير ، وسأبين كل ذلك من خلال حديثي عن أهمية المخطوطة . وقد أثبت العلماء المعاصرون له والقريبون من عصره هذه الكتب له ، ونثب هنا الآن مؤلفاته ، وهي كما يلي :

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار :

وهو الكتاب الذي قمت باختيار قسم منه لتحقيقه ، وقد ذكر المؤرخون هذا الكتاب؛ فمنهم من قال إنه عشرة أجزاء ، ومنهم من قال إنه سبعة وعشرون جزءاً ، وربما يرجع هذا الخلاف^(١) إلى أن بعض المؤرخين رأوا هذا الكتاب قبل أن يكتمل في عشرة أجزاء .

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات . ١٦٤/٨ .

ثم استمر ابن فضل الله في استكمال الأجزاء الباقية ، فصلاح الدين الصفدي يذكر أن هذا الكتاب عبارة عن عشرة أجزاء^(١) ، في حين يذكر ابن تغري بردي أن هذا الكتاب كان في أكثر من عشرين مجلداً^(٢) ، ويقرر كل من ابن قاضي شهبه وابن العماد الحنبلي أن مسالك الأبصار سبعة وعشرون مجلداً^(٣) ، وهو القول الراجح حيث أن ذلك الكتاب يقع بالفعل في سبعة وعشرين مجلداً .

(٢) التعريف بالمصطلح الشريف^(٤) :

المقصود بالمصطلح الشريف مصطلح الكتابة الديوانية ، والقوانين التي تراعى عند المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء ، وأطلق على الكتب المتعلقة بهذا الموضوع اسم (الدساتير)^(٥) حتى أن القلقشندي أطلق على هذا الكتاب اسم (الدستور)^(٦) .

(٣) فواضل السمر في فضائل آل عمر :

وهو في أربعة مجلدات^(٧) ، ويبدو أن الذي دعاه إلى تأليفه انتسابه إلى آل عمر بن الخطاب^(٨) ، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة لأسرته ورجالاتها وفضائلها^(٩) .

(١) المصدر السابق . ١٦٤ / ٨ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤ / ١٠ .

(٣) ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية . ١٧ / ٣ . ابن العماد . شذرات الذهب . ١٦٠ / ٦ .

(٤) نذكر ممن أثبت هذا الكتاب : ابن حجر : الدرر الكامنة . ٣٩٥ / ١ . ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية .

١٧ / ٣ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١٦٠ / ٦ .

(٥) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . ٩ / .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى . ٣٢ / ١ .

(٧) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٤ / ٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤ / ١٠ . ابن العماد : شذرات الذهب .

١٦٠ / ٦ .

(٨) القلقشندي : قلائد الجمال . ١٤٠ / .

(٩) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . ٧ / .

٤) صباية المشتاق : وهو مجلد واحد ، وهو عبارة عن ديوان كامل في المدائح النبوية^(١).

٥) الدعوة المستجابة : مجلد واحد^(٢).

٦) ممالك عباد الصليب^(٣) :

وفيه وصف للملك الإفرنج في زمنه ، فوصف ملك فرنسا وألمانيا وأهل جنوة والبنادقة ، والأحوال السياسية والاجتماعية لديهم وعلاقاتهم مع المسلمين ، وقد تم طبع هذا الكتاب في روما سنة ١٨٨٣م مع ترجمة إيطالية له^(٤).

٧) دمة الباكي ويقظة الشاكي^(٥) .

٨) نفحة الروض^(٦) .

٩) سفرة السفرة^(٧) .

١٠) الشتويات :

ويشمل رسائل أرسلها العمري في شتاء عام ٧٤٥هـ ١٣٤٤م من دمشق إلى عدة رجال

متعلمين ، ومخطوط هذا الكتاب موجود في ليدن^(٨) .

(١) الصفدي: الوايف بالوفيات . ١٦٤/٨ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة . ٢٣٤/١٠ . ابن العماد : ٦/ ١٦٠ .

(٢) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٥/٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٩٤/٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤/١٠ .

(٣) الزركلي : الأعلام . ٢٦٨/١ .

(٤) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . ٧/ .

(٥) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٥/٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٩٤/٦ . ويذكره باسم دمة الباكي ويقظة الساهر ، أما ابن تغري بردي فيذكر هذا الكتاب باسم دمة الباكي ويقظة الشاكي : انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤/١٠ .

(٦) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٥ / ٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٩٤/٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٣٤/١٠ .

(٧) الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٦٥/٨ .

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية . ٢٤٤/٣ .

(١١) النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية.

وهو كتاب مخطوط في مكتبة فلايشر^(١).

(١٢) ذهبية العصر :

وفيه ترجمة لمشاهير المئة الثامنة من معاصريه مع ذكر أشعارهم وأخبارهم^(٢).

(١٣) مختصر قلائد العقيان^(٣) :

وفيه ترجمة لمشاهير المئة الثامنة من معاصريه مع ذكر أشعارهم وأخبارهم^(٤).

(١٤) الدائرة بين مكة والبلاد^(٥).

(١٥) تذكرة الخاطر^(٦).

(١٦) حسن الوفا لمشاهير الخلفا : وهي قصيدة رائية^(٧).

(١٧) الجواهر الملتقطة .

أضف إلى ذلك كله أن العمري كان شاعراً ، وفي ذلك يقول ابن إياس أثناء حديثه عن ابن فضل الله العمري (وكان من أعيان شعراء مصر) ، ويذكر لنا من شعره ما يلي :

أنا مع التمكين في قدرتي ليس يشك الناس في عفتي
يُثني على صدق لساني الوري في حال أثقالي وفي خفتي
كم من يدٍ ممتدة في الفنَى صارت بما تحويه في كفتي^(٨)

(١) الزركلي : الأعلام . ٢٦٨/١ . تاريخ آداب اللغة العربية . ٢٤٤/٣ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون . ٨٢٩/١ .

(٣) الزركلي : الأعلام . ٢٦٨/١ .

(٤) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . ٨/ .

(٥) الزركلي : الأعلام . ٢٦٨/١ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون . ٣٨٥/١ .

(٧) المصدر المتقدم نفسه . ٦٦٨/١ . العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . ٨/ .

(٨) ابن إياس : بدائع الزهور . ٤٨٧/٢ . ٤٨٨/٢ .

ومن شعره - أيضاً- ما ذكره صلاح الدين الصفدي ونختار منه :

وَحَقُّ الَّذِي أَبْلَى فُؤَادِي بِحَبِيبِكُمْ
مُحِبِّكُمْ الْمُضْنِي عَلَيَّ مِنْ عَهْدَتُمْ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي عَلَى الْفَتَى
أَحْبَابِنَا أَنْتُمْ بِقَلْبِي وَنَاظِرِي
وَصَيَّرَ قَلْبِي فِيكُمْ هَائِمًا صَبَا
وَلَمْ يَجْنِ فِعْلًا فِي الْفِرَاقِ وَلَا ذَنْبًا
وَتَحْمَلُ فِيهَا مِنْ أَحْبَبْتِهِ عَتَبًا
لِذَلِكَ لَا أَشْكُو بَعَادًا وَلَا قُرْبًا^(١)

(١) - الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٧٤/٨ .

المبحث الرابع أقوال العلماء في العمري

للعمرى علاقاته واتصالاته مع علماء عصره ، فكان بينه وبين المؤرخ صلاح الدين الصفدى مراسلات عديدة ، وله أيضاً اتصالاته مع المؤرخ ابن الوردى ، فعرف هؤلاء وغيرهم صفات العمري عن قرب ، وشهدوا على براعته وسعة علومه وحلم أخلاقه ، وكتبوا عن ذلك في كتبهم ، ونقل التالون لهم هذه الشهادات ودونوها في كتبهم ، وكان لهم آراء وأقوال كثيرة في العمري من أهمها :

يقول المؤرخ صلاح الدين الصفدى عن ابن فضل الله العمري : " هو الإمام الفاضل البليغ المفوه الحافظ ، حجة الكتاب ، إمام أهل الآداب وأحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً ، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً " (١) .

ويقول في موضع آخر: " هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق وسعة صدرٍ وبشر محيياً ، رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره وهي : الحافظة ؛ قلما طالع شيئاً إلا وكان مستحضراً لأكثره ، والذاكرة التي إذا أراد ذكر شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضراً كأنه إنما مر به بالأمس ، والذكاء الذي تسلط به على ما أراد ، وحسن القريحة في النظم والنثر " .

ويقول أيضاً: " وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فإنه فيها إمام وقته ، وكذلك معرفة الإسطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب " .

ويضيف: " وأضاف الله - تعالى - إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن ، وهو أحد أدباء الكلمة الذين رأيتهم " (٢) .

أما زين الدين عمر بن الوردي فيقول: " منزلته في الإنشاء معروفة ، وفضيلته في النظم والنثر موصوفة " (٣) .

(١) الصفدى : الوايف بالوفيات . ١٦٣/٨ .

(٢) المصدر السابق . ١٦٤/٨ .

(٣) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر . ٥٠٣/٢ .

ويقول جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي: " كان إماماً ، فاضلاً ، بارعاً ،
ناظماً، ثائراً ، جواداً ، ممدحاً " (١) .

ويقول عنه القلقشندي: " الفاضل الألمي اللوذعي ملك الكتابة وإمامها ، وسلطان
البلاغة ومالك زمانها " (٢) .

ويشبهه تقي الدين محمد بن رافع السلامي: " بالإمام الأديب البارع " (٣) .

ويقول عنه ابن كثير صاحب البداية والنهاية: " كان يشبه بالقاضي الفاضل في
زمانه ، وله مصنفاتٌ عديدةٌ بعبارةٍ سعيدةٍ ، كان حسنَ المذاكرة ، سريعَ
الاستحضار، جيدَ الحفظ ، فصيحَ اللسان ، جميلَ الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء " (٤) .

أما ابن حجر العسقلاني فيقول عنه: " كان يتوقد ذكاءً مع حافظةٍ قويةٍ وصورةٍ
جميلةٍ واقتدارٍ على النظم والنثر " (٥) .

ويصفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي : " بالفائق في النظم والنثر
وسرعتها " (٦) .

ويقول محمد بن إياس الحنفي: " كان عالماً فاضلاً بارعاً في كتابة الإنشاء ، وكان
ناظماً ناثراً ، وله خط جيد عالي الطبقة " (٧) .

وأخيراً يذكره الزركلي في الأعلام بأنه: " إمامٌ في الترسل والإنشاء ، عارفٌ بأخبار
رجال عصره وتراجمهم ، غزيرُ المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ المغول من عهد جنكيز
خان إلى عصره " (٨) .

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي . ٢ / ٢٦٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى . ١ / ٣٢ .

(٣) ابن رافع : الوفيات . ٢ / ١١٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٣٠٧١ .

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة . ١ / ١٩٣ .

(٦) السخاوي : الذيل التام على دول الإسلام . ١٩٩٢ / .

(٧) ابن إياس : بدائع الزهور . ١ / ٥٣٣ .

(٨) الزركلي : الأعلام . ١ / ٢٦٨ .

فمعارف العمري غزيرةٌ وجليلةٌ بناءً على أقوال العلماء فيه ، والأكثر أهميةً من ذلك أخلاقه الرفيعة وسعة الصدر التي تميز بها عن غيره ، إلى غير ذلك من الصفات الحسنة التي ذكرها هؤلاء العلماء .

الفصل الثاني

عصر المؤلف

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأوضاع السياسية.

المبحث الثاني : الأوضاع الدينية .

المبحث الثالث : الأوضاع العلمية .

المبحث الرابع : الحالة الاجتماعية .

عصر المؤلف أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

عاش العمري حياته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي ، وهذا العصر هو عصر دولة المماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام وغيرها من النواحي آنذاك ، حكم في هذه المرحلة العديد من سلاطين المماليك ، ولكن الأبرز منهم كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(١) ، الذي تسلطن ثلاث مرات .

وما يهمننا من هذا الحديث أن العمري لم يستقر في مصرٍ واحدٍ ، بل عاش متنقلاً بين مصر والشام ، وهذا يحتمُّ علينا أن نتحدث عن أوضاع مصر والشام في ظل دولة المماليك في المرحلة التي عاش فيها العمري حياته .

تعد هذه المرحلة أعظم وأهم مرحلة في تاريخ دولة المماليك من حيث الازدهار والاستقرار وخاصةً في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والذي كانت مدة حكمه في ولاياته الثلاث خمساً وأربعين سنةً تعد من أزهى فترات تاريخ المماليك توسعاً وازدهاراً في أغلب مجالات الحياة ، ويشهد على ذلك عدد كبير من العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة ومن بينهم المقرئ الذي تكلم كثيراً عن محمد بن قلاوون ، فيقول : " كانت همته عاليةً وسياسته جيدةً ، وحرمته عظيمةً إلى الغاية ، ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمى وراءها ، يبذل في ذلك الأموال ما لا يُوصف كثرة ، فكان كتابه ينفذ أمره في سائر أقطار الأرض كلها ، وهو مع ما ذكرنا مؤيدٌ في كل أموره ، مظفرٌ في جميع أحواله ، مسعودٌ في سائر حركاته ، ما عانده أحد أو أضمر له سوءاً إلا ندم على ذلك أو هلك " (٢) .

(١) السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو الفتح محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ولد الملك الناصر سنة ٦٨٤هـ ، كان ملكاً عظيماً دانت له البلاد وملك الأطراف بالطاعة ، وتوفي يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٧٤١هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٥٢/٢٥١/٤ . الكتبي : فوات الوفيات ٤٣٣/٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٤١/٨ .

(٢) المقرئ : المواعظ والاعتبار . ٣٠٦/٢ .

وعندما ذكر النويري أولاد المنصور قلاوون ذكر منهم الناصر محمد بن قلاوون ووصفه بسلطان العصر^(١) .

وكان عصر الماليك قد بدأ عام ٦٤٨هـ ، ١٢٥٠م على يد المعز عز الدين أيبك ، وبقوا يحكمون الديار المصرية والديار الشامية وغيرها من النواحي حتى عام ٩٢٣هـ - ١٥١٧م ، حيث جاء العثمانيون مكانهم ، أي أنهم حكموا نحو مئتين وخمسٍ وسبعين سنةً ، وانقسموا خلال هذه الحقبة إلى دولتين هما : الدولة البحرية : وسماهم بذلك نجم الدين أيوب وأسكنهم بقلعة الروضة^(٢) ، والدولة الجركسية : وسميت بذلك لأن أصل سلاطينها من بلاد الجركس^(٣) .

(١) النويري : نهاية الأرب . ٣١ / ٢٦٧ .

(٢) ابن دقماق : الجواهر الثمين . / ٢٤٤ .

(٣) المقرئزي : المواعظ والاعتبار . ٢ / ٢٤١ .

المبحث الأول

الأوضاع السياسية

جاء المماليك إلى مصر عن طريق التجار الذين جلبوهم من بلاد القفقاج الواقعة شمالي البحر الأسود ، وباعوهم كرقيق ، ولما وصل الصالح نجم الدين أيوب^(١) إلى الحكم اشترك ألف مملوك تقريباً ، وأمر منهم جماعة في حياته^(٢) ، أسكنهم في قلعة الروضة وسماهم البحرية^(٣) ، ولما تولى ولده المعظم توران شاه^(٤) بعده الحكم ، أبعد أمراء وغللمان والده وقرب غلماناً ، فقتل على يد أنصار والده ، وأقاموا مكانه المعز عز الدين أيك تركماني سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م السلطان الأول من ملوك الترك ، حيث كان الأشرف موسى آخر ملوك بني أيوب صغيراً ، وفي تلك المرحلة - أيضاً - بلغ أهل مصر أن التتار قادمون إلى البلاد ، فأجمع الجميع على تولية المعز أيك^(٥) .

ويختلف المؤرخون في أول من تسلطن من المماليك ؛ فابن دقماق - كما رأينا - اعتبر المعز أيك أول سلطان المملوكي ، ويؤيده في ذلك أيضاً القلقشندي^(٦) ، في حين

(١) السلطان أيوب الملك الصالح نجم الدين بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب . ولد سنة ٦٠٣ هـ واجه الفرنجة في دمياط ، ولكن المنية وافته أثناء المعركة توفى وكنتم خبر موته أياماً حتى تم النصر للمسلمين في وقعة المنصورة ، كان فيه ديانة ، وكان يقرأ القرآن ، وكانت وفاته سنة ٦٤٧هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات : ٣٥/١٠ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٥٠٨/٢ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢٣٨/٢٣٧/٥ .

(٢) ابن دقماق : الجوهر الثمين . ٢٥٩/ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤٤/ .

(٤) ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير الملك المعظم غياث الدين . تولى أمر لمماليك بعد وفات والده ، وعند قدومه فرح الناس وتيمنوا بوجهه ، لكن بدأت منه أمور نفرت الناس عنه منها : أنه كان فيه خفة وطيش ، وكان والده الصالح يقول ولدي لا يصلح للملك ، وكان يتهدد الأمراء بالقتل ، فشوش قلوب الجميع ومقتوه وصادف بخله أنه احتجب عن أمر الناس ، وانهمك على اللذات والفساد مع الغلمان على ما قيل ، ويقال : إنه تعرض لحظايا أبيه ومنها أنه قدم الأردال وأخر خواص أبيه ، وقد دفعت هذه الأمور إلى تديبر مماليك أبيه لقتله سنة ٧٤٨هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٠/٢٧٤/٢٧٥ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢٧٢ / ٢٧١/١ .

(٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين . ٢٥٧/ .

(٦) القلقشندي : مآثر الأنافة . ٩٤/٢ .

يخالفهم في ذلك غالبية المؤرخين وعلى رأسهم المقرئزي الذي اعتبر شجرة الدر أول من ملك مصر من المماليك^(١).

وأما بلاد الشام فقد دخلها المماليك بعد معركة عين جالوت^(٢)، وفي الثاني من رمضان عام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، وفيها انتصر المماليك بقيادة المظفر قطز على التتار ثم دخل المظفر إلى دمشق^(٣)، ثم استولى على سائر بلاد الشام من الفرات إلى حدود مصر، وأقطع أصحابه الأمراء إسقاطات الشام، ثم استتاب نوابه على كل من دمشق وحلب وحماة والمعة والسلمية والساحل وغزة^(٤).

حيث إن الفترة التي عاش فيها العمري كانت فترة الحكم المملوكي لمصر وبلاد الشام، ونقسم هذه الفترة إلى :

أولاً : السلاطين الذين عاصروهم العمري :

عاش العمري أغلب حياته في عصر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وتحديدًا في ولايته الثانية والثالثة، وبالعودة قليلاً إلى الوراء نجد أن الناصر قد وصل إلى السلطة أول مرة عام ٦٩٣هـ - ١٢٩٣م، وحكم مصر وبلاد الشام وغيرها من النواحي بعدما قتل أخاه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل، وكان عمر الناصر آنذاك تسع سنين^(٥)، فتم خلعه.

وتولى الحكم الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري سنة ٦٩٤هـ - ١٢٩٤م^(٦)، ثم جاء بعده سنة ٦٩٦هـ - ١٢٩٧م حسام الدين لاجين المنصوري^(٧)، الذي قُتل في ربيع الآخر، وولي بعده مصر وبلاد الشام وما مع ذلك من النواحي الإسلامية السلطان

(١) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك . ٣٦١/١ .

(٢) عين جالوت : وهي بلدة لطيفة شمال فلسطين . ياقوت : معجم البلدان . ١٧٧/٤ .

(٣) المنصوري : التحفة المملوكية . ٤٤/٤٣ .

(٤) المقرئزي . السلوك لمعرفة دول الملوك . ١ / ٤٣٣ .

(٥) ابن حبيب : تذكرة النبيه . ١٦٩/١ .

(٦) المصدر السابق . ١٧٨/١ .

(٧) المصدر السابق ١٩٤/١ .

الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثانية سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٩م^(١) ، وفي سنة ٧٠٨هـ - ١٣٠٩م توجه الناصر إلى قلعة الكرك وأقام بها ، معرضاً عن الحكم بسبب أن الأميرين بيبرس بن عبد الله المظفر وسلار بن عبد الله المنصوري استوليا على الدولة واستبدًا بالأمر ، فكانت مدة حكمه في ولايته الثانية عشر سنين وأربعة أشهر^(٢) .

وفي نفس هذه السنة تولى الحكم الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري بعد إعراض الناصر^(٣) ، ثم كان أن قبض السلطان الناصر على بيبرس هذا في غزة سنة ٧٠٩هـ - ١٣١٠م ، وتولى الحكم للمرة الثالثة ، فكانت مدة حكم بيبرس أحد عشر شهراً وأياماً^(٤) .

وفي التاسع من ذي الحجة سنة ٧٤١هـ - ١٣٤١م ، توفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومولده في سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٤م ، وعمره سبع وخمسون وأشهر ، وكان ملكه عظيماً ، دانت له البلاد وأطاعته العباد ، فكانت مدة حكمه في ولاياته الثلاث - بما فيه من ولاية كتبغا وبيبرس ولاجين - تسعاً وأربعين سنةً ، وولايته خاصة خمساً وأربعين سنةً وشهراً ونصف^(٥) .

وفي صبيحة يوم وفاة الناصر تولى الحكم مكانه ولده المنصور أبو بكر ، ثم تولى الحكم ولده الثاني الملك الأشرف علاء الدين كجك الذي عزل أخاه المنصور بعد حكم شهرين فقط^(٦) ، وفي سنة ٧٤٢هـ - ١٣٤٢م ، تولى الحكم الولد الثالث للناصر الملك الناصر أحمد^(٧) ، وكانت مدة حكمه شهرين واثنى عشر يوماً ، وفي الثاني عشر

(١) المصدر السابق . ٢١٢/١ .

(٢) المصدر السابق . ٢٨٦/١ . ويذكر المقرئبي أن مدة حكم الناصر في ولايته الثانية كانت تسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً . المقرئبي : الخطط . ٢٣٩ / ٢ .

(٣) ابن حبيب : المصدر السابق . ٢٨٧/٢٨٦/١ .

(٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين . ٣٤١/ .

(٥) المصدر السابق . ٣٦٤/٣٦٣/ . ويذكر المقرئبي أن ولايته الثالثة كانت ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يوم . المقرئبي : الخطط . ٢٣٩/٢ .

(٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين . ٣٦٧/ .

(٧) المصدر السابق . ٣٧٢/ .

محرم سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤٣م تولى الحكم الملك الصالح إسماعيل الرابع من أولاد الناصر بعد أن سافر أخوه الناصر أحمد إلى الكرك ، حيث حاصره هناك وقتله ، ثم مرض الملك الصالح هذا وتوفي في العشرين من ربيع الأول سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م .

وتولى الحكم بعده الملك الكامل شعبان ، الولد الخامس للناصر محمد بن قلاوون بعد دفن أخيه الصالح الذي حكم ثلاث سنين وشهراً واحداً وثمانية عشر يوماً^(١) ، وفي سنة ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م تولى الحكم المظفر حاجي السادس من أولاد الناصر ، وذلك في أوائل جمادى الآخرة ، واستمر في سلطنته إلى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م^(٢) ، وفي هذه السنة نفسها تولى الحكم الملك الناصر حسن، الولد السابع من أولاد الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك بعد قتل أخيه المظفر حاجي الذي حكم مدة ستة شهور وثمانية عشر يوماً^(٣) ، واستمر في مملكته إلى السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥١م ، وفي الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تولى الحكم الصالح الولد الثامن والأخير من أولاد الناصر محمد بن قلاوون^(٤) ، فحكم ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ، حيث تم خلعهُ وأُعيد أخوه الناصر حسن ، الذي حكم حتى سنه ٧٦٢هـ - ١٣٦١م^(٥) .

وهكذا حكم الناصر محمد بن قلاوون ثلاث مرات تخللها استيلاء كل من زين الدين كتبغا المنصوري وحسام الدين لاجين والمظفر بيبرس الجاشنكير على السلطة، وقد خلف الناصر محمد سلالة حاكمة تسلمت الحكم بعد وفاته، وهذا الوضع وهو النظام الوراثي : " يعد وضعاً شاذاً في تاريخ دولة المماليك ؛ لأن المماليك لم يؤمنوا مطلقاً بمبدأ الوراثة في الحكم ، ويعود ذلك لأسباب عدة ؛ منها أنه نشأت بين المماليك - على اختلاف أصولهم - أنهم لم يكونوا ينتمون إلى أصل واحد، وإنما كان منهم المغولي والصقلي والأسباني والرومي، وذلك إلى جانب الغالبية من الترك والجرکس

(١) المصدر السابق . ٣٧٦/٣٧٥/ .

(٢) المصدر السابق / . ٣٨٣ .

(٣) المصدر السابق . ٣٨٦/ .

(٤) المصدر السابق . ٣٩٠/٣٨٩/ .

(٥) المصدر السابق . ٣٩٧/٣٩٦/ .

الذين تألفت منهم دولتا المماليك البحرية والجركسية أو البرجية ، وقد نشأت بينهم رابطة الأستاذية ورابطة الخشداشية ، ورابطة الأستاذية تعني الرابطة التي تربط المملوك بسيدته الذي اشتراه رقيقاً من صغره ، ثم تعهده بالتربية حتى كبر وأعتقه ، وأما الخشداشية فتعني الزمالة وما تعنيه من أواصر المودة بين مجموعة من المماليك الذين نشؤوا في كنف أستاذ واحد ونُسبوا إليه ، كالمماليك الظاهرية نسبة إلى الظاهر، والأشرفية نسبة إلى الأشرف ، والصالحية نسبة إلى الصالح فصاروا كالإخوة، ويربط بينهم أبٌ واحدٌ ، فطبيعة المماليك هذه من حيث الأصل والتربية والنشأة جعلتهم يشعرون بالمساواة فيما بينهم ، بحيث لا تكون هناك ميزة أو فضل لأحدهم على الآخر، فجميعهم كانوا رقيقاً ، جيء بهم من بلدان بعيدة ومختلفة ، وتمت تربيتهم وتدريبوا حتى ظهروا على سطح الأحداث ، وهذا الإحساس بالمساواة انعكس على نظام الحكم طوال العصر المملوكي ، فأمن كل فردٍ منهم بأن له الحق في تولي منصب السلطنة، وهذه أهم الأسباب التي جعلت المماليك لا يؤمنون بمبدأ الوراثة. ونذكر - هنا - سبباً آخر ، فالأمير إذا توصل إلى السلطنة بفضل ذكائه وقوته والظروف المناسبة ورضي به المماليك مُختارين أو مُكرهين ، فلا مبرر للخضوع لابنه من بعده سيما وإن كان الابن لم ينشأ نشأتهم ، ولم يكن مملوكاً مثلهم ، ولم يمر في ظروف حياته بمثل الأدوار التي مروا بها في حياتهم ونشأتهم . وإذا رأينا في تاريخ المماليك أمثلةً لتتصيب ابن السلطان الراحل مكان والده ، وموافقة أمراء المماليك على هذا الإجراء ، فإن هذه الموافقة لم تكن إلا مؤقتةً إلا أن حسم هذا الأمر سيكون بظهور الأمير الأقوى الذي يستأثر بالسلطة لنفسه^(١).

ونذكر - أيضاً- سبباً آخر غير التساوي في الأصل والتربية والنشأة ، هو تقارب قوة المماليك ووزنهم في الهرمية العسكرية ، فهذا السبب لا يسمح بتخريج ملكية انعكس على نظام الحكم طوال العصر المملوكي ، فأمن كل فردٍ منهم بأن له حق من أوساطهم^(٢) .

(١) عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك . ١٧/١٦ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ٤٦ / .

ولكن كل هذه الأسباب لا تعني أن من وصل إلى السلطة لم يحاول أن يورث أبناءه من بعده ، بل كان هناك من حاول وتم له النجاح في ذلك الأمر ولو جزئياً ، ومن الأمثلة على ذلك السلطان الظاهر بيبرس الذي عهد لابنه من بعده محمد بركة خان بالسلطنة ، فحكم بعد أبيه مدة سنتين وشهرين وثمانية أيام^(١) ، كما أننا رأينا في أثناء حديثنا عن سلاطين المماليك الذين عاش العمري في عصرهم ، كيف تمكن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من تحقيق ذلك النجاح ، فبايع لولده أبي بكر المنصور قبل أن يموت ، ووصل عدد من أولاده الذكور إلى السلطة قدر عددهم بنحو ثمانية .

ومن هنا يتضح لنا أن فشل مبدأ الوراثة هذا كان له آثار إيجابية وسلبية على دولة المماليك ، فقد أدى عدم نجاحه إلى عدم وصول الأطفال والفتيان إلى السلطة على الأغلب ، كما أنه لم يكن هناك حقوق ملكية وراثية تفرض تولية أبناء السلطان على بعض الأقاليم أو النواحي ، الأمر الذي يؤدي إلى انقسام الدولة إلى دويلات ، ويتبع ذلك الضعف والتشردم ثم السقوط^(٢) .

أما الأثر السلبي : فيتمثل في عدم وجود نظام ثابت لتولي منصب السلطنة في عصر سلاطين المماليك ، وتطلع كل أمير من أمرائهم إلى ذلك المنصب بوصفه حق مشروع له نتج عنه كثرة الاضطرابات في الدولة طوال تاريخها^(٣) .

وقد انتهى حكم الكثير من السلاطين المماليك إما بالقتل كما حدث للأشرف خليل الذي قتل سنة ٦٩٣هـ - ١٢٩٣م ، وحسام الدين لاجين وقُتل سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٩م^(٤) ، أو بالقبض عليهم كما حدث للسلطان المظفر بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩هـ - ١٣١٠م^(٥) ، أو بالفرار من وجهه المستولي الجديد على

(١) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك . ٢٣٨/٢ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ٤٧ / .

(٣) عاشور : نظام الحكم الإدارة . ١٨ / .

(٤) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك . ٢٩٣/٢ .

(٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين . ٣٤١ / .

السلطة وأنصاره كما حدث للسلطان زين الدين كتبغا المنصوري ، الذي فر من مصر إلى دمشق من وجهه المستولي الجديد على السلطة حسام الدين لاجين وذلك سنة ٦٩٦هـ - ١٢٩٧^(١) ، إلى غير ذلك من الأساليب .

وهكذا لم يكن تولي الحكم عند المماليك وفقاً لحق شرعي موروث ، وإنما يكون بتولي من يتميز بالقدرة والدهاء والقوة وكثرة المماليك والأتباع ، وإذا تُوفي سلطانُ فإن الأمير الأقوى هو صاحب الحظ الأكبر في الوصول إلى العرش .

(١) المقرئزي : السلوك لمعرفة الملوك . ٢ / ٢٣٩ .

ثانياً : موظفو البلاط السلطاني وسلطتهم .

لقد أمدنا العمري عن هذا الموضوع بمعلومات قيمة عن الوظائف الموجودة في زمنه ؛ فالسلطان كان في رأس دولة المماليك ، وكان مقر إقامته ودار مملكته قلعة الجبل^(١)، ويحيط به عدد كبير من الموظفين ، مهمتهم الأساسية المساعدة في شؤون الحكم ، وسنذكر أهم الوظائف الإدارية في هذه الفترة :

١. نائب السلطنة : ويلقب بكافل الممالك ، وهو السلطان الثاني في الدولة ، صلاحياته واسعة ، حيث بإمكانه أن يستخدم الجند دون مشاوره السلطان ، وكانت تُقدَّم له الشكاوي وتُقرأ عليه قصص الناس ، فيصدر المراسيم دون الرجوع للسلطان لحل هذه القضايا ، إلا ما كان في الأمور المعضلة التي لا بد من إحاطة السلطان بها ، وكان له ديوان الإقطاع ، وقد تعرض هذا المنصب للتقهقر زمن العمري حتى ألغاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(٢) ، أما نواب الأقاليم فكانوا يملكون صلاحيات واسعة ، فكانوا يشرفون على شؤون الجيش والمال والبريد ، ويعرضون على السلطان من يصلح في أمور الوزارة ، والقضاء ، وكتابة السر ، والجيش ، وقلماً عارض السلطان عرضهم هذا ، ونال كلُّ من هؤلاء النواب لقب الأمراء ، وييدي هنا العمري رأيه فيذكر أن من يستحق هذا اللقب هو نائب دمشق فقط^(٣).

٢. الوزارة : وكان حق الوزارة - لأهميتها- أن تأتي قبل النيابة مرتبة ، ولكن هذا المنصب تقهقر ، وتضاءلت وظيفته، حتى ألغاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فصار ما كان إلى الوزير منقسماً إلى ثلاثة: إلى ناظر المال ، ومهمته تحصيل المال وصرف

(١) القلقشندي: صبح الأعشى . ٣ / ٤٢١ . وقلعة الجبل هي مقر السلطان ، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل

المقطم والفسطاط وما يليه . ياقوت : معجم البلدان . ١٣٨/٥ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . / ١١٦ / ١١٧ .

(٣) المصدر السابق . / ١١٥ .

النفقات والكلف ، وإلى الناظر الخاص ، ومهمته تدبير جملة من الأمور وتعيين المباشرين ، وإلى كاتب السر ، ويقوم بالتوقيع في دار العدل ، وهؤلاء الثلاثة لا يستطيعون الاستقلال بأي أمر إلا بعد مراجعة السلطان^(١) ، وهاتان الوظيفتان أُلغيتا على يد الناصر محمد بن قلاوون .

٣. إمرة سلاح : وصاحبها مهمته حمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة^(٢) .

٤. الدوادارية : والدوادار معناه ماسك الدواة ، وأول من أحدث هذه الوظيفة المملوك السلجوقية^(٣) ، ومهمته الدوادارية تبليغ الرسائل عن السلطان ، والإبلاغ عن عامة الأمور ، وتقديم البريد وأخذ خط السلطان عبر عموم المناشير والكتب^(٤) .

٥. الحجوبية : وصاحبها يقوم مقام النواب في كثير من الأمور ويقف ما بين الأمراء والجنود .

٦. إمرة جاندار : وصاحبها كالمستلم للباب ، وهو يقدم البريد ، وإن أراد السلطان قتل أحدٍ كان على يد صاحب هذه الوظيفة^(٥) .

٧. الأستاذدار : وإليه يكون أمر بيوت السلطان كلها ، كالمطابخ والحاشية والغلمان ، وله تصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي^(٦) .

٨. نقابة الجيوش : ونقيب الجيوش يكون كأحد الحجاب الصغار ، فإذا طلب السلطان أو النائب أو الحاجب أميراً أو خدماً ، كان مهمته أن يرسل إليه ويحضره .

٩. الولاية : وأصحابها هم أصحاب الشرطة^(٧) . وجميع هذه الوظائف المتقدمة الذكر يتولاها المماليك أصحاب الطبقة الأولى في المجتمع

(١) المصدر السابقة . ١٢٠/١١٩ .

(٢) المصدر السابق . / ١١٨ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة . ١٣٢/٢ .

(٤) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . / ١١٨ .

(٥) المصدر السابق . / ١١٧ .

(٦) المصدر السابق . / ١١٨ .

(٧) المصدر السابق . / ١١٩ .

أو المسمون بـ (ذوو السيوف) (١).

١٠. كتابة السر : أي قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ
خط السلطان عليها ، والجلوس بدار العدل لقراءة قصص الناس والتوقيع عليها (٢).

١١. نُظِرَ الجيش : ولصاحب هذه الوظيفة من الصلاحيات النظر في الإقطاعات ،
ومعه مستوفين مما يحرق كليات المملكة وجزئياتها (٣) ، ويقوم أيضاً بكتابة
مراسيم يُعَلَّمُ عليها السلطان .

١٢. نُظِرَ الخزانة : وكانت هذه الوظيفة كبيرة الشأن ؛ ففي الخزانة مستودع أموال
المملكة ، ولكن استحداث وظيفة الخاص أضعف أمرها وصارت تسمى بالخزانة
الكبرى ، وناظرها أغلب ما يكون من القضاة ومن يلتحق بهم .

١٣. نظر البيوت : وظيفة جليلة ، وهي منوطة بالأستاذدارية ، فكل ما يتحدث به
الأستاذدارية يشارك فيه ناظر البيوت (٤).

١٤. نظر بيت المال : وظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال ، ولا
يلي هذه الوظيفة إلا صاحب العدالة البارزة .

١٥. نظر الإسطبلات : ويباشر صاحبها في إسطبل السلطان ، وله الحديث في أنواع
الإسطبلات ، والمناخات ، وأرزاق المستخدمين فيها ، وكل ما يبتاع لها أو
ينباع بها (٥) . وجميع هذه الوظائف يتولاها الطبقة الثانية في المجتمع والمسمون (ذوو
الأقلام) (٦).

١٦. وهناك وظائف أخرى كبيرة هي : القضاء ، والخطابة ، ووكالة بيت المال ،
والحسبة ، وهذه وظائفٌ معروفةٌ لا تكاد تخلو مملكة من ممالك الإسلام منها ،
ويتولى هذه الوظائف الطبقة الثالثة من طبقات المجتمع وهم المسمون (ذوو العلم) (٧).

(١) المصدر السابق . ١١٤/ .

(٢) المصدر السابق . ١٢٠/ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة . ١٣١/٢ .

(٤) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ١٢١/ .

(٥) المصدر السابق . ١٢٢/ .

(٦) المصدر السابق . ١١٤/ .

(٧) المصدر السابق . ١٢٢/ .

ثالثاً : التقسيمات الإدارية في عصر المماليك :

كانت بلاد الشام ومصر مقسمةً في زمن المماليك إلى مناطقٍ إداريةٍ كثيرةٍ ، وأورد هذه التقسيمات العمري والقلقشندي وغيرهم ، وقد اقتبس القلقشندي هذه التقسيمات من العمري ، وأشار إلى مواضع اقتباسه في كتابه صبح الأعشى ، وقد أفاض في شرح وتحديد مناطق ومدن التقسيمات الإدارية وفاق العمري في ذلك ، كما أنه رتبها بمنهجيةٍ جيدةٍ ، وقد اعتمدت في مصدر هذه المعلومات على ما ذكره القلقشندي أكثر من اعتمادي على العمري .

التقسيمات الإدارية في بلاد الشام :

كانت بلاد الشام في عصر المماليك مقسمةً إلى ستّ قواعد أو نيابات ، وكل قاعدة منها تُعدُّ مملكةً ، وهي كما يلي ^(١) :

- القاعدة الأولى : دمشق ، وتشتمل على ضواحيها ، وعلى أربع مناطق إدارية وهي :

الأولى : المنطقة الساحلية والجبالية غربي دمشق ، وتشمل المنطقة الساحلية أربعة أعمال هي : غزة ، والرملة ، وللد ، وقاقون ، وهو حصن قرب الرملة ، وتشمل المنطقة الجبلية ثلاثة أعمال : القدس ، وبلد خليل - عليه السلام - ونابلس ^(٢) .

والمنطقة الإدارية الثانية : هي المنطقة القبليّة الواقعة في قبلي دمشق ، وتشمل عشرة أعمال هي ، بيسان ، وبانياس ، والشعرة ، ونوى ، وأذرعات ، وعجلون ، والبلقاء ، وصرخد ، وبصرى ، وزرع ^(٣) .

وتقع المنطقة الإدارية الثالثة شمالي دمشق ، وتشمل خمسة أعمال هي : بعلبك ، والبقاع البعلبكي ، والبقاع العزيزي (نسبة إلى العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب) ، وبيروت ، وصيدا ^(٤) .

(١) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . / ٢٢٤ . القلقشندي : صبح الأعشى . ٩٤/٤ .

(٢) المصدر السابق . ١٠٢/٤ .

(٣) المصدر السابق . ١٠٨/٤ - ١١٢/ .

(٤) المصدر السابق . ١١٢/٤ - ١١٥/ .

والمنطقة الإدارية الرابعة هي : الشرقية ، وتشمل على خمسة أعمال - أيضاً وهي : حمص ، ومصيف ، وقارا ، وسلمية ، وتدمر ، ويضاف إليها بلاد الجزيرة ما بين الفرات ودجلة^(١) .

- القاعدة الثانية : حلب ، وتشمل على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ، أما القسم الثاني من الأعمال الحلبية : فهي بلاد الأرمن ، وتشتمل على ضربين : الأعمال الكبار ، وهي منطقتين إداريتين ؛ ساحلية ، وجبلية^(٢) .

والقسم الثالث من الأعمال الحلبية : البلاد المجاورة للفرات من شرقيه من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة^(٣) .

القاعدة الثالثة : حماة .

القاعدة الرابعة : طرابلس .

القاعدة الخامسة : صفد .

(١) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف . / ٢٣٠ . القلقشندي : صبح الأعشى . ١١٥/٤ - ١٢٠/ .

(٢) المصدر السابق . ١٢٣ / ٤ - ١٣٤/ .

(٣) المصدر السابق . ١٣٤/١٣٥ .

التقسيمات الإدارية في مصر :

أما مصر فكانت مقسمة إلى ثلاث قواعد ، وقد تقاربت واختلطت حتى صارت قاعدةً واحدةً ومدينةً واحدةً ؛ وهي الفسطاط ، والقاهرة ، وقلعة الجبل ، وهي مقر السلطان ودار مملكته^(١).

هذه هي التقسيمات الإدارية في الشام ومصر زمن المماليك ، وأريد أن أنهى حديثي عن الحياة السياسية بمجمل عن الوضع السياسي العام والحوادث الكبار في زمن العمري ، وبما أن هذه الفترة تولّى الحكم في أغلبها الناصر محمد بن قلاوون ؛ فأرى أن هذه الحوادث اقترنت بشخصه ، وألخص أهمها بما يلي :

استيلاء التتار على دمشق بعد هزيمة الناصر محمد بن قلاوون في وقعة وادي الخازندار سنة ٦٩٩هـ - ١٣٠٠م ، وهروب الناصر هو وفرقة من جنده وقتل جماعة من الأمراء ، وغيرهم ومن العوأم خلقٌ كثيرٌ ، وقطع اسمه من الخطبة في دمشق بعد دخول التتار إليها ثم أعيدت بعد استعادتها من أيديهم^(٢).

كان للمماليك نشاطٌ ملحوظٌ في البحر المتوسط ؛ حيث تم في عهد الناصر فتح جزيرة أرواد^(٣) من بلاد الإفرنج عام ٧٠٢هـ - ١٣٠٢م .

كانت وقعة شقحب عام ٧٠٢هـ - ١٣٠٢م ، كذلك بين الناصر والتتار ، وقد ثبت فيها مع مماليكه ، وكتب الله لهم النصر على العدو^(٤).

وفي داخل البلاد أخدمت ثورات العربان في صعيد مصر ، وأخضع ملوك النوبة المسيحية بشمال السودان^(٥).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى . ٤٢١/٣٩٢/٣٦٦/٣ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية . ٢/ ٢٩٢٣ - ٢٩٢٧/ .

(٣) جزيرة في البحر الأبيض المتوسط قرب قسطنطينية غزاها المسلمون وفتحوها في سنة ٤٥هـ مع جنادة بني أمية في أيام معاوية بن أبي سفيان . ياقوت : معجم البلدان . ١٦٢/١ .

(٤) المصدر السابق . ٢/ ٢٩٣٤ - ٢٨٣٧/ .

(٥) سلام : الأدب في العصر المملوكي . ٢٥/١ .

المبحث الثاني الحالة الدينية

شهد عصر سلاطين المماليك صراعاً دينياً ملموساً في مصر والشام ، وبخاصة بعد أن أصبحت مصر قاعدةً للخلافة العباسية ، ومقصد المسلمين في المشرق والمغرب ؛ فقد كان لا يزال يُوجد أثرٌ واضحٌ للتشيع في أوائل عصر المماليك على الرغم من الجهود التي بذلها صلاح الدين الأيوبي ومن معه لإزاحة مذهبهم وإحلال مذهب السنة بدلاً عنه عقب إسقاط الخلافة الفاطمية ، ولكن سلاطين المماليك اتّبَعوا سياسةً واضحةً للقضاء على تلك الآثار الشيعية في مملكتهم ، حيث صدر في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٣م مرسومٌ يقضي بمنع أيّ مذهب عدا المذاهب السنية الأربعة ، فلا تُقبل شهادة أحد ، ولا تُعطى وظيفة من وظائف القضاء ، والخطابة ، والإمارة ، والتدريس ، إلا إذا كان من أتباع أحد هذه المذاهب السنية الأربعة^(١).

أيضاً كان من مظاهر الاهتمام بالناحية الدينية في العصر المملوكي اعتناء سلاطين المماليك بإنشاء الكثير من المساجد والجوامع في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ؛ فقلماً نجد سلطاناً من سلاطين المماليك لم يؤسس مسجداً أو أكثر ، بل يقال : أن الناصر محمداً وأمراءه شيّدوا وحدهم ثمانية وعشرين مسجداً^(٢).

ولم تستخدم المساجد في ذلك العصر للعبادة فحسب ، بل استُخدمت أيضاً كمدارس يقصدها طلاب العلم والشيخوخ ، كما اهتم السلاطين ببناء الخوانق^(٣) ، والزوايا^(٤) ، والربط^(٥) ، وأكثرها منها ، وأغدقوا عليها أموالاً طائلةً لأسباب مختلفة .

(١) المقرئزي : المواعظ والاعتبار . ١٦١/١ .

(٢) عاشور : مصر والشام . ٢٩١/ .

(٣) كلمة فارسية تعني محلاً للتعبد والترهد والبعد عن الناس . محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . / ٦٦ .

(٤) كلمة تطلق على كل مسجد صغير فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة ، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه ، ولا يوجد فيه منبر أو منبذنة . المصدر السابق . / ٨٥ .

(٥) دار لنزول الصوفية يقيمون فيها عاكفين على العبادة وهم من الرجال وبعض النساء المتعبدات أحياناً ولهم غرف صغيرةٌ للتعبد . المصدر السابق . / ٨١ .

ومما يُلاحظ في ذلك العصر أيضاً إقامة الشعائر الدينية من الحدود وغيرها ؛ فلقد "ضرب قاضي القضاة المالكي عبد الرحمن بن خير في سنة ٧٨٥هـ عُقَيَ رجلين قد ارتدَّا عن الإسلام ، ولم يوافقا على العودة إلى الإسلام ، وصمَّما على ذلك فـضرب عنقيهما"^(١). ورأى أحد سلاطين المماليك في سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٥م من شرفه قصره خيمةً على بعد مضروبةً في الروضة على شاطئ النيل ، فبعث من كشف خبرها ، فلما عاد القاصد أخبر السلطان أن بها كريم الدين صاحب بن مكاس ، ومعه جماعة يشربون الخمر ، وعندهم جماعة من المغنين وأرباب الآلات ، فأمر بإحضارهم بتمامهم وكمالهم بين يديه ، فأمر بضرب صاحب كـريم بالمقارع، وقرر عليه مئة ألف دينار يدفعها لبيت المال"^(٢) .

على أن أهم ظاهرة اتصفت بها الناحية الدينية في عصر المماليك كانت انتشار التصوف ؛ فقد وفد على مصر في القرن السابع الهجري كثيرٌ من مشايخ الصوفيَّة - معظمهم من المغرب والأندلس مثل : أبي الحسن الشاذليّ ، وأبي العباس المرسيّ ، وغيرهم . ولم يلبث أن انقسمت الصوفية إلى فرق ، لكل فرقة شيخُها ، وشعارُها ، وقد حظيت باحترام الناس والسلاطين ؛ لأنهم يتحركون باسم الدين ويتخذون من حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شعاراً لهم ، فقد أخذ السلاطين يتقربون إلى الله ببناء الخوانق ، ووقف الأوقاف عليها ، والعطف على الصوفية ومشايخهم ، من ذلك ما نسمعه عن السلطان برقوق من أنه يرتب للمدرسة التي أنشأها بين القصرين عدداً من الصوفيَّة وقرر لهم مرتباتٍ وفيرة^(٣) .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور . ٣٢٨/١ .

(٢) المصدر السابق . ٣٢٩/١ .

(٣) عاشور : مصر والشام . ٢٩١/ .

المبحث الثالث الحركة العلمية

نشطت الحركة العلمية في عصر دولة المماليك نشاطاً كبيراً في جميع الميادين؛ فقد كثرت المدارس والمساجد والخوانق والأربطة والزوايا؛ فراجت سوق العلوم والمعارف وبرز العلماء والمفكرون في كافة الفنون وكثرت المصنفات، ساعد السلاطين على نشر العلوم بإنشاء المراكز العلمية المختلفة، ونشطوا في بناء المدارس، وشجعوا العلماء وأجزلوا لهم العطاء.

أولاً : عوامل ازدهار الحركة العلمية في العصر المملوكي :

(١) وقوع كثير من البلاد الإسلامية في يد التتار؛ حيث طغى سيلهم من أواسط آسيا إلى شمالها مكتسحاً بلاد المسلمين، ثم أتى خراسان ودمرها، فواصل زحفه حتى بلاد العراق، فمزق بغداد وأحرقها، ثم مضى إلى بلاد الشام حيث أصبحت مسرحاً لصراعٍ طويلٍ بين دولة التتار والمماليك، فكان لا بد للمسلمين من أن يلتفتوا حول المدافعين عنهم سلاطين المماليك، وأن يدعموا حكمهم، ومن أهم وسائل تدعيم المماليك؛ إحياء العلوم والمعارف، فاجتهد في ذلك علماء المسلمين^(١).

(٢) تدهور أحوال المشرق الإسلامي دفع العلماء إلى الهجرة إلى البلدان الآمنة من شر المغول.

(٣) قتل العلماء وإحراق الكتب العلمية، فبعد أن دخل التتار بغداد في أول سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م قتلوا الخليفة المستعصم، وهاجموا دار الخلافة وقتلوا من كان فيها من الأشراف، وقتلوا الفقهاء والعلماء والسادات والمدرسين، ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً^(٢)، ولأجل ذلك فرّ العلماء من وجه التتار

(١) رزق : عصر سلاطين المماليك . ١٧ / ٣ .

(٢) أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٣٠٢ / ٢٠٢ / ٢ .

واستقروا في كنف سلاطين مصر ؛ فوجدوا هناك الأمن والسلام ، كما وجدوا أنفسهم مسؤولين عن إنهاض العلم من جديد ، فدفعهم شعورهم هذا إلى العمل لإدراك ما فات^(١) .

(٤) قدوم العلماء والأدباء إلى مصر وبلاد الشام حاملين معهم علمهم وكتبهم ؛ حيث لقي هؤلاء العلماء التشجيع من الحكام والأهالي ، حيث أفادت منهم مصر والشام الخير الكثير ؛ فقد ساهم هؤلاء العلماء في ازدهار الحركة العلمية ، فمنهم من صنف وكتب ودرّس وخطب وتولى القضاء وأفتى^(٢) .

(٥) قيام سلاطين المماليك ببناء المدارس مثل المدرسة الناصرية التي أمر بإنشائها السلطان زين الدين كتبغا ، وأتمها الملك الناصر محمد بن قلاوون (٣) ، والمدرسة المنصورية ، والمدرسة الحجازية ، والمدرسة الطبرسية ، إلى غير ذلك من المدارس ، إضافةً إلى بناء الجوامع والخوانق والربط والزوايا ، وكان لهذه الأماكن الدور الرئيس في تنشيط الحركة العلمية^(٤) .

(٦) اهتمام السلاطين المماليك باللغة العربية ؛ وذلك لعجز اللغة التركية أو الجركسية عن أداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط للملك والسياسة والعلوم^(٥) .

(٧) إحياء الخلافة العباسية بمصر على أيدي المماليك ؛ حيث أن القاهرة سترث بغداد ، وتصبح مركز النشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي .

وهكذا ازدهرت الحركة العلمية في مصر ، وأصبحت مصر زعيمة العالم الإسلامي والعربي بدلاً من العراق ، وأصبحت القاهرة المركز الديني والسياسي والعلمي

(١) رزق : عصر سلاطين المماليك . ١٨/١٧/٣ .

(٢) المرجع السابق . ١٨/٣ .

(٣) المرجع السابق . ٢٧ / ٣ .

(٤) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ٣٨٢/٢ .

(٥) المصدر السابق . ٣٨٢/٢ .

بدلاً من بغداد ، وهذه العوامل التي ذكرناها باختصارٍ شديدٍ ، كانت وراء النهضة العلمية وعودة الروح والحياة إلى الحركة العلمية^(١) ، وكان لذلك انعكاسه على بلاد الشام والتي يذكر لنا العمري الأحوال فيها آنذاك بقوله : " وبجميع الشام وجوه الخير كثيرة ، من المدارس ، والخوانق ، والربط ، والزوايا للرجال والنساء ، والبيمارستانات وأوقاف البر ، والصدقات على اختلافها وخصوصاً دمشق ، فإنه لا يطاول في ذلك باعها ، ولا يحاول في هذه الغاية ارتفاعها ، فأما مسجدها الجامع - ويقصد به الجامع الأموي - فهو الفارق بينها وبين ما سواها ، والفائق بحسنه على كل المباني " ^(٢).

(١) رزق : عصر سلاطين المماليك . ٢٦ / ٣ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ٩٢ / .

ثانياً: مظاهر نشاط الحركة العلمية .

هذه الحركة العلمية كانت تطبيقاً على أرض الواقع ، فكما ذكرنا وجدنا نشاط السلاطين والأمراء في بناء المدارس والمساجد والخوانق والربط والزوايا ، كما وجدنا العلماء والأدباء الذين صنفوا آلاف الكتب القيّمة في فنونٍ متنوعة ، ويطول الحديث عن هذه المظاهر والمنجزات ، لذلك سيكون بحثنا فيما يتعلق بهذه من عصر العمري تقريباً فقط ، ومن هذه المظاهر ما يلي :

١ - المدارس والتعليم :

بنى صلاح الدين يوسف بن أيوب في مصر المدارس وأقام فيها مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك مقتدياً بذلك بالملك العادل نور الدين محمود زنكي الذي بنى بدمشق وحلب وأعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية ، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمصر ، ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمرأؤه ، ثم حذا حذوهم من مَلِك مصر بعدهم من ملوك الترك (المماليك) وأمرائهم وأتباعهم^(١) ، ونذكر من هذه المدارس في عصر العمري :

- المدرسة الناصرية : أمر بإنشائها السلطان زين الدين كتبغا المنصوري ، ثم خُلِع فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر عام ٦٩٨هـ - ١٢٩٨م إذ أمر بإتمامها ، فكمّلت عام ٧٠٣هـ - ١٣٠٣م ، ودُرّست فيها المذاهب الأربعة .
- المدرسة الحجازية : سميت بذلك لوقوعها بجوار قصر الحجازية ، أنشأتها خوندتتر ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ودُرّست في هذه المدرسة علوم الدين^(٢) .
- مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون : شرع ببنائها بعد أن كان

(١) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ٣٦٣/٢ .

(٢) المصدر السابق . ٣٨٢/٢ .

موضعها في دور وإسطبلات^(١).

- المدرسة الطيبرسية : أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش (ولي نقابة الجيوش عام ٦٩٧هـ - ١٢٩٧م) ، ودرس فيها المذهب الشافعي .
- المدرسة الأقبغاوية : أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستاذ دار الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٢) .
- المدرسة الجاولية : أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي سنة ٧٢٣هـ - ١٣٢٣م ، وعمل بها دروساً للصوفية^(٣) .

وقبل هذه المدارس كانت المدرسة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفي على يد الأمير علم الدين سنجر ، ورتب فيها دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ودروس الطب والحديث النبوي والتفسير^(٤) .

٢ - المساجد :

أحدثت الدولة المملوكية العديد من المساجد في كل المدن ، وقد ازدادت أعداد هذه المساجد والجوامع حتى بلغ عدد المواضع التي تقام بها الجمعة مئة موضع زمن المقريري^(٥) ، كانت تُدرس في هذه الجوامع علوم الدين وغيرها ، ومن أهم هذه الجوامع :

- جامع القلعة : أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٨هـ - ١٣١٨م ، وقد اختار الناصر نفسه خطيباً لهذا الجامع ، كما اختار عشرين مؤذناً رتبهم فيه ، وجعل به قراء درس وقارئ مصحف ، وجعل له من الأوقاف ما يفضل عن مصارفه ، فجاء من أعظم جوامع مصر^(٦) .

(١) السيوطي : حسن المحاضرة . ٢/٢٣٢ .

(٢) المقريري : الخطط المقريرية . ٢/٣٨٢/٣٨٣ .

(٣) المصدر السابق . ٢/٣٩٨ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ٢/٢٢٩ .

(٥) المقريري : الخطط المقريرية . ٢/٢٤٥ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ٥/٤٩٠ .

- جامع الطواشي : بناه الطواشي جواهر السحرتي اللالا ، وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أصبح أميراً سنة ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م^(١).
- جامع الملك الناصر حسن : ويُعرف بمدرسة الناصر حسن^(٢).
- جامع الست مسكه : أنشأته الستُ مسكه جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤١هـ - ١٣٤٠م .
- جامع البرقية : بناه الأمير مغلطاي الفخري في القاهرة عام ٧٣٠هـ - ١٣٢٩م .
- جامع الحراني : عمّره ناصر الدين بن الحراني سنة ٧٢٩هـ - ١٣٢٨م^(٣).
- جامع الأسيوطي : بناه القاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم السيوطي الذي توفى سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م^(٤).

وأما دمشق فكان أهم جوامعها- والتي كانت تُعقد فيها الدروس والحلقات العلمية - الجامع الأموي ؛ حيث أصبح في العصر المملوكي جامعةً عامرة تُدرس فيه أنواع العلوم والفنون ، وقد تنافس كبار العلماء لكي ينالوا نصيب التدريس فيه^(٥)، وكان يوقف راتبٌ شهريٌّ لطلبة الجامع الأموي وقدره عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون درهماً ، وللمدرس ثمانون درهماً^(٦).

٣ - الخوانق والربط والزوايا وهي أماكن تعليم ومأوى وتعبّد ، والخوانق جمع خانقاه ، وهي: كلمة فارسية معناها بيت ، وقيلَ خونقاه : أي الموضع الذي يأكل فيه الملك ، وحدثت الخوانق في زمن الإسلام في حدود الأربع مئة من الهجرة ، وجُعِلت لتجمع الصوفيّة فيها^(٧) .

(١) المصدر السابق . ٣٢٥/٢ .

(٢) المصدر السابق . ٣١٦/٢ .

(٣) المصدر السابق . ٣٢٦/٢ .

(٤) المصدر السابق . ٣١٥/٢ .

(٥) وأبرز الذين تولوا التدريس في الجامع الأموي : الخطيب القزويني ، وتقي الدين السبكي ، وفسر القرآن فيه العلامة عماد الدين بن كثير . أنظر سلام . الأدب في العصر المملوكي . ١٢٠/١ .

(٦) المرجع السابق . ١٢٠/١ .

(٧) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ٤١٤/٢ .

ومن هذه الخوانق في هذه الفترة :

- خانقاه المهندارية : بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهندار نقيب الجيوش في عام ٧٢٥هـ - ١٣٢٤م^(١).
- خانقاه الجاولية : أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي عام ٧٢٣هـ - ١٣٢٣م.
- خانقاه الجبيغا المظفري : أنشأها الأمير سيف الدين المظفري^(٢).
- خانقاه سرياقوس : بناها السلطان الناصر محمد بن قلاوون خارج القاهرة ، وجعل بها مئة خلوة لمئة صوفي ، وبجانبها بنى مسجداً وحماماً ومطبخاً وذلك عام ٧٢٣هـ - ١٣٢٣م^(٣).
- وهناك خانقاه قوصون التي بناها الأمير سيف الدين قوصون ، والخانقاه الناصرية التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد قلاوون^(٤).
وأما الأربطة فمنها :
- الرباط العلالئي : أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن الذي توفى سنة ٧٣٠هـ - ١٣٢٩م^(٥).
- رباط الخازن : بناه الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والي القاهرة^(٦).
وبالنسبة للزوايا فنذكر منها الزوايا التالية :
- زاوية تقي الدين : بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون لكي يسكن فيها الشيخ تقي الدين رجب بن أشريك العجمي ، وذلك بعد عام ٧٢٠هـ - ١٣٢٠م.
- زاوية الشريف مهدي : بجانب الزاوية السابقة أنشأها الأمير صرغتمش ، عام ٧٥٣هـ .

(١) المصدر السابق. ٤١٨/٢ .

(٢) المصدر السابق. ٤٢١ /٢ .

(٣) المصدر السابق. ٤٢٤/٢ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى . ٤٢٢/١٤ .

(٥) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ٤٣٠/٢ .

(٦) المصدر السابق. ٤٢٨/٢ .

- زاوية الطراطرية : أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون من أجل سكني الشيخين الأخوين محمد وأحمد المعروفين بالطراطرية في عام ٧٤٠هـ - ١٣٣٩م ، وكانا من أهل الخير والصلاح^(١) . وهكذا عملت هذه المؤسسات على تنشيط الحركة العلمية ، ألُفَّت من خلالها العلوم المختلفة ، وتخرج منها العلماء والفقهاء والأدباء أصحاب الفضل الأكبر في النهضة العلمية .

(١) المصدر السابق . ٤٣٢/٢ .

٤ - العلماء وحركة التأليف التاريخي في تلك المرحلة :

من خلال قراءتنا للعصر المملوكي وبشكل خاص المرحلة التي عاصرها العمري، وهي بداية القرن الثامن الهجري ، نجد أن هناك آلافاً من المؤلفات الكثير منها نهبها الأتراك العثمانيون ووضعوها في مكتباتهم ، ومن مكتباتهم تسرب الكثير منها إلى دول أوروبا ؛ ولذلك نرى المستشرقين قد استفادوا منها ، وعملوا الكثير من الدراسات حول الإسلام وحضارته وتاريخه وتراثه .

وهذه المؤلفات شملت كافة أنواع العلوم والفنون ، فكان لكل علم نصيبٌ منها ، والحديث يطول عن العلماء ومصنفات هذا العصر غير أنني آثرتُ قَصْرَ حديثي عن المؤلفات التاريخية ؛ لما لها من صلة بموضوع دراستي .

فالتاريخ حظي بعناية واهتمام العلماء في عصر الماليك، وبخاصة في مصر وسورية؛ فقد نبغ في هذه الفن عددٌ كبيرٌ من العلماء وجدنا لهم المؤلفات القيّمة النفيسة والتي تعدُّ من المصادر الأولى في البحث التاريخي ، وقد تنوعت على أيديهم موضوعات التاريخ ؛ فتعددت أنواعه وميادينه ومناهجه.

أ - كتب تراجم الأعلام :

وقد برز عددٌ كبيرٌ من العلماء في هذا النوع من الكتابة التاريخية ، وكتبوا المصنّفات الكثيرة التي تناولت الحديث عن أعلام عصر من العصور بأكمله ، ومن هذه المصنّفات :

- (فوات الوفيات) ، وهو كتاب ملحق لكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، وهو عن تراجم أهل القرن السابع ، وكتاب (عيون التواريخ) وهو تراجم حتى سنة ٧٦٠هـ - ١٣٥٩م ، وصاحب هذين الكتابين هو محمد بن شاكر الكتبي الذي توفّي سنة ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م^(١) .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة . ١٩٤/٥ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢٠٣/٦ .

- (الوايف بالوفيات) ، وفيه تراجم عن القرنين السابع والثامن في نحو ثلاثين مجلداً ، وكتاب (أعوان النصر في أعيان النصر) ، عن تراجم مشاهير القرن الثامن الهجري في ست مجلدات ، وهذان الكتابان للمؤرخ خليل بن أيك صلاح الدين الصفدي الذي توفي سنة ٧٦٣هـ - ١٣٦٢م^(١) .
- (مختصر المئة السابعة) ، مؤلفه القاسم علم الدين البرزالي الذي توفي سنة ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م^(٢) .
- (البدر السافر وتحفة المسافر) ، عن تراجم مشاهير القرن السابع الهجري ، ألفه كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م^(٣) .
- (درة الأسلاك في ملك الأتراك) ، ويتحدث عن تاريخ السلاطين المماليك ومرتب من سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م إلى ٧٧٧هـ - ١٣٧٥م ، مؤلفه بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي ، الذي توفي سنة ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م^(٤) .
- (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام) ، ومختصره كتاب (العبر في أخبار البشر ممن غبر) ، (طبقات الحفاظ) ، (طبقات القراء) ، مؤلفها شمس الدين الذهبي ووفاته ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م^(٥) .
- (طبقات الشافعية الكبرى) ، مؤلفه تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكي ووفاته في عام ٧٧١هـ - ١٣٩٦م^(٦) .
- (معجم في رجال الصحيحين) ، مؤلفه الحافظ شهاب الدين أبو الحسن أحمد بن أحمد الهكاري الذي توفي سنة ٧٦٣هـ - ١٣٦١م^(٧) .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة . ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه . ٣٠١/٢ .

(٣) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية . ٢٠/٣ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة . ١٣٤/٢ - ١٣٧/٣ . ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية . ٨٨/٣ .

(٥) المصدر السابق . ٥٥/٣ .

(٦) المصدر السابق . ١٠٤/٣ - ١٠٧/٣ .

(٧) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الدولة العباسية " . ٦٠/٥٩ .

- (الجمع المتناه في أخبار النحاة) ، ألفه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم ووفاته في سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م^(١) .

ب - كتب السير :

وهي الكتب التي اختصت بالحديث عن ترجمة علم من الأعلام ومنها :

- (تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه) ، وهذا الكتاب يتحدث عن سيرة المنصور قلاوون وأبنائه من بعده ، وقد ألفه ابن حبيب الدمشقي ، ووفاته سنة ٧٧٩هـ - ١٣٣٧م .

- (الطائف المنان) ، وهو عن مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي ، مؤلفه تاج الدين ابن عطاء الإسكندري الشاذلي ، الذي توفى سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م .

ج - كتب السيرة النبوية :

وهي المؤلفات التي تحدثت عن سيرة الرسول - صلى اله عليه وسلم - وما يتصل منها من وقائع وغزوات وأعمال ، ومن هذه المؤلفات :

- (المقتضى في ذكر فضائل المصطفى) ، و (النجم الثاقب في أشرف المناقب) ، وهذان الكتابان لابن حبيب الدمشقي الذي توفى سنة ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م^(٢) .

- (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيـر في غزوات سيد ربيعة ومضر) و (بشرى اللبيب في ذكر الحبيب) ، وقد ألفهما فتح الله اليعمري الأندلسي المشهور بابن سيد الناس ووفاته في سنة ٧٣٤هـ - ١٣٣٣م^(٣) .

- (مختصر السيرة النبوية) ، مؤلفه عز الدين بن جماعة الكناني الذي توفى سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٥م^(٤) .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة . ٢٠٤/١ - ٢٠٦/ .

(٢) المصدر السابق . ١٣٤/٢ - ١٣٧/ . ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية . ٨٨/٣ .

(٣) الكتبي : فوات الوفيات . ٢٨٤/٢ - ٢٨٥/ . الصفي : الوايف بالوفيات . ٢١٩/ - ٢٢١/ .

(٤) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الدولة العباسية " . ٦٢/٦٠ .

• (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ، لتقي الدين بن تيمية الحراني ووفاته في سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٧م^(١) .

د - كتب تاريخ مصر والمدن والأمصاى الأخرى :

وهي الكتب التي تناولت الحديث عن مصر والقاهرة والشام والمدن الأخرى ، ونذكر منها :

• (التحفة المملوكية في الدولة التركية) ، وهو عبارة عن تاريخ السلاطين المماليك في مصر حتى عام ٧٢١هـ - ١٣٢١م ، وقد ألفه بيبرس المنصوري ركن الدين الدوادار والذي توفي سنة ٧٢٥هـ - ١٣٢٤م^(٢) .

• (تاريخ مصر) ، مؤلفه أبي علي عبد الكريم بن عبد النور الحنفي ، ووفاته في سنة ٧٣٥هـ - ١٣٣٤م^(٣) .

• (تاريخ مصر ودمشق) ، مؤلفه برهان الدين البرزالي والذي توفي سنة ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م^(٤) .

• (الأعلام بفضائل الشام) ، وألفه برهان الدين الفزاري المعروف بابن الفرکاح ، ووفاته في سنة ٧٢٩هـ - ١٣٢٨م^(٥) .

• (مختصر تاريخ بغداد) ، مؤلفه شمس الدين الذهبي ، ووفاته في سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م^(٦) .

(١) الذهبي : معجم الذهبي . ٢٥/ - ٢٦/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١/٧ - ٢٠/ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٢٤/١ - ١٢٩/ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الدولة العباسية " . ٦٢/٦٠ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات . ٥٦/٥٥/١٩ . ابن حجر . الدرر الكامنة . ١٩٨/٣ . ١٩٩/ .

(٤) ابن حبيب : تذكرة النبيه . ٣٠١/٢ .

(٥) المصدر السابق ١٩١/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣١/٣٠/٦ .

(٦) ابن قاضي شهية : طبقات الشافعية . ٥٥/٣ .

هـ - كتب التاريخ العام :

وهي الكتب التي تناولت تاريخ الدول الأخرى وأحداثها ، ونذكر منها :

- (جهينة الأخبار في ملوك الأمصار) ، وتناولت الحديث عن الأنبياء واليهود والفرس واليونان والقبط والعرب وغيرهم ، وألفه ابن حبيب الدمشقي^(١) .
- (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) ، تاريخ عام للدول الإسلامية من بدئها حتى عام ٧٢٤هـ - ١٣٢٣م ، وألفه بيبرس المنصوري^(٢) .
- (المختصر في تاريخ البشر) ، لمؤلفه أبي الفداء السلطان المؤيد إسماعيل ، الذي توفي سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣١م^(٣) .
- (تنمة المختصر في أخبار البشر) ، وهو تكملة لكتاب أبي الفداء السابق ، ألفه زين الدين عمر بن الوردي الذي توفي سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م^(٤) .
- (الدول الإسلامية) ، لشمس الدين الذهبي^(٥) .

و - الموسوعات :

تميز القرن الثامن الهجري عن غيره من القرون بميزة عظيمة هي انتشار الموسوعات كموسوعة (صبح الأعشى) للقلقشندي ، و (نهاية الأرب) للنويري ، (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري ؛ ولعل السبب يعود في ذلك إلى عدة أسباب :

السبب الأول : ما حدث من ردة فعلٍ كبرى على أحداث الغزو التتاري للعالم الإسلامي والعربي ؛ فقام التتار بإحراق الكتب ، كما خربوا ودمروا وقتلوا العلماء والأعيان ، وخوفاً على نسيان العلم أو ضياعه عمل العلماء على جمع أكبر قدر ممكن من العلوم^(٦) .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة . ١٣٤/٢ - ١٣٧/ . ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية . ٨٨/٣ .

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة . ٥١/٥٠/٢ . قاضي شهبه : طبقات الشافعية . ٢٦٦/١ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه . ٢٢٢/٢٢١/٢ .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات . ١٩٥/٢ - ١٩٧/ .

(٥) ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ٥٥/٣ .

(٦) رزق : عصر سلاطين المماليك . ١٨/١٧/٣ .

والسبب الآخر : أنه من خلال قراءتنا لسيرة أصحاب هذه الموسوعات نستنتج أنّ معظمهم من العاملين بديوان الإنشاء ، هذا الديوان الذي يحتاج إلى الكثير من المعلومات التي لا يجيد جمعها إلا رجالٌ من أصحاب الخبرة الكبيرة فيما يحتاجه هذا الديوان ؛ لذلك كانوا الأجدر والأقدر على تأليف الموسوعات^(١).

وربما يكون الدافع إلى تأليف الموسوعات بشكل عام هو الحاجة إلى تصنيف عروضٍ مختصرةٍ لجميع العلوم أو لعددٍ كبيرٍ منها ، وأخذ الشعور يزداد لهذه الحاجة في العصور المتأخرة نظراً إلى اضمحلال الإنتاج العلمي المستقل^(٢).

أما أشهر الموسوعات التي ظهرت في هذه العصر فهي :

(مباحج الفكر ومناهج العبر) ، لمحمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي الوراق والذي اشتهر بالوطواط^(٣) ، (توفى سنة ٧١٨ هـ ، ١٣١٨ م) .

(نهاية الإرب في فنون الأدب) ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، (توفى سنة ٧٣٣ هـ ، ١٣٣٢ م) ، حيث قسم كل فن من هذه الفنون إلى أقسام متعددة ، وكل قسم إلى أبواب فرعية^(٤) .

(صبح الأعشى في صناعة الإنشا) ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (توفى سنة ٨٢١ هـ ، ١٤١٨ م) ، وتحتوي هذه الموسوعة على مقدمةٍ وعشرٍ مقالاتٍ وخاتمةٍ . ضمّت هذه الموسوعة معلوماتٍ عن الحياة الإدارية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية في عصر المماليك ، إلى غير ذلك من معلومات تتعلق بالوظائف كالكتابة والإنشاء^(٥) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى . ٩/٨/١ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي . ٢٤٣/٢ .

(٣) محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري جمال الدين الكتبي الأديب المشهور المعروف بالوطواط . ولد في ذي الحجة سنة ٦٣٢ . وكان أديباً ماهراً عارفاً بالكتب ، وجمع مجامع أدبية ، وهو صاحب كتاب مناهج الفكر ومباحج العبر وكتاب الدرر ، وله مصنفات أخرى . ابن حجر: الدرر الكامنة . ٢٤/٥ . الزركلي : الأعلام . ٢٩٧/٥ .

(٤) النويري : نهاية الأرب . ٤/١ . ابن حجر: الدرر الكامنة . ٢٣١/١ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ١ / ٢٩ - ٦٠/ .

وأخيراً نجد موسوعة (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري ،
وهي موضوع دراستنا وهي التي دفعتنا للحديث عن الموسوعات .

المبحث الرابع

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

يُعدُّ العمري شاهداً عياناً على العصر الذي عاش فيه ؛ فقد كان عارفاً بأحوال مصر والشام لكثرة تنقله بينهما طوال حياته ، فقدّم لنا في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - وتحديداً في القسم الخاص عن مملكة مصر والشام والحجاز - مادةً علميةً رائعةً نستطيع أن نستخلص منها الشيء الكثير عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في عصره . وبشكل عام نستطيع أن نقول أنّ المجتمع في عصر المماليك كان مجتمعاً طبقيّاً ، أي أنه تألّف منه عدة طبقاتٍ متميزةٍ عن بعضها ؛ حيث يبدو الفارق كبيراً بين الحكام والمحكومين وبخاصة إذا كان الحكّام غرباءً عن مصر والشام ، ولم تربطهم روابط الدم أو الأصل أو الجنس ؛ وهذا ما جعل المماليك لا يشعرون في كثير من الأحيان بروح التجاوب مع الأهالي والعمل من أجل مصالحهم ، بل ظلوا طبقةً منفصلةً عن سكان مصر والشام ؛ فلم يتزوجوا منهم ، بل اختاروا زوجاتهم وجواربهم من بنات جنسهم اللاتي جُلبن من قبيل التجار^(١) .

ويمكن أن نقسم المجتمع في زمن العمري إلى خمس طبقات :

الطبقة الأولى : السلاطين .

ذوي السيوف : أي المماليك أنفسهم الطبقة الأساسية في المجتمع ، وكان هؤلاء يتولون المناصب الكبرى والهامة في الدولة ، وهي كما يلي : إمرة سلاح ، الدوادارية ، الحجوبية ، إمرة جاندار ، الأستاذ دارية ، المهمندارية ، نقابة الجيوش ، والولاية .

الطبقة الثانية :

ذوي الأقلام : وهم كبار موظفي الدولة ، ويتولون الوظائف التالية : الوزارة ، كتابة السر ، نظر الجيش ، نظر الأموال ، نظر الخزانة ، نظر البيوت ، نظرييت المال ، ونظر الإسطبلات .

(١) زيتون : تاريخ المماليك . ١٣٩/١٤٠ .

الطبقة الثالثة :

ذوي العلم (أي العلماء) : وهم القضاة والخطباء ، ووكلاء بيت المال ، وأصحاب وظيفة الحسبة^(١) ، وقد تمتعت طبقة العلماء بمميزات معينة ، فقد كان المماليك يشعرون دائماً بأنهم غريباء عن البلاد وأهلها ؛ فشعروا بالحاجة إلى دعامة يستندون إليها في حكمهم ويرضون الشعب من خلالها ، فوجدوا العلماء أفضل دعامة لذلك ؛ بحكم ما للدين ورجاله من قوة ونفوذ وتأثير على الرأي العام في البلاد^(٢).

الطبقة الرابعة :

التجار : وكانت أوضاعهم غير مستقرة بين الحين والآخر ؛ فكانوا في بعض الأحيان طبقةً مقربةً من السلاطين الذين وجدوا بأنّ التجار هم المصدر الأساسي الذي يمدّهم بالمال في ساعات الشدة ؛ حيث تمتعوا بثرواتٍ طائلةٍ ، ولكن في حينس آخر انقلبت هذه الثروة عليهم شراً ؛ حيث صارت دائماً مطمئناً للسلاطين المماليك الذين أكثروا مصادرة هذه الثروات بين حين وآخر فضلاً عن إقبالهم بالضرائب والرسوم الباهظة^(٣).

الطبقة الخامسة :

عامّة الناس : أمّا العوام فهم من العمال والصنّاع والباعة وغيرهم ، وقد عاش أفراد هذه الطبقة في ضيقٍ وعسرٍ قياساً على الطبقات الأخرى^(٤).

هذا عن الطبقات في زمن العمري في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، ومن الواضح أنّ هذا التقسيم للطبقات قد تغير على زمن المقرئ في النصف الأول من القرن التاسع الهجري بسبب ما أصاب البلاد من انهيارٍ إداريٍّ واقتصاديٍّ كبيرٍ

(١) العمري : مسالك الأبصار في مماليك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ١١٤ / .

(٢) زيتون : تاريخ المماليك . ١٤١ / .

(٣) المرجع السابق . ١٤٢ / .

(٤) العمري : مسالك الأبصار في مماليك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ١١٤ / .

فأصبح ترتيب الطبقات كما رتبها المقريري كما يلي :

١. أهل الدولة .
٢. مياسير التجار وأولو النعم والترف .
٣. أصحاب الحالة المتوسطة من التجار وغيرهم .
٤. أصحاب الفلاحة والحرث .
٥. الفقهاء وطلاب العلم وأجناد الحلقة^(١) .
٦. أصحاب الصنائع وأرباب المهن ومعهم الأجرأء وغيرهم .
٧. أهل الخصاصة والمسكنة الذين لا يملكون شيئاً^(٢) .

وبيّن المقريري لنا أسباب الانهيار الإداري والاقتصادي ، وحصره في ثلاثة أسباب :

١. انتشار الرشوة بين طلاب الوظائف ، ولم تسلم من ذلك الوزارة ولا القضاء .
٢. ارتفاع أسعار وإيجار الأراضي الزراعية .
٣. اضطراب النقد ورواج الفلوس^(٣) .

فنجد هنا أنّ الطبقة الأولى طبقة المماليك استمرت على ما هي عليه في زمن المقريري ، قي حين أنّ طبقة العلماء انتقلت إلى الطبقة الخامسة زمن المقريري بعد أنّ كانت الطبقة الثالثة في زمن العمري ، ويبدو أنّ أحوالهم ساءت في زمن المقريري ، وأصبح التجار في المرتبة الثانية بعد كبار رجالات الدولة بعد أن كانوا الطبقة قبل الأخيرة زمن العمري ، وانقسموا إلى طبقتين : طبقة مياسير التجار ، وطبقة التجار أصحاب الحالة المتوسطة ، وساءت أحوال العامة أكثر مما كانت عليه زمن العمري^(٤) .

(١) أجناد الحلقة: هم الجنود المرتزقة من غير مماليك السلطان . دهمان . معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي . ١٢/ .

(٢) المقريري : إغاثة الأمة بكشف الغمة . ٦٤/ - ٦٧/ .

(٣) المصدر السابق . ٣٨/ - ٤١/ .

(٤) زعرور: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي . والمملوكي . ١١٨/ .

ومن الحوادث والكوارث الكبرى والغلاء والوباء الذي حدث في هذا الزمان طاعون سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م^(١) وسمي بطاعون الأنساب ؛ لأنه قلما مات به شخص إلا وتبعه أحد من أولاده أو أقربائه وذوي رحمه ، وكان الشخص إذا تفل الدم كان ذلك إيذاناً بموعد موته ، فيودع أصحابه ويغلق حانوته ، ويحفر قبره ، ويُعدُّ كفنه ، ويهيئُ تابوته حتى يموت ، فتوفي في مصر في يوم واحدٍ نحو عشرة آلاف شخصٍ ، وقد بلغ عدد الموتى في حلب نحو مئة شخصٍ في اليوم الواحد ، وبدمشق أكثر من ألف شخصٍ في اليوم الواحد أيضاً ، واستمر هذا الطاعون في مصر والشام قرابة السنة ، وأفتى ثلثي الناس^(٢) .

كما وقع الغلاء في الأسعار في الديار المصرية في أول رجب سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م في أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وخير وصفٍ لهذا الغلاء يذكره لنا المقرئ بما يلي :

" . . . وعز القمح ، ووصل كل إردب إلى سبعين درهماً ، والفضول إلى خمسين ، والخبز كلُّ خمسة أرطالٍ بدرهم ، ولا يكاد يوجد ، وعُدِمَ القمحُ من الأسواق ؛ فرتب الوالي على كل حانوت أربعة من أعوانه ، معهم المطارق لدفع الناس عن حوانيت الخبز لنلأ ينهب ، فضج الناس للسلطان واستغاثوا ، فجمع الأمراء وقال لهم : يا أمراء شهر عليكم وشهر عليّ وشهر على الله ، ففتح الأمراء الشون ، فباعوا كل إردب بثلاثين درهماً ، ففرج عن الناس ، ففتح السلطان حواصله في شعبان ، وباع كل إردب بخمسة وعشرين درهماً ، ودخل الفول الجديد والشعير فأكل الناس منه إلى أن دخل شهر رمضان فجاء القمح الجديد وانحلَّ السعر " ^(٣) .

(١) ويذكر ابن دقماق أن الطواعين الكائنة في الإسلام خمسة ، وطاعون عام ٧٤٩هـ سادسها ، وهذه الطواعين هي الطاعون الجارف جاء في زمن ابن الزبير ، هلك في البصرة خلقٌ كثيرٌ ، وكانت مدته ثلاثة أيام ، وطاعون عمواس كان قبله ، ثم طاعون الفتيات ؛ لأنه ماتت فيه العذارى والجواري ، ووقع مرة فيما وراء النهر ، وظهر مرة بسمرقند . ابن دقماق : الجواهر الثمين . / ٣٨٧/٣٨٨ ..

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه . ١١١/٣ .

(٣) المقرئ : إغاثة الأمة بكشف الغمة . / ٣٤ .

الزراعة :

أولى سلاطين المماليك اهتماماً كبيراً بالزراعة باعتبارها أساس الحياة الاقتصادية ؛ فاعتنوا بها وأقاموا لأجلها إصلاحاتٍ عديدةً ، وشقّوا الترع وبنوا الجسور بشكل كثير؛ لما لها من فائدة في عملية تطور الزراعة ^(١) .

كانت الأراضي في مصر أراضي إقطاعية مؤلفة من أربعة وعشرين قيراطاً ^(٢) ، اختُصَّ السلطانُ منها بأربعة قراريط ، واختُصَّ الأجنادُ بعشرة قراريط ، والأمراءُ بعشرة قراريط أيضاً ، وكان هؤلاء الأمراء يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد ؛ فلا يصل إلى الأجناد منها شيء ، مما أثار الفتن ، وهذا دعا إلى إعادة حصر الأراضي الزراعية وقياسها وإثباتها في سجلات الديوان ، وتقدير خصوبتها لحساب الخراج عليها ، وسُمِّيَ ذلك بعملية الروك ، وقد بدأه السلطان حسام الدين لاجين عام ٦٩٦هـ - ١٢٩٧م ، وانتهى به نهاية عام ٦٩٧هـ - ١٣٩٧م ، وذلك بعدما رأى الأمراء يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد .

كان الروك الناصري نسبة إلى الناصر محمد بن قلاوون بعد أن تعرضت أراضي مصر للتغيير والتبديل ، فبعث الناصر أمراءه إلى سائر الأقاليم لقياس الأراضي ، وندب معهم كتّاباً ومستوفين وقيّاسين ، فساروا إلى حيث أمرهم ، فكان كل واحدٍ منهم إذا نزل إلى الأرض المخصصة لعمله استدعى مشايخ تلك البلاد ودلائلها وعدولها وقضاتها وسجلاتها ، وعرف مزروعها وبورها وغلتها وأصنافها وما فيها من تراتيب أخرى ، وما يتحصل منه الجندي من الغلة الوز والدجاج والخراف والبرسيم والكشك والكمك ، ثم قاس كل أمير ناحيته وحرر ذلك ^(٣) .

وقد استغرقت هذه العملية خمسةً وسبعين يوماً ، كُتِبَ خلالها في الأوراق أحوال جميع الضياع ومساحتها ومعدل إنتاجها وما يتحصل من كل قرية من عينٍ وغلّةٍ وصنّفٍ، وسلمت إلى ناظر الجيش ، ثم عملت أوراق بلاد الخاص السلطاني، وأوراق إقطاعات الأمراء ،

(١) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ١٦٧/ ١٦٦/٢ .

(٢) القيراط: مقياس مساحة مصر ، وهو اليوم ١٧٥ كيلو متر مربع . فالترهنتس : المكابيل والأوزان الإسلامية/٩٨ .

(٣) عدوان : التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك . ٥٠/ - ٥٥/ .

ثم أبطل الناصر عدة مكوس ، منها مكس ساحل الغلة ؛ حيث كان هذا المكس مقطعا على أربع مئة جندي ، وكان يتحصل منه على أربعة آلاف وست مئة درهم^(١) ، فهكذا أعاد الناصر توزيع أرض مصر من جديد ، وأبطل الكثير من المظالم والمكوس، ولكن حدث ما بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون أن عادت الأمور وتبدلت، ويذكر لنا المقريزي ذلك بقوله : " فلما مات الملك محمد بن قلاوون حدث بين أجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن إقطاعه لآخرَ بمال مقايضة الإقطاعات غيرها؛ فكثرت الدخيل في الأجناد بذلك، واشترت السوق والأراذل الإقطاعات حتى صار في زمننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحابَ حرفٍ وصناعاتٍ وخربت منهم أراضي إقطاعاتهم"^(٢) .

ومن الواضح أن جميع أراضي مصر كانت تقاس بالفدان^(٣) ، وهو عبارة عن أربع مئة قصبة^(٤) ، وقد ازدهرت الزراعة في مصر لأسبابٍ بشريةٍ ، وأسبابٍ اقتصاديةٍ ، ونلخص الأسباب البشرية في اهتمام السلاطين بإصلاح الأراضي الزراعية وإقامة الجسور وشق الترع ، وأما الأسباب الطبيعية ، فقد تمتعت مصر بمحاسن كثيرة منها توفر المياه وتدين في ذلك لنهر النيل ، بالإضافة إلى ما يجلبه النيل معه في طريقة من أحمال التراب الصالح للزراعة ، ويكمل هذه المحاسن الهواء الذي يهب عليها من البحر المتوسط .

وأهم المحصولات الزراعية في ذلك الوقت الحبوب : من القمح ، والشعير ، والدخن ، والأرز ، والحمص ، والعدس ، واللوبيا ، وبها أيضا الأترج ، والليمون ، والموز ، وقصب السكر بكثرة ، والرطب ، والعنب ، والتين ، والرمان ، والتوت ، والخوخ ، واللوز ، والتفاح ، وقليل من السفرجل والكمثرى والزيتون والجوز ، وبها البطيخ بنوعيه الأصفر والأخضر ، والخيار ، والقثاء ، واللفت ، والجزر ، والفجل ، ويضاف إلى ذلك الرياحين الكثيرة والورد والياسمين^(٥) .

(١) المقريزي : الخطط . المقريزية . ٨٨/١ .

(٢) المصدر السابق . ٢١٩ / ٢ .

(٣) المصدر السابق . ١٠٣ / ١ .

(٤) ومقدارها ستة أذرع هاشمية . وبناء على هذه المعلومات تكون القيمة الوسطية للقصبة ٩٩ ، ٣متر . فلترهنتس :

المكاييل والأوزان الإسلامية . ٩٤ / .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ٣/٣٤٣ - ٣٤٦ . عدوان : التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك . ٦٦/ - ٨٢/ .

وهناك أنواع كثيرة من الدواب بمصر منها : البقر ، والجواميس ، والغنم ، والمعز ، وفيها الإوز ، والدجاج ، والحمام ، والغزلان ، والنعام ، والأرانب ، وبها الخيل ، والجمال ، والبغال ، والحمير^(١) .

وتتركز الزراعات في مصر على النيل لتعتمد عليه في ريّ محاصيلها الزراعية^(٢) ، وأما بلاد الشام فقد عرفت زراعات مختلفة أيضاً ؛ فتتوعت المحاصيل ، وساعد على ذلك وجود الأمطار والينابيع فيها ، وقد قيل عن إقليم الشام : " هو إقليم عظيم كثير الخيرات ، جسيم البركات ، ذو بساتين وجنات ، وغيض وروضات ، ومرج ومنتزهات وفواكهه مختلفة رخيصة ، وبها اللحوم الكثيرة ، إلا أنها كثيرة الأمطار والثلوج " ^(٣) .

وقد ساعد على تطور الزراعة في بلاد الشام اعتماد الحياة الاقتصادية الأول عليها ، وقيام السلاطين والأمراء بالإصلاحات ؛ فقوام الحياة الاقتصادية في بلاد الشام هو الزراعة ، والباحث في هذا المجال في تاريخ استغلال الأرض وملكيته يجد دوماً أنّ الدولة هي المالكة الكبرى ، وتليها المؤسسات الدينية ؛ ولذلك وقعت على عاتق الدولة أعمال فتح القنوات واستصلاح الأراضي ، وبناء الجسور ، وإنشاء السدود وإقامة النواعير^(٤) .

وتختص دمشق بين بلاد الشام - آنذاك - بنهرها بردى ، وينايبعها وأنهارها المنتشرة حولها ، وأهم المحصولات الزراعية في بلاد الشام : كل ما ذكر من الحبوب في مصر بالإضافة إلى التين ، والعنب ، والرمان ، والسفرجل ، والتفاح ، والكمثرى ، والأجاص ، والتوت ، والمشمش ، والخوخ المسمى بالدراق أفضله في دمشق ، والليمون ، والأترج ، والموز ، وقصب السكر ويزرع في الأغوار ، والبطيخ بأنواعه الأصفر والأخضر ، والخيار ، والقثاء ، واليقطين ، واللفت ، والجزر ، والقنبيط ، والباذنجان ، والملوخية ، والبقلة ، والجوز ، واللوز ، والفسق ، والبندق ، ومن أنواع الرياحين الموجودة في الشام : الآس ، والورد ، والبنفسج ، والنرجس ، والياسمين ، واشتهرت بلاد الشام بالزيتون الكثير - آنذاك - الذي صُدّر إلى كثير من البلاد^(٥) ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٤٦ / ٣٤٧ . عدوان : التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك . ٩٨ / - / ١٠٧ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى . ٣ / ٣٤٤ .

(٣) ابن الوردي : خريدة العجائب . ٤٨ / .

(٤) زعرور : الحياة الاجتماعية في بلاد الشام . ٢٠١ / .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى . ٩١ / ٩٠ / ٤ .

وبها الإوز ، والدجاج ، والحمام بكافة أنواعه ^(١). وتعتمد مزروعات الشام المذكورة غالبها على مياه المطر لريّها ، ومنه ما هو على سقي الأنهار وهو قليل ^(٢).
وأخيراً لا بد أن نذكر حالة الفلاح في العصر المملوكي بشكل عام ؛ حيث أن الفلاحين خضعوا لقوانين في التعامل الزراعي ؛ فلم يكونوا ملاكين للأرض ، وكذلك المقطعون ، ومع هذا كانوا يديرون الأرض لحساب رجال الإقطاع والأوقاف والملاك ، وقامت القوانين على عدة قواعد هي : قاعدة المقاسمة ، أو المثلثة ، أو المربعة ، أو الخامسة ، أو السادسة ، أو المسابعة ، أو الثامنة ، والمعنى بهذا كله أن في قاعدة المقاسمة يأخذ الفلاح نصف الإنتاج ويأخذ المقطع النصف الآخر ، أمّا المثلثة فيأخذ الإقطاعي الثلث ، وفي المربعة الربع ، وفي الخامسة الخمس ، وفي السادسة السدس ، وفي المسابعة السبع ، وفي الثامنة الثمن ، ويوحى هذا للوهلة الأولى أن الفلاح في وضع جيد ، وإنما هناك فارق بين القاعدة والتطبيق ، وفي التطبيق للفلاح من مجمل الإنتاج لا يتجاوز العشرة بالمئة ، لا بل في كثير من الأحيان لا يحصل على شيء ألبتة ؛ فبعد ما يحصل الإقطاعي على حصته يقوم وكلاء الديون بأخذ كمية مقابل الضرائب المفروضة ، وبعد هذا يُقْتَطَعُ هذا من حصة الفلاح ما عليه من ديون وأثمان البذار ، وثمان الحيوانات ، لذلك كان الفلاح مُعْرَضاً لظلمٍ واضحٍ وعُتْدُوٌّ ما بعده عتوٌّ ، ولهذه الأسباب كان الفلاح ينتهز الفرصة للهروب من القرية والنزوح إلى المدينة أو إلى منطقة ما ، وكانت حالة النزوح تشتد عند احتباس الأمطار وتدهور المواسم ، وكان الفلاح يجد الفرصة المواتية أثناء اضطراب الأمن ، وخلال اجتياح البلاد من قبل الجيوش الغازية ؛ فقد اجتاح المغول بلاد الشام في العصر المملوكي مراراً ولجأت السلطات إلى إرغام النازحين إلى العودة إلى قراهم ^(٣).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى . ٩١/٩٠/٤ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ٩٢/٩١/٩٠ .

(٣) زعرور : الحياة الاجتماعية في بلاد الشام . ٢٠٤/٢٠٣ .

الصناعة :

لقد ازدهرت الصناعة ازدهاراً كبيراً في عصر المماليك نتيجة لأسباب عديدة نذكر منها كثرة الثروة ؛ فقد حرص أصحاب الصناعات أن يرقوا بإنتاجهم دائماً إذا علموا أنهم سيجنوا في النهاية ثمن أتعابهم ، ومن ناحية أخرى أن المستهلك إذا ازدادت ثروته وفاضت عن مطالبه الأساسية فإنه يفكر في اقتناء الكماليات ، وقد أثر هذا الوضع في ارتقاء الصناعة والصناعات^(١) ، وسبب آخر هو توفر المواد الأولية ؛ وقد رأينا ذلك أثناء الحديث عن المزروعات ، وقد بلغ هذا الازدهار شأناً عظيماً حتى غدت مصنوعات العصر المملوكي تكون في مجموعها إنتاجاً فنياً رائعاً تزدان به متاحف العالم اليوم^(٢) .

وكان من الصناعات الهامة التي ذكرها العمري بمصر صناعة الكتان ؛ حيث ينقل ما يعمل من قماشه إلى كافة البلاد ، ومنه الكتان المطرز بالحريز ، وهناك معامل التناير وهي التي يعمل بها البيض صنعة بإيقاد نار في حضانة الدجاج ، وتخرج من تلك المعامل الفراريج ، وبها صناعة الألبان والأجبان والعلس ، وصناعة السكر وكانت كثيرة جداً ، فكان يكرر بشكل فائق ، ويصدر إلى كثير من البلاد وعلى اختلاف أنواعه ، ويبلغ السكر من السعر كل رطل بدرهم ونصف ، وأما المكرر فبدرهمين ونصف لكل رطل^(٣) .

وانفردت مصر عن أقطار الأرض في ذلك الزمان باستخراج معدن الزمرد ، وكان يُستخرج من جبل يقع شرقي النيل ، حيث في صدر مغارة طويلة حجر أبيض ومنه يُستخرج الزمرد ، وهذا الحجر ثلاثة أنواع : الأول يقال له طلق كافوري ، والثاني يقال له طلق فضي ، والثالث حجر حوري ، يضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد^(٤) .

(١) زيتون : تاريخ المماليك . ١٨٤/ .

(٢) عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام . ٣١٢/ .

(٣) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مملكة مصر والشام والحجاز) . ٨٥/٨٤ .

(٤) المصدر السابق . ٧٩/٧٨ .

وأما الشام فكان بها معمل للفراريح ، ولا تكون هذه الفراريح إلا بحضانة لا كما يعمل في مصر ، وفيها صناعة العسل ويعمل بها السكر ، ومنه المكرر ، وقد استخرج الشاميون من الورود ماءها الذي عُرفَ بماء الورد ، وقد تم نقله إلى سائر البلاد^(١) .
وتشترك مصر والشام في صناعات مشهورة تكاد تكون مختصةً بهما ، وهذه الصناعات هي : صناعة الأسلحة ، والقماش المزركش والمصبوغ ، كما اشتهرتا بصناعة الكَفْت^(٢) ، وصناعة الرماح^(٣) .

التجارة :

لقد ساعد ازدهار الصناعة والزراعة في هذه المرحلة - كما رأينا- على اكتساب التجارة أهمية أكبر منهما ، فازدهرت بشكل أوسع ؛ فكان لها المكان الأول في الحياة الاقتصادية ، وتعود أسباب ازدهار التجارة إلى عوامل كثيرة ، منها الموقع الجغرافي الذي كانت دولة المماليك تحتله في مصر والشام ، والذي اكسبها الغنى والمكانة السياسية والتجارية الهامة بين القرنين السابع والعاشر الهجري ، والثاني عشر والخامس عشر الميلادي ؛ حيث كانوا يسيطرون على طريق البضائع المتقلة بين الشرق والغرب على سواحل مصر والشام ويستغلون هذه العملية أحسن استغلال^(٤) ، ويعود السبب أيضاً في النشاط التجاري في تلك المرحلة إلى انسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منذ القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري ، بسبب حركة التتار التوسعية والتي ترتب عليها انعدام الأمن والسلام في تلك الطرق ، ولم يبق من طرق التجارة العالمية طريقاً آمناً بين الشرق والغرب سوى طريق البحر الأحمر ومصر؛ مما جعل مصر تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب ، وأدرك بذلك المماليك ما يمكن

(١) المصدر السابق . ٩٢/٩١ .

(٢) الكَفْت : التكفيت وهو تطعيم أواني النحاس بالذهب والفضة . المقرئزي : الخطط المقرئزية . ١٠٥/٢ .

(٣) المصدر السابق . ٩٣/ .

(٤) مصطفى . الدليل . ٤٤٥/٢ .

أن تعود عليه التجارة الخارجية من ثروة ؛ فاهتموا بتشيطنها وإنشاء المؤسسات اللازمة للتجارة والتجّار ، كالكالات والأسواق والفنادق والخانات وغيرها ، وكذلك حرصوا على إقامة علاقات وديدة مع قوى البحر الأحمر من جهة ، والتجار الأوربيين وغيرهم المترددين إلى البلاد من جهة أخرى^(١).

وقد حظيت الشام بنفس الأهمية كما في مصر ؛ فقد تدفقت تجارة الشرق الأقصى إلى المدن الشامية عن طريق الخليج العربي وآسيا الصغرى ومصر ، وشكلت المدن الشامية الداخلية مثل دمشق وحلب محطات تجارية بالغة الأهمية ما بين الشرق والساحل الشرقي للمتوسط^(٢).

وقد ازدهرت حركة التجارة الداخلية أيضاً أسوةً بالتجارة الخارجية ، ويدلنا على ذلك الأسواق العامرة والكثيرة المنتشرة في العديد من المدن ، والتي تباع مختلف المواد والسلع ، وذكر لنا المقرئزي الكثير من هذه الأسواق ، فكان هناك سوق السلاح ، ويُباع فيه أنواع الأسلحة كالفسي ، والنشاب وغيرهما ، وسوق الجوخيين ، ويُباع فيه الجوخ المجلوب من بلاد الإفرنج ، وسوق الحلّويين ويُباع فيه ما يتخذ من السكر من حلوى وغيره ، وسوق الدجاجيين ، ويُباع فيه الدجاج والإوز^(٣) ، وأسواق أخرى كثيرة أيضاً .

وقد جلب التجار الأوربيون وغيرهم إلى مصر والشام كثيراً من المواد ، مثل : الخشب ، والمعادن ، والحديد ، والرقيق ، وبعض المنسوجات الكتانية والأوربيّة ، مثل : الجوخ البندقى ، ونقلوا معهم من مصر والشام المواد التالية : المنسوجات والأقمشة ، والزمرد ، والزجاج ، وقصب السكر المصنّع^(٤) .

(١) عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام . ٣١٤/٣١٣ .

(٢) زيتون : تاريخ المماليك . ١٩٣/ .

(٣) المقرئزي : الخطط المقرئزية . ٩٦/٢ - ٩٩/ .

(٤) زيتون : تاريخ المماليك . ١٩٤/ ١٩٥ .

الفصل الثالث

التعريف بالجزء العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الكتاب وتحقيق نسبه إلى المؤلف .

المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلميّة .

المبحث الثالث : منهج المؤلف في كتابه ، ومصادر معلوماته .

المبحث الرابع : منهج التحقيق .

المبحث الأول

الكتاب وصفته وتحقيق نسبته إلى المؤلف

لقد ظهرت هذه الموسوعة في العصر المملوكي في القرن الثامن الهجري ، وهو بداية عصر الموسوعات ، وقد أورد كثير من علماء تلك الحقبة التاريخية هذا الكتاب ونسبوه إلى مؤلفه العلامة شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري واعتمد عليه عدد كبير من العلماء في تلك الفترة وما بعدها ؛ فهذا الصفدي يقول : " وكتاب مسالك الأبصار في عشرة كبار وهو كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله ^(١) وهذا قاضي شعبة يقول : " كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في سبعة وعشرين مجلداً ، وهو كتابٌ جليلٌ ما صنّف مثله ^(٢) ، وذكر ذلك أيضاً العلامة الكتبي ، وابن حجر العسقلاني ، وقاضي شعبة ابن تغري بردي وغيرهم من علماء ذلك العصر ومن أتى بعدهم ؛ فكل منهم قد تحدث عن ابن فضل الله العمري وعن كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ناسبين هذا العمل الضخم إلى هذا العلامة الجليل ^(٣) .

انتقل أحد أجزاء هذا المخطوط في أواخر القرن السابع عشر الميلادي من حلب إلى باريس ، وبدأ بعض المستشرقين بدراسته وترجمته إلى لغاتٍ أوروبيةٍ عديدة ، واكتشفت بمرور الأيام عدة مجلداتٍ منفردةٍ في مكتبات العالم الإسلامي وأوروبا إلى أن اكتشف العالم المصري أحمد زكي باشا في أوائل القرن الماضي نسختين في إسطنبول تكملان على الأقل نسخةً كاملةً من الكتاب ، وقام بنشر المجلد الأول عام ١٩٢٤م ^(٤).

ويحدثنا الأستاذ أحمد زكي باشا عن كيفية كشفه لهذا المخطوط فيقول :

"ومع كل ذلك بقي المصريون محرومين وحدهم من بضاعة أجدادهم إلى أن وفقني الله

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٦٤/٨ .

(٢) قاضي شعبة : طبقات الشافعية . ١٧/٣ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٦٤/١٦٣/٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٩١/١ . العسقلاني : الدرر

الكامنة ١/٣٩٤ . قاضي شعبة : طبقات الشافعية . ١٧/١٦/٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة .

٢٣٥/٢٣٤/١٠ .

(٤) فؤاد سزكين : مقدمة النسخة المصورة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . ٥/١ .

لردها إليهم بعد أن بذلت ما بذلت في هذا السبيل من التعب والعناء في ما لا يقل عن ربع قرن من الزمان ، اهديت إلى مكانه في دُورِ الكتب بأمهات العواصم في ديار أوروبا في خزائن المخطوطات بالقسطنطينية العظمى ، لكن الجزء الأول بقي في حكم المفقود فإن نسخته التي بخزانة آيا صوفيا ليست بذاك ، ولقد تداركتني العناية ، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب في الأضابير المبعثرة بين الأوراق المتناثرة في أسافل الخزانات بسرداب طوب قبو بالقسطنطينية ، وكان هذا الكتاب بعنوان (مرآة الكائنات) تصفحته قليلاً وإذا به الضالَّة المنشودة ، نبهت رشاد بك أمين تلك الخزانة في سنة ١٩١٠م إلى هذه الدرة اليتيمة ، وطلبت إليه إعادة العنوان إلى أصله وإضافة الولد المفقود إلى أهله ففعل ، وحينئذٍ أسرعْتُ فأخذتُ بالفوتوغرافية صورةَ الكتاب بأكمله (مع النسخة الأخرى من الجزء الأول التي بآيا صوفيا) ، وأحضرت الكل إلى القاهرة ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية ، وليس يوجد في أيِّ قطرٍ آخرَ بالمشرق والمغرب نسخة كاملة مثل التي أعدتها لمصر ، وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن عشرين نسخة كاملة ، طُوِّحَتْ بها أيدي الزمان إلى هنا وإلى هنا " (١) .

وهناك مجلدات منفردة ومنتشرة في مكتبات العالم في دول عربية وإسلامية وفي أوروبا (٢) والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن رغم هذا الانتشار الواسع لهذه الأجزاء أو لقطع من هذه المخطوطة في المكتبات ، فإن علينا أن نتذكر أن هذه الموسوعة تقع في سبعةٍ وعشرين جزءاً ، وعندما تم جمع الأجزاء المنتشرة تبين أنها لم تكمل نسخة كاملة (٣) .

وهذا كله يجعل من الصعوبة بمكان الحصول على نسختين من مصدرين مختلفين لموضوعٍ واحدٍ من هذه المخطوطة ، وهذا يدل على الفضل الكبير والجهد العظيم الذي قام به الأستاذ فؤاد سزكين بتجميع نسخة كاملة من هذه المخطوطة من مصادر مختلفة .

(١) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . تحقيق أحمد زكي باشا . المقدمة .

(٢) المنجد : معجم المؤرخين الدمشقيين . / ١٧٧ .

(٣) العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مملكة مصر والشام الحجاز) . / ٦٩ . بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . ٥٩٤/٥٩٣/٦ .

محتويات المخطوطة كاملة :

سبق وأن تكلمنا سابقاً أن هذا المخطوط يتألف من سبعة وعشرين جزءاً ، وقد تكلم العمري من ضمن ما تكلم عن الدول القائمة قبل الإسلام ، والدول القائمة خلاله، وعن وزراء وكتّاب هذه الدول ، وعلى كل حال فقد تكلم العمري في بداية مخطوطته الضخمة عن محتوياتها ؛ فبين لنا أنه سيتكلم عن قسمين ، القسم الأول : في الأرض ، والقسم الثاني : في سكان الأرض .

أما القسم الأول : عن الأرض ، فقد ذكر فيه الأرض وما اشتملت عليه برّاً وبحراً ، وقسم ذلك إلى نوعين :

النوع الأول : ذكر فيه المسالك ، وقسمها إلى خمسة أبواب :

الباب الأول : في مقدار الأرض وحالها ، وقسم هذا الباب إلى ستة فصول : الفصل الأول : في كيفية الأرض ومقدارها ، الفصل الثاني : في أسمائها وصفاتها ، الفصل الثالث : في أسماء التراب وصفاته ، الفصل الرابع : في الغبار وصفاته ، الفصل الخامس : في أسماء الرمال وصفاتها ، الفصل السادس : في أحوال الأرض .

أما الباب الثاني : فقد ذكر فيه الأقاليم السبعة مقسماً إياه إلى ثلاثة فصول : الفصل الأول : في تقسيم الأقاليم ، الفصل الثاني : فيما وقع في الأقاليم من المدن والجزائر العامرة برّاً وبحراً ، الفصل الثالث : أطوال الأنهار في كل إقليم .

وأما الباب الثالث : فقد ذكر فيه البحار وما يتعلق بها ، وقسمه العمري إلى ثلاثة فصول^(١) : الفصل الأول : في ذكر البحار ، الفصل الثاني : في ذكر الرياح وصورة القُنباص ، الفصل الثالث : في ذكر نبذة عن العجائب برّاً وبحراً .

أما الباب الرابع : فيتكلم فيه عن القبلة والأدلة عليها مقسماً إياه إلى ستة فصول ، الفصل الأول : في أقوال الفقهاء ، الفصل الثاني : الاستدلال على القبلة بالنجوم ، الفصل الثالث : في الاستدلال عليها بالرياح ، الفصل الرابع : الاستدلال عليها بالجبال .

(١) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . نشرة سزكين ٧/١ .

الفصل الخامس : في الاستدلال عليها بالأنهار ، الفصل السادس : في قبلة كل أرض ، ويختم هذا الفصل بفصل مستقل جامع يذكر فيه تداخل الشهور والكواكب الثابتة والسيارة ، وصورة الأفلاك وذكر الخسوف والكسوف .

وأما الباب الخامس : فهو في ذكر الطرق ، ويقسمه إلى فصلين ؛ الفصل الأول : في تعاريج الطريق ، والفصل الثاني : في سوء الطريق ، وهذا النوع الأول وهو المسالك ، ويأتي حديث العمري عن النوع الثاني في تقسيمه للموسوعة وهو في ذكر الممالك .

النوع الثاني : في ذكر الممالك ، ويتألف من خمسة عشر باباً ، وهي بالترتيب كما يلي :

١ . في ذكر مملكة الهند والسند .

٢ . مملكة بيت جنكيز خان ، وفيه أربعة فصول ؛ الفصل الأول : في الكلام على بيت جنكيز بشكل إجمالي ، والفصل الثاني : في الكلام عن مملكة القان الكبير ، والفصل الثالث : يتكلم فيه عن التورانيين وفرقهم ، والفصل الرابع : عن الإيرانيين .

٣ . مملكة الجبل : ويقسمه إلى أربعة فصول أيضاً ، الفصل الأول : في بومن ، الفصل الثاني : في توليم ، الفصل الثالث : في كسكر ، الفصل الرابع : في رشفت^(١) .

٤ . مملكة الجبال وفيه أربعة فصول أيضاً : الفصل الأول : عن الأكراد ، الفصل الثاني : في اللُر ، الفصل الثالث : في الشول ، الفصل الرابع : في شنكاره .

٥ . مملكة الأتراك والروم ويقسمها إلى ستة عشر فصلاً ؛ الأول : مملكة كزمنيان ، الفصل الثاني : مملكة طنغرلو ، الفصل الثالث : مملكة توازا ، الفصل الرابع : مملكة عيدلي ، الفصل الخامس : مملكة كصطونية^(٢) ،

(١) المصدر السابق . ٨/١ .

(٢) المصدر السابق . ٩/١ .

الفصل السادس : مملكة قاوية ، الفصل السابع : مملكة بورسا ، الفصل الثامن : مملكة آكيرا ، الفصل التاسع : مملكة مرمرا ، الفصل العاشر : مملكة مفيذيا ، الفصل الحادي عشر : مملكة نيف ، الفصل الثاني عشر : مملكة بركى ، الفصل الثالث عشر : مملكة فولة ، الفصل الرابع عشر : مملكة أنطاليا ، الفصل الخامس عشر : مملكة قرصار ، الفصل السادس عشر : مملكة أرمناك .

٦. مملكة مصر والشام والحجاز .

٧. مملكة اليمن : وهو فصلان ؛ الفصل الأول : فيما هو بيد أولاد بني رسول ، والفصل الثاني : فيما هو بيد الأشراف ^(١) .

٨. ممالك المسلمين في الحبشة : وهو مقسم إلى سبعة فصول ؛ الفصل الأول في مملكة أوفات ، الفصل الثاني : في مملكة دوارو ، الفصل الثالث : في مملكة أرابيني ، الفصل الرابع : في مملكة هدية ، الفصل الخامس : في مملكة شرفا ، الفصل السادس : في مملكة بالي ، الفصل السابع : في مملكة داره .

٩. ممالك مسلمي السودان على ضفة النيل وفيه فصلان ؛ الفصل الأول : في مملكة الكانم ، والفصل الثاني : في مملكة النوبة .

١٠. مملكة مالي .

١١. مملكة جبال البربر .

١٢. مملكة إفريقية .

١٣. مملكة بر العدو .

١٤. مملكة الأندلس .

١٥. في ذكر العرب الموجودين في زمن المؤلف وأماكنهم ، ومضارب أخبيتهم ومساكنهم .

وأما القسم الثاني في موسوعة العمري فيتكلم عن سكان الأرض من طوائف الأمم ،
ويجعله أربعة أنواع :

النوع الأول : في الإنصاف بين المشرق والمغرب^(١).

النوع الثاني : في الكلام عن الديانات .

النوع الثالث : في الكلام عن طوائف المتدينين .

النوع الرابع : في ذكر التاريخ ، وقسم هذا النوع إلى بابين :

الباب الأول : يذكر فيه الدول التي كانت قبل الإسلام .

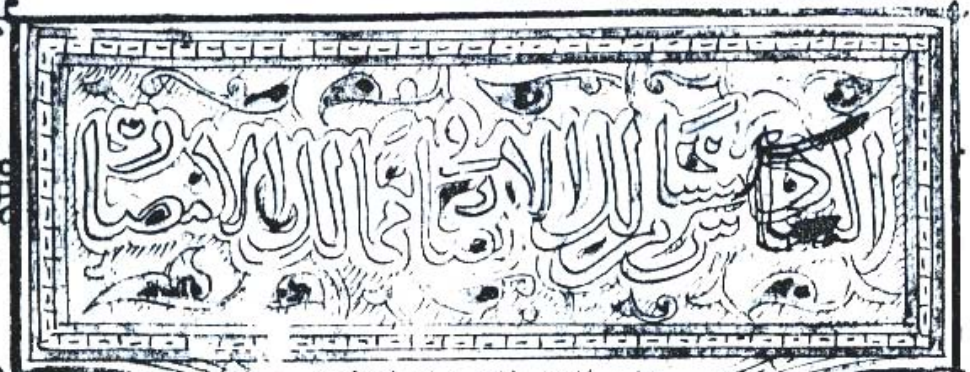
الباب الثاني: ويذكر فيه الدول الكائنة في الإسلام^(٢) ،

كما أنه أورد دراساتٍ مستفيضةً عن حضارات الأمم ، والديانات والطوائف ، والعلوم
وتراجم العلماء في فنون كثيرة من تراجم للأدباء ، والشعراء ، والحكماء ، والأطباء ،
وأهل الخطابة والوزارة والكتابة ؛ ومن هنا نلاحظ أن هذه المخطوطة قد حوت بين
طياتها علومًا عديدةً كثيرةً غنيةً ومفيدةً ، وبعضها نادر ، فلا عجب في اعتبار
المختصين والعلماء لها بأنها موسوعةٌ جغرافيةٌ تاريخيةٌ ، وفي اعتماد الدراسات عليها ؛
حيث وجدت الدراسات الحديثة فيها مصدرًا هامًا للجغرافيا البشرية والتاريخية ، ولا
عجب في اعتماد كل من المقرئ في كتبه والقلقشندي في صبح الأعشى ، والسيوطي
في حسن المحاضرة على أبحاثٍ كثيرةٍ من هذه الموسوعة ؛ مما يجعلنا نقول أن موسوعة
مسالك الأبصار لم تأخذ حقها إلى الآن ، ولم توضح أهميتها البالغة .

وإيكم نماذج من النسخ الخطية . . .

(١) المصدر السابق . ١٠/١ .

(٢) المصدر السابق . ١١/١ .



تأليف الامام البارع العلامة
سحابه الميرزا محمد بن محمد
نصير الله العزلي
تعالى الله

المجلد العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِالْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَنَا وَبَدَأَ عِزِّيَ مَا أَلَّهَ بِتَقَاتِي

وَأَكْرَمَهُ وَوَضَعَ الْمِزَانَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُكِّرَ بِهِ حَبَابًا وَأَسْبَغَ بِهِ ثَمَرَاتٍ
أَمَّا الْمُنَافِقُ فَمِثْلُ قُرْدُوسٍ عَفِيفٍ



والمجلد العاشر
طبع في المطبع
في شهر ربيع
سنة 1300

• فَأَذَارَيْتُ الْكُوتَيْنِ نِقَارَنَا فَالْحِدَى عِنْدَ صَبَاحِهَا وَمَسَابِهَا •
 • فَهِنَا لِيُوجِدَنَا رَا لِمُحْتَمِدٍ بِاطْلَابِهَا بِالنُّزُولِ مِنْ عَدَابِهَا •
 وَكَنْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِالْمُرْصَادِ وَتَرْقُبِ أَوْلِي النَّخْلِ وَالْغُرُصَادِ وَالْمُسَاعَدَةَ بِالِدَعَاةِ وَلَلْمُرِّيكَونَ
 أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ شِعْرِ قَوْلِهِ

• مَنْ لَرَرِ الْوَجَنَاتِ أَوْلِي نَطْرَةٍ وَالْكَاسُ مُتْرَعَةٌ تَكْفُ السَّائِلِ فِي •
 • وَتَعَارُلِ الْإِلْحَاطِ عِنْدَ فُتُورِهَا لَوَيْدِ رَيْفِ مَصَارِعِ الصَّيَّارِ •
 وَقَوْلُهُ

٥٣٢

• قَدْ عَقَرْتِ صَدْغَاءَ وَاسْتَجَمَّتْ عَسَاكِرُ النَّمْلِ عَلَى الْأَشْتَبِ •
 • فَقَدْ الْحَاجِبُ لِلْعَارِضِ • أَنْ يَكْبُ بِالْأَسْوَدِ فِي الْأَشْتَبِ •
 • يَا أَمْرَ الْجَسْرِ لَا تَرْكَبُوا • فَالْقَمَرُ الْأَرْضِي فِي الْعُقْرَبِ •
 • وَتَوَلَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلِ حِمَادِي الْأَخِي سَنَدَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ •

اخترنا بحرف التاء  وتتلوه في الأبيات  رسالة إلى وهذا آخر
 شاهير وزرا الخلف ما بجانب السرى في ما من الحنن من شاهير
 وزرا الملوك ومن نظم جوهري في هذا السلوك فمنهم أبو سعيد



الفارسي في هذا العلم وادانكم عليه اهل المعرفة ثم جعلوا اليه اهل المال من علم وادانكم
 بيت امره ناطق مستعد في جلاله وادانكم حتى ملكك الشاه نعم امير مصر فاجرى عليه اذ
 تاد الى ابيه بالهفت وهو اللان في اربعة ارباب المشقة الحسين الفارسي والمعرفة اطهر من وقته ولو قصد
 سيرة ولهم نصيب وهم حقايق ما وجد هذه الفتن الطرية الا ترى انما لا لا امر الفارسي ولله
 صحوة لطرف حيا لا كان بتر ذوال يوم ذو وبنفق ولا يشفق ولا يفتقر ولا يفتقر ولا يفتقر
 وظن فانهم حرايت بعضي منة ما سموت ادا ماي من الفارسي فصدق بغير خبر - وجعل العيين الاثر
 دراسته منة وادانكم سبحان من وقته ما لا يفتقر في قدرة البشر ولا يفتقر في شاهر بل

عدى جيبا وفتت كبر
 لو كان يزل للفت اذ انكا
 واحد يفت سيم دياره
 الاغلفت رطلها سيمكا
 باعين الفتن ملكيت في حبه
 لنا طربت لروايت شمشكي
 فالتت عذبت ما دمنى فاجبتها
 لو كان دمنى البهرا فانه انكا

فغالب على الراجح ارجح
 وهو مع الاحجاب منى باق
 والى شمسى ما تغرنا كبح
 نحن اسبح الكتيب فستنى
 وينقل فضل الخليل ما كانا
 حرس من باب الغرور ستمنى
 ولست كوالدى تلقا من الموركا
 وهيات ما عذبت ششوى

يا فتى لا تخذلني في هذا مستهلام
 وبعون قد جفا لا بعد اجفان المنام
 ان وصلتم فسرور واعين طاب لسان
 او جبرم وكفتيا فقل لدمنا السلام
 وان قد اذنا الى ذكر الاعداء واستبنا الى ان تغارل هم عبودى الارساء فستذكر هم هذا واما
 الفذل من ذكر ايمان الورد وطرايف الكتاب واخطا والشعر ونها الورد ثم بالكتاب
 لانهم هم ولكنهم هم وان اواني القسمة هم ولها اواني بالشفاء وتلقى هم فوالله
 وذكر الورد فليت الورد من اسبابها حيا حيا حيا ما اوركت لاجلهم فلهذا
 نصف فليعلم من محاسنهم ما في القرمي وجرح دما بينهم وقد احت مطا لهما الطاج القرمي
 وطلع لهم يوما كبريت فطلب السماء ومن اظلم هذا ما فتح مشبهها المارة واما وذكر

قول المصنف
 يا فتى لا تخذلني في هذا مستهلام
 وبعون قد جفا لا بعد اجفان المنام
 ان وصلتم فسرور واعين طاب لسان
 او جبرم وكفتيا فقل لدمنا السلام
 وان قد اذنا الى ذكر الاعداء واستبنا الى ان تغارل هم عبودى الارساء فستذكر هم هذا واما
 الفذل من ذكر ايمان الورد وطرايف الكتاب واخطا والشعر ونها الورد ثم بالكتاب
 لانهم هم ولكنهم هم وان اواني القسمة هم ولها اواني بالشفاء وتلقى هم فوالله
 وذكر الورد فليت الورد من اسبابها حيا حيا حيا ما اوركت لاجلهم فلهذا
 نصف فليعلم من محاسنهم ما في القرمي وجرح دما بينهم وقد احت مطا لهما الطاج القرمي
 وطلع لهم يوما كبريت فطلب السماء ومن اظلم هذا ما فتح مشبهها المارة واما وذكر

في الكتاب

ولشبهه في هذا الصنف من كتب التراث والتميز في القائل المسمى بـ
كما قال المتن

قوم اذا اخذوا الاقلام
نم اسهدوا بها العباد
والايمان على المشرفيات
وربما هم والاعمال
ولما ستم بجسد ولا قبيل
ادعوهم من الهم
وورع من الهم
فاذكري انكوس بعدنا
فما كان يومنا الى محمد
بالحمد والحمد
وكن هذا الامر بالمرضاة
من الله تعالى ومن عباده

من لم ير الحق
لم يدركه في الحقائق

قد تفرقت مدعاه
الحاجب للعباد
يا من كمن لا تركبوا
فالقر الارض في القرب

توفي يوم الجمعة ١٢ ربيع الثاني سنة ١٠٠٠ هـ
الاول سنة ١٠٠٠ هـ والآخر سنة ١٠٠٠ هـ
فانما من ثم من كتابه

عبد الواحد بن علي بن ملول
لم يزل يفتقره ويشين كسبه
الدولة ابن طاهر بن بويه
وكان ابو سعيد عارضا لخدمته
اشهر في القاموس
عاش في القاموس
ادركت قلب القرن

ابو الفضل محمد بن
الوزارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 فَأَعِدْ أَنْتَهِنَا إِلَى دِكْرِ الْأَذْيَانِ وَأَسْمِينَا لِنَعَارِكَ بِهَمِّ عِبَادِنَا الْأَنْبَاءِ فَسَتَدْرِكُهُمْ
 عَلَى مَا نَدَّبْنَا بِهِ الْعَوْلُ مِنْ دِرَاعِيَانِ الْوُزَارِ وَطَرَايِفِ الْكُتُبِ وَالْخَطْبِيَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَبِنَا
 بِالْوِزَارِ بِرَأْسِ الْكُتُبِ لَا يَنْصَرُّ سَعْمٌ وَلَكِنْ هُمْ هَبْرُ وَأَنْ نَأْتِيَ الْقِسْمَةَ عَنْهُمْ وَطَنًا بِأَنْ يَسْمُ
 لِي بِغَاوِيَتِي مَجْمُوعًا وَلَا يَخْفِي عَنَّا وَبَدِكْرًا مَا لَوْ الْغَفَّتِ الْأَمَانُ مِنْ أَمَّا بِأَيِّ مِثْلِ الْخَطْبِ
 دَمًا مَا دَرَيْتُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِدَوَالِ الْأَهْلِيَّةِ كَيْفَ لَمْ يَطْعَمُوا عَنْ مَجْمُوعِ قَنَاجِ الثَّرْبِ
 وَتَخْرُجُ دَخَانُهُمْ وَتَدْبُرُ مَطَابِعُهَا الطَّبَاعُ الْوُزْرِي وَتَطْلُعُ ظُهُورُهُمْ مَا يَتَمَرَّدُ
 مِثْلًا الشُّعْرَاءُ وَنَعَاظِي بِكَ أَمَّا بِأَيِّ مِثْلِ شَيْبِهِمَا الْمَاءُ وَهَذَا أَسْمَاءُ أَدْرِكُ
 مِنْ كَارِ كُنْ الْوُزْرَارِ الْكُتَابِ مِنْ الْقَطْرِ كَأَنَّهَا هُمْ زَيْبَةُ ذَلِكَ الْفَطْرِ وَأَنْوَارُهُ وَمِزْرَةُ
 الْمَطْعَمِ وَضَرَارَةُ وَأَبِي عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَالِهِ تَمَّا إِذْ كَرِهَ عَنْهُ أَوْلَاهُ وَالْأَسْتَوْعِبَ اجْتَرَا
 بَرَهُ وَأَوْلَاهُ وَالْمَأْمُورُ عَنَّا وَأَشْكَلُهُ فِي دَرَجِ ذَلِكَ الْفَطْرِ صِنَوَانًا وَأَوْلَى
 مَا نَعْرِفُ لَسْمًا لَمْ يَكُنْ لِلْوُزَارَةِ رَيْبَةُ يَعْرِفُ مَدَّةً بِسْمِيَّهِ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةٍ
 أَوْ الْعِيَانِ السَّفَاحِ لِي كَانِ مِنْ أَعْيَانِ الْخَلْفَاءِ عَلَى أَمْرِ هَمِّ نَفَاكٍ فَلَانِ وَرَبِّ فُلَانٍ مَعِي
 أَنَّهُ حَوَارِثُهُ لَأَنَّهُ سَوِيٌّ رَيْبُهُ خَاصَّةً بِحَرِيٍّ هِيَ قَوَائِنُ وَتَنْظُرُ لَهَا دَوَابُّ
 وَأَمَّا وَزِيرُ الْأَمْرِ مَحْتَدٌ بِأَسْمَاءِ الْخَلَالِ فَإِنَّهُ كَانَ رَأْسًا مِنْ
 رُؤَسِ السَّبْعَةِ الْهَامِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ يَهْمُ قَتْلِ وَزِيرِ الْأَمْرِ وَكَانَ ذَلِكَ
 الدَّقَاءُ لِلدَّوْلَةِ وَأَخْطَرُ السَّجَاهَةِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَمْرِ فَلَمَّا أُولَى الْعِيَانِ السَّفَاحِ قَدَمَهُ
 وَكَبِيرَهُ وَأُورِدَ رَأْيُهُ وَصَدِيدُهُ وَمَلَا جِرَهُ وَالْمَحْتَرَجُ دَرَرَهُ فَحَسَدَ بِمَا كَانَهُ
 وَعَمِلَ عَلَى مَا حُدِّدَهُ مِنْ مَأْمُونِهِ ثُمَّ كَانِ السَّفَاحُ لَا يَرِي أَسْمَاءَ دَصْبِعَتَهُ وَلَا يَأْمُرُ
 بِكَدِيرِ بَوَاطِنِ سَبْعَتِهِ وَكَانَ يَلْبَسُهُ عَلَى عِلَلِهِ وَبَلَسَهُ دَهْ عَلَى جِلْبَاهِهِ وَأَسْمَاءُ
 حِمْزُ الْبَيْتِ مَعَ هَذَا بَوَازِيرِكُهُ فَلَمَّ مَسْبُوطٌ وَوَلَا يَدُ أَمْرِ مَسْبُوطٌ ثُمَّ أَنَّهُ وَزِيرُهُ عَلَى الْمَلِكِ
 كَيْفَ لَهُ لِيخْتَدَ بِالْوُزَارَةِ إِلَيْهِ سَبِيلُهُ وَيَتَوَجَّهُ لَهُ عَلَيْهِ شَيْبُهُ بِعَلْبَتِهَا وَحِجَّتِهَا
 حَتَّى آخِذَةٌ تِلْكَ الْآخِذَةُ الْفَيْدَةُ فَأَمَّا سَمَاءُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ وَزِيرِ الشُّرُفِ
 فَدَيْمًا وَحَدِيثًا فَسَتَدْرِكُ لَدُنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ مَرْوَانَ لِأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ
 الْأَمْنَةِ فَوَاعَدَ الْمَلِكُ وَقَطَرَ عَمَائِدَ السُّلْطَانِ أَنْ لَمْ تَسْتَبِ الْأَمْرَ لِأَخِي عَبْدِ عَسْمَانَ

رسمان

الورقة الأولى من النسخة (ك)

يلون ان شاء الله تعالى ومن شعره **قوله**
من امر الوحنات اول نظرة والناس من رعدتكين الساق
وتغازل الاخلاط عند تتورها لم يمد رامله ريف نصارع العشا

وقوله

تد عقرت مدغاه واستجعت عسا لالتملح الاثنت
قد مر الحاجب للعار من ان لب في الاسود في الاستهت
يا امرار الحسن لا تزلوا نالقمم الارض في العقرت

وفي يوم الجمعة ستمل جمادى الاخره سنة ست وخمسين
وستمائة ومولده ببغداد في شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين
وخمسين مائة وهذا اخر مشاهير وزراء الخلفاء بالحاجب
الذين نالوا من الحق لهم من مشاهير وزراء الملوك ومن ينظم جوه
في هذه السلوك

المبحث الثاني

قيمة الكتاب العلمية

تعد موسوعة ابن فضل الله العمري هذه واحدة من أهم وأشهر الموسوعات في تراثنا الإسلامي كما أسلفنا ؛ فقد حوت معارف كثيرة ؛ حيث كانت ينبوعاً مستمراً لكثير من الباحثين في فنون المعرفة ، وتكمن أهمية هذه الموسوعة فيما يلي :

(١) اعتماد كثير من العلماء اعتماداً كبيراً عليها ولاسيما القلقشندي في مقالته الثانية في كتابه صبح الأعشى .

كما اعتمد عليه المقرئزي (توفي سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤١م) في كتابه الخطط، فنقل عنه الشيء الكثير عن عصور سلاطين المماليك ، وعن خلع المماليك وأزيائهم حتى عصر الناصر محمد بن قلاوون .

أما المؤرخ الثالث فهو السيوطي (توفي سنة ٩١١هـ - ١٥٠٥م) فاعتمد في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) على مسالك العمري كثيراً ؛ فنقل عنه كل معلوماته عن مملكة مصر في زمن المماليك^(١) .

(٢) هذه النقول من مؤرخين وعلماء مشاهير لهم شهرتهم على مر التاريخ تؤكد وتدلل على الغنى العلمي الذي تملكه موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .

(٣) أثنى علماء المسلمين وغيرهم من علماء الغرب على العمري ؛ لما بذله من جهد كبير في إعداد هذه الموسوعة الضخمة وما تحويه من علم ومعرفة^(٢) .

(٤) زاد من أهمية كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار مكانة القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الرفيعة بين علماء المسلمين .

(١) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مملكة مصر والشام والحجاز واليمن) . ٢٩/٢٥/ .

(٢) المصدر السابق مقدمة المحقق . ٢/ .

- (٥) كما أن الجزء الذي تناولته بالدراسة - وهو الجزء الخاص بالوزراء في المشرق الإسلامي - ذكر عدداً كبيراً من الوزراء في العصرين الأموي والعباسي وكتبهم وترجم لعدد كبير منهم ؛ فقد قدم دراسةً وافيةً عن حال الوزراء وتقييم حال الوزارة في تلك الفترة ؛ حيث أن هذا العمل يُعدُّ رافداً من روافد المكتبة الإسلامية .
- (٦) وجدت الدراسات الحديثة في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار مَعِيناً لا ينضب للجغرافيا البشرية والتاريخية ؛ فقد اعتمد عليه كثير من المؤلفين في العصر الحديث .
- (٧) ويُضاف إلى ذلك أن هذا النص المتعلق بتاريخ الوزراء في المشرق الإسلامي منذ نشأة الوزارة وحتى سقوط الدولة العباسية على يد التتار ، والكتاب يُعدُّ مصدراً جديداً ، ويضاف إلى ما قبله من المصادر التاريخية .
- (٨) وبالاطلاع على محتويات هذه المخطوطة نجدها غنيةً وعامرةً بالأخبار المهمة والروايات التي تقف على أهم الأحوال السياسية في عصر دولة العباسيين وعلى تقييم الوزراء ، والتعرض للأحوال في أيامهم ، كما نجدها قد حَوَتْ شيئاً من الأخبار الطريفة .
- (٩) اهتمامٌ عددٍ كبيرٍ من المستشرقين بهذه الموسوعة ؛ حيث انكبَّ عليها الكثير منهم للاستفادة من علومها ، وكان أسبقهم إلى ذلك المستشرقون الفرنسيون ، ومنهم كاترميرثم كازنوف ، وجود فروى دى مومبين ، ثم المستشرق الإنجليزي ماير ؛ حيث أن الجميع قد اهتموا بهذه الموسوعة اهتماماً كبيراً^(١) .

(١) المصدر السابق مقدمة المحقق . ٢/ .

المبحث الثالث

منهج المؤلف في كتابه . ومصادر معلوماته

يذكر لنا العمري في مقدمة موسوعته أسباب تأليفها والمنهج الذي اتبعه فيها ؛ فيقول عن ذلك : « فاستخرت الله - تعالى - في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومن فيها ، وحالة كل مملكة ، وما هي عليه ... مما اعتمدت في ذلك على تحقيق معرفتي له ، فيما رأيته بالمشاهدة ، وفيما لم أراه بالنقل ممن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها ، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأذنه ، ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات ، ومن ذوي التدقيق في النظر والتحقيق للرواية ، واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كل مملكة ، لآمن من تغفل الغفلاء ، وتخيل الجهالات الضالة ، وتحريف الأفهام الفاسدة ، فإن نقلت عن بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن ، فهو من الموثوق به ... ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة ، ولا خرجت في جهاتها عن الطريق المستقيمة اكتفاءً بالحق الواضح والصدق الظاهر مما اتصلت بنا حقيقة أخباره ... وإن كان في العمر فسحة ... لأذيلن بممالك الكفار هذا التصنيف ... ولكنني لم آت في هذا الكتاب في ذكر ممالكهم على اتساع بلادها إلا عرضاً ، ... ولم أذكر عجيبة حتى فحصت عنها ، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل ... وأول ما أبدأ بالمشرق ؛ لأنه منه ينفث نوار الأنوار ، وتجري أنهار الأنهار ، إلى أن أخته به نهاية المغرب ، إلى البحر المحيط ؛ لأنه الغاية وإليه النهاية ، إلا فيما أجد بدأ من الابتداء به من المغرب إلى المشرق ... سيدنا ومولانا ... المؤيد المظفر المنصور ، ناصر الدنيا والدين ... أبي المعالي محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهير بأبي المظفر قلاوون سيد ملوك الأرض ... وسميته : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، وعلى الله أعتمه ، ومنه أستمهده ^(١) .

(١) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . نشرة سزكين . ٧/٦/١ .

فهذا ما ذكره فيما يتعلق بمنهجه وعمله في موسعته ، وأما منهجه الذي سار عليه في القسم الخاص بالوزراء فإنه بدأ بذكر مكانة الوزارة والتعريف بحالها في عصر بني أمية ، ومن ثم بدأ بذكر وزراء بني العباس فبدأ بذكر وزير آل محمد أبي سلمة الخلال ، ثم عاد مرة أخرى لذكر من كتب لبني أمية فذكر روح بن زنباع ونصر بن سيار وعبد الحميد بن يحيى ، ثم عاد للحديث عن وزراء بني العباس فذكر طلحة بن زريق وأبا أيوب المرياني وتابع الحديث بعد ذلك عن وزراء وكتاب بني العباس حتى سقوط الدولة العباسية على يد التتار في عرضٍ جميلٍ وترجمةٍ كاملةٍ لكافة الوزراء والكتاب .

أما منهجية العمري فنجد أن العمري يقدم ذكر وزراء الدولة العباسية على كتاب الدولة الأموية ، فالمفروض - زمنياً - أن يذكر كتاب الدولة الأموية ، ثم من بعدها وزراء الدولة العباسية ، ويبين لنا حجته في ذلك ؛ فقد بدأ بذكر أبي سلمة الخلال وزير بني العباس قبل روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان .

وإذا ما تركنا المنهج وانتقلنا إلى الأسلوب ؛ فإننا نجد أن العمري التزم في هذا الكتاب اللغة الفنية المصنوعة ؛ فنراه يلتزم بذلك كمقدمة لكل وزير يذكره ، فالتزم في ذلك السجع التزاماً لم يتخلى عنه ، واعتمد على الإكثار من المحسنات البديعية واللفظية ؛ وذلك جعل استخلاص الحقائق التاريخية في كثير من الأحيان أمراً صعباً ، ومهمة شاقة ، فاستخدم الجناسات المنقوصة والغير منقوصة ، والتورية ، واقتبس من أي الذكر الحكيم وضمّن البديع لها ، وهذا الأسلوب في ذكر التاريخ ليس بجديد ، فكثير من المؤرخين انتهجوا مثل هذا المنهج ، ولكنها مخرقة بالحقيقة التاريخية ؛ فقد تُفقد كثير من الحقائق من أجل إدخال هذه المحسنات اللفظية .

مصادر المؤلف في المخطوطة :

لا بد أن نشير بدايةً أن العمري لم يذكر لنا اسم أي مصدرٍ اعتمده في بحثه عن وزراء المشرق الإسلامي، وإنما كان يذكر اسم المصنف دون أن يذكر اسم الكتاب وأحياناً أخرى يذكر اسم كتابه، فعملتُ كلَّ جُهدٍ للبحث والاستقصاء عن مصادره في هذه المخطوطة؛ وذلك بالبحث عن النص أو الخبر الذي ذكر لنا اسم مصنفه فقط في مصنفات ذلك المُصنف حتى توصلت إلى مصدر معلومات العمري بدقّة .

ونستطيع أن نحصر مصادر العمري في كتابه عن الوزراء بالتالي :

(١) تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ؛ فنقل عنه العمري كثيراً من النصوص أثناء حديثه عن الوزراء المتقدمين في عصر الدولة العباسية.

(٢) الوزراء والكتاب ، للجهمي ؛ فقد اعتمد عليه العمري أكثر من غيره من الكتب ، ونقل عنه كثيراً من النصوص والحقائق التاريخية

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ؛ حيث اعتمد عليه في نقل بعض النصوص.

(٤) المنتظم ، لابن الجوزي ، وقد أخذ عنه العمري في كتابه بعض التراجم الوزراء .

(٥) خريدة القصر، للعماد الكاتب . ، وقد أخذ عنها العمري واعتمد عليها في بعض الترجمة .

٦) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ؛ حيث نقل عن العمري كثيراً من الأحداث التاريخية التي وردة في ذلك الكتاب .

٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، وقد نقل عنه العمري واعتمد على كتابه في ذكر بعض الأحداث .

٨) الوافي بالوفيات ، للصفدي ، وقد أخذ عنه العمري على الرغم من أن الصفدي كان من المعاصرين له .

هذه بعض من مصادر معلومات العمري التي اعتمدها في الجزء الخاص بالوزراء والكتّاب والتي أشار إليها في كتابه علماً أنه أخذ الكثير من المعلومات من مصادر أخرى غير تلك التي ذكرتها ولم يتعرض لها العمري بالذكر . والعمري حين اقتبس أو نقل عن هؤلاء المؤرخين فإنه تارةً ينقل بشكلٍ حريفي، وتارةً يختصرُ لنا ما ينقل فيوصلنا إلى المعنى العام لهذا الخبر أو ذاك .

ونراه - أيضاً - حين يقتبس من هذه المصادر تارةً ينقل لنا منهم الشيء القليل الذي قد يصل إلى سطرٍ واحدٍ ، وتارةً ينقل لنا خبراً يتعدى صفحةً كاملةً .

ومراتٍ عديدةً نجده ينقل لنا أخباراً عن مجهول ؛ فلا يذكر اسم صاحب الخبر ، ولا اسم الكتاب المنقول منه .

ومما يجدر ذكره أن العمري حين استخدم هذه المصادر فإنه اعتمد في الغالب على المصدر القريب والأقرب للأحداث ؛ فحين تكلم عن الوزارة في العصر الأموي وبداية العصر العباسي نجده يقتبس من الجهشياري والطبري ومن المسعودي ، وعند الحديث

عن الوزارة في العصر العباسي الثاني نجده يقتبس من ابن الجوزي والعماد الكاتب وابن الأثير، وعند الحديث عن سقوط الدولة العباسية نجده يقتبس من ابن خلكان والصفدي الذين عاصروا تلك الفترة ، وهذا يدل على منهجيته الصحيحة في الكتابة التاريخية .

المبحث الرابع منهج التحقيق

ويتضمن ذلك الإشارة إلى أبرز وأهم الأمور والخطوات التي اعتمدها في التحقيق ومنها:

- ١- نسختُ المخطوطة عن نسخة آيا صوفيا مكتبة السليمانية رقم (٣٤٢٣)، ورقم (٣٤٢٤) من نشرة فؤاد سزكين حسب القواعد الإملائية الحديثة ، وجعلتها الأصل ورمزتُ لها بالحرف (أ) .
- ٢- بينتُ بداياتِ صفحاتِ المخطوط وقسمتُ اللوحةَ إلى أ — ب ، بوضع رقم الصفحة ما بين معقوفتين عند بداية الصفحة داخل النص مثال [أ ١] .
- ٣- أجريت مقارنةً المنسوخ من النسخة الأصل على النسخ الأخرى وهي دار الكتب المصرية ، معارف عامة رقم (٥٥٧) وقد رمزتُ لها بالحرف (م) ، ونسخة مكتبة الكونجرس الأمريكي تحت رقم (٢٤٢٤) ، نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ، ورمزتُ لها بالحرف (ك) .
- ٤- قمتُ بتنظيم مادة الكتاب بتقسيمه إلى فقراتٍ وجملٍ بما يوضح معانيه ؛ فاستعملت لذلك علامات الترقيم المتعارف عليها في هذا العصر .
- ٥- عزوتُ الآياتِ القرآنية الواردة في النص بين قوسين مُزهرين وعزوتُها إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٦- خرجتُ أقوالَ العلماء مع عَزْوِ النصوص إلى مصادرها ؛ فقد تميز الوزراء بكثرة النصوص ، وقد حاولت أن أعزوَ هذه النصوص إلى مصادرها ما أمكن .

٧- قمتُ بتخريج الآيات الشعرية من دواوين الشعر .

٨- قمتُ بوضع عناوين جانبية للكتاب ووضعها في وسط الصفحة .

٩- ترجمتُ لجميع الأعلام الواردة في الكتاب ، وأشرتُ إلى بعض مصادر الترجمة، ومن لم أقف على ترجمته - وهو قليل جداً - نبهتُ إليه بقول : لم أعثر له على ترجمة .

١٠- عرّفتُ بالأماكن والمواضع التي وردت في الكتاب ، وبيّنتُ أسماءها مستنداً على المصادر في هذا المجال .

١١- شرحتُ الألفاظ الغريبة الواردة في النص وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية .

١٢- قمتُ بتذييل الكتاب بفهارس تفصيلية ، وهي كما يلي :

- فهرس الآيات القرآنية .

- فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات .

القسم الثاني
النصُّ المحقَّق

[١ أ] وإذ قد انتهينا إلى ذكر الأدباء ، وانتهينا إلى أن نغازل بهم عيون الأنبياء فسندكر منهم^(١) على ما قدمنا به القول من ذكر أعيان الوزراء ، وطوائف الكتاب ، والخطباء والشعراء ، ونبدأ بالوزراء ثم بالكتّاب ؛ لأنهم منهم ولكنهم هم وإن نأوا في القسمة عنهم ولهذا نأتي به لفيفاً ، ونلقي منهم قولاً خفيفاً .

ونذكر ما لو أنفقت الإباق^(٢) من أصائلها مثلي أُحِدٍ ذهباً ما أدرك لأحد منهم مُدّاً^(٣) ، ولا الهلال نصيفاً ، لنميط عن محاسنهم قناع الثرى ، ونخرج دفائنهم^(٤) . وقد أعيت مطالبها أطماع الورى ، ونطلع^(٥) لهم نجومًا تزينت بمثلها السماء ، وتعاطى مداً شبيهًا بالماء . وها أنا أذكر من كل الوزراء^(٦) ، والكتاب من القطر منهم أناسًا هم أبناء^(٧) ذلك القطر وأنواره ، وثمره المطعم وقراره ، وأبنيه على شيء من حاله بما أذكره عند أوله ، ولا أستوعب آخره^(٨) وأوله وإنما أمثله عنوانًا ، وأسلكه في درج ذلك القطر صنوائًا .

وأول ما نقول: إنه لم يكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني أمية^(٩) ، وصدراً من دولة أبي

(١) مم : والصحيح ما أثبتناه .

(٢) الإباق : هروب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل . ابن منظور : لسان العرب . ٢٨ / ١ .

(٣) المد الشرعي في فجر الإسلام وخاصة في المدينة كان يساوي ربع صاع ، وكان المد في قول أبي حنيفة

يتسع لرطلين بغداديين ، والمقصود رطل المدينة بالتأكيد ، وكلاهما يساوي ٨١٢,٥ غم . فالترهنتس . المكايل والأوزان الإسلامية . ٧٤ / .

(٤) دفائنهم : الدفن الكنوز . ابن منظور : لسان العرب . ٣٩٨ / ٢ .

(٥) نطمع : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) مفرده وزير وهو الذي يعتمد الخليفة على رأيه في أموره ، ويلتجى إليه . والوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة ، أو من الوزر ، وهو الثقل ، وقد وردت هذه الوظيفة على الآثار والتحف العربية ، وهي كلمة عربية اختلف في اشتقاقها ؛ فقيل : إنها مشتقة من الوزر بفتح الواو ، وهو الملجأ ، وقد سمي الوزر بذلك ؛ لأن الرعية يلجؤون إليه في حوائجهم ، وقيل : من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي ، وهو الثقل ؛ لأنه يتحمل أثقال الملك . القلقشندي : صبح الأعشى . ٥ / ٤٢٢ . الباشا : حسن . الفنون الإسلامية . ٣ / ١٣٢٢ .

(٧) ابنه : والصحيح ما أثبتناه .

(٨) احريره : والصحيح ما أثبتناه وهو ما تستقيم به الجملة .

(٩) وهي الدولة التي أسسها معاوية بن أبي سفيان ، وتنسب هذه الدولة إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ؛ حيث كان لبني أمية قبيل الإسلام شرف معروف انتهى إلى حرب بن أمية الذي كان رئيس =

العباس السفاح^(١)، بل كان ممن أعان الخلفاء على أمرهم يقال: فلان وزير فلان ،
بمعنى أنه مؤازر له لا أنه مُتولِّ رتبةً خاصةً تجري لها قوانين^(٢) ، وينظم بها دواوين ، فأما
وزير آل محمد صلى الله عليه وسلم .

= قريش في حرب الفجار الطبري: تاريخ الأمم والملوك / ٩٦٧ . ابن خلدون : العبر . / ٥٩ .

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . بويج في سنة ١٣٢ هـ توفي في أول ذي الحجة
سنة ١٣٦ هـ ودفن بالموضع الذي مات فيه بالأنبار وسُنُّه أربعٌ وثلاثون سنة . وكان فيما . ذكر . ذا شعرة
جعدة ، وكان طويلاً أبيضَ أقني الأنف ، حسنَ الوجه واللحية ، وأمه هي ريطة بنت عبد الله بن عبد الله
المدان بن الديان الحارثي . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٤٩٢ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٢٦٦ .
ابن العمrani : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ٦١ .

(٢) والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في عهد دولة بني العباس ، فأما قبل ذلك في زمن بني أمية وما
قبلة يعبرون عنه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك ، فلم تكن الوزارة مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل
كان لكل خليفة أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار ذوي الآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى
وزير ، فلما بزغت شمس الخلافة العباسية وملك بنو العباس تقرر قوانين الوزارة ، وسمي الوزير وزيراً ،
وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً ، فعظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل
والعقد ، وتعينت مرتبته في الدولة ، وجعل لها النظر في ديوان الحساب ؛ لما تحتاج إليه خطته من قسم
الأعطيات في الجند ، فاحتاج إلى جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فيه ، ثم جعل له النظر في القلم
والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور ، وجعل الخاتم
لسجلات السلطان ليحفظها من الذیاع والشیاع ، فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر
معاني الوزارة والمعونة ، ويقوم توقيعه على القصص في نفوذ الأمر مقام توقيع السلطان من جليل وحقير حتى
ما يكتب من ديوان الجيش وغيره ، وليس لأحد من المتولين لهذا المنصب التعرض لأخذ علامة سلطانية ألبتة
وناهيك بذلك رفعة وشرفاً باذخاً . ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية . / ١٢١ .
القلقشندي : صبح الأعشى . / ١٣٧ .

[١ ب] أبو سلمة الخلال^(١).

فإنه كان رأساً [من]^(٢) رؤوس الشيعة الهاشمية^(٣)، وكان ذا الرأي فيهم، فقيل وزير آل محمد صلى الله عليه وسلم . كان من أكبر الدعاة للدولة^(٤) ، وأعظم السعاة في استتباب الأمر ، فلما رأى أبو العباس السفاح قدمه وكبره ، وأورد رأيه وأصدره رجلاً يتحرره واستخرج دره ، فحسد لتمكنه ، وعمل على مأخذه من مأمنه ، ثم كان السفاح لا يرى إفساد صنعته ، ولا يأمن تكدير بواطن شيعته ، فكان يلبسه على الله ، ويسدده على خله ، وأبو سلمة مع هذا ليس بوزير له ؛ فلم يتولى^(٥) ولاية أمر منوط ، ثم إنه وزره على باطن يكنه له ؛ ليتخذ بالوزارة إليه سبيله ، ويتوجه له عليه شبهة يقرب بها وجهه ، حتى أخذ تلك الخذة الغرة^(٦) .

(١) أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيعي من همدان ، وزير العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ، وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير في الإسلام ، وقد لقب بوزير آل محمد ، وقيل في نسبته : إنه لم يكن خللاً وإنما سمي بالخلال ؛ لأن منزله بالكوفة بقرب الخلالين ، ويجلس عندهم ، وكان فصيح اللسان عالماً بالأخبار والأشعار والجدل وتفسير القرآن ، حاضر الحجة كثير الجدل ، وكان فكهاً ممتعاً ، قُتِلَ بالأنبار غيلةً . البلاذري : أنساب الأشراف . ١٧٥ / ٣ . المسعودي : مروج الذهب . ٢٨٥ / ٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٩٥ / ٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٦٣ / ٣ . القلقشندي : صبح الأعشى . ٢٩٥ / ٣ .

(٢) من : سقط وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) الشيعة الهاشمية : هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه ، وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده . الجرجاني : التعريفات . / ١٢٩ .

(٤) للدولة : المقصود بها هنا دولة بني العباس أثناء الدعوة السرية . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٤٧٠ / ١٤٧١ .

(٥) يتسوط : والصحيح ما أثبتناه وهو ما تستقيم به الجملة .

(٦) الغرة : الغفلة . ابن منظور . لسان العرب . ٢٥ / ٥ .

فأما من وزراء الشرق

قديمًا وحديثًا فسنبداً من لدن [عبد] ^(١) الملك بن مروان ^(٢)؛ لأنه أول من نجم هذه الأمة قواعد الملك ، وعظم عوائد السلطان ؛ إذ لم يثبت الأمر لأحد بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه كما أثبت له ، إذ كان منه إلى معاوية ^(٣) خبط عشواء ، وليل لم يلمع بالأضواء ، فأما معاوية فإنه وإن كان قد لمَّ الشعث ^(٤) ، وأزال الشغب واستقل بالأعباء ^(٥) ، واضطلع بالملك فإنه كان قد يحلق بالمداهنة أيام مجاذبته ^(٦) علي [بن أبي طالب] ^(٧) ، لاستمالة الأهواء إليه ، وجمع ^(٨) القلوب عليه ، فصار ذلك ^(٩) له حلفاً لما سُلّم إليه ، وسلم من التنازع ثم استمر عليه ، حتى مضى به زمانه وانقضت عليه أيامه ،

(١) عبد : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، أمه عائشة بنت معاوية بن أبي العاص ، ولد يوم جلس عثمان رضي الله عنه للخلافة ، وهو أول من من سمي عبد الملك في الإسلام ، مات في شوال سنة ست وثمانين للهجرة . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٢٣٠ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٩ / ١٣٩ / ١٤٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٢١٤ / ٢١٥ .

(٣) معاوية بن أبي سفيان ، كنيته أبو عبدالرحمن ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف بن قصي . بويج له سنة إحدى وأربعين ، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، توفي بدمشق في رجب سنة ستين من الهجرة ، وعمره ثمانون سنة . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ٩٦٧ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ٤٩ .

(٤) الشعث : انتشار الأمر وخلله . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٤٤١ .

(٥) الأعباء : الأحمال والأثقال . المصدر السابق . ٤ / ٢٣٧ .

(٦) مجاذبته : التنازع . المصدر السابق . ١ / ٣٩٣ .

(٧) ابن أبي طالب : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٨) جمع : مكررة في النسخة (ك) .

(٩) ذلك : ساقط في النسخة (أ) و (م) .

وكان عمرو بن العاص^(١) أجلّ قدرًا ، وأعظمَ أمرًا ، مع أن يجري معه مجرى الوزراء ، وإن كان له إزارًا ورداءً ؛ إذ كان لا يزال كالمتمن عليه إلا نحيازة إلى جهة مع مماثلته له في شرفه في قريش^(٢) وسبقه في الإسلام ، ظانًا له لولاه لما نال الملك ولا قدر على منازعته علي - كرم الله - وجهه في حق الخلافة ، وكان لا يزال حاله معه شبيهًا بحال أبي مسلم الخراساني مع أبي العباس السفاح .

فأما من تقدم معاوية من الخلفاء الراشدين إلى عهد النبوة فأولئك ما وزروا إلا من كانوا تبعًا لرأيهم فيما استشاروا فيه من مفرد الأمر لا [٢ ب] في الأمر المطلق ؛ فلهذا بدأنا بالوزراء من لدن عبد الملك بن مروان .

(١) أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل السهمي الصحابي القرشي ، أحد سادة قريش في الجاهلية ، أسلم يوم الهدنة وهاجر ، استعمله الرسول - صلى الله عليه وسلم - على عمان ، ثم تولى الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ، ثم فتح مصر ووليها لعمر بن الخطاب ثم لمعاوية ، كان صاحب دهاء وخبرة توفي سنة ٤٣ هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى . ٣٤٩ / ٧ . ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب . ٣ / ١١٨٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٦١ / ٦٢ .

(٢) قريش : سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٥٧ / ١ .

فمنهم روح بن زنباع^(١)

كتب لعبد الملك بن مروان ، وكان مجراه في الوزارة مجرى الإعانة لا مجرى الولاية^(٢) ، وكان كأنه أجل الملوك لمكاتبته من الخلفاء ، وكثرة أتباعه ، وعظم أشياعه ، وعجز السيوف عن تراعيه ، وذكر صاحب كتاب الوزراء والكتاب^(٣) أنه قد كلم يزيد بن معاوية^(٤) له ولقومه أن يلحقهم في العطاء^(٥) بإخوانهم المطرودين فقال له: إن أجمع على ذلك قومك فنحن جاعلوك حيث شئت ، فبلغت الدعوى عدي بن الرقاع^(٦) فقال^(٧) :

إنا رضينا وإن غابت جماعتنا ماقال سيدنا روح بن زنباع

(١) روح بن زنباع بن روح بن سلامة الأمير الشريف أبو زرعة الجذامي الفلسطيني سيد قومه ، وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك بن مروان . توفى سنة ٨٤ هـ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ٣٥ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤ / ٢٥١ / ٢٥٢ .

(٢) الولاية في الشرع تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى ، وتطلق هذه اللفظة عادة على أمير القطر وحاكمه ، والمصدر منها ولاية بمعنى : الإمارة أو السلطة . وقد عرف الوالي منذ صدر الإسلام : إذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم ولادة كانوا يعرفون بالأمرء والعمال . الجرجاني : كتاب التعريفات / ٢٥٤ . حسن الباشا : الفنون الإسلامية . ٣ / ١٣٠٨ / ١٣٠٩ .

(٣) صاحب كتاب الوزراء وهو الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس أحد الكتاب الإخباريين المترسلين ، توفى عام ٣٣١ هـ . ابن النديم : الفهرست / ١٨٤ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ١٢١٢ .

(٤) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، ولد سنة ٢٥ هـ بالمطوون وأمه ميسون بنت بحدل الكلبي ، كان كثير اللحم ، عظيم الجسم ، كثير الشعر جميلاً طويلاً ، بويع بالخلافة في عهد أبيه ولي العهد من بعده ، قتل الحسين - رضي الله عنه - في أول دولته ، وحاصر ابن الزبير - رضي الله عنه - في المسجد الحرام ، وقد كان غزاً في القسطنطينية وحاصرها في خلافة والده ، توفى في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٤ هـ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب / ١١٢ . أبي الفداء : تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر . ١ / ٢٦٣ . ابن كثير : البداية والنهاية . ١ / ١٦٩٦ .

(٥) العطاء وهو ما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير القلقشندي : صبح الأعشى . ٣٧٢ / ٩ .

(٦) عاملة بن عدي بن الحارث العملي الشاعر ، ونسبه الناس إلى الرقاع ، وهو جد جده لشهرته وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية ، وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام ، مدح الوليد بن عبد الملك وهاجى جرير بن الخطفي ، توفى سنة ٩٥ هـ . الأصفهاني : الأغاني . ٩ / ٣٥٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٥ / ١١٠ .

(٧) ديوان عدي بن الرقاع / ٤٨ .

يرعى ثمانين ألفاً كان مثلهم مما يخالف أحياناً على الراعي

ثم كان روح بن زنباع من عبد الملك بن مروان كالتقسيم له في ملكه ، ولما قلد عبد الملك أخاه بشراً^(١) العراق ضم إليه روح بن زنباع ، فثقلت وطأته على بشر فلم يقدر على صرفه عنه إلا بأن يحيل بإدخال رجل إلى بيته ، وكان لا يدخله أحد سواه فكتب على حائطه هذا^(٢) :

ياروح من لدنانيرٍ مجرشة^(٣) إذا نعاكَ لأهل المعزبِ الناعي

إن الخليفة قد شالتُ نعامته^(٤) فاحتلُّ لنفسك ياروحُ بن زنباع^(٥)

^(٦) فلما رآه روح أتى بشراً فاستأذنه في الرجوع إلى الشام فجعل بشر يحدثه ، ويسأله أن يقيم فأبى ، فأذن له فلما دخل على عبد الملك قال : الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين ، قال : وما ذلك ؟ فما أخبره الخبر ، فقال له : ثقلت والله على بشر وأهل العراق فاحتالوا في الراحة منك .

ذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي [٢ ب] في تاريخ الإسلام قال : كان روح بن زنباع

(١) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو مروان الأموي القرشي ، أخو عبد الملك بن مروان ، ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجيرا ، وهو الذي قتل خالد بن الحصين الكلابي يوم راهط ، وكان سبب موته إصابته بالقرحة في يمينه ، مات بالبصرة سنة ٧٤ هـ ، وكان أول أمير أموي يموت بها . ابن عساكر: تاريخ دمشق . ١٠ / ٢٥٣ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ١٧٧٦ .

(٢) حائطه : يريد به حائط بيت روح بن زنباع في أقرب موضع من مرقده . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ١١٨ / ١١٩ .

(٣) رواية هذا السطر من البيت في كتاب مروج الذهب للمسعودي (ياروح من البنيات وأرملة) . ٣ / ١١٨ .

(٤) نعامته : ذهب عزه ودرست طريقته وولت أموره . ابن منظور : لسان العرب ، ٦ / ٢٢٠ .

(٥) رواية هذا الشطر في كتاب مروج الذهب للمسعودي (إن ابن مروان قدحانت منيته) . ٣ / ١١٨ .

(٦) زاد المسعودي في كتابه مروج الذهب على البيتين هذا البيت :

ولايفرنك أبكاراً منعمة واسمع هديت ما قال الناصح الداعي

مروج الذهب ٣ / ١١٨ .

إذا خرج من الحمام أعتق رقبة ، وأمَّره يزيد^(١) على جند فلسطين ، وشهد يوم راهط^(٢) مع مروان^(٣) ، وكاتب له دار بدمشق عند طرف البزوريين^(٤) ، وقال مسلم^(٥) رحمه الله : له صحبة ولم يتابع مسلمٌ أحدًا س وأبوه زنباع بن روح بن سلامة^(٦) له صحبة .

(١) زيد : والصحيح ما أثبتناه . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤ / ٢٥١ .

(٢) مرج راهط : بكسر ثانيه وبالطاء المهملة معرفة بالشام على أميال من دمشق ، أوقع بها مروان بن الحكم بالضحاك بن قيس الفهري في محرم سنة خمس وستين ، وقيل بل كانت في آخر سنة أربع وستين . البكري : معجم ما استعجم . ٢ / ٦٣١ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ٥٤٠ .

(٣) مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف ويكنى أبا عبد الملك . وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان ، صحابي عند طائفة كثير ؛ لأنه ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بويج بالخلافة سنة ٦٤ هـ ، توفي في دمشق سنة ٦٥ هـ مخنوقاً من قبل زوجته أم خالد . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٠٧٠ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٧ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٤٩ . ابن كثير : البداية والنهاية . ١ / ١٧١٤ / ١٧١٥ / ١٧١٦ .

(٤) البزوريين : الأبرز ما يطيب به الغذاء وكذا التوابل . ابن منظور : لسان العرب . ٢٠٢ / ١ .

(٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الشافعي ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وله الجامع الصحيح " صحيح مسلم " ، وهو أحد الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله - عز وجل - حيث ذكر الأمام النووي في أول شرحه أن أبا علي الحسين بن علي النيسابوري شيخ الحاكم قال " ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم " . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون / ٤٢٢ . حاجي خليفة : كشف الظنون . ١ / ٥٥٥ . القنوجي : أبجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . ٢ / ٢٣١ .

(٦) زنباع بن روح الجذامي الفلسطيني ، صحابي روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن المثلة ، وهو والد روح بن زنباع . القيسي : توضيح المشتبه . ٢ / ٢٥٦ . ابن حجر : تهذيب التهذيب . ٣ / ٢٩٣ .

ومنهم نصر بن سيار^(١)

وكان يتقلد ديوان خراسان^(٢) ، ثم انتهى إلى أنه كتب إلى الوليد^(٣) يعلمه بظهور المسودة^(٤) ، فكتب إليه أني قد أقطعتك خراسان فافعل فيها ما شئت ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بساوة^(٥) قـرب الري^(٦) وعمره خمسٌ وثمانون سنة ، وكان مشرفاً^(٧)

(١) صاحب خراسان الأمير أبو الليث المروزي ، نائب مروان بن محمد ، حدث عن عكرمة وأبي الزبير ، تولى إمارة خراسان بعد وفاة أسد بن عبدالله القسري عام ١٢٠هـ. الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٤٦٤ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ٧٢١ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٥ / ١٦٣ / ١٦٤ .

(٢) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مماليك العراق أزازورا قسبة جوين وبيهق ، وآخر حدودها مماليك الهند طخارستان وغزنة وسجستان ، ومن أمهات بلادها نيسابور وهارة ومرو . ياقوت : معجم البلدان . ٢ / ٣٥٠ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ١ / ٤٥٥ .

(٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، بويع له بالخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي . ولد عام ٩٠ هـ وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جما دى الآخرة سنة ١٢٦هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٤٢١ / ١٤٢٢ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ١٩٤٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء / ٢٥١ .

(٤) المسودة : وهي رايات بني العباس ، فقد لبس بنو العباس السواد محتجين بأن الراية التي عقدت لجدهم العباس يوم الفتح وحنين كانت سوداء . وقال ابن هبيرة : وقد لبس السواد من بني العباس ؛ لأنه أبعد الألوان من الزينة وأقربها إلى الزهد ، وقال ابن خلدون إن راياتهم كانت سوداً حزناً على شهدائهم من بني العباس ونعياً على بني أمية في قتلهم ؛ ولذلك سمو بالمسودة . ابن خلدون : العبر / ١٣٠ . القاري : مرعاة المفاتيح . ٣ / ٤٥٦ .

(٥) ساوة : مدينة حسنة بين الري وهمذان ، وبقرها مدينة يقال لها آوة ؛ فساوة أهلها سنية شافعية ، وآوة شيعية إمامية ، وبينهما فرسخان . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ١٧٩ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ٢ / ٦٨٥ / ٦٨٦ .

(٦) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد ومن أعلام المدن ، كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي محط الحاج على طريق السابلة وبلاد الجبل ، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً . ياقوت : معجم البلدان . ٣ / ١١٦ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٢ / ٦٥١ .

(٧) مشرفاً : الحسب والنسب بالأباء ويقال رجل شريف له آباء متقدمون في الشرف . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٤٢٢ .

مرهفًا^(١)، وسمهراً^(٢) منعماً^(٣)، وأسدًا باغراً^(٤)، وبطلاً لوقيل رأيه رد الجمع صاغراً، بلى بسواد بني العباس، واختلاف ذات بين بني مروان^(٥) لأمر سبق به القدر وكانت البدره فيه لمن بدر، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ومن كتاب كتبه إلى مروان: "أما بعد يا أمير المؤمنين فإنها قد شرعت، ولم تتبين ومبادرة الدواء في أول الداء أنجح وآفة الرأي التردد والسلام".

(١) مرهفًا : رجل رقيق . المصدر السابق / ١٣٤ .

(٢) سمهراً : السمهري الرمح صليب العود . المصدر السابق / ٣٤٢ .

(٣) منعماً : التتعم هو الترفه . المصدر السابق . ٦ / ٢١٨ .

(٤) باغراً : ويقال لفلان بغرةً من العطاء لاتغير إذا دام عطاؤه . المصدر السابق . ١ / ٢٣٠ .

(٥) بني مروان : وهم نسبة الى مروان بن الحكم جد خلفاء بني أمية الذين كانوا بعده ؛ حيث كانت الخلافة في أبنائه وأحفاده حتى سقطت الدلة الأموية . ابن كثير : البداية والنهاية . ١ / ١٧١٥ .

ومنهم عبد الحميد بن يحيى^(١)

وهو إمام المتقدمين ورسائله كافيته للمتعلمين ، وكتب لهشام بن عبد الملك^(٢) ، واستمر حتى كتب لمروان بن محمد^(٣) ، وهو القدوة وبه الأسوة ، ورسائله مشهورة يتناقلها الكتّاب ويتداولونها جيلاً بعد جيل .

ومن كلامه : الناس رجلان : رجلٌ دق خطره ، وحسنت معاملته فعامله السفلة فسفل^(٤) ، ورجلٌ وضعَّ عامل أهل الدين والأدب فتأدب ، ومنه يعزي هشاماً بامرأة من نسائه :

(١) أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى بني عامر ، الكاتب المشهور ، به يضرب المثل في البلاغة حتى قيل : " فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ". أصله من قيسارية ، وسكن الشام وكان يعلم الصبيان وقد تقلبت به الأحوال إلى أن أصبح وزيراً لمروان بن محمد ، وعنه أخذ المترسلون . ظفربه عامر بن إسماعيل المسلي من قبيلة مذحج بعد قتل مروان وسلمه إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمل طستا ويضعها على رأسه ، فلم يزل يفعل ذلك حتى مات ببوصير في مصر سنة ١٣٢ هـ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ٧٩ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ١٩٧١ . القنوجي : أجد العلوم . ٣ / ٦٦ .

(٢) الخليفة الأموي أبو الوليد ويعرف بهشام الأحول ، ولد سنة ٧٢ هـ ببيع له بالخلافة في رمضان سنة ١٠٥ هـ بعد أخيه يزيد بن عبد الملك ، وكان هشام في خلافته حازم الرأي شديد الجمع للمال قليل البذل متيقظاً ، لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه ، وكان مع ذلك فيه حلم وأناة ، ذا سياسة حسنة ، توفي بالرصافة سنة ١٢٥ هـ ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر . الطبري : الأمم والملوك / ١٣٨٦ / ١٣٨٧ / ١٣٨٨ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٢١٦ / ٢١٧ . ابن العراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٥١ / السيوطي : تاريخ الخلفاء / ٢٤٧ / ٢٤٨ .

(٣) أبو عبد الملك مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، آخر خلفاء بني أمية ، يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعدي بن درهم ، ويلقب بالحمار لشدة تحمله في الحرب ، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام ، ولد بالجزيرة سنة ٧٢ هـ ، وأمه كردية يقال لها لبابة ، ببيع بالخلافة بعد مقتل يزيد بن الوليد سنة ١٢٧ هـ ، وكانت أيامه أيام فتن ، فلم تطل أيامه حتى هزمته جيوش بني العباس ، وتبعته إلى مصر فقتل في قرية ببوصير سنة ١٣٢ هـ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٢٤٧ / ٢٤٨ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ١٩٦٦ / ١٩٦٧ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢ / ٥٠٤ / ٥٠٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٣٢٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٢٥٤ / ٢٥٥ .

(٤) فسفل : سفل بالضم نقيض العلو . ابن منظور . لسان العرب : ٣ / ٢٩٨ .

إن خير ما أنعم الله على خلفائه ما رزقهم الشكر عليه ، والدنيا دار متاع [٣ أ] ، وبلغه وما فيها ؟ عواين أهلها ثم منقول عنهم ، وإن الله - تعالى - أمتع أمير المؤمنين من مؤنسته وقرينته متاعاً إلى أجل مسمى ، ثم قبض العارية وليها وأعطى عليها في المنقلب وأرجح في الميزان ، وأكفى في العوض ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، احتسب مصيبتك يا أمير المؤمنين على الله فإن مواهب الله^(١) أجزل وثوابه أفضل ، فامض على رؤيتك في الخير ؛ فإن ما عند الله لا يبلغه كتابٌ ولا يحصيه حسابٌ .^(٢) ومنه :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين استخلصك لنفسه بعد أن غلب رأيه على هواه فيك ، وبعد أن ماثل بينك وبين القرناء فأسقطهم مضمارك وزيفهم اختبارك ، فجعلك عينه التي يبصر بها ، وسمعه الذي^(٣) يسمع به ، ويده التي يبطش بها ، فما زادك تقريباً إلا ازدادت إلى الناس قرباً ، ولا زادك بسطاً وإيناساً إلا زدته هيبةً وإجلالاً ، ولا زادك تمكيناً إلا ازدادت في الرعية عدلاً ؛ لا يحملك النصيحة له على ظلم رعيته ، ولا يحملك العدل في رعيته على إهمال حقوقه ، ولا يستخفك الفرح ، ولا يحمدك الحزن ، تجري الأمور على السداد^(٤) ، ولا يمنحك أن تذهب بها في مذاهبها استشعار الحذر لعواقبها .

ومنه : الناس أصناف مختلفون ، منهم علق مضية^(٥) لا يباع ، ومنهم غل^(٦) مطيه لا يبتاع . وسائر^(٧) يوماً مروان على دابة ، فقال له : كيف سيرها ؟ فقال له : همها

(١) مواهب الله : الهبة هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض . المصدر السابق . ٦ / ٤٩٥ .

(٢) التي : والصحيح ما أثبتناه .

(٣) الذي : والصحيح ما أثبتناه .

(٤) السداد : الاستقامة والصواب . المصدر السابق . ٣ / ٢٦٣ .

(٥) علق مضية : أي يضمن به وجمعه أعلق ، والعلق الثوب الكريم أو الترس أو السيف . المصدر السابق . ٤ / ٤١١

(٦) غلّ : أي إذا أخذ الرجل شيئاً في خفية . المصدر السابق . ٥ / ٥٤ .

(٧) سائر : والصحيح ما أثبتناه .

أمامها وسوطها عنانها^(١) ، ماونت^(٢) قَطَّ إلا حلمًا^(٣) ، ولا ضربت قَطَّ إلا ظلمًا^(٤) ،
ومن شعره^(٥) :

أبكي على ذا وأبكي لذا بكاء المولمة الثاكل
تبكي من ابن لها قاطع وتبكي من ابن لها واصل
وكان المنصور^(٦) يقول : غلبنا بنو مروان بثلاثة أشياء ؛ بالحجاج بن يوسف^(٧)

(١) عنانها : سير اللجام . المصدر السابق . ٤٤٩/٤ .

(٢) ما ونت : الونا الفترة في الأعمال والأمور . المصدر السابق . ٤٩٥/٦ .

(٣) حلمًا : الحلمُ بالكسر الأناة والعقل . المصدر السابق نفسه . ١٤٥ / ٢ .

(٤) أورد الجهشيارى هذه المقولة . الوزراء والكتاب . ٨٢ / .

(٥) وقد زاد الطبري على هذه الأبيات . / ١١٤٠ .

ترحل ماليس بالقافل وأعقب ماليس بالزائل
فلهفي على الخلف النازل ولهفي على السلف الراحل
وأبكي على ذا وأبكي لذا بكاء مولمة ثاكل
تبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتتر عن عبرة لها في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبا ورد التقى عن الباطل

كما أورد الجهشيارى الأبيات السابقة كاملة مع وجود بعض الاختلاف في البيت الثاني الشطر الأول
فيقول:

فويلي من الخلف النازل الوزراء والكتاب / ٨١

(٦) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد سنة ٩٥ هـ وأمه أم ولد يقال
لها سلامة بربرية ، كان قبل الخلافة يقال له عبد الله الطويل ، جاب الأفاق وكان يعد فحل بني العباس هيبةً
وشجاعةً ، وحزمًا وجبروتًا حريصًا على جمع المال ، كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب ، قتل خلقًا
كثيرًا حتى استقام ملكه ، لقب بأبي الدوانيق لمحاسبة العمال ، تولى الخلافة أول سنة ١٣٧ هـ . قتل أبا مسلم
الخراساني صاحب دعوتهم ، وبنى مدينة بغداد ، وفي عصره شاع تدوين العلوم والحديث والفقه والتفسير ،
وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم . توفي سنة ١٥٨ هـ وكان عمره ٦٣ سنة .
الطبري : الأمم والملوك / ١٥٨٨/١٥٨٩ . المسعودي : مروج الذهب . ٢ / ٢٤٩ . أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء .
١ / ٣٠٤ / ٣٠٥ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١ / ٢٤٤ .

(٧) أبو محمد بن يوسف بن الحكم الثقفي أمير العراق ، ولد في ٤٠ هـ ، وقيل إحدى وأربعين ، وأمه هي الفارعة
بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، كان فصيح اللسان ، وقيل إنه كان يقرأ القرآن كل ليلة ، رمى البيت
الحرام بالمنجنيق عند تحصن عبد الله بن الزبير بها ، وولاه عبد الملك بن مروان على العراق ، وقتل في =

وعبد الحميد بن يحيى ، والمؤذن البعلبكي^(١) .

= حياته خلقاً كثيراً، توفي بواسط سنة ٩٥ هـ وله ٥٥ سنة ، وعرضت بعد موته السجون فوجد بها ثمانون ألفاً ، منهم ثلاثون ألف امرأة . الطبري : الأمم والملوك / ١٢٥٩ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ١٢٠ / ١٣٢ / ١٧٦ .
الصفدي : وفيات الأعيان . ٢ / ٢٩ .

(١) وهو من أصحاب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقد تمكن المنصور من القبض عليه وهم بقتله لكونه من أصحاب مروان ، ثم استيقاه وذلك ؛ لحسن صوته وهو يرفع الأذان ، وأجازه وأجرى عليه الرزق ، وصير أمر الجامع إليه . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣ / ٢٣٠ . وقد أورد الجهشيارى هذه المقولة في كتاب الوزراء والكتاب / ٨١ . والصفدي : الوافي بالوفيات . ١٨ / ٥٣ .

منهم طلحة بن زريق^(١)

كان يكتب للإمام إبراهيم بن محمد^(٢) إلى الدعاة ويقرأ كتبهم إليه ، وهو أخو مصعب [٣ ب] بن زريق^(٣) جد طاهر بن الحسين^(٤) ، وقد كانت لهم دولة ملكٍ وصَوْلَةٌ سُلْطَانٍ^(٥) ، وامتدت لهم أيامٌ موصوفةٌ وأقلامٌ تبري الرماحُ قصباتها النخيفة ، ثم كانت لآخرهم سيوفٌ ذلتِ الدول ، وداست مفرق البطل ، ومما كتبه عن الإمام^(٦) في جواب إلى بعض رؤس الشيعة ليستأذنه في من قدر عليه من عمال

(١) أبو منصور طلحة بن زريق بن أسعد ، أحد النقباء الاثني عشر لدعوة بني العباس ، أخذ البيعة من الجند في مرو لآل البيت عند دخول أبي مسلم إليها ، وكان طلحة بن زريق رجلاً فصيحاً نبيلاً عالماً بحجج الهاشمية ومعاييب الأموية ، كان قد شهد حرب ابن الأشعث وصحب المهلب وغزا معه ، وكان أبو مسلم الخراساني يشاوره في الأمور ويسأله عنها وعما شهد من الحروب . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٤٥٥ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ٧٦٧ .

(٢) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، يقال له الإمام أوصى إليه أبوه وانتشرت دعوته في خراسان ، وكان شيعته يكاتبونه من هناك ، وقد وجه أبو مسلم الخراساني فقام له أبو مسلم بالدعوة دون أن يظهر اسمه إلا لمن كان من الدعاة والشيعة ، حتى انكشف اسمه فعلم مروان بن محمد ، فحبسه ثم قتله بجران سنة ١٣١ هـ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٢٥٩ / ٢٦٠ . البلاذري : أنساب الأشراف . ٣ / ١٢٩ . ابن العمrani : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٥٧ . ابن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية / ١١٤ .

(٣) مصعب بن زريق بن أسعد مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي أمير سجستان . جد طاهر بن الحسين ، وقد كان والياً لبوشنج في خلافة المهدي ، وهرب منها بعد خروج يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرم بخراسان . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ٨٤٣ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٦ / ٢٣١ .

(٤) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الأمير ذواليمينين أبو طلحة الخزاعي ، لقب باليمينين ؛ لأنه أعور العين اليسرى فلقبه المأمون بهذا اللقب ، ولد في سنة ١٥٩ هـ وهو أحد قواد المأمون الكبار والقائم بأعمال خلافته ، ندبه لحرب أخيه الأمين ، فسار بالجيوش إلى الأمين وظفربه وقتله ، كان جواداً ممدوحاً وقائداً فذاً ، توفى سنة ٢٠٧ هـ . السمعاني : الأنساب . ١٦ / ٣ . الصفدي : الشعور بالعمور / ١٥٢ / ١٥٣ / ١٥٤ / ١٥٥ .

(٥) سلطان : قدرة الملك وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكاً . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٣١٨ .

(٦) الإمام : هو الذي له الرئاسة العامة في الدين والدنيا جميعاً ، ويقصد به هنا إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي لقبَ بالإمام أثناء الدعوة العباسية . ابن العمrani : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٥٧ . الجرجاني : كتاب التعريفات / ٢٨ .

بني أمية: "أما بعد ، فلا تمرّ بشجرة بكتك أن تحبها إلا فعلت ، وإياك أن تلهيك الثمرة والسلام".

ومنهم أبو أيوب المورياني (١)

كان وزيراً متقلداً لأبي جعفر المنصور [تقلد له تفويض^(٢)] وتقدم له اصطناع لأبي جعفر المنصور [^(٣) في آخر أيام بني أمية حين جرد للسياط على ما كان انكسر عليه من ضمان^(٤) كان ضمنه منهم ففدى أبا أيوب بنفسه ، وبذل ماله دونه حتى خلص منهم ثمنه ووفى ليسدد دينه ، فكان يعده له يداً ، ويشكرها له إلى أن بدا له ما بدا .
وكان لأبي أيوب كاتب خاص به اسمه محمد بن الوليد^(٥) ، وكان كاتبه هذا حريصاً على أخذ الرشاش^(٦) فكتب إلى طريف^(٧) على لسان أبي أيوب بحمل مئة ألف دينار إليه ، فحملها إليه ولم يعلم بها أبوأيوب، ثم اتفق أن أبا أيوب أشار^(٨) على المنصور

(١) أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان بن مخلد ، ينسب إلى قرية موريان أحد قرى الأهواز ، لقب بالخوزي لشحه ، وقيل: لأنه نزل شعب الخوز بمكة ، كان وزيراً لأبي جعفر المنصور ، تولى وزارته بعد خالد بن برمك ، وقد تمكن منه غاية التمكن ؛ وسبب ذلك أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، وكان ظريفاً خفيفاً على القلب متأتياً لما يريده منه المنصور ، سعى به كاتب سر الوزير إبان الكاتب إلى أبي جعفر المنصور فقبض عليه سنة ١٥٣هـ ، وتوفي بعد ذلك سنة ١٥٤هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٥٨٠ الجهشياري : الوزراء والكتاب / ٩٧ / ٩٨ . الجزري : اللباب في تهذيب الأنساب . ٢٦٨ / ٢٧٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٤١٠ .

(٢) يجوز للخليفة أن يقلد وزيرين وزير تفويض ووزير تنفيذ ؛ فيكون وزير التفويض مطلق التصرف ، ووزير التنفيذ مقصوراً على تنفيذ ما وردت به أوامر الخليفة . الماوردي : الأحكام السلطانية . ٢ / ٤١٠ .

(٣) ساقطة في النسخة (أ) والنسخة (م) ، والتصحيح من النسخة (ك) .

(٤) الضمان يعد من أساليب جمع الموارد المالية ؛ حيث يضمن الرجل غلة قرية أو مزرعة بكاملها لكي تُؤدَّى غلتها إلى بيت المال . القلقشندي : صبح الأعشى . ١٣ / ٣٠٩ .

(٥) وهو كاتب لأبي أيوب ، مولى لهشام بن عبد الملك ، أو مروان بن محمد ، وكان خاصاً به غالباً عليه ، قبض عليه أبو أيوب وحبسه ، ثم أمر المسور البربري بقتله بعد أن أذن له أبو جعفر المنصور في ذلك وتتبع أمواله . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٠٠ / ١٠١ / ١٠٢ .

(٦) الرشا : بمعنى الرشوة إذا أخذها . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٧٦ .

(٧) مولى لأبي جعفر المنصور ، كان قد ولاه المنصور بريد مصر والشام والجزيرة ، ثم عزله بعد ذلك بمشورة من أبي أيوب ، وقلد مطر مكانه . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٠٠ / ١٠١ .

(٨) انار : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتتها من (ك) .

بصرف طريف وتولية غيره ففعل ذلك، ثم إنَّ أبا أيوب أخذ في محاسبة طريف والتضييق عليه فحنق^(١) عليه طريف، وفي ظنه أن ذلك المال وصل إليه، فلما وصل إلى المنصور أخرج إليه الكتاب الوارد عليه بطلب ذلك المال فقرأه ثم دفعه إلى أبي أيوب، فقال: هذا خط كاتبي وخاتمي ولا علم لي بشيء من أمره، فقال له أبو جعفر: هذا أشد من الأمرين أن يكون مئة ألف دينار يأخذها كاتبك من رجل واحد.

(١) فحنق: حنق بمعنى شدة الاغتيال. ابن منظور: لسان العرب. ١٧٣ / ٢.

ومنهم : عبد الجبار بن عدي^(١)

كان نبعة سهام^(٢) ، ولمعة برق تدل على ضرام^(٣) ، وقد كان يكتب لخلفاء بني أمية ، ثم كتب للمنصور ، ثم لما مات قال المنصور: ما أخلقنا أن نكون قد دفن الكلام مع عبد الجبار ، ولا نجد أحداً يقوم مقامه ولا يسد مسده ، ومن كلامه : إياك أن يعود جوابك دون بلوغ الأرب ، وحصول الطلب ، ولا تقل هم كثيرون ؛ فمن يحاذر لا يهوله كثرة الغنم^(٤). [أ ٤]

-
- (١) عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي . ولاة المنصور إمرة خراسان في سنة ١٤٠هـ ثم خلعه وكان سبب خلعه أنه بلغ المنصور أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خراسان . فقال المنصور لأبي أيوب إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا ، وما فعل إلا وهو يريد أن يخلع . فشخص إليه المهدي وتمكن منه وأخذه إلى المنصور ، ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج الأموال ثم أمر المسيب بضرب عنقه ففعل ، وكان ذلك سنة ١٤١هـ الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٥٠٨ / ١٥٠٩ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣١٦ . ابن الجوزي : المنتظم . ٨ / ٢٧ / ٣٠ / ٣١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ١٩٨٤ / ١٩٨٥ .
- (٢) سهام : والسهمُ النصيب المحكم . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٣٥٨ .
- (٣) ضرام : الضرامُ اشتعال النار في الحلقاء ونحوها . المصدر السابق . ٤ / ١٢٢ .
- (٤) كثرة الغنم : مستوحى هنا من المثل العربي : "القصاب لاتهوله كثرة الغنم" . الميداني : مجمع الأمثال . ٢ / ١٣٠ .

ومنهم عبد الله بن المقفع^(١)

وهو الغاية في البلاغة ، وهو أشهر من أن يوصف ، ومهما وصف به لا ينصف ، وبه يضرب المثل ، وكان من كتّاب دولة المنصور ، ثم استأزر به عبد الله بن علي^(٢) فكان معه ؛ فلما خرج عبد الله بن علي^(٣) على المنصور وكان ابن المقفع هو المقترح على المنصور ما يكتبه لعبد الله بن علي في الأمان فحقد عليه ، وقال سواء لدي ابن المقفع وعبد الله بن علي .

(١) واسمه بالفارسية روزبه وهو عبد الله بن المقفع أحد البلغاء والفصحاء ، ورأس الكتاب وأولى الإنشاء من نظر عبد الحميد الكاتب ، أسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور ، ويُكنى قبل إسلامه أبا عمرو ، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد والمقفع بن المبارك ؛ وإنما تقفّع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في احتجانه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتقفّعت يده ، وأصله من حوز مدينة من كور فارس كتب لداود بن عمر بن هبيرة ، ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان ، وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً ، وهو الذي عرب كليلة ودمنة ، ونقل كثيراً من الكتب الفارسية إلى العربية ، منها اليتيمة في الرسائل وغيرها . كان من دعاة الشعوبية من خلال تلك الجهود التي بذلها مع غيره من أدباء ذلك العصر من الأعاجم لمسخ التراث العربي ، وتشويه دور العرب في التاريخ ، وتركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها وإحياء تراثها الثقافى في البصرة بأمر أبو جعفر المنصور سنة ١٤٤ هـ . ابن النديم : الفهرست / ١٥٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٢٠٩ / ٦ . ابن حجر : لسان الميزان . ٣٦٦ / ٣ . الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية / ١٠ / ١١ / ١٢ .

(٢) علي بن عبد الله : والصحيح ما أثبتناه .

(٣) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم المنصور والسفاح ، كان من الدهاة المعدودين ومن الشجعان الأبطال ، ولد سنة ١٠٣ هـ ، وانثرب لحرب مروان بن محمد وألح في طلبه ، وتبعه إلى دمشق وفتحها وأسرف في قتل بني أمية ، ولي دمشق للسفاح ، فلما ولي المنصور خرج عليه ودعا لنفسه ، فهزمه أبو مسلم الخراساني فشفع له إخوته ، وأخذوا له الأمان ، فلما قدم عليه حبسه حتى مات في الحبس سنة ١٤٧ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٤٩٤ / ١٤٩٥ / ١٥٦٥ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٠٢ . الكتبي : فوات الوفيات . ١ / ٥٤٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٣٣٣ .

وجده مولى لسفيان بن معاوية^(١) ، ثم كان منه ما كان ، وقال ابن المقفع : وهو [على]
(٢) تلك الحال يخاطبه^(٣) :

إذا ما مات مثلي مات شخص
وَأنتَ تموتُ وحدكَ ليسَ يدري
يموتُ لموتهِ خلقٌ كثيرُ
بموتكَ لا الصغيرُ ولا الكبيرُ

(١) سفيان بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وأمه ميسون بنت المغيرة بن المهلب ، تولى أعمال البصرة عدة مرات في عهد السفاح ، ثم في عهد أبي جعفر المنصور ، وكانت له اليد الطولى في قتل ابن المقفع ، ولما داهن سفيان بن معاوية بعد ذلك في شأن إبراهيم بن عبد الله أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة ، ثم عفا عنه المنصور رغم ذلك . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط / ٤٢١ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٠٤ / ١٠٥ . صفوت : جمهرة خطب العرب . ٤٢ / ٣ .

(٢) على : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) وردت هذه الأبيات في كتاب الوزراء مع وجود بعض الاختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول على النحو التالي : (يموت بموته خلق كثير) الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١١٠ .

ومنهم أبو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار (١)

وزير المهدي (٢) وكاتبه ، وموضع أنسه وصاحبه ، ومدائنه واحد لا يقاربه . ولما وفد عبيدالله بن الحسن (٣) على المهدي معزياً عن المنصور ، ومهنئاً بالخلافة ، فتكلم بكلام أعدّه أُعْجِبَ الناسُ به واستحسنوه ، فبلغه ذلك ، فقال لشبيب بن شيبة: (٤) إني والله ما ألتفتُ إلى هؤلاء ، ولكن سلُّ أبا عبيدالله عما تكلمت به ؛ فسأله شبيب فقال له : ما أحسن ما تكلم ! ولكنه لم يتعد بكلامه أن

(١) أبو عبيد لله معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري ، من موالى الأشعريين ، كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة ، ضمه المنصور إليه ، وكان قد عزم أن يستوزره ، ولكنه أثر به ابنه المهدي ، وكان مقداماً في صناعته فاخترع أموراً منها أنه نقل الخراج إلى المقاسمة ، كان شديد التكبر والتجبر ، ولم يزل أبو عبيد في خلافة المهدي إلى سنة ١٦٣ هـ ، ثم سعى عليه الربيع بن يونس حتى عزله المهدي بسبب تكبر أبي عبيد الله على الربيع ، ثم سعى في قتله بعد أن اتهم بالزندقة وقد ثبت عليه ذلك ، وتهياً للربيع ما أراد من إزالة نعمة أبي عبيد الله ، ومات بعد ذلك أبو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار سنة ١٧٠ هـ . الطبري: تاريخ الأمم والملوك / ١٦١٧/١٦١٨. الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٥١ / ١٥٢ / ١٥٣ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٢٢ . ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية / ١٤٥ / ١٤٦ / ١٤٧ .

(٢) محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس أبو عبد الله المهدي ، تُقْبَ بالمهدي كما يقول ابن كثير رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث ، فلم يكن به ، وأمه هي أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذى سهم بن أبي السرح ، من ولد ذى رعين من ملوك حمير ، ولد سنة ١٢٧ هـ ، وكان جواداً ممدوحاً ، مليح الشكل محبباً إلى الرعية ، قاصباً للزندقة ، بويح له بالخلافة بعد أبيه سنة ١٥٨ هـ وعمره ٣٣ سنة ، توفي سنة ١٦٩ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٣٢ / ١٦٣٣ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣١٩ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٠٣٣ / ٢٠٣٤ / ٢٠٣٥ / ٢٠٣٦ .

(٣) عبيدالله بن الحسن : وهو عبيدالله بن الحسن الهاشمي . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٤١ .

(٤) شبيب بن شيبة أبو معمر الخطيب المنقري البصري ، قدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به وبالمهدي من بعده ، وكان كريماً عليهما أثيراً عندهما ، كان فصيحاً بليغاً إخبارياً ، روى عن الحسن وابن سيرين ، من أهل الفضل والنسك يعظ ويذكر ، توفي سنة ١٦٥ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٩ / ٢٧٤ . الذهبي : العبر في خبر من غير . ١ / ٢٣٩ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٤٧ / ٤٨ .

أخذ مواعظ الحسن^(١) ورسائل غيلان^(٢) فنقح منها كلاماً ؛ فأخبر شبيب عبيد الله بذلك، فقال: لله أبوه ! فو الله ما أخطأ حرفاً ولا تجاوزت ما قال . واعتذر إلى عبيد الله رجل فأطال فقال : ما رأيت عذراً هو أشبه ذنب باستئناف^(٣) من هذا الرجل ، وكان يقال : اليأسُ حرٌّ والرجاءُ عبدٌ ، وكان يقال : إني لأشكر حسن الخلطة^(٤) ، ولين اللفظة ، وهو الذي لا يخوض البحار في ضحضاحه^(٥) ، ولا يشبه ماؤها الآجن^(٦) بسماحه ، لولا يلبسه يكسر أثقل عطفه ، ويخلقه بينه سمراء أنفه، لكان الذي ينقطع به المثل ولا يشتغل بأحدٍ قبله ولا بعده ، وقد كان رفع عليه إلى المهدي أن له [ء ب] ألف دواج^(٧) سمور سوى بقية الأوبار^(٨) وسوى مالا وبر له ، وسوى غيرهما من الأصناف التي يدرىها .
وحكى أن الفضل بن يحيى^(٩) كان شديد الكبر فعُوتِبَ في ذلك ، فقال :

-
- (١) مواعظ الحسن : وهو الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويرجح أن يكون الحسن بن أبي الحسن البصري ، وهو تابعي اشتهر بالعفة والورع ، وكان خطيب المسلمين وواعظهم في عصره ، كانت وفاته سنة ١١٠ هـ .
الجهشياري : الوزراء والكتاب . هامش / ١٤١ .
- (٢) غيلان الدمشقي ، وكان من أوائل القدرية ، وقد مات مقتولاً بأمر هشام بن عبد الملك . المصدر السابق . هامش / ١٤١ .
- (٣) باستئناف : استأنف الشيء وأتفه : أخذ أوله وابتدأه . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ١٢١ .
- (٤) الخلطة : والخلطة بالكسر العشرة . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٢٩٦ .
- (٥) ضحضاحه : أي قريب القعر . المصدر السابق . ٤ / ١٠٩ .
- (٦) الآجن : الماء المتغير الطعم . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٤٥ .
- (٧) دواج : الدواج ضربٌ من الثياب ، قال ابن دريد لأحسبه عربياً صحيحاً . المصدر السابق . ٢ / ٤٢٨ .
- (٨) الأوبار : صوف الأبل والأرنب ونحوها . المصدر السابق . ٦ / ٣٩١ .
- (٩) الفضل بن يحيى : هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، ولد سنة ١٤٧ هـ ، وكان أخا الرشيد من الرضاة ، أحد رجال الدهر عزماً وخبرةً ورأياً ، تولى الإمارة في خراسان وغيرها ، ثم وزر للرشيد قبل أخيه جعفر ، وكان الفضل أكرم من أخيه و كان متكبراً ، فلما قُتِلَ أخوه جعفر سُجِنَ هو وأبوه حتى توفى سجنه سنة ١٩٣ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٧٠٤ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٢ / ٣٣٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٣ / ٣٣٩ / ٣٤٠ .

هذا شيء حملت نفسي عليه لما رأيته من عمارة بن حمزة^(١) ، فإن أبي كان تضمن فارس من المهدي ، فحل عليه ألف ألف درهم ، فأخرج ذلك كاتب الديوان عليه فأمر المهدي أبا [عون]^(٢) عبد الله بن يزيد^(٣) بمطالبتة ، وقال له : إن أدى يحيى المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه ، فكان المهدي مغضباً عليه ، وكانت حيلتنا لا تبلغ عُشْرَ المال ، فقال : يا بني إن كانت لنا حيلة فمن قبل عمارة بن حمزة ، وإلا فأنا ميت ، فامض إليه ، فلم يُعْرَني الطَّرْفُ ، ثم تقدم من ساعته بحمل المال ، فحمل فأدّيناه ، فلما مضى لنا شهرٌ رجعنا المال ، فقال لي أبي : امض به إلى الشريف الحرّ الكريم ، فمضيت إليه ، فلما عرفته خبر المال غضب ، ثم قال : أكنت قسطاراً^(٤) لأبيك ؟ فقلت : لا ، ولكنك أحييته ، ومننت عليه بهذا المال ، وقد استغنى ، فقال : هو لك ؛ فعدت إلى أبي فقال : لا والله ما تطيب نفسي لك به ، ولكن لك منه مئتا ألف درهم ، فتشبهت به حتى صار لي خلقاً لا تنهياً لي مفارقتة^(٥) .

-
- (١) عمارة بن حمزة مولى بني هاشم الكاتب الأديب ، أحد بلغاء زمانه ورئيس وقته ، من أولاد عكرمة مولى ابن عباس كتب للمنصور ، وكان المنصور والمهدي يقدمانه لبلاغته ويحتملان أخلاقه ، كان فصيحاً مفوهاً ، إليه تنسب دار عمارة ببغداد ، وكان أتيه الناس حتى ضرب به المثل فقيل : (أتيه من عمارة) . ابن النديم : الفهرست / ١٤٩ / ١٥٠ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٢ / ٢٨٠ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٠ / ١٥٠
- (٢) عون : ساقطة في النسخة (أ) والنسخة (م) ، والتصحيح من النسخة (ك) .
- (٣) أبو عون عبد الله بن يزيد الأزدي أحد قادة بني العباس ؛ حيث تمكن من قتل عثمان بن سفيان سنة ١٣٢ هـ بعد أن وجهه قحطبة لحرب بني أمية في الزاب . ابن الجوزي : المنتظم . ٧ / ٣٠١ .
- (٤) قسطاراً : القسطارُ مُنتَقِدُ الدراهم . ابن منظور : لسان العرب . ٥ / ٢٥٦ .
- (٥) ورد هذه الخبر عند الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٩٧ .

ومنهم ابن طهمان يعقوب (١)

بن داود ، وكان معمور الباطن بالورع والزهد المتبع ، ولم تكن زخارف الأنام تطيبه ، ولا غروس الدنيا^(٢) تصيبه ، كتب أولاً لنصر بن سيار ، ثم بقي بطلاً ، ووزر للمهدي وبلغ منه ما لم يبلغه وزير حتى كان يقال : يعقوب بن داود [ال خليفة والمهدي والوزير]^(٣) ، وكان المهدي يقول : يعقوب بن داود أخي في الله ووزير في ذلك ، يقول سلمُ الخاسر^(٤) :

قل للإمام الذي جاءتْ خلفتهُ
نعمَ المعينُ على التقوى أعنتَ به
تُهدى إليه بحق غير مردود^(٥)
أخوك في الله يعقوبُ بنُ داود

(١) أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان السلمي ، مولى أبي صالح عبد الله بن خازم السلمي كاتب إبراهيم الأمام بن الحسن الذي خرج على المنصور في البصرة ، وكان داود بن طهمان وإخوته كُتَّاباً لنصر بن سيار ، وقد نشأ ولداه علي ويعقوب المذكور على حب الأدب وصنوف العلم ، قبض عليه المنصور عام ١٤٤هـ وحبسه في المطبق ، ثم أطلقه المهدي من سجنه وقربه إليه وولاه الوزارة عام ١٦٣هـ فارتفعت منزلته وفوض إليه الأمور كلها ، كثرت الأقاويل بعد ذلك في يعقوب ؛ وذكر للمهدي خروجه مع إبراهيم الأمام وميله إلى العلويين فقبض عليه المهدي وسجن وبقي في سجنه حتى أطلقه الرشيد ، توفي بعد ذلك سنة ١٨٧ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٢٦ / ١٦٢٧ / ١٦٢٨ / ١٦٨٨ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٥٥ / ١٥٩ / ١٦٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٧ / ١٩ / ٢٠ / ٢١ .

(٢) غروس الدنيا : غرس فلان عندي نعمة أي: أثبتها ، وهو على المثل . المصدر السابق . ٥ / ٢٦ .

(٣) سقط في النسخة (ك) .

(٤) أبو عمر سالم الشاعر ، عرف بالخاسر؛ لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، يقال إنه مولى لأبي بكر الصديق ، وقيل بل مولى المهدي بن عمرو بن حماد ، قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة ، وكان على طريق غير مرضية من المجون والتظاهر بالخلاعة والفسوق ، مات في خلافة الرشيد وليس له وارث . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٣٥٠ / ٣٥١ .

(٥) أورد الجهشياري هذين البيتين في كتابه الوزراء والكتاب / ١٥٥ . كما أوردها ابن خلكان : وفيات الأعيان .

٢٠ / ٧ مع وجود اختلاف في النصف الأول من البيت الثاني كما يلي : نعم القرين على التقوى أعنت به .

وحج يعقوب بن داود في صحبة المهدي وأخذ منه أماناً للحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن^(١) وأحضره إياه فأحسن إليه المهدي ووصله بمالٍ كثيرٍ وأقطعَه [٥ أ] أرضاً من الصواري^(٢) بالحجاز وحمدَ الناسُ فعلَ يعقوبَ في ذلك، وأنفذ يعقوب بن داود الأمان إلى العمال في جميع الآفاق ؛ فلم يكن يُنفذُ شيءٌ من كتب المهدي حتى ترى كتاباً من يعقوب بن داود إلى أمينه بإنفاذه ، وغلب يعقوب بن داود على أمر المهدي كله ، واقتصر المهدي على ملاذِهِ^(٣) حتى قال بشار بن برد^(٤) :

بني أمية هُبُوا طَالَ نَوْمُكُمْ
ضَاعَتْ خِلافتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا
إِنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
خليفةَ اللهِ بين النايِ والعُودِ

(١) الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حبسه المنصور مع والده إبراهيم عند خروج إبراهيم على المنصور في البصرة ، ثم عفا عنه الرشيد بعد أخذ الأمان له من قبل يعقوب بن داود . . الطبري : الأمم والملوك / ١٦٠٩ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٥٥ / ١٥٩ .

(٢) الصواري : الأملاك التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٥٤ .

(٣) يتساءلُ الدارسُ - هنا - لماذا أُلصقت هذه التهمُ بسعي المهدي وراء ملذات الحياة ؟ فقد أشارت الكثير من المصادر أن المهدي كان مثلاً يُحتذى به ؛ لورعه وزهده ، فقد قال أبو عبيدة : ما رأيت قطُّ أكرمَ من المهدي ولا أسمح منه ، كان يصلي بنا الصلوات الخمس حين قدم البصرة بالجامع ، فأقيمت الصلاة ، فقال أعرابي : يا أمير المؤمنين ، لست على طهرٍ وقد رغبت في الصلاة خلفك ، فوقف ينتظره إلى أن أقبل ، كما أنه كان مُحبباً للخاصة والعامّة ؛ لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم ، والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وإنصاف المظلوم ، وبسط يده في العطاء فأذهب كل ما جمعه المنصور وهو ست مئة ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار ، فلو كان هناك جري من المهدي وراء ملذات الحياة لما أنفق هذه الأموال ، ولسعى لكسب المزيد من الأموال . الطبري . تاريخ الأمم والملوك / ١٦٣٣ / ١٦٣٤ / ١٦٣٥ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٢٢ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٧١ .

(٤) بشار بن برد بن جوح العقيلي ، أبو معاذ البصري الملقب بالرعاع ، وهو الذي في أذانه رعشات وهي القرط ؛ لأنه كان في أذنه وهو صغير قرط ، ولد على الرقِّ ؛ فهو من سبي المهلب بن أبي صفرة ، وقد اعتقتُ امرأةً عقيليةً فنسب إليها ، وكان أكمه ، ولد أعمى جاحظ العينين قد تغشاه لحم أحمر ، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء ، قال الشعر وعمره عشر سنوات ، وقد بلغ شعره الفائق نحواً من ثلاثة عشر ألف بيتٍ أثمهم بالزندقة وعاقبه المهدي عليها . مات سنة ١٦٧ هـ . الأصفهاني : الأغاني . ٣ / ١٢٧ / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٦ . الذهبي : سير أعلام النبلا . ٧ / ٢٤ / ٢٥ . الصفدي : الواجف بالوفيات . ١٠ / ٨٥ / ٨٦ / ٨٧ . وقد ذكر هذه الأبيات في الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٢٦ . مع وجود اختلاف في البيت الثاني :

ضاعت خلافتكم يا قوم فطلبوا خليفة الله بين الدف والعودي =

وكان يعقوب بن داود جواداً كريماً معطاءً ، وأتت إليه امرأة^(١) من اليمامة^(٢) قد كاتبت على نفسها وولدها وأهل بيتها على ألف دينار ، فلما مثلت بين يديه قالت^(٣) :

وباعث أحمدَ فينا رسولاً يعلمنا الحرامَ من الحلالِ
لشهرٍ نحوَ يعقوبَ سيرُنَا فأدِينَا إلى وقتِ الهلالِ
أعني يا فداكَ أبي وأمي وعمي لا أحاشيه وخالي
يبشرني بنجحي كلَّ طيرٍ جرت لي عن يمينٍ أو شمالٍ^(٤)

فقال لنا : صدقت طيرك ، وأعطاهَا ألف دينار ، وأمر لها أن يواي في مال كتابتها وأن تقدم عليه بأهلها ، ففعلت ذلك فأجرى عليها وعليهم الرزق ، وما زالت في عياله إلى أن مات ، وذكر المفضل العمري^(٥) : أن المهدي حج في بعض السنين ، فمر بميل^(٦) وعليه كتاب فوقف فقراه ، فإذا هو^(٧) :

للهِ دركُ يا مهديُّ من رجلٍ لولا اتخاذك يعقوبَ بن داودِ
ماذا الذي يا أميرَ المؤمنينَ بهِ بقيت أو ما الذي يبقى من الجودِ

= كما ذكرت هذه الأبيات عند الجهشياري : في كتابه الوزراء / ١٤٩ ، مع وجد اختلاف في الشطر من البيت الثاني :

ضاعت خلافتكم يا قوم فطلبوا خليفة الله بين الرزق والعودي

(١) المرأة : وتلك المرأة هي وحشية . البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ / ٢٦٢ .

(٢) اليمامة : وهو بلد كبير معدودة من نجد ، وقاعدتها حجر ، فيه قرى وحصون وعيون ، وكان اسمها أولاً جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم ، وكانت منازل طسم وجديس . ياقوت : معجم البلدان . ٥ / ٤٤١ / ٤٤٢ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٣ / ١٤٨٣ .

(٣) ورد ذكر هذه الأبيات عند الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ / ٢٦٢ / ٢٦٣ ، وقد زاد عليها في مقدمتها هذا البيت :

ومعلم التوراة موسى ومرسي البيت في حرم الإلا

(٤) كما أن هناك اختلاف في الشطر الثاني من البيت الرابع على النحو التالي : (جرت لي عن يميني أو شمالي) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ / ٢٦٣ .

(٥) المفضل العمري : لم أعثر له على ترجمة .

(٦) ميل : الميل منار يُبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرفها . ابن منظور : لسان العرب . ١١٧ / ٦ .

(٧) وقد ورد البيت الأول فقط دون ذكر البيت الثاني . عند الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٥٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٧ / ٢٢ .

فقال لبعض من كان معه : اكتب تحته على رغم أنف الكاتب لهذا، وتعمساً لجده " (١) ، ثم كان يعقوب بن داود وقد ضجر بموضعه فكان يقول للمهدي: والله يا أمير المؤمنين لشربة خمرٍ أشربها أتوبُ [إلى] (٢) الله منها أحبُّ إليَّ ممَّا أنا فيه ، وإنِّي لأركب إليك وأتمنى يداً خاطئةً تصيبُنِي في طريقي فاعفني وولِّ من شئتَ فليست دنياك بعوضٍ إليَّ من آخرتي.

فيقول له : اللهم غفراً ! اللهم أصلح له ، قلبه ثم آل أمره معه إلى ما آل ، ولما وقع به المهدي [٥ ب] دخل عليه وقال له : يا يعقوب . قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب يفضبك ، فقال له : ألم أرفع من ذكرك وأنت حامل ، وأعلي من قدرك وأنت غافل ، وألبسك من نعم الله ما لم أجد لك بحمله يدين من الشكر؟! فكيف رأيت الله أظهر عليك (٣) ، ورد كيدك إليك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن كان بعلمك فتصديق معترف ومذنب ، وإن كان بما كسبته نمائم الباغين وأقوال الحاسدين فعائد بفضلك ؛ فقال : والله لألبسَنَّك من الموت قميصاً لا يخلُق (٤) الدهر جدته ، يا غلام المطبق (٥) ، فولى وهو يقول : المودة رحم ، والوفاء كرم ، وأنت بها جدير .

(١) ورد ذكر هذا الخبر عند الجهشياري : المصدر السابق . وابن خلكان : المصدر السابق .

(٢) إلى : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) أظهر عليك : الظهور الظفرُ بالشيء والاطلاع عليه . المصدر السابق . ٢٣٤ / ٤ .

(٤) خلُق : خلُق الثوب ، خلُوقه أي : بال . المصدر السابق . ٣٠٥ / ٢ .

(٥) المطبق : وهو اسم لسجون بني العباس في بغداد . ابن سعد : الطبقات الكبرى القسم المتتم . ٣٦٧ / . اليعقوبي :

تاريخ اليعقوبي . ٤٥٩ / ٢ .

وليعقوب بن داود شعر فمنه ما قاله وهو مقيم بمكة بعد إخراج
الرشيد^(١) له^(٢):

طلق الدنيا ثلاثا واطلب زوجاً سواها
إنها زوجةٌ سوءٍ لا تبالي من أتاها

(١) أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد بالري سنة ١٤٨هـ ، أمه الخيزران ، بويع له بالخلافة عام ١٧٠هـ . كان أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، كان كثير الحج ، كثير الصلاة ، كثير الزكاة ، وكانت خلافته في غاية العظمة والفخامة ، توفي بطوس سنة ١٩٣هـ .
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٠٧ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٧٠٦ / ١٧٠٧ / ١٧٠٨ / ١٧٠٩ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٧٥ .

(٢) وردت هذه الأبيات عند الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١١٤٠ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٢ .

الفيض بن أبي صالح (١)

وزير المهدي وقال الكندي (٢) : سمعت يحيى بن خالد (٣) يقول : كان الفيض بن أبي صالح يعلم الناس الكرم ، وكان يحيى يهضم نفسه إذا ذكر الفيض بن أبي صالح ، ويقول : كيف لو رأيتم الفيض بن أبي صالح ؟ قلت : كان يعلم بكرمه الخواطر المنى ، ويحقر بنعمه مواهب الغنى ، آية متلوة وغاية مرجوة ، لا يكسب المال إلا لينفقه ، ولا يجمعه إلا ليفرقه ، ولا يستجد الثوب إلا ليهبه لا ليخلقه ، لا يشكر عليه نعمه وإن جلت ، ولا يمتلىء له سماء خزائن إلا ألقنت ما فيها وتخلت ، كرماً خلق له طباعاً ، وجوداً بدعة ببیت يطوي حشاه جوعاً والناس شباعاً .

(١) الفيض بن أبي صالح ، واسم أبي صالح شيرويه ، كان والده نصرانياً ، أستوزره المهدي بعد يعقوب بن داود وكان من غلمان عبد الله بن المقفع ، عرف بالسخاء ، كان يقال عنه إنه يعلم الناس الكرم ، كثير الأفضال ، واسع الحال ، وكان متكبراً متجبراً مترفعاً كثير التيه. توفى سنة ١٧٣هـ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٦ / ٧ . ابن الطقطقي : الفخري . / ١٥٠ / ١٥١ . الصفدي : الواجف بالوفيات . ٢٤ / ٧٦ / ٧٧ .

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف ، من أمراء بني كندة ، ولد في البصرة ثم سكن بغداد ، وكان فيها من المكرمين لدى الخلفاء من المأمون إلى المتوكل ، واشتغل الكندي بترجمة الكتب اليونانية إلى العربية وبتأليف كتب في الفلسفة والرياضيات والطب والموسيقى ، عدد مؤلفاته ٢٦٥ كتاب ورسالة وأكثرها ضائع ؛ فهو أوجد عصره في الترجمة وفنون الأدب . توفى سنة ٢٤٦هـ . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٤ . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ٥١٩ . أدورد فندك : اكتفاء القنوع / ١٨٢ .

(٣) يحيى بن خالد بن برمك الوزير ، والده خالد كان قد ولي وزارة السفاح ، أوكل المهدي إلى يحيى بن خالد تربية هارون الرشيد فأحسن سياسته وأدبه ، فلما استخلف استوزره ورفع مكانه حتى أنه كان يدعوه أباً ، توفى يحيى في سجن الرشيد بالرقعة بعد نكبة البرامكة سنة ١٩٠هـ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٤٨ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٧٣ / ٧٥ / ٨٣ / ٨٤ . ابن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية / ١٥٩ / ١٦٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٩٠ / ٨٩ / ٩٠ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١ / ٣٣٧ .

وفيه يقول أبو الأسدي التميمي^(١):

ولا تمة لامتك يا فيض في الندى فقلت لها لم يقدر اللوم في البحر
أرادوا ليشنوا الفيض عن عادة الندي ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر [٦ أ]
كان وفود الفيض حين تحمّلوا إلى الفيض أوفوا عنده ليلة القدر

وحكي أن الفيض بن صالح وأحمد بن الجنيد^(٢) وجماعة من الكتاب والعمال خرجوا من دار الخليفة ، فتقدم الفيض وتلاه أحمد بن الجنيد ، فنضحت دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد من الوحل ، فقال أحمد للفيض : هذه والله دابة بغيضة ولا أدري بأي حق وجب لك التقدم علينا ، فلم يجبه الفيض عن ذلك بشيء .
ووجه إليه عند مسيره إلى منزله بمئة تخت^(٣) ، في كل تخت قميص وسراويل ودراعة^(٤) ومبطنة^(٥) وطيلسان^(٦) .

-
- (١) نباتة بن عبد الله بن الحماني ، شاعر متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية ، من أهل دينور ، كان مليح النوادر مزاحاً ، خبيث الهجاء ، كان صديق لعلوية المغني الأعسر . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٤ .
الأصبهاني : الأغاني . ١٤ / ١٣٠ . أورد الجهشياري هذه الأبيات مع وجود اختلاف في البيت الثاني الشطر الأول : (أردت لتثني الفيض عن عادة الندي) الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٤ .
- (٢) أحمد بن الجنيد الإسكافي الفقيه ، كان أخص الناس بجعفر بن يحيى البرمكي ، وكان الناس يقصدونه في حوائجهم إلى جعفر . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٧ / ١٥٣ / ١٥٤ . ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ١٤١ . الكندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك . ١ / ٣٦٣ .
- (٣) تخت : التخت وعاء تصان فيه الثياب . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٢٩٦ .
- (٤) الدراعة : وهي جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من الصوف . محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . ٧٤ / .
- (٥) مبطنة : مبطن أي أبيض البطن والظهر كالثوب المبطن ولون سائره ما كان . ابن منظور : لسان العرب ١ / ٢٢١ .
- (٦) طيلسان : ضرب من الأكسية أسود اللون . المصدر السابق . ٤ / ١٨٧ / ٢١٧ .

وعمامة وشاشية^(١)، وقال لرسوله : أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا ، نوجه به إليك عوضاً بما أفسدناه من ثيابك .

وحُكي أن [علي بن] ^(٢) داود ^(٣) كاتب زبيدة ^(٤) حبس وكيلاً لها على مئتي ألف درهم تأخرت لها عنده ، فكتب الوكيل إلى صديقين له يسألهما في الحديث له ، فركبا إلى كاتب زبيدة بسببه فلقيا الفيض بن أبي صالح مصادفةً في الطريق فسألهما : إلى أين راكبان ؟ فحدثاه بحديث الرجل ؛ فسار معهما وهو لا يعرف ذلك الرجل حتى أتى كاتب زبيدة فحدثوه ، فكتب إليها بخبرهم ، فبعثت تقول : إنه لا سبيل إلى إطلاقه إلا أداء المال ، فاعتذر إليهم فقام الرجلان لينصرفا ، فقال لهما الفيض : ويحكما من رجلين كأننا ما جننا לנוكد حبس الرجل ! لا والله ، ولكن نؤدي عنه المال ، ثم أخذ الدواة ، وكتب إلى وكيله بالمال ، وودع الرقعة إلى كاتب زبيدة ، ثم قال له : ها قد أعطيناك المال فسلم إلينا صاحبنا ، فكتب إلى زبيدة بالخبر فبعثت تقول : أنا أولى بهذه المكرمة من الفيض ، فاردد ما كان منه ، فما برح حتى أخذ الرجل ثم دفع إليه المال ، وقال شيء خرجتُ لك عنه لا أعود فيه .

(١) شاشية . نوع من اللباس الذي يلبس على الرأس . ابن بطوطة : تحفة الناظر في غرائب الأمصار . ١ / ١١٠ .

(٢) علي بن : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) كاتب زبيدة بنت جعفر ، وكان أحد البلغاء ، ويسلك في تصنيفاته طريق سهل بن هارون ، وله كتب : كتاب الجرهمية ، توكيل النعم ، كتاب الحرة والأمة ، وكتاب الظرف . ابن النديم : الفهرست / ١٥٢ .

(٤) زبيدة بنت جعفر المنصور الهاشمية العباسية ، أم جعفر ، زوجة هارون الرشيد وبنت عمه ، من فضليات النساء وشهيراتهن ، وهي أم الأمين العباسي اسمها " أمة العزيز " ، وغلب عليها لقبها زبيدة ، قيل : كان جدها المنصور يراقصها في طفولتها ، ويقول : يازبيدة ! فغلب ذلك على اسمها وإليها تنسب عين زبيدة في مكة ، جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة وأقامت لها الأقنية حتى بلغت مكة ، تزوجها الرشيد سنة ١٦٥ هـ ، ولما مات وقتل ابنها الأمين ، اضطهدوا رجال المأمون ، فكتبت إليه تشكو حالها ، فعطف عليها وجعل لها قصرًا في دار الخلافة ، توفيت ببغداد سنة ٢١٦ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤ / ٤٣٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٣١٤ / ٣١٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٢١٣ / ٢١٤ .

ومنهم عمر بن بزيع^(١)

وكان من كتاب الهادي^(٢) ، وكان صاحب فكر غواصٍ وفهمٍ قناصٍ ، وأدبٍ [٦ ب] محاضرٍ ، وجوابٍ حاضر . حكى مخارق^(٣) أنه كان مع الهادي يوماً وهو يتصيد فرمى فأصاب سبعة أطلاق ، ثم رمى الثامن فأصاب الصيد وانقطع الوتر ، فاغتم لذلك وتطير منه وضجر ، فنزل عمرو بن بزيع فوقف بين يديه ، ثم قبل الأرض وحمد الله فقال الهادي : أي موضع حمدٍ هذا؟ فقال له : الحمد لله على أن كانت العين بالقوس ، ولم تكن بك يا أمير المؤمنين فسُرَّ عنه^(٤) ، واستحسن ابن بزيع ووصله بجملة من المال ، وكتب إلى صديق إليه يوصيه : كل مالك قبل [أن تؤكل به]^(٥) وإياك وسرعة المبادرة ، وبطء الفكر ، فذاك يورطك ، وذاك يؤذيك فيه زيادة الحذر إلى ما يسخطك والسلام.

-
- (١) ربيع : والصحيح ما أثبتناه . كما في النسخة (م) و (ك) . وهو عمر بن بزيع : ولاء المهدي ديوان الأزمة حين وضع ذلك الديوان ، وفي عهد موسى الهادي ولي عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل . الطبري . تاريخ الأمم والملوك / ١٦٢٠ . المسعودي . مروج الذهب . ٣ / ٣٣٦ . ابن حجر . لسان الميزان . ٤ / ٢٨٦ .
- (٢) موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أبو محمد ، ولد في الري سنة ١٤٧هـ ، أمه الخيزران ، جعله أبوه ولياً للعهد ، فلما توفى أبوه انعقد الاتفاق على خلافته ، وكان بجرجان فأخذ له البيعة أخوه هارون الرشيد سنة ١٦٩هـ ، كان يلعب ولا يقيم للخلافة أبهتها ، كان فصيحاً قادراً على الكلام أديباً ، له سطوة وشهامة ، توفى بعيساباذ سنة ١٧٠هـ . ابن قتيبة : المعارف / ٣٨٠ / ٣٨١ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٣٨ / ١٦٣٩ / ١٦٤٦ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٣٤ / ٣٣٥ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٧٣ / ٧٤ .
- (٣) أبو المهنا بن يحيى الجزار ، كان أمام عصره في فن الغناء ، وكان يحضر مجلس الرشيد ، توفى بمدينة سر من رأى في سنة ٢٣٢هـ . الأصفهاني : الأغاني . ١٨ / ٣٤٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٢٦٠ .
- (٤) ورد هذا الخبر عند الجهشياري . الوزراء والكتاب / ١٧٣ .
- (٥) أن تؤكل به : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

ومنهم البرامكة^(١)

وكانوا - رحمهم الله - البحور الزواجر ، والغيوث السواكب ، والحباب^(٢) المخصب ، والربيع الممرع^(٣) ، والجبال الشواحق ، والنجوم اللوامع ، والبدور الكوامل ، وكانوا أمة كرم ، وملة فضل ، وكعبة^(٤) جود ، وقبلة أمل ، ومحلّ قصد ، ومحطّ وفد ، وصفا صفاء ، ومروءة مروءة ، وركن لا ئذ ، ومقام عائذ ، لم يقدمهم مثلهم ، ولا جاء بعدهم من أشبههم ، ولا أظن أن الدهر بقي يلد مثلهم ، ولا الأيام تظفر بنظيرهم .

وقد قال ابن سعيد^(٥) وهو المتعصب للمغاربة : فأما إذا افتخر أهل المشرق والبرامكة مددنا لهم الأعناق خضوعاً ، وأغضينا العيون حياءً ، وسلمنا إليهم وقلنا هذا ما لا يرفع . قلت : ولم يكن منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا خفيّاً ولا سميراً ، إلا وهو يتسامى إلى الغايات ، ولا يقنع إلا بالنهايات ؛ حتى قيل فيهم :

إذا ما البرمكيّ أنافَ عشرًا فهمتهُ وزيراً أو أميراً

-
- (١) البرامكة : تنسب هذه الأسرة إلى جدها برمك ، وهو من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار ، وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران ، فكان برمك وبنوه سدنة له ، وكان برمك عظيم المقدار عندهم ، ولم يعلم هل أسلم أم لا ؟ ولما جاءت الدعوة العباسية خراسان كان خالد بن برمك من أكبر دعائها وزعمائهم ، ثم نكب الرشيد البرامكة لأسباب منها استيلاؤهم على الدولة وتغلبهم على أمورها سنة ١٨٧هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٧٣٢ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٧٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦ / ٢١٩ .
- (٢) الحبابُ : قطرات الماء . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٨ .
- (٣) الممرع : الخصيب . المصدر السابق . ٦ / ٤٤ .
- (٤) كعبة : كل شيء علا وارتفع فهو كعب . المصدر السابق . ٥ / ٤١٢ .
- (٥) علي بن سعيد المغربي ، الأديب نور الدين ، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر ، ورد من الغرب وجال في الدير المصرية والعراق والشام ، جمع وصنف ونظم ، وهو صاحب كتاب المغرب في أخبار المغرب ، المشرق في أخبار المشرق ، كان مشغولاً بجمع المحاسن مولعاً بأخبار الرسوم البرمكية ، توفي بدمشق سنة ٦٧٣هـ الكتبي : فوات الوفيات . ٢ / ١٥٣ . الصفيدي : الوافي بالوفيات . ١ / ١٤٣ .

وكانوا يتنافسون في الصنائع ، ويتهافتون على المعروف، ويتقاسمون على الغفأة^(١) [١٧ أ] ويتساهمون على الوفود ، ويتسابقون الأمل ، ويبادرون السؤال ، ويواثبون^(٢) البحر ويطاولون السحاب ، لا يغيض لهم ندى ، ولا يجف لهم جود ، ولا يذوي لهم معروف ، ولا يهوي لهم معلّم ، ولا يبلى لهم ثوب صنيع ، اغتتموا للناس هبوب ريحهم ، وانتهزوا لهم فرصة إمكانهم ، وتتبعوا بمعروفهم خلل الإخوان وداووا بوجودهم سقم الزمان ، لا يقنعون لمن أملمهم بالقليل ، ولا يرضون له باليسير ، يبسطون أيديهم بالعطاء ، ويتوسطون له إلى الخلفاء .

وحكي : أن بعض الوزراء رأى في يد جليس له كتاباً فيه أخبار البرامكة ، فقال له : اقرأ علي ما في هذا الكتاب ! فقال له : أخبار البرامكة فقرأ شيئاً من مكارمهم ، فقال له الوزير : هذا مما كذبه الوراقون^(٣) ، فقال له الرجل : فهل لا كذبوا عليكم ؟ فخجل الوزير واستحيا ، ولم يكن منهم إلا من يجمع المكارم ، ويدب له البرق خجلاً في وجوه الغمام ، وكانوا كما قال فيهم ابن منذر^(٤) :

أتانا بنوا الأملاك من آل برمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ويا حسنَ منظرٍ

(١) الغفأة : وهي غفا من النوم والنعاس ، ويقصد بهم أولئك الغفاة الذين لاحول لهم ولاقوة بين الضعفاء والمساكين . ابن منظور : لسان العرب . ١٣٠ / ١٥ .

(٢) يواثبون : الوثبُ الطفرُ . المصدر السابق . ٣٩٧ / ٦ .

(٣) الوراقون : الوراق هو المشتغل بصناعة الورق والكتب وبيعها ، وكان عمله مرتبطاً بالنسخ والتصحيح والتجليد ، وسائر أمور الكتابة . ابن النديم : الفهرست . ١٨ / ١٧ . القلقشندي : صبح الأعشى . ٥١٦ / ٢ .
الباشا : الفنون الإسلامية . ١٣٢١ / ٣ .

(٤) محمد بن منذر مولى بني صبير بن يربوع بن حنظلة ، أبو جعفر وقيل أبو عبدالله وقيل أبو ذريح ، شاعر من أهل البصرة ، كان في أول أمره ناسكاً يتأله ثم ترك ذلك ، يروي عنه ابن عيينة ، روى عنه الحجازيون ، كان ماجناً مظهرًا للمجون ، وكان يرسل العقارب إلى المسجد الحرام حتى تسع الناس ، وكان يصب المداد في المواضع التي يتوضؤون منها حتى يسود وجوه الناس ، توفي سنة ١٩٨ هـ . البستي : المجروحين . ٢٧١ / ٢ . ابن الجوزي : الضعفاء والمتروكين . ١٠١ / ٣ . ياقوت : معجم الأدباء . ٤٤٧ / ٥ .

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت^(١) بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى بمكة ما عشنا^(٢) ثلاثة أقمري
فما خلقت إلا لجود أكفهم وأرجلهم^(٣) إلا لأعواد منبر

^(٤) ومهما قيل في وصفهم فهو أكثر منه ، ومن ذا يعدُّ الرمل ، ويحصر الحصى ،
وبذكرهم يتصوغ الند في كل محفل ، وتتطر الأندية في المشرق والمغرب وما محاسن

(١) زاد ابن خلكان : في وفيات الأعيان :

لهم رحلة في كل عام إلى العدا وأخرى إلى البيت العتيق المطهر . ٢٢٤ / ٦ .

(٢) رواية هذا الشطر في المصدر السابق : بمكة ما حجوا ثلاثة أقمري .

(٣) رواية هذا الشطر في المصدر السابق : وأقدامهم إلا لأعواد منبر .

(٤) زاد ابن خلكان في كتابة وفيات الأعيان هذه الأبيات .

إذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه فناهيك من راع له ومدبر
ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرانيق ماء باز مصرصر . ٢٢٤ / ٦ .

(١) يبدو لنا من هذا الوصف العظيم الذي أعطاه العمري للبرامكة أنه من الشيعة، ولكن وبعد التعرف على حياته وسيرته نجد أنه لم يكن كذلك، بل كان من أهل السنة. ويتساءل الدارس هنا؛ ما الأسباب التي دفعت العمري وغيره من علماء أهل السنة للمغالاة في وصف البرامكة؟ من الواضح أن العمري عاش في فترة متأخرة، بعد سقوط الدولة العباسية، وفقدان الكثير من المصادر التاريخية التي تسبب الغزو المغولي في إتلافها، فلم يدقق في الحقيقة التي دفعت البرامكة للقيام بمثل تلك الأعمال، كما أن العمري تأثر بمن سبقه، فلم يدقق في حقيقة الأمر بل سلك نفس الطريق، واعتمد على من سبقوه في هذا وأشاد بالبرامكة، فقد وجدناه في بعض الأحيان ينقل حرفياً من المصادر السابقة دون تدقيق أو تمحيص للمعلومة، وهذا يعني أنه لم يدقق في كثير من الحقائق التاريخية. وإذا نظرنا إلى ما قام به البرامكة من أعمال في الفترة التي تسلطوا فيها على مقاليد الأمور في عهد خلفاء بني العباسي المهدي والهادي والرشيدي، والتي استمرت لما يقرب من سبعة عشر عاماً، نجد أن همهم الوحيد هو غرس محبتهم في النفوس، متظاهرين بالكرم، ومحبة الآخرين، ومساعدة المحتاجين وغير ذلك من الأعمال، متكتمين على الهدف الأساسي من وراء تلك الأعمال؛ فقد كان هدفهم الأول هو تقريب الفرس في الإدارة إلى حد كبير، متجاهلين بذلك كل الضوابط؛ فقد قرب يحيى البرمكي بني سهل وهم مجوس آئذ، وقد ذكر أبو العلاء أنه سمع الفضل بن سهل يقول: قال يحيى بن خالد: " في كل أربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة، وأنت منهم ". وكأنه بهذا يمهّد للفضل بن سهل ليكون خليفته في الوزارة، وربما أمل منه أكثر من ذلك حيث أصبح من الواضح لنا الآن أن أعمال البرامكة تلك لم تكن حباً في أعمال الخير التي حث عليها ديننا الإسلامي الحنيف، بل كان الهدف منها إقصاء العرب، وإظهار الفرس، فهم يمهّدون لإحياء التراث والثقافة الفارسية؛ وكانوا من دعاة الشعوبية الساعين لإحياء أمجاد الفرس القديمة. والبرامكة بموقفهم هذا هددوا فكرة التماسك والتعاون بين الفرس والعرب، وهم بذلك اعتبروا أنفسهم حملة التراث الحضاري الفارسي، ورسّل الثقافة الفارسية. وهم بكثرة العطاء للكتاب وغيرهم ضمنوا بذلك مساندة الكتاب لهم والإشادة بهم، كما أنهم حاولوا بالبذل والعطاء تنشيط حركة الترجمة من الفهلوية إلى العربية، فهم بذلك العطاء أسروا قلوب الكتاب وقلوب العامة وجعلت الناس يجتهدون في مدحهم، والثناء عليهم. كما حاولوا تلميح الأسرة العباسية في قصة تافهة نسجوها حول العباسية، وقد انتبه الرشيد لدور البرامكة فتخلص منهم، وكان ذلك صدمة حادة للطموح الفارسي، لاتزال آثارها قوية في الآثار الأدبية والتاريخية، وفي تمجيد الكتاب للبرامكة، وفي مهاجمة الرشيد. الجهشيارى: الوزراء والكتاب / ٢٣٢. الدوري: الجذور التاريخية للشعبوية / ٣٧/٣٨.

فمنهم خالد بن برمك^(١)

وهو أساس هذا البيت ، ومعدن هذا الذهب ، وبحر هذه الدرر ، ومطلع هذه الأنجم ، ومنبع هذه الأسهم ، وكلهم حذوا حذوه ، ونحوا نحوه ، وأشبهوا منه أباهم فما ظلموا ، وعملوا منه بما علموا ، وهو ممن تقدمت له رئاسة [٧ ب] في زمان بني مروان ، ويقال : إنه ولي على زمان عبد الملك شيئاً من أمور الديوان ، ثم كان له في الشيعة الهاشمية^(٢) مكان منيف^(٣) ، وكان له على عهد السفاح سعد مقبل ، وكان ثمامة^(٤) يقول : كان أصحابنا يقولون لم يكن ترى عين بجليس خالد داراً إلا وخالد بناها له ولا ضيعة ، إلا وخالد ابتاعها له ، ولا ولداً إلا وخالد ابتاع له أمه إن كانت أمه ، ولا حرة إلا وخالد مهرها عنه ، ولا دابة إلا وخالد حمله عليها أو من نتاج دابة حمله عليها ، وكان

(١) وزير أبي العباس السفاح بعد أبي سلمة الخلال ، وبعد وفاة السفاح وزر للمنصور ما يقرب من سنتين ثم عزل ، كان يختلف إلى محمد بن علي الإمام ، ثم إلى إبراهيم بن محمد بعده ، وكان يتهم بدين المجوسية ، عقد على إمرة فارس ، وقيل إن الدفاتر في الدواوين كانت صحفاً مدرجة ، فأول من جعلها دفاتر جلود وقراطيس خالد بن برمك ، ويقال إن أحد من ولده ما بلغ مبلغه ، توفي سنة ١٦٥ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١١٤٠ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ٨٩ . ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق . ١٦ / ٨ / ٧ / ٦ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء / ٦٨ . ابن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية / ١٢٤ / ١٢٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٤٩ / ٣ .

(٢) الشيعة الهاشمية : هكذا في جميع النسخ .

(٣) مُنِيفٌ : أي عال مشرف . ابن منظور : لسان العرب . ٦ / ٢٧٩ .

(٤) ثمامة بن أشرس العلامة أبو معن النميري البصري المتكلم من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، كان طريفاً صاحب ملح ، اتصل بالرشيد ثم بالمأمون ، له أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ ، قتله ناس من خزاعة بين الصفا والمروة من أجل بدعه ومجونه سنة ٢١٣ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٧ / ١٤٥ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٠ / ٢٥٤ / ٢٥٥ / ٢٥٦ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٠ / ٢٠٣ / ٢٠٤ . ابن حجر : لسان الميزان . ٢ / ٨٣ .

أبو حنّش النميري^(١) عند خالد بن برمك في يوم نيروز^(٢)، وهو على فارس وقد جاءت هدايا فيها جامات^(٣) ذهب وفضة، فأنشده^(٤) :

ليت شعري أما لنا فيك حظُّ
يا هدايا الأمير في النيروزِ
ما على خالد بن برمك في
الجودِ نوالٌ ينيلهُ بعزيرِ
ليت لي جامَ فضةٍ من هداياه
سوى ما به الأمير مجيزِ
إنما ابتغيه للعسلِ الممزوجِ
بالماءِ أو لشربِ العجوزِ
فأمر له بما كان بين يديه من جامات الفضة فبلغت أربع مئة ألف درهم.

(١) أبو حنّش النميري : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) النيروز : وهو تعريب نوروز، ويقال إن أول من أتخذه جم شاد أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس، ومعنى شاد الشعاع والضياء، وإن سبب اتخادهم لهذا اليوم عيد أن الدين كان قد فسد فلما ملك جدده وأظهره، فسمي اليوم الذي ملك فيه : نوروز أي اليوم الجديد . القلقشندي : صبح الأعشى . ٢ / ٤٤٥ / ٤٤٦ .

(٣) جامات : الجأء إناء من الفضة . ابن منظور: لسان العرب . ١ / ٤٩١ .

(٤) وردت الأبيات الثلاثة الأولى عند ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الأداب السلطانية / ١٢٥ .

[ومنهم يحيى بن خالد بن برمك]

وهو علمهم والفرد ، وأسدهم الورد وفردهم^(١) [الذي لا يقدر له في السرد، وواحدهم القائم مقام الكل ولا فرد أكثر من مناقبه بما كثر، وحصلوا من فرصة على ما انتهز، أثل المجد وبناه، وأثر الحمد ، كأن كل ناطق إنما عناه ، ذو الحلم إلا] أنه الذي يجنح، ورب العلم إلا أنه الذي لا يبرح^(٢) ، وأخو الذكاء^(٣) [إلا أنه الذي في زناده لا يقدر^(٤)، نطق بالحكمة في مقاله ، ونعق غراب البين في ماله ، وكرم شمائل ، وعظم أثراً ما تعلق^(٥) نجاد أسفه بحمائيل.

وكان قد استوزره المهدي لابنه هارون الرشيد ، فكان يقوم بأمره ، فلما صارت الخلافة إلى الهادي ، أراد خلع أخيه الرشيد والعهد إلى ابنه جعفر^(٦) فدعا يحيى ، فلما وصل إليه أكرمه ورفق به وقال له : أنت الذي يقول فيك القائل^(٧) :

لو يمسُّ البخيلُ راحةً يحيى لسختُ كفهُ ببذلِ النوالِ
لستُ يحيى مصافحاً حين ألقى إنني إن فعلتُ أتلفتُ مالي [٨ أ]

(١) سقط في النسخة (أ) والنسخة (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) يرح: أراح الرجل استراح ورجعت إليه نفسه بعد الإعياء . ابن منظور . لسان العرب . ٣ / ١٤٢ .

(٣) سقط في النسخة (ك) .

(٤) يقدر : قدح في عرض أخيه يقدر قدحاً ، أي : عابه . المصدر السابق . ٥ / ٢٠٦ .

(٥) لامعلق : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) جعفر : وهو جعفر بن موسى الهادي ، ولده أبوه العهد وله سبع سنين أو نحوها ، وخلع بذلك البيعة للرشيد ، وتابعه على ذلك القواد منهم يزيد بن مزيد الشيباني وعبد الله بن مالك وغيرهم ، وكان ذلك سنة ١٧٠ هـ . الطبري . تاريخ الأمم والملوك / ١٦٤٦ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٦٩ / ١٧٠ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب / ٢٣ .

(٧) ورد ذكر البيت الأول عند الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٤٧ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٧٠ . ولم يرد ذكر البيت الثاني .

فقال له : تلك راحتك يا أمير المؤمنين ، وقبل يده ورجله فأمر له بإقطاع بمصر ووجه له بعشرين ألف دينار ، ثم ناظره في خلع هارون ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن حملت الناس على نكث الإيمان هانت عليهم أيماهم وحرابهم على حل العقود التي تعقد عليهم ، ولو تركت الأمر على بيعة أخيك بحاله وبويع بحضرته من بعده لكان أوكد لبيعته ، فقال له : صدقت ونصحت وأنا أنظر في هذا ، ثم صرفه ، ثم لم تطب نفسه ودعى يحيى فحبسه فتلطف لأن يدعو به ويخليه ففعل به ذلك . فلما خلا به قال : يا أمير المؤمنين ، رأيت إن كان ما ندعوك بالله منه قبل بلوغ جعفر وقد خلعت هارون تتم الخلافة لمن لم يبلغ الحلم ؟ قال : لا ، قال : فدع هارون حتى نبايعه عفواً ، فالله الله يا أمير المؤمنين فإنك إن فعلت هذا وجدت ما نعوذ بالله منه وثب على هذا الأمر أكابر أهلك وخرج الأمر عن ولد أبيك ، ووالله لو لم يكتب المهدي عقداً لهارون لوجب أن يعقد له ليكون الأمر في بني أبيك ، فسكن^(١) منه بهذا الأمر وأطلقه .

وحكي أن خالد [بن]^(٢) برمك لما انصرف من فارس قصد باب المهدي ومعه ابنه يحيى ، والحاجب آنذاك معاذ بن مسلم^(٣) ، فسلم خالد على معاذ فصافحه ثم مد يحيى يده إليه ليصافحه فقبض معاذ يده ، فقال له خالد : لم قبضت يدك يا أبا الحسن عن ابن أخيك ، فقال : أكره أن يتلف مالي ، أليس قال له أبو حبيش ؟ :

لست يحيى مصافحاً حين ألقى

البيت المقدم فذكره .

(١) فسكن : السكُنُ كل ما سكنت إليه واطمأنتت به . ابن منظور : لسان العرب . ٣١١/٣ .

(٢) ابن : ساقطة في النسخة (أ) والنسخة (م) والتصحيح من النسخة (ك) .

(٣) معاذ بن مسلم الهراء الكوفي ، من أعيان النحاة مولى محمد بن أحمد القرظي ، أخذ عنه الكسائي وغيره ، روى الحديث عن جعفر بن محمد الصادق ، وكان يبيع الثياب الهروية ؛ ولذلك قيل له الهراء ، مات أولاده وأولاد أولاده أجمعون ، وعاش بعدهم فترة من الزمن حتى بلغ عمره مئة عام توفي سنة ١٨٩ هـ . ابن خلكان : . وفيات الأعيان . ٥ / ٢١٨ / ٢١٩ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٨ / ٤٨٢ . الفيروز أبادي : البلغة . ٢٢٢ .

ولما صار الأمر إلى الرشيد كانت الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد مع الوزارة خلا ديوان الخاتم^(١)؛ فانه كان إلى العباس الطوسي^(٢)، ثم ولاه جعفر بن محمد بن الأشعث^(٣)، ثم دفع الخاتم إلى يحيى بن خالد فقلده الفضل ابنه، ثم أحب الرشيد تقليد جعفر بن يحيى^(٤) الخاتم فقال ليحيى: إنني أريد أن أوقع بها توقيعاً لا تجري مجرى العزل للفضل، فكتب عنه يحيى أن أمير المؤمنين رأى أن ينقل خاتم الخلافة من يمينك إلى شمالك، وكان الرسم في الكتب الذي تنفذ من ديوان [٨ ب] الخراج^(٥) أن تكون باسم الخليفة، فلما ولي يحيى بن خالد صارت باسمه

(١) ديوان الخاتم: أوجد هذا الديوان لمنع وقوع خطأ أو تزوير في الكتب المهمة التي كانت تصدر عن الخليفة، والتي كانت تحتاج إلى أن تختم بختم الخليفة؛ وذلك لأنه كان لهذا الختم من الأهمية ما ليس لغيره، وكان معاوية بن أبي سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم سنة ستين من الهجرة، ومن المرجح إن هذا النظام اقتبس من الفرس. عبد البر: الاستيعاب. ٣ / ٤٢٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ / ٤٩٩. السامرائي: المؤسسات الإدارية / ٢٨٤ / ٢٨٥.

(٢) أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي كان مقرباً من بني العباس، ولاه المهدي على خراسان في سنة ١٦٥هـ واستمر حتى مات المهدي، فأقره موسى الهادي حتى مات، واستمر كذلك حتى عزله الرشيد عن خراسان. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط. ١ / ٤٤٦ / ٤٤١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك / ١٦٥٧.

(٣) جعفر بن محمد الأشعث بن عقبة بن أهبان بن قيس، ولاه الرشيد على خراسان بعد أن عزل أبا العباس الطوسي، ثم عزله عنها سنة ١٧٣هـ. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط. ١ / ٤٦٢. ابن الجوزي: المنتظم ٨ / ٣٤٥. ابن حجر: الإصابة. ١ / ١٤١.

(٤) أبو الفضل جعفر بن يحيى بن برمك، وزير هارون الرشيد، كان من علو القدر ونفاذ الأمر عند الرشيد بحالة انفرد بها، وكان من الأوائل المشهورين، تفقه على القاضي أبي يوسف، فلأجل ذلك كانت توقيعاته على منهج الفقه، ولاه الرشيد الشام، واستوزره، ثم تغير عليه وقتله وصلبه على جسر بغداد سنة ١٨٧هـ وعمره ٣٧ سنة. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي. ٢ / ٤٢١. ابن خلكان: وفيات الأعيان. ١ / ٣٢٨ / ٣٢٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. ٢ / ١٢١ / ١٢٣. ابن العماد: شذرات الذهب. ٣١١.

(٥) ديوان الخراج: يعد هذا الديوان من أهم الدواوين جميعاً؛ فهو يشرف على شؤون الجبايات، وجميع القضايا المالية للدولة، ويتولى تسجيل ما يرد وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، يقوم مقام خزانة الدولة؛ فمتولي الخراج في كل إقليم كان يستوفي من أموال الخراج التي بعهدته أعطيات الجند والنفقات =

وقلد إسماعيل بن صبيح^(١) ديوان السر ، ولما قلده هارون الخلافة دعا يحيى بن خالد وكان يخاطبه بالأبوة وعلى ذلك أجراه في خلافته وقال له : أبتِ أجلسُتني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم بما ترى ، واستعمل من رأيت ، وأسقط من رأيت فإني غير ناظر في شيء معك .

وكان يحيى والفضل وجعفر ينظرون في أمور المسلمين وحوادثهم ، لا يحجب أحدٌ عنهم ولا يلقي لهم ستر ، يجلسون في كل يوم لا يركبون فيه جلوساً عاماً إلى انتصاف النهار. وفي هارون ويحيى يقول إبراهيم الموصلية^(٢) :

ألم تر أن الشمسَ كانت سقيمةً فلما ولي هارونُ أسفرَ نورُها^(٣)
 يمينَ أمينِ اللهِ هارونِ ذي الندى فهارونُ واليها ويحيى وزيرُها

فأمر يحيى بن خالد يوسف بن القاسم بن صبيح^(٤) الكاتب فأنشأ الكتب إلى العمال

= ثم يرسل الباقي إلى مركز الخلافة . قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتاب / ٢١ / ٢٢ / ٢٣ . السامرائي :

المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية / ١٩٥ . الحسين : موسوعة الحضارة العربية العصر الأموي / ١١٣ .

(١) الكاتب على ديوان الرسائل والتوقيع والسروضياخ الخاصة والعوام لهارون الرشيد ، كان كاتباً حافظاً بليغاً ، وكان أحسن الناس خطأً وأسرعهم ، ولاء المهدي زمام ديوان الخراج سنة ١٦٨ هـ ، ثم جعله المأمون على ديوان التوقيعات . ابن الجوزي : المنتظم . ٩ / ٢١٩ . الصفدي : الواقي بالوفيات . ٩ / ٧٥ الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك / ١٧٤ .

(٢) إبراهيم بن ميمون الموصلية ، الشاعر المعروف ، كان له بيت شريف في العجم ؛ فكان أبوه من بلاد فارس واسمه ماهان ، ثم أصبح اسمه فيما بعد ميمون ، وأمه من بنات الدهاقين ، تزوج بها ماهان فولدت له إبراهيم عام ١٢٥ هـ ، ثم توفي والده وهو طفل ، فكفله آل خزيمة من بني تميم ، فصار ولاؤه لهم ، أقام بالموصل نحو سنة ، ثم عاد إلى الكوفة فلقب بالموصلية ، توفي سنة ١٨٨ هـ . الأصبهاني : الأغاني . ٥ / ١٦٩ / ١٧٠ / ١٧١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٤٣ .

(٣) وردت هذه الأبيات عند الطبري مع وجود بعض الاختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي :

فلما ولي هارون أشرق نورها . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٥٦ .

(٤) يوسف بن القاسم بن صبيح : هو أبو القاسم الكاتب والد أحمد وزير المأمون كان كاتباً بليغاً ، وله رسائل مدونة وشعر ، وكان يكتب في ديوان الكوفة لبني أمية ، ثم إنه كتب للسفاح وللمنصور وللرشيد ، خطب في القواد بعد وفاة موسى الهادي ، وقام هارون الرشيد بالأمر من بعده عام ١٧٠ هـ ، واختص بيحيى بن خالد ؛ فكان يكتب بين يديه ويخالفه على التوقيع وعلى دواوين الأمانة . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦٥٥ . الصفدي : الواقي بالوفيات . ٢٩ / ١٢١ .

بالولاية الخليفة الرشيد ، وإقرارهم على أعمالهم فكتب في ذلك كتباً مشهورة أجادها ، وقام يحيى بالأمور وكان يعرض على الخيزران^(١) ويورد ويصدر عن أمرها ، ونظر يحيى في أمور السجون فأطلق بشراً كثيراً ، واحتقر القاطول^(٢) فاستخرج نهراً سماه أبا الجند ، وأنفق عليه عشرين ألف ألف درهم ، وأقطع سدنة الكعبة على ذلك النهر لكل رجل مئة وعشرون جريباً^(٣) ، وأخرج توقيعه إلى الديوان بإثبات كل من بلغ الحكم من أهل خراسان بغير أمرٍ مجدودٍ .

وكان يحيى أول من أمر من الوزراء ، وكان أول من زاد في الكتب : " وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - " وأنشأ [في] ذلك كتاباً في ذكر فضل الأنبياء عليهم السلام ، واختصاص نبينا - صلى الله عليه وسلم - من بينهم بالتفضيل والكرامة ، وإضافة اسمه - عليه السلام - إلى اسمه - عز وجل - في الصلوات والأذان ، وأمر الله - تعالى - العباد بالصلاة عليه ، وذكره في خطب أعيادهم ومفترض صلواتهم التي هي قوام دينهم ورؤوس أعمالهم ، وأنه أحب أن يستن بما سنه الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن يصدق بذكره في كتبه [٩ أ] مقروناً بحمد الله - تعالى - وذكره ، وكان ذلك في سنة ثمانين ومئة .

(١) جارية المهدي ، وأم ولديه الهادي والرشيد ، يمانية الأصل اشتراها المهدي وأعتقها وتزوجها ، وكانت عاقلة لبيبة ، توفيت سنة ١٧٣هـ ومشى الرشيد في جنازتها حافياً يخوض في الوحل والطين والمطر الذي كان في ذلك اليوم ، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه وصلى عليها ، ودخل قبرها ثم تصدق عنها بمال كثير. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ / ٤٣٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ٨٦٠ . بن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٧٢ / ٧٣ .

(٢) القاطول : القطيل : أي المقطوع ، اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر في موضع سامراء قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حضر هذا النهر . ياقوت : معجم البلدان . ٤ / ٢٩٧ .

(٣) جريباً : الجريب مقياس للأرض ، يساوي شراعاً في أوائل العصور الوسطى وفي أوجها مئة قصبية مربعة ، وبذلك يكون الجريب على وجه الدقة ١٥٩٢ متراً مربعاً . فلترهنتس . المكاييل والأوزان الإسلامية / ٩٦ .

(٤) في : ساقطة في النسخة (أ) والنسخة (م) والتصحيح من النسخة (ك) .

وكان الرشيد ساخطاً على إبراهيم بن ذكوان الحراني^(١)؛ فأمر بحبسه وقبض أمواله فحبسه يحيى عنده في داره وكفه عنه ولم يزل يتلطف له إلى أن استكتبه لمحمد بن سليمان بن أبي جعفر^(٢) ، وكان يلي البصرة^(٣) فأشخصه معه .
وأمرت الخيزران أن يقتل من كان يتسرع إلى خلع الرشيد ، ودعا تبعة جعفر بن موسى الهادي ، فقال يحيى : أواخر من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : نرمي بهم نحور الأعداء فإن دفعوا عن أنفسهم كان لهم عنا شغل ، وإن أصابهم العدو كنت قد استرحت منهم ، فأذنت له في ذلك فخلص القوم جميعاً .
وفي يحيى يقول مروان بن حفص^(٤) هذا^(٥) :

إذا بلغتنا العيسُ يحيى بن خالدٍ أخذنا بحبلِ اليسرِ وانقطعُ العسرُ
سمتُ نحوهُ الأبصارُ منا ودونهُ مفاوزُ تغتالُ البطانُ بها السفرُ
فإن نشكرِ النعمى التي عمنا بها فحقُّ علينا ما بقينا له الشكرُ

(١) إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني الأعور ، صاحب طاق الحراني ، من موالي المنصور ، وزير موسى الهادي بن المهدي ، فقد اتصل به في أيام حادثته فخف على قلبه وصار لا يصبر عنه ، سعي به إلى المهدي فهده بالقتل إن لم يترك صحبة ابنه الهادي ، وقد حال عن ذلك وفاة المهدي ، وبعد أن تولى موسى الهادي وضعه على ديوان الأزمة . الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٦٧ . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . ٦/٥ / ٨ .
ياقوت : معجم البلدان . ٣٦١٠ / ٨ . ابن الطقطقي : الفخر في الأدب السلطانية / ١٥٥ / ١٥٤ .

(٢) أبو جعفر: لم أعثر له على ترجمة

(٣) البصرة : طولها أربع وسبعون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة ، وهي في الإقليم الثالث اختطها عمر بن الخطاب ليتخذ المسلمون بها مقراً لهم بعد فتح البحرين وطاسان والحيرة ، وهي غرب دجلة بأربع فراسخ ، وقد اختارها حتى لا يكون بين عمر وجيشه أي عوائق . ياقوت : معجم البلدان . ١ / ٤٣١ .

(٤) الشاعر المشهور ، كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم فأعتقه يوم الدار؛ لأنه أبلى يومئذ ، ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة ، ولد سنة ١٠٥ هـ ، قدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين ، وهو من الشعراء المجيدين والفحول المقدمين ، مات سنة ١٨٢ هـ .
ياقوت : معجم الأدباء . ٥ / ١٨٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٥ / ١٨٩ / ١٩٣ .

(٥) ورد ذكر هذه الأبيات عند الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٧٩ .

وفيه يقول أبو قابوس عمرو بن سليم الحيري^(١) :

رأيتُ يحيى اتمَّ اللهُ نعمتهُ عليه يأتي الذي لم يأتِه أحدُ

ينسى الذي كان من معروفة أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وكان يحيى أحسن إلى روح بن معمر الملطي ويكنى أبا وائل حتى حضر به

فقال روح^(٢) :

قربني يحيى إلى نفسه وليس لي منه مكان قريبُ

فقلت^(٣) للنفسِ صلي شكره بالشكرِ لله فنعمَ المجيب^(٤)

فلما سمعها قال : والله لأصلنَّ بركَ كما وصل بي شكرك ، ثم أضعف ما كان

يجزيه عليه ، وكان يحيى يقول لولده : لا بد لكم من كتابٍ وعمالٍ وأعوانٍ فاستعينوا

بالأشراف ، وإياكم وسفلة الناس^(٥) ؛ فإن النعمة على الأشراف أبقى وهم بهم أحسن ،

والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكبر ، وكان ليحيى [ابناً]^(٦) يقال له إبراهيم ،

وكان جميلاً ، وكان [يقال]^(٧) له لجماله دينار آل برمك ، فتوفي وسنه تسع عشرة سنة

(١) ورد ذكر هذه الأبيات عند الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٧٩ . وكذلك عند ابن خلكان : وفيات الأعيان وقد نسب هذه الأبيات إلى أبي قابوس الحميري . ٢٢٥ / ٦ .

(٢) روح بن أبي معمر الملطي ، شاعر من أهل ملطية ، مدح يحيى بن خالد البرمكي ، وكان خصيصاً به . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . ٣٧١٧ / ٨ .

(٣) أورد هذه الأبيات ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . وزاد عليها هذين البيتين .

وقربي حالك من حفظه بالصبر في الدهر على ما يثوب

وأن من يحفظ أسبابه عند الذي قربه لا يخيب

بغية الطلب في تاريخ حلب . ٣٧١٧ / ٨ .

(٤) فقل : والصحيح ما أثبتناه . والتصحيح من النسخة (ك)

(٥) سفلة الناس : الساقط من الناس . ابن منظور : لسان العرب . ٢٩٨ / ٣ .

(٦) ابناً : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه والتصحيح من النسخة (م) و (ك) .

(٧) يقال : ساقطة في الأصل وسياق الجملة يوجب ما أثبتنا والتصحيح من النسخة (م) و (ك) .

ويحيى غائب في بعض أسفاره فصلى عليه عبد الصمد بن علي^(١) ، ووجد عليه يحيى فاغتم به فقال: [٩ ب] أبو المنذر العروزي^(٢) يرثيه^(٣) :

ما ترى حاملوه حين أقبلوا نعشه للثرى أو للقاء
فليقل فيك باكياتك ماشئناً صباحاً وعند كل مساءً
لا يعنفن في المقال ولكن مسعداتٍ بذاك غير خفاءٍ
كلُّ حيٍّ رهنُ المنونِ ولكن ليس من ماتٍ منهم بسواءٍ

وكان يحيى أحضر مؤدب ابنه هذا ، ومن كان ضم إليه من كتابه وأصحابه فقال لهم: ما حال إبراهيم؟ قالوا : قد بلغ من الأدب كذا ونظر في كذا ، قال ليس عن هذا سألت ، قالوا: فقد [اتخذنا له من الضياع كذا وبلغت غلته كذا ، قال: ولا عن هذا سألت ؛ هل اتخذتم له في أعناق^(٤) الرجال منناً ، أو حببتموه إلى الناس؟ قالوا : لا ، فقال: فبئس العشراء والأصحاب أنتم ، وهو إلى هذا أحوج منه إلى ما فعلتم ، وتقدم بحمل خمس مئة ألف درهم وأمر بتفريقها عنه ، وفي ذلك يقول سلم الخاسر : من قصيدة^(٥) :

وفتىً خلا من ماله ومن المروءة غير خالي
أعطاك قبل سؤاله فكفاك مكروه السؤال

(١) أبو محمد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وأخوه محمد بن علي والد السفاح والمنصور ، ولد سنة ١٠٦ هـ تولى عدداً من المناصب القيادية في الدولة العباسية ، كان أمير الحج سنة ١٥٠ هـ توفي سنة ١٨٥ هـ ، وقد مات بأسنانه التي ولد بها . خليفة بن خياط .: تاريخ خليفة بن خياط / ٤٥٧ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٣١٦ / ١٥٧٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣ / ١٩٥ / ١٥٧٥ .

(٢) يعلى بن عقيل أبو المنذر العروزي العتري ، كان من العلماء أصحاب الرواية ، وكان يؤدب عيسى بن الرشيد ، وكان شاعراً ، مدح أبا دلف العجلي . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ / ٣٥٤ السمعاني : الأنساب . ٤ / ١٨٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٩ / ١٣ .

(٣) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذه الأبيات كاملة ، وهناك اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي : نعشه للثواء أو للبقاء . / ١٨٠ .

(٤) ساقطة في النسخة (أ) و (م) والتصحيح من النسخة (ك).

(٥) أورد ابن الجوزي هذه الأبيات في كتابه المنتظم ؛ حيث أن ابن عائشة لأمه وكيه على جبة أعطاه لرجل سأله أن يهب له شيئاً ، فقال : لو كي له لا أقول إلا كما قال الأول وقال : تلك الأبيات . ١١ / ١٣٨ .

وكتب خالد بن يحيى المتولي على أذربيجان إلى يحيى بن خالد بن برمك : أما بعد [فإن فيها]^(١) حقوقاً قد منعت وأموالاً قد تخفت ، فإن رسمت^(٢) تتبع ذلك وكشفه بلغ ما يوافي على خراجها ، فلما وقف يحيى بن برمك على الرقعة كتب في ظاهرها وقفنا على هذه الرقعة المذمومة ، وسوق السفاه عندنا بحمد الله كاسدة ، أسنتهم لدينا معقولة ، وما بعثناك إلى الناحية لتحيي العظام النخرة ، ولا لتتبع الآثار المذمومة ، فخذ الناس على قانونهم ، وطالبهم بما في ديوانك ، ودع التكشف والتتبع ، فهذه مدة تمضي ، وأيام تتقضي فإما ذكر جميل ، أو حزن طويل وحسبي ، وتجنب قول جرير^(٣) :

وكنتُ إذا نزلتُ بدارِ قومٍ رحلتُ بخزيةٍ وتركتُ عاراً^(٤)

وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٥) [١٠ أ] عن أبيه قال : كتب إلي وكيلى أن الضيعة الفلانية وكانت تجاور ضيعتي قد انقطع أمرها عن أربعة آلاف دينار ، وقد سألت صاحبها الانتظار علي إلى ورود جواب كتابي ، فإن أنت وجهت المال وإلا

(١) فما : هكذا في النسخة (أ) و(م) ، والصحيح ما أثبتناه والتصحيح من النسخة (ك) .

(٢) رسمت : ورسمت له كذا فارتسمه إذا امتثله . ابن منظور : لسان العرب . ٧٢/ ٣ .

(٣) هو أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور ، كان من فحول شعراء الإسلام ، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، امتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده ، توفى سنة ١١٠ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٣٢١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٢٦٩ .

(٤) أورد ابن خلكان هذا البيت في كتابه وفيات الأعيان كدليل على شاعرية جرير وتفوقه على الفرزدق مع وجود اختلاف بسيط كما يلي :

وكنت إذا حللت بدار قومٍ ظغنت بخزية وتركت عارا . ٩٠ / ٦ .

(٥) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون أبو محمد التميمي ، ويعرف والده بالموصلي ، كان من ندماء الخلفاء ، كان بارعاً في ضرب العود وصناعة الغناء ، وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وله يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام . ولد إسحاق سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٣٥ . يعقوب : معجم الأدباء ٢ / ١٢٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٢٠٢ / ٢٠٤ . الصفي : الوايف بالوفيات . ٨ / ٢٥٢ / ٢٥٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٢٨٠ / ٢٨١ .

خرجت المال عنك ، وورد علي الكتاب في الليلة التي صحبتها نوبتي^(١) في بيتي ، وكانت نوبة يحيى بن خالد في بيته ، إلا أنه كانت عادتي ألا أبرح في ذلك اليوم من بيتي فورّد علي ما أسهرني ؛ لأن المال لم يكن عندي ، ولم أكن أقدر على احتياله في ذلك الوقت القريب ، فضربت الأمر ظهراً لبطن ، فلم أجد غير يحيى بن خالد فبكرت إليه ، فاستأذن لي الحاجب فدخلت وفي يده المسواك ، فلما رأني سرّاً وابتهج ، وقال : أحسنت والله أحسنت ؛ اليوم نوبتي ونوبتك فناخذ في أمرنا ، ولا يدخل معنا غيرنا ، فقلت له : يا سيدي ، الحمد لله الذي وفقني لمحبتك ، ولكني والله بكرت لغير ذلك ، قال : وما هو؟ قلت : كتب إليّ وكيلي البارحة بكذا وكذا ، ووالله لا أقدر على المال ، ولم أجد من أفرغ إليه غيرك ، فبكرت أسألك استسلافه لي من بعض المعاملين^(٢) ليرده من تحت يدك من رزقي ، قال : دعنا الآن من هذا ودع ، وهاتِ يا غلامُ ما حضر ، فجيء بالطعام ، وأكلنا وأنا كأني آكل لحمي ، ثم رفع وجيء بالشراب وأنا في فكري ، فلما كان وقت العصر وقد يئست ، علمت أن الحيلة قد ماتت ، وأني أحتاج أن أحضر غداً الدار ، قال : يا إبراهيم أعندك صبيةٌ تغني؟ قلت : لا والله يا سيدي ، قال : ولا لبعض الجواري والأهل؟ فقلت لا ، ثم ذكرت صبيةً أمهاتٍ أولادي ، ما^(٣) وضعت يدها على العود ، إلا أنها مطبوعة ، ولها حليق^(٤) ، فقلت : صبية ريض^(٥) ، وليست بشيء ، قال : لا تبالي ،

(١) نوبتي : تناوبنا الخطب والأمر ، نتناوبه إذا قمنا به نوبة بعد نوبة . ابن منظور : لسان العرب . ٢٧٣ / ٦ .

(٢) المعاملين : وهم العمال الذين تربطهم علاقة ببيت المال سواء عن طريق الضمان أو الأوقاع . القلقشندي : صبح الأعشى . ٤٥٩ / ١٠ .

(٣) كما : هكذا في جميع النسخ وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه ، كما ذكره الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب / ١٨٠ / ١٨١ .

(٤) حليق : هو مخرج النفس من الحلقوم . ابن منظور : لسان العرب . ١٣٧ / ٢ .

(٥) ريض : إذا لم يحكم تدييره . المصدر السابق . ١٤٧ / ٣ .

هو ذا يبكر إليك من يطلبها منك، وإياك أن تقصر من مئة ألف دينار، قال: قلت يا سيدي إنما قيمتها مئة دينار، قال: لو أنها تساوي درهماً لا تتقصها من مئة ألف دينار، وإياك أن تنقص من ذلك شيئاً، قال: فقلت في^(١) نفسي: هذا رجل قد غلب عليه النييد، ولم يكن لحاجتي عنده موضع فهو يسخر مني، فانصرفت مكروباً، وغلب عليّ السهر إلى وقت السحر^(٢)، فهومت^(٣) قليلاً، ثم قمتُ للصلاة، وقد كنت استظهرتُ بأن ابعت الصبية عند منصرفي من مولاتها [١٠ ب] بمئتي دينار، وقلت: هو ذا أنا أنام، فكل من جاء أصرفه عني، إلا أن يجيء رجل من صفته كذا وكذا، قال: وكان يحيى وصفه لي فأنبهني، وتيسست من الضيعة، وأخرجتها من قلبي، فما طلعت الشمس جداً^(٤) حتى أنبهني الغلام، قال: قد جاء الرجل، فأذنت له، فطلب الصبية فأخرجتها، فاستمت مئة ألف دينار، فاستكثر ذلك مني، وأعطاني ثلاثين ألفاً، وأنا لست أصدق، ثم لم يزل يزدني حتى بلغ خمسين ألفاً، فقلت: أحضر المال، فقال: ها هو، وحمله إلي، وتسلم الجارية، فحللت^(٥) من المال أربعة آلاف دينار، ووجهتُ بها إلى الوكيل، وتركتُه على جملته^(٦)، وقلت: [لا بد]^(٧) للرجل من أن يرجع يسترده، ويرد الجارية، ولكن نحصل ثمن الضيعة، ويقع النظر فيه، وركبت إلى دار السلطان فأقمت إلى الليل وانصرفت، وسألت عن الرجل، فقيل لي:

(١) من: والصحيح ما أثبتناه.

(٢) السحر: آخر الليل قبل الصبح. ابن منظور: لسان العرب. ٢٥٣ / ٣.

(٣) فهومت: هكذا في جميع النسخ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه كما ذكر الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب / ١٨١.

(٤) جداً: هكذا في جميع النسخ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه من المصدر السابق / ١٨٢.

(٥) فحللت: الحلُّ حلُّ العُقد وفتحها ونقضها. ابن منظور: لسان العرب. ١٤٣ / ٢.

(٦) جملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. المصدر السابق. ٤٦٢ / ١.

(٧) لا بد: ساقطة في النسخة (أ) و (م)، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه حسب ما جاء في النسخة (ك).

لم يرجع ، فحمدت الله ، وبت وبكرت إلى يحيى فشكرته ، فلما رأني قال : هات حديثك ، فحدثته ، فقال : إنا لله ! أي شيء عملت ؟ ذهبت منك خمسون ألف دينار ! ثم أشير^(١) إلى الغلام بشيء ، فمضى ، وجاء ومعه الجارية ، فقال : تعرف هذه ؟ قلت : نعم يا سيدي ، هذه التي من الله - عز وجل - بك عليّ بها في أمرها ، فقال : خذها ، فهذا يجيئك من يطلبها ، فلا ينقصها من خمسين ألف دينار ، فأخذت بيدها ، وجاء من يطلبها ، فبعتها منه بثلاثين ألف دينار ، وعدت إلى يحيى فسألني وخبرته ، ولامني أيضاً فشكرته ، وقلت استحيت من الله أن آخذ أكثر من هذا ، فأخرج الجارية ومعها كسوة ، وطيب بألوف الدنانير ، وقال : قد تبركت لك بها ، فالآن خذها لنفسك ، ففعلت ؛ فهي والله أم طياب ابني . قال : فقلت له : ما قصة هؤلاء مع هذه الجارية ؟ فقال : ويحك ! أما الأول فخليفته صاحب مصر^(٢) ، وهو مقيم على بابي منذ سنة ، يسألني مسألته حاجة بمئة ألف دينار ، وأنا لا أسأله ، فلما شكوت إليّ ما شكوت ، فقلت له : صبية عند إبراهيم فاشترها لي ، ولوأبيت على مئة ألف لوزنها لك ، ولكنك ضيعت ؛ وأما الثاني فخليفة صاحب فارس^(٣) ، وقصته قصة الأول فدعوت له ، وشكرته وانصرفت .

(١) اشيري: والصحيح ما أثبتناه حسب ما جاء في النسخة (م) و (ك) .

(٢) مصر : سميت مصر باسم من أحدثها وهو مصر بن مصر بن مصري بن حام بن نوح ، فتحها عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، مدينة يكتنفها من مبدئها في العرض إلى متهاها جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جداً في وضعهما : أحدهما في ضفة النيل الشرقية ، وهو جبل المقطم ؛ والآخر في الضفة الغربية منه ، والنيل منسرباً بينهما من مدينة أسوان إلى أن ينتهي إلى الفسطاط . ياقوت : معجم البلدان ٥ / ١٢٧ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٣ / ١٢٧٧ / ١٢٧٨ .

(٣) فارس : ولاية واسعة ، وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق وأرجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند ، ومن جهة السند كرمان ، وقصبتها الآن شيراز وكورها خمسة ، فأوسعها كورة إصطخر ، ثم أرد شيرخرة ، ثم دار بجرد ثم سابور ، ثم فناخرة ، وهي مئة وخمسون فرسخاً طولاً ومثلها عرضاً . ياقوت : معجم البلدان . ٤ / ٢٢٦ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٣ / ١٠١٢ / ١٠١٣ .

وعرض ليحيى رجل من أهل الشام من بني أمية ، فترجل^(١) له ، فرأى شيخاً وسيماً ، له رواء^(٢) وهيبة ، فلما عاد إلى مجلسه دعا به ، وسأله عن سببه ونسبه ، فأخبر أنه رجل من بني أمية وأن [١١ أ] مسألته التي إليها يقصد وصوله إلى أمير المؤمنين ، فقال له يحيى: الصدق أولى بي ، وأمير المؤمنين يستثقل هذا السبب ، فانظر ما تلتسمه^(٣) فإن تكن مظلمة رددتها ، وإن تكن صلة^(٤) بذلتها ، وما بين ذلك من الحوائج فغير معتذر إليك في شيء منها؛ فقال : الذي سألت ما سمعت أيها الوزير ، وإني لأعلم أنكم يا آل برمك معادن^(٥) الخير ، فإن سهل أن تذكرني له فعلت ، وإن رد فقد قضيت أيها الوزير ما عليك ، وأوجبت علي شكرك آخر الليالي الغوابر ، فذكره^(٦) يحيى للرشيد ، وخبره بما دار بينهما ، فأمره بإيصاله إليه ، فلما وقعت عين الأموي عليه استأذن في الكلام فأذن له ، فتكلم وأحسن وابلغ ، ثم أنشد^(٧) :

يا أمينَ اللهِ إني قائلٌ	قولَ ذي رأيٍ ودينٍ وحسبٍ
لكمُ الفضلُ علينا ولنا	بكمُ الفضلُ على كلِّ العربِ
عبدُ شمسٍ ^(٨) كانَ يتلوا هاشمًا ^(٩)	وهما بعدُ لأمٍّ ولأبٍ
فصَلُّوا الأرحامَ منَّا إنمَّا	عبدُ شمسٍ [عم] ^(١٠) عبدُ المطلبِ

(١) فترجل : أي مشى راجلاً . ابن منظور : لسان العرب . ٤٥ / ٣ .

(٢) رواء : أي حسن المنظر في البهاء والجمال . المصدر السابق . ١٠ / ٣ .

(٣) تلتسمه : تطلبه . المصدر السابق . ٥٢١ / ٥ .

(٤) صلة : الجائزة والعطية . المصدر السابق . ٤٥٠ / ٦ .

(٥) معادن : أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها . المصدر السابق . ٢٧٨ / ٤ .

(٦) فتذكره : والصحيح ما أثبتناه . كما في النسخة (ك) .

(٧) أورد الجهشيارى هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه الوزراء والكتاب / ١٨٧ / ١٨٨ .

(٨) عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، وأمه عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح السلمية ،

وكان عبد شمس وأخوه هاشم توأمين . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . / ١٤ .

(٩) سحا : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(١٠) عم : ساقطة في الأصل وسياق البيت يوجب ما أثبتناه كما ورد الجهشيارى : كتاب الوزراء / ١٨٨ .

فأحسن الرد عليه ، وأثنى صلته ، ووصله يحيى أيضاً ، وأجرى له رزقاً في بلده ،
ورده إليه .

وظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين^(١) بن علي بن أبي طالب - كرم الله
وجهه - بالديلم^(٢) ، وقوى أمره ، فشق على الرشيد ذلك ، واهتم به همماً شديداً ،
فاستشار يحيى بن خالد فأشار تجهيز ابنه الفضل ، فأنهض إليه الفضل بن يحيى في
خمسين ألفاً ، وأنهض معه وجوه^(٣) القواد ، وولاه كور^(٤) الجبل^(٥) في سنة ست وسبعين
ومئة ، ففيه يقول أبو قابوس الحميري^(٦) :

رأى الله تفضيلَ ابنِ يحيى بنِ خالدٍ ففضلهُ واللهُ بالناسِ أعلمُ
لَهُ يومٌ بؤسٍ فيه للناسِ أبؤسٌ ويومٌ نعيمٍ فيه للناسِ أنعمُ
فيمطرُ يومَ الجودِ من كفه الغنى ويمطرُ يومَ البؤسِ من كفه الدمُ

(١) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ، ثار على الرشيد في الديلم
واشدت شوكته وكثرت جموعه وآتاه الناس من المصار؛ فاغتم الرشيد لذلك ، وندب إليه علي بن سليمان ،
وجعل أمر الجيش للفضل بن يحيى ، فتلطفوا به وأشارا عليه بالطاعة فأجاب إلى الصلح على أن يكتب الرشيد
له أماناً بخط يده ، ويشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني العباس فأجاب الرشيد إلى ذلك وكان هذا سنة
١٧٦ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٦٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٣٣٤ . ابن تغري بردي :
النجوم الزاهرة . ٢ / ٦٢ / ٦٣ .

(٢) الديلم : قال المنجمون : الديلم في الإقليم الرابع طولها خمسٌ وسبعون درجةً ، وعرضها ستٌ وثلاثون درجةً
وعشر دقائق . ياقوت : معجم البلدان . ٢ / ٥٤٤ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٢ / ٥٨١ .

(٣) وجود : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه حسب ما أورده الجهشيارى في سرده لهذا الخبر في كتابه
الوزراء والكتاب / ١٨٩ .

(٤) كور : الكورة المدينة أو الصقع . ابن منظور : لسان العرب . ٥ / ٤٤٩ .

(٥) الجبل : وهو ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوین وهمذان والدينور وقرميسين والري ، وهي البلاد المعرفة بعراق
العجم . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ١ / ٣٠٩ / ٣١٢ .

(٦) أورد الجهشيارى في كتابه هذا الخبر وهذه الأبيات . الوزراء والكتاب / ١٨٩ / ١٩٠ .

فجعل الفضل [محمد] ^(١) بن منصور بن زياد ^(٢) خليفته بباب الرشيد ، ومضى نحو الديلم وواصل كتبه إلى يحيى بن عبد الله ورسله بالرفق ، والاستمالة ، والتحذير ، والترغيب ، والترهيب ، وبسط [١١ ب] الأمل ، إلى أن أجاب يحيى إلى الصلح والخروج على أمان وأخذ له بخط الرشيد ، أنفذ نسخته إلى الفضل ، يكتب بذلك إلى الرشيد ، فسرّه وحسن موقعه منه ، وكتب الأمان ليحيى ، وأشهد على نفسه القضاة والعدول فأنفذه إلى الفضل ، وقدم عليه بيحيى بن عبد الله ، فقدم به إلى الرشيد معه ، فلقيه بكل ما أحب ، وأسنى جائزته ، وأكثر بره وعطاءه ، وأنزله منزلاً سرياً ^(٣) ، وأبر ^(٤) للفضل بن يحيى ، وشكر فعله في ذلك ، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ^(٥) :

ظفرت فلا شلت يدُ برمكيّة
على حين أعياء الراتقين التمامه
فأصبحت قد فازت يداك بخطه
وما زال قدحُ المجد يخرجُ فائزاً
وفيه يقول أبو ثمامة الخطيب ^(٦) :

رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
من المجد باق ذكرها في المياهم
لكم كلما ضمت قداح المساهم
فأعياهم الرتق الذي رتق الفضل
وآل علي لم يكن بينهم دخل
سعى الناس في إصلاح ما بين هاشم
كان بني العباس في ذات بينهم

(١) محمد : ساقط في النسخة (أ) ، التصحيح من النسخة (م) و(ك) .

(٢) محمد بن منصور بن زياد ، كان يقال له فتى العسكر ، وجهه أمير المؤمنين الرشيد للإصلاح بين أهل دمشق عند وقوع العصبية التي هاجت بين اليمنية والمضرية سنة ١٨٧ هـ ، وقد نجح في إصلاح الأمر . الطبري . تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٨٨ . الأصفهاني : الأغاني . ١٨ / ٢٣٢ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٣٥ / ٣٤ / ٥٦ .
الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٢ / ٣٢ .

(٣) سرياً : أي نفيساً شريفاً . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٢٨١ .

(٤) أبر : أصلح : المصدر السابق . ١ / ٢٦ .

(٥) أورد الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك هذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثالث؛ فيقول : " من المجد باق ذكرها في المواسم " . ١٦٦٢ .

(٦) الخطيب : لم أعثر له على ترجمة .

الفضل بن يحيى

وكان هو الجواد السمع ، الملآن الجواد بالمنح^(١) الذي يتستر الغيث منه خجلاً
بغمامه ، ويتناول المجد ليعد من فيض أنعامه ، مع فرط تيبه ، وتكبر على ما يأتيه ؛
يقول مروان بن أبي حفصة^(٢) :

ألم تر أن الفضل من كفّ آدمٍ تحدر حتى صار في راحة الفضل
إذا ما أبو العباس راحت سماؤُهُ فيالك من هطل ويالك من وبل^(٣)
وقال فيه أيضاً^(٤) :

إذا أمّ طفلٍ راعها جوعٌ طفليها^(٥) غذته بذكر الفضل فاستطعم الطفلُ
ليحيا بك الإسلام إنك عروّة وإنك من قومٍ صغيرهم كهلُ
فوصله بمئة ألفٍ درهمٍ ، وحمله وكساه ، ووهب له جاريةً يقال لها طيفور كاسيةٌ
خالية ، فقيل إنه حصل له سبع مئة ألف درهم ما بين ورقٍ وعروضٍ [١٢ ب] ، ومدح أبو
نواس^(٦) الفضل بن يحيى :

(١) المنح : أي العطاء . ابن منظور : لسان العرب . ٩٧ / ٦ .

(٢) أورد ابن كثير هذين البيتين في كتابه البداية والنهاية مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول :
ألم ترى أن الجود من لدن آدم . ٢٠٧٤ / ٢ .

(٣) وبل : الويل المطر الشديد الضخم القطر . ابن منظور : لسان العرب . ٣٩٣ / ٦ .

(٤) أورد الجهشيارى هذين البيتين في كتابه الوزراء والكتاب مع وجود اختلاف في البيت الأول :

إذا أمّ طفل راعها جوع طفليها غذته بذكر الفضل فاستعصم الطفل

والشطر الأول من البيت الثاني : ليحيا بك الإسلام إنك عزه . / ١٩٠ / ١٩١ .

(٥) إذ أمّ طفل راعها جوع طفليها . التصحيح من النسخة (ك) .

(٦) أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي ، الشاعر المشهور ، كان
جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته إليه ، ولد بالبصرة ونشأ بها ، ثم خرج إلى
الكوفة مع ولبة بن الحباب ، ثم صار إلى بغداد ، أمه أهوازية ، وكان أبوه من جند مروان بن محمد آخر
حكام بني أمية . كان شاعراً قوي البديهة والارتجال ، وكان فقيهاً غلب عليه الشعر . ابن خلكان :
وفيات الأعيان . ٩٥ / ٩٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٢ / ١٧٦ / ١٧٧ .

في عدة قصائد طوال أجاد فيها ، فمنها التي أولها^(١) :

أربع البلى إن الخشوع لبادٍ عليك وإني لم أخنك ودادي

وفيهما يقول^(٢) :

رأيتُ الفضلَ في السماحة همةً أطلتُ لعمري غيظَ كلِّ جوادٍ^(٣)
تري الناسَ أفواجًا إلى بابِ دارِهِ كأنهم رجالاً دبا وجرادٍ
فيومٌ لإلحاقِ الفقيرِ بذي الغنى ويومٌ رقابٌ بوكرتٍ لحصادٍ^(٤)
سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتُم بني برمك من رائحينَ وغادٍ
بفضلِ بنِ يحيى أشرقَت سُبُلُ الهدى^(٥) وأمنَ ربي خوفَ كلِّ بلادٍ
ومنها قصيدة أوائلها^(٦) :

سأشكو إلى الفضلِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ هواك لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا
وللفضلِ صولاتٌ على صلبِ مالِهِ ترى المالَ فيها بالمهانةِ مُدعنا
وللفضلِ حصنٌ في يديه محصنٌ إذا لبسَ الدرعَ الصينةَ واكتنى
نفرنا فلم يحظَ البرامك معدنا من الجودِ إذ لمْ نلقَ للجودِ معدنا

(١) أورد أبونواس هذا البيت في ديوانه. ديوان الحسن بن هانيء. ٢٩١.

(٢) أورد أبو نواس هذه الأبيات في ديوانه. ديوان الحسن بن هانيء. / ٢٩١.

(٣) أورد العمري هذا البيت كما يلي :

رأيت الفضل في السماحة بدعة طالت لعمري غيظ كل جواد

(٤) أورد العمري هذا البيت كما يلي :

فيوماً لا يخاف الفقير بذي الغنى ويوم رقاب بوكرت لحصاد

(٥) روي هذا الشطر من البيت عند العمري كما يلي :

بتدبير يحيى أشرقَت سبل الهدى

(٦) أورد هذه الأبيات الحسن بن هانيء . . ٩٦٠ / ٩٦١. والخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ، ولم يذكر

البيت الثاني والبيت الرابع ، وقد وضع ذكر بيت آخر مكان البيت الثاني هو :

أيرا رأيت المال في نعماته مهانا مذل النفس بالضميم قد فنا . ٧ / ٤٤٥.

أورد العمري البيت الثاني والثالث كما يلي :

وللفضل صولات على صيلجنه ترى المال منها بالمكارم مدعنا
وللفضل أجرى مقدماً من ضيارم إذا لبس الدرع الحصينة واكتنى

وفيه يقول ابراهيم بن إسحاق الموصلي^(١) :

لو كانَ بيني وبينَ الفضلِ معرفةٌ فضل بن يحيى لأعداني على الزمنِ
هو الفتى الماجدُ الميمونُ طائرُهُ والمشتري الحمدَ بالغالي من الثمنِش

ولما وصل الفضل إلى خراسان حين ولاة الرشيد أمرها بسط بساط العدل، وأزال سيرة الجور^(٢)، وبناء الحياض^(٣)، والمساجد، والرباطات، وأحرق دفاتر البواقي^(٤)، وزاد الجند عشرين مئآت، والقواد خمس مئآت، ووصل الزوار والقواد والكتاب بعشرة آلاف درهم، وأمر بهدم بيت النوبهار^(٥)، فلم يقدر على هدمه لشدة وثاقته، وعظم المؤونة فيه، فهدم منه قطعة، وبنى فيها مسجداً، واستخلف عمرو بن جميل^(٦) [١٢ ب] على خراسان، ثم انصرف إلى العراق، فتلقاه الرشيد بيستان أبي جعفر، وأمر الشعراء

(١) أورد ابن خلكان هذين البيتين في كتابه وفيات الأعيان . ٤ / ٢٩ . كما أورده الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات . ٥١ / ٢٤ .

(٢) الجور : نقيض العدل . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٤٨٥ .

(٣) الحياض : حاض الماء وغيره حوضاً وحوضه : حاطه وجمعه . المصدر السابق . ٢ / ١٨٧ .

(٤) البواقي : لفظ اصطلاحى كان يطلق على كل ما يتأخر كل سنة عند الضمان من الخراج . محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . ٣٩ / .

(٥) النوبهار: بناء للبرامكة ببلخ؛ حيث كان البرامكة أهل شرف على وجه الدهر، وقد وصفت لهم مكة حال الكعبة بها، وما كانت قريش ومن والاهما من العرب يأتون إليها ويعظمونها، فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام، ومعنى نوبهار: البهار الجديد؛ إذ كانت سنتهم إذا بنوا بناءً جديداً أو شريفاً كللوه بالبهار والريحان؛ وقد نصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحريز، وعلقوا عليه الجواهر النفيسة، وكانت الفرس تعظمة وتحج إليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب، وتتصب على أعلى قببه الأعلام، وكانت مئة ذراع في مثلها، وارتفاعها فوق مئة ذراع بأروقة مستديرة، كان حول هذا البيت ثلاث مئة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته. اقوت: معجم البلدان . ٥ / ٣٠٧ .

(٦) عمرو بن جميل : لم أعثر له على ترجمة .

بمدحه ، والخطباء بذكر فضله ، كان قد شخص مع الفضل إبراهيم بن جبريل^(١) على شرطه ، فوجهه إلى كابل^(٢) ففتحها ، وأفاد مالاً عظيماً ، ثم ولاه سجستان^(٣) ، ووصل إليه بسبعة آلاف ألف درهم ، وحصل في يده من خراجها أربعة آلاف درهم ، فلما انصرف الفضل إلى العراق ، لحق به إبراهيم بن جبريل وبنى داره ، وسأل الفضل أن يزوره ليزيد منعمته عليه ، وأحضر المال فلما قعد الفضل ، عرض عليه تحفاً كثيرة ، وهدايا جليلة ، وذكر له حال المال ، فأبى أن يقبل منه شيئاً ؛ وقال له : لم آتِكَ لأسلبك النعمة ، فقال له : أيها الوزير نعمتك عليّ ظاهرة ، فقال له : ولك عندي مزيد ، ولم يزل يسأله أن يكرمه بقبول شيء منه ، فقبل سوطاً سجزياً^(٤) ، وقال : هذا يصلح للفرسان ، فذكر له أمر المال فقال له : أما لك بيت يسعه ؟! ثم خلا وانصرف ، وكان أبو الهول^(٥) الحميري^(٦) هجا الفضل بن يحيى ، ثم أتاه راغباً فيما بعد إليه ، فقال له الفضل : بأيّ تلقاني ؟ فقال : بالوجه الذي ألقى الله - عز وجل - به ،

(١) إبراهيم بن جبريل : من قادة الرشيد ، خرج لحرب الروم في سنة ١٨٨هـ وانتصر على نقفور في تلك المواجهة ، وقُتِلَ من الروم أربعون ألفاً وسبع مئة ، وأخذ أربعة آلاف دابة . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٦٩٢ / ١ . ابن الجوزي : المنتظم . ٩ / ١٥٤ . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون . ٣ / ٢٨٣ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣١٩ / ١ .

(٢) كابل : ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغازنة ، ونسبتها إلى الهند ، وبها عود ونارجيل وزعفران وإهليلج . ياقوت : معجم البلدان . ٤ / ٤٢٦ .

(٣) سجستان : بكسر أوله وثانيه ، وسين مهملة ، وتاء مثناة من فوق ، وآخره نون : ناحية كبيرة وولاية واسعة ؛ فقيل : اسم للناحية ومدينتها زرنج ، وبينها وبين هراة عشرة أيام ؛ وهي جنوبي هراة ، وأرضها كلها رملة سبخة ، والرياح فيها لاتسكن أبداً . المصدر السابق . ٣ / ١٩٠ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٢ / ٦٩٤ .

(٤) سجزياً : هكذا في جميع النسخ ، وكذلك عند الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب ، وسجزياً نسبة إلى سجستان . الجهشيارى : الوزراء والكتاب . ١٩٢ / ١ .

(٥) هون : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه كما عند الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ١٩٣ .

(٦) عامر بن عبد الرحمن أبو الهول الحميري ، الشاعر له مدائح في المهدي والهادي والرشيد والأمين ، وهجا خلقاً كثيراً ، وكان خبيث الهجاء غاية فيه ، ومديحه لم يكن بذاك . توفي سنة ١٩٠هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢٣٧ / ١٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣٣٧ / ١٦ .

وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك ، فضحك ووصله .

وذكر محمد^(١) بن الحسن بن مصعب^(٢) أن^(٣) الفضل بن يحيى لما صار إلى خراسان فرق فيهم أموالاً ، وأخذ البيعة بالعهد لمحمد بن الرشيد^(٤) ، وسمّاه الأمين ، فبايع له الناس في ذلك ، يقول فيه منصور النميري^(٥) :

أمسيت بمرور^(٦) على التوفيق قد صفت
بيعة لولي العهد أحكمها
قد وكد الفضل عهداً لا انتقاض له
على يد الفضل أيدي العجم والعرب
النصح منه والإشفاق للرتب
لمصطفى من ذوي العباس منتخب^(٧)

(١) محمد : ساقط في النسخة (ك) وكتب (الشيخ) .

(٢) محمد بن الحسن بن عبد الله بن مصعب ، من قرية يقال لها يوان إحدى قرى أصبهان ، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ، وقد بعث معه رأس الأمين والخاتم والبردة وكتاب الفتح إلى المأمون ، وكذلك كان بصيراً بالغناء والنغم . الأصبهاني : الأغاني . ٥ / ٣٨٥ . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون . ٣ / ٣٠١ . القيسي : توضيح المشتبه . ٩ / ٢٠٦ .

(٣) بن : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من النسخة (ك) .

(٤) محمد بن الرشيد : الأمين ، وكنيته أبو موسى ، ولد ببغداد بالرصافة ، وقد بايع له الرشيد بولاية العهد سنة ١٧٥هـ ، ولقبه الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ، لحرص أمه زبيدة على ذلك ، ثم تولى الخلافة بعد موت الرشيد سنة ١٩٣هـ ، وقد مكث في الخلافة ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً ، ومكث مخلوعاً محبوساً إلى أن قتله طاهر بن الحسين بن مصعب ببغداد سنة ١٩٨هـ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . ٥٦ / ٢١٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٥ / ١٥٥ / ١٥٦ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . / ٢٩٠ / ٢٩٦ .

(٥) منصور النميري : أنشد لهارون الرشيد وتقرب إليه ليغض عن الطالبين ، فقد كان يميل إلى التشيع ، وقال في ذلك ما أمر الرشيد بقتله ؛ فنجاه الله ووجد قد مات . الشافعي : سمط النجوم العوالي . ٣ / ٤٢٦ .

(٦) مرو : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، وكانت منازل ولاية خراسان ، وكان أول من نزلها المأمون . يعقوبي : كتاب البلدان . ٤٨ / ٤٨ . ياقوت : معجم البلدان . ٥ / ١١٢ .

(٧) أورد الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك هذه الأبيات مع وجود بعض الاختلاف كما يلي :

أمست بمرور على التوفيق قد صفت
بيعة لولي العهد أحكمها
قد وكد الفضل عهداً لا انتقاض له
على يد الفضل أيدي العجم
بالنصح منه وبالإشفاق والحدب
لمصطفى من بني العباس منتخب . ١٦٦١ / .

فأجازه بثلاث مئة ألف درهم ، وكان الفضل بن يحيى لا يشرب النبيذ ، ويقول : لو علمت أن الماء يُنْقَصُ من مروءتي ما ذقتهُ أبداً .

وقد حكى عبد الملك بن مروان مثل هذا الكلام في مصعب بن الزبير ، لأنه وصفه وفضله وقال في كلامه : كانت عنده عقيلتا^(١) قريش سكينه بنت الحسين^(٢) ، وعائشة بنت طلحة^(٣) ، [١٣ أ] ثم هو أكثر الناس مالاً ، جعلت له الأمان فضمنت له أن أوليهِه العراق ، وقد علم أني سأفي له لصداقة كانت بيني وبينه ، فأبى وحمى أنفاً وقاتل حتى قُتِل ، فقال له بعض من حضره : إنه كان يصيب الشراب ، فقال : ذاك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ وطلبها فلو ظن أن الماء ينقص من مروءته ما ذاقه . وركب الفضل بن يحيى يوماً من منزله بالخلد^(٤) يريد منزله بباب الشماسية^(٥) فتلقاه فتىً من

(١) عقيلتا : العقيلة من النساء الكريمة المُخَدَّرَة . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٣٩٦ .

(٢) سكينه بنت الحسين : وهي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ، كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأحسنهن أخلاقاً ، تزوجها ابن عمها عبد الله ابن الحسن الأكبر فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ، ثم تزوجت بغير واحد ، وكانت شهمةً مهيبهً ، توفيت سنة ١١٧ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٣٩٤ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٥ / ٢٦٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٢٧٦ .

(٣) عائشة بنت طلحة : بن عبيد الله بن عثمان التيمية بنت أخت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير بن العوام فقتل عنها ، فخلف عليها عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان ، كانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن ، روت عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين ، توفيت سنة ١٢٣ هـ . ابن سعد . الطبقات الكبرى . ٨ / ٤٦٧ . ابن الجوزي : المنتظم . ٧ / ٢٢٧ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤ / ٣٦٩ / ٣٧٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١ / ٢٨٩ .

(٤) الخلد : بضم أوله وتسكين ثانيه قصر بناه المنصور - أمير المؤمنين - ببغداد على شاطئ دجلة ، وكان موضع البيمارستان العاضدي ، وبنيت حواليه منازل وصارت محلة كبيرة عُرفَتْ بالخلد ، والأصل فيها القصر المذكور . ياقوت : معجم البلدان . ٢ / ٣٨٢ .

(٥) باب الشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، ثم سين مهملة منسوبة إلى بعض شماسي النصارى ، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد ، وإليها ينسب باب الشماسية . ياقوت : معجم البلدان . ٣ / ٣٦١ . الجزري : . اللباب في تهذيب الأنساب . ٢ / ٢٠٧ .

الأبناء ، ومعه جماعة من الناس ركبان^(١) ، قد تحملوا لأملكه ، فلما رآه الفتى نزل وقبّل يديه ولم يعرفه ، فسأل عنه فعرف به ، فسأل عن مبلغ الصّدَاق ، فعرف أنه أربعة آلاف درهم للنفقة على وليمته ، فقال الفضل لقهرمانه:^(٢) أعطه أربعة آلاف درهم ثمن منزل ، وأربعة آلاف درهم للنفقة على وليمته ، وأربعة آلاف درهم يستعين بها على العقد الذي عقده على نفسه .

وكان محمد بن إبراهيم الإمام^(٣) قد ركب دين ، فركب إلى الفضل بن يحيى ، ومعه حق^(٤) فيه جوهر ، وقال : قَصُرْتُ بنا غلاتنا^(٥) وأغفل أمرنا خليفتنا ، وتزايدت مؤونتنا ، ولزمنا دين احتجنا لأدائه ألف ألف درهم ، وكرهتُ بذل وجهي للناس ، وإذالة عرضي بينهم ، وذلك^(٦) من يعطيك منهم ، ومعى رهن ثقة بذلك^(٧) ، فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه ، وحمل المال إلينا ، فدعى الفضل بالحق ، فرأى ما فيه وختمه بخاتم محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم قال : نُجِحُ الحاجة أن تقيم في منزلك عندنا اليوم ، فقال له : إن في المقام على مشقة ، فقال : وما يشق عليك من ذلك ؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوت به ، وإلا أمرت بإحضار ثياب من منزلك ؛ فأقام ونهض

(١) ركبان : أصحاب الأبل . ابن منظور: لسان العرب . ٣ / ١١٠ .

(٢) لقطهمانه : هكذا في النسخة (أ) و(م) ، والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) . والقهرمان : بفتح القاف وإسكان الهاء وفتح الراء هو الخازن القائم بحوائج الإنسان ، وهو بمعنى الوكيل وهو بلسان الفرس . آدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة . ١٣٠ / .

(٣) محمد بن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الأمير أبو عبد الله الهاشمي العباسي ، ولي إمارة دمشق لأبي جعفر المنصور ، وحج بالناس عدة سنين ، وكان عاقلاً جواداً ممدوحاً ، توفي ببغداد وصلى عليه الأمين ، ودفن بالعباسية سنة ١٨٥ هـ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . ٣١ / . الذهبي : شذرات الذهب . ١ / ٣٠٩ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٩٢ .

(٤) حق : الحقُّ منحوت من الخشب والعاج وغير ذلك . ابن منظور لسان العرب . ٢ / ١٢٥ .

(٥) غلاتنا : الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض . المصدر السابق . ٥ / ٥٥ .

(٦) ولك : هكذا عند الجهشياري : الوزراء والكتاب / ١٩٥ .

(٧) سقط في النسخة (ك) .

الفضل ، فدعى بوكيله وأمر له بحمل المال ، وتسليمه إلى خادم محمد بن إبراهيم ، وتسليم الحق الذي فيه الجوهر إليه بخاتمه ، وأخذ خطه بذلك ، ففعل الوكيل ذلك ؛ وأقام محمد عنده إلى المغرب ، وليس عنده شيء من الخبز ، ثم انصرف إلى منزله فرأى المال ، وأحضر الخادم الحق ، فغدا^(١) على الفضل ليشكره ، فوجده قد سبقه في الركوب إلى دار الرشيد فوقف منتظراً له ، فقيل له : خرج من الباب الآخر ، فاتبعه فوجده قد دخل دار أبيه ، فوقف ينتظره ، فقيل له : خرج من الباب الآخر قاصداً منزله ، فانصرف عنه ، فلما وصل إلى منزله أنفذ إليه [١٣ ب] الفضل ألف ألف درهم ، فغدا عليه فشكره وأطال ، فأعلمه أنه بات ليلته ، وقد طالت عليه غمماً بما شكاه ، إلى أن لقي الرشيد فأعلمه حاله ، فأمره بالتقدير له ، ولم يزل يُماكسه^(٢) حتى تقرر الحال معه على ألف ألف درهم ، وأنه ذكر أنه لم يصلك بمثلها قط ، ولا زادك عن عشرين ألف درهم فشكرته وسألته أن يصك^(٣) بها صكاً بخطه ، ويجعلني الرسول ، فقال له محمد : صدق أمير المؤمنين ، إنه لم يصلني قط بأكثر من عشرين ألف دينار ، وهذا أنا أتياً^(٤) بك ولك على يدك ، وما أقدرُ على شيء أقضي به حقك ، ولا شكر أؤدي به معروفك ، غير أنه^(٥) عليّ وعليّ أيمانٌ مؤكدة إن وقفت بباب أحد سواك أبداً ، ولا سألت غيرك حاجةً أبداً ، ولو استفتيت^(٦) التراب . فكان بعد ذلك لا يركب إلى غير الفضل ، إلى أن حدث من أمرهم ما حدث ، فصار لا يركب إلى غير دار الخليفة ،

(١) فغدا: البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس . ابن منظور : لسان العرب . ١٥ / ٥ .

(٢) يماكسه: الضريبة التي يأخذها الماكس ، وأصله الجباية . المصدر السابق . ٦ / ٨١ .

(٣) يصك: الصك الذي يكتب للعهد ، معرب أصله جك . المصدر السابق . ٤ / ٥٨ .

(٤) تهيأ: أخذ له هيأته . المصدر السابق . ٦ / ٣٤٧ .

(٥) ان: وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٦) استفتيت: كل دواء يؤخذ غير معجون فهو سفوف . المصدر السابق . ٣ / ٢٩٧ .

ويعود إلى منزله فعوتب بعد تقضي أيامهم في إتيان الفضل بن الربيع^(١) ، فقال : والله لو عُمِرت ألف عام ثم مصصت الثماد^(٢) ، ما وقفت بباب أحد بعد الفضل بن يحيى ، ولا سألت أحداً بعده حاجة حتى ألقى الله - تعالى - ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات .

قال عبد الله بن ياسين^(٣) : حدثني أبي قال : كنا عند الفضل بن يحيى ، فخضنا في الشعر ، فإذا هو أروى الناس له ، وأجودهم طبعاً فيه ، فقلت له : أصلحك الله ! لو قلت شيئاً من الشعر ، فإنه يزيد في الذكر وينبّه ؛ قال : هيهات ! شيطان الشعر أخبر من أن أسلطه على عقلي ، قال أبو النجم القائد^(٤) أحد الدعاه : قلت لإبراهيم الموصللي : صف لي ولد يحيى ، فقال لي : أما الفضل فيرضيك بفعله ، وأما جعفر فيرضيك بقوله ، وأما محمد^(٥) فيفعل دون ما يجد ، وأما موسى^(٦) فيفعل بحسب ما يجد ، فيفعل ما لا يجد .

(١) أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس ، تولى وزارة الرشيد ، وكانت نكبة البرامكة على يديه وبسعايته ، ومات الرشيد وهو على الوزارة ، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين ، فلما قتل الأمين اختفى ، ثم أمنه المأمون ولم يزل خاملاً حتى مات سنة ٢٠٨ هـ وله من العمر ٦٨ سنة . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٧ / ٤ .

الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢٩ / ٢٤ / ٣٠ / ٣١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢١١٠ / ٢١١١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ١٨٥ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢ / ٢٠ .

(٢) الثماد : الحفر يكون فيها الماء القليل . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٣٦٤ .

(٣) عبد الله بن ياسين : لم أجد له ترجمه .

(٤) أبو النجم القائد : وهو حبيب بن النجم ، وهو من البلغاء أيام المهدي . ابن النديم . الفهرست . ١٥٨ / ١٥٨ .

(٥) محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، كان سرياً بعيد الهمة ولم يكن له من الشهرة ما لإخوته ، قيل إن البرامكة بأسرها زنادقة إلا محمد بن خالد بن برمك . ابن النديم : الفهرست . ٤١١ / ٤١١ . أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء . ٣٢٠ / ٣٢٠ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٠ / ٧٦ . الخصري : محمد تاريخ الأمم الإسلامية . ١١٨ / ١١٨ . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام . ٢ / ١٤١ .

(٦) موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، كان أشجع القوم وأشدهم بأساً ، لم ينل من من الشهرة ما ناله أخوه الفضل وجعفر ، إلا أنه كان في تلك الدولة عاملاً سرياً ، وقائداً باسلاً ، ولأه الرشيد الشام سنة ١٨٦ هـ لما هاجت الفتن والعصيان بالشام ، وقد أُنهم مع إخوته الباقين بالزندقة ، كما رماه أعداؤه بأنه ينشر الدعوة إلى العلويين ، ويعمل على تحويل الخلافة إليهم بين أهالي خراسان . ابن النديم : الفهرست . ٤١١ / ٤١١ . =

وكان يكتب ليحيى بن خالد عبد الله بن سوار بن ميمون^(١) ، فقال : فدعاني يحيى يوماً ، فقال : اجلس فاكتب ؛ فقلت : ليس معي دواة ، فقال : أرأيت^(٢) صاحب صناعة تفارقه آله^(٣) ! وأغلظ في حرف^(٤) ، أراد به حظي على الأدب ، ثم دعا بدواة فكتب بين يديه كتاباً إلى الفضل في شيء من أموره ، فظن أنه متناقلٌ عن الكتابة بسبب تلك المخاطبة ، وأراد إزالة ذلك ، فقال لي : عليك دين ؟ فقلت : نعم ، قال : كم هو ؟ قال : قلت ثلاث مئة ألف درهم ، فأخذ الكتاب ووقع بخطه [١٤ أ] شعراً^(٥) :

وكلهم قد نال شبعاً لبطنه وشبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاعَ صاحبه

إن عبد الله ذكر أن عليه دين يخرج منه ثلاث مئة ألف درهم ، فقيل إن تضع كتابي هذا من يدك ، فأقسمتُ عليك لما حملت ذلك إلى منزله ؛ من أحضر مالا قبلك ، إن شاء الله - تعالى - قال : فحملها إلى الفضل ، وما أعلم لها سبباً غير تلك الكلمة .

= أبو الفداء : تاريخ أبو الفداء . / ٣٢٠ . الصفدي : السوايف بالوفيات . ٧٦ / ١٠ . الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية / ١١٧ . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام . ٢ / ١٤٠ .

(١) عبد الله بن سوار بن عبد الله العنبري القاضي البصري ، ولي القضاء في البصرة سنة ١٩٢ هـ ، كان صاحب سنة وعلم ، توفي سنة ٢٢٨ هـ . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط . / ٤٦٤ . الصفدي : السوايف بالوفيات ١٧ / ١٠٨ / ١٠٩ . الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال . / ٢٠٠ .

(٢) رثيت : والصحيح ما أثبتناه .

(٣) آلية : سقط في النسخة (ك) ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) حرف : عدل ، إذا مال الإنسان عن الشيء . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٦٢ .

(٥) ورد هذا البيت في ديوان الحماسة ، وهو من قول بشر بن المغيرة بن أخي المهلب بن أبي صفرة ، وكان شاعراً إسلامياً فارساً مشهوراً ، ويشكو في هذا الشعر أباه وعمه المهلب وذلك أنه كان معه بخراسان فلم يولِّه شيئاً . التبريزي : ديوان الحماسة . / ٩٢ .

ودخل محمد بن زيدان^(١) على الفضل بن يحيى ، فقال له : الفضل من الذي يقول^(٢) :

سأرسلُ بيتاً قد وسمتُ جبينه يقطعُ أعناقَ البيوتِ الشوارِدِ
أقامَ الندى والجود في كلِّ منزل أقامَ بهِ الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ

فقال سلم الخاسر ، فقال لا تسميه خاسراً ، وسمه سلم الرابع ، وأمر له بألف دينار ، ثم غلب سلم على الفضل بن يحيى ، وكثرت فيه مدائحه ، وعظم إحسان الفضل إليه ، وكان يحيى بن خالد يقول للناس : يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون ، وكان يقول التعزية بعد ثلاثٍ تجديداً للمصيبة ، والتهنئة بعد ثلاثٍ استخفافاً بالمودة .

(١) محمد بن زيدان الكاتب ، كان من كتاب يحيى بن خالد بن برمك ، ومن المقربين إليه ، وابنه زيدان بن محمد بن زيدان كاتب يحيى بن أكثم القاضي . ابن أبي الدنيا : الاعتبار . / ٥٠ / ٥١ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . ٦٤ / ٨٥ .

(٢) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذه الأبيات . / ٢٠٤ . كما أورد الصفدي في كتابه الوايف بالوفيات هذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي : أقام الندى والبأس في كل منزل . ١٥ / ١٨٩ .

ومنهم جعفر بن يحيى :

وكان الرشيد يسمي جعفرَ (أخي) ، ويدخل معه في ثوبه ، وقلده بريد الآفاق ودور الضرب^(١) والطرز^(٢) في جميع الكور ، وكان جعفر بليغاً كاتباً ، وكان إذا وقع نسخت توقيعاته وتدرست^(٣) بلاغاته ، حكى علي بن عيسى بن يزدانيروز^(٤) :
^(٥) أنه جلس للمظالم ، فوقع في ألف قصةٍ ونيِّفًا ، ثم أخرجت ففرقت^(٦) على العمال والقضاة وكتب الدواوين ، فما وجد شيئاً منها ينكر ، ولا شيئاً يخالف الحق ، قال علي : فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن إبراهيم ، فقال : حدثني عمرو بن مسعدة^(٧) بهذا الحديث ، قال ثمامة^(٨) بن الأشرس [١٤ ا ب] : كان جعفر بن يحيى أنطق الناس ؛ قد جمع الجدَّ والهزل والجزالة^(٩) والحلاوة^(١٠) ، وإنهاء ما يعنيه عن الإعادة ، ولو

(١) الضرب: أي ضرب العملة . الباشا : الفنون الإسلامية . ٧٢٨ / ٢ .

(٢) الطراز: وهو الإشراف على المصانع التي تتسج الثياب الرسمية والشارات والأعلام وغيرها ، وهي معامل الطراز. القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ٤ / ٦ .

(٣) تدوست : هكذا في النسخة (أ) و(ب) ، والصحيح ما أثبتناه حسب النسخة (ك).

(٤) يزدانيروز: وهو علي بن عيسى بن يزدانيروز كان ، من المقربين إلى يحيى بن خالد بن برمك ، وابنه جعفر ، وقد أحسن إليه يحيى فأساء هو إليه . الجهشياري . الوزراء والكتاب . ١٩٣ / .

(٥) أورد الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر . ٢٠٤ / .

(٦) فعرضت : عند الجهشياري . الوزراء والكتاب . ٢٠٤ / .

(٧) أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ابن عم إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أحد كتاب المأمون وأحد الوزراء ، كان كاتباً بليغاً جزل العبارة شديد المقاصد والمعاني ، أسند الحديث عن أمير المؤمنين المأمون . مات سنة ٢٢٧ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٢ / ٢٠٣ . ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق . ١٦ / ٣٥٤ / ٣٥٥ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ٦ / ٧ . اليافعي : مرآة الجنان . ٢ / ٥٩ .

(٨) تمامة : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٩) الجزالة : أي جودة الرأي . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٤٢٠ .

(١٠) الحلاوة: الحلو الحلال ، أي: الرجل الذي لا ريبة فيه . المصدر السابق . ١٤٧ / ٢ .

كان في الأرض ناطقٌ يستغني عن الإشارة لاستغني جعفر عن الإشارة كما استغني
عن الإعادة، وقال ثمامة : ما رأيت أحداً قط كان لا يتحبس^(١) ولا يتوقف ، ولا يتلجلج^(٢)
ولا يرتقب لفظاً استدعاه من تعذير^(٣) ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعاصى^(٤) عليه
بعد طلبه إلا جعفر بن يحيى ، وفيه تقول عنان^(٥) جاريه الناطفي^(٦) :

بديهته وفكرته سواء إذا التبست عن الناس الأمور
وصدر فيه اللهم اتساع إذا ضاقت من الهم الصدور
وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عجز المشاور والمشير

وقد ذكر حمدون النديم^(٧) لجعفر بن يحيى شعراً ، وأنشدت منه بيتين لم تقع إلى
غيرهما ، وما فيهما طائل^(٨) :

نزفت دمعتي فإن كان الفراق غدا فكيف أبكي ودمع العين منزوف

(١) يتحبس : الاحتباس في الكلام : التوقف . المصدر السابق . ١٢ / .

(٢) يتلجلج : أي يتكلم الرجل بلسان غير بين . المصدر السابق . ٥ / ٤٧٩ .

(٣) تعذير : أي التقصير . المصدر السابق . ٤ / ٢٨٥ .

(٤) تعاصى : اشد كأنه من العصيان . المصدر السابق . ٤ / ٣٥٧ .

(٥) عنان جارية النطاي ، شاعرة مشهورة لها أخبار مع أبي نواس وغيره ، كانت جميلة شاعرة فصيحة سريعة
الجواب ، كانت من أطف الناس وأظرفهم ، وكانت من معرفة الغريب والنحو بمحل ، رفيعة عالمة
بالأنساب ، ماتت بخراسان سنة ٢٢٥ هـ . ابن ماكولا : الإكمال . ٦ / ٢٨٢ . الدقيقي : إتقان المباني وافتراق
المعاني . ١٣٣ / . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٢٤٧ .

(٦) هكذا عند الجهشياري : الوزراء والكتاب . / ٢٠٤ / ٢٠٥ . والأصفهاني : الأغاني . ١٨ / ٢٤٦ .

(٧) أبو عبد الله حمدون بن إسماعيل النديم ، قدم دمشق في صحبة المتوكل ، وكان نديماً له سنة ٢٤٣ هـ ،
توفي بسر من رأى سنة ٢٥٤ هـ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . ١٥ / ١٦٤ / ١٦٥ . ابن العديم : بغية الطلب في
تاريخ حلب . ٦ / ٢٩٣٦ / ٢٩٣٧ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٣ / ١٠٢ .

(٨) أورد القالي هذه الأبيات في كتابه الأمالي في لغة العرب ، وهذه الأبيات من قول إبراهيم بن عبد الله
الوزراق ، مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي :

إذا رحلت ودمع العين موقوف ١ / ٢٢١ .

وَ سَوَاتِنَا مِنْ عَيُونِ الْعَاشِقِينَ إِذَا رَحَلْتُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ

قال ثمامة :

قلت لجعفر ما البيان ؟ فقال : أن يكون الكلام محيطاً بمعناك ، مجلياً عن مغزاك ، مخرجاً من الشوكة غير مستعانٍ عليه بالفكرة .

ووقع جعفر بن يحيى على رقعة لعمر بن مسعدة : إذا كان الإكثار أبلغ ، كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً .

ودفع رجل رقعةً إلى جعفر ذكر فيها قصدهُ إياهُ بأملٍ طويلٍ ، ورجاءٍ فسيحٍ ، فوقع على ظهرها : هذا يمت بحرمة الأمل ، وهي أقرب الوسائل ، وأثبت الوسائل^(١) ، فليعجل له من ثمرة ذلك عشرين ألف درهم ، وليمتحن ببعض الكفاية ، فإن وجدت عنده فقد ضم إلى حقه حقاً ، وإلى حرمة حرمةً ، وإن قصر عن ذلك فعلينا معوله^(٢) ، وإلينا موئله^(٣) ، وفي مالنا سعة له .

ووقع إلى عاملٍ له يأمره باليقظة والحدز ، كن مني على مثل ليلة البيات .
ووقع في رقعة لأهل فارس ، وقد رفعوا يشكون جورَ عاملهم [١٥ أ] : ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الجور عنكم ستقلع .
ووقع رجلٌ إلى جعفر بن يحيى يسأله الاستعانة ، وكان يعرفه ويخبره فوقع على ظهر رقعته^(٤) :

قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم نرض الخبر

وكان جعفر بن يحيى يقول : الخطُّ سمط الحكمة ، به يفصل شذورها^(٥) ، وينظم منشورها .

(١) الوسائل: ما يوصل به الشيء . ابن منظور: لسان العرب . ٤٥٠ / ٦ .

(٢) معوله: عول عليه أي استعان به . المصدر السابق . ٤ / ٤٦٩ .

(٣) مامويله : هكذا في جميع النسخ وما أثبتناه من (ك) .

(٤) أورد الأصفهاني هذا البيت في كتابه : محاضرات الأدباء . ٣٤٢ / ١ .

(٥) شذورها: الشذر صغار لؤلؤ . ابن منظور : لسان العرب . ٤١١ / ٣ .

ووقع على كتابٍ لعلّي بن عيسى^(١) بن ماهان^(٢) ، وقد كتب إليه معتذراً من أشياء بلغته عنه^(٣) :

كانا وقد كنا صديقاً مؤانساً تباعد بينانا فدامَ إلى الحشرِ

وقد وقع في كتابٍ آخر لعلّي بن عيسى :

حبَّ اللهُ إليك الوفاء الذي أبغضته ، وبغَّضَ إليك الغدرَ الذي أحببته ، فما جزاء الأيام أن تحسن ظنَّك بها ، وقد رأيتَ غدرايتها ووقعاتها عياناً وأخباراً والسلام .
ووقع على رقعة لمحبوس : " العدوان أوبقه^(٤) ، والتوبة تطلقه " .

وكان الأصمعي^(٥) يألف جعفر بن يحيى ويأنس به ، ويختصُّ بقربه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وحكايات توصف ، وتقريض وتفصيل ؛ فمن شعره فيه^(٦) :

إذا قيلَ من للتدي والعلأ في الناسِ ؟ قيل : الفتى جعفرُ

(١) موسى: والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك).

(٢) هامان : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه . وعلي بن عيسى هو الأمير الكبير علي بن عيسى بن ماهان ، كان من كبار قواد بني العباس ، وهو الذي أشار على الأمين بخلع المأمون ، ولأه الأمين عل بلاد الجبال وهمذان ونهاوند وقم وأصبهان سنة ١٩٥ هـ ، قاتل جنود المأمون بقيادة طاهر بن الحسين بظاهر الري ، وقد تمكن طاهر من النيل منه وقتله لسبع خلون من شعبان سنة ١٩٥ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٥١٧ / ٥١٨ . الصفدي : الواجف بالوفيات . ٢١ / ٢٤٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ١٥٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ١٥٠ / .

(٣) أورد الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب هذا البيت مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت كما يلي : كنا وقد كنا صديقاً مصافياً . ٢٠٥ / .

(٤) انقه : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) . أوبقه : أبق وتأبق : استخفى ثم ذهب . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٢٨ .

(٥) عبد الملك بن قريب الباهلي ، أحد الأئمة الأعلام باللغة والأخبار والنوادر والملح ، ولد سنة ١٢٢ هـ ، ونادم الرشيد ، وله تصانيف كثيرة ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ . ابن النديم : الفهرست . ٧٨ / ٧٩ . الخطيب الغدادي : تاريخ بغداد . ١٠ / ٤١٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣ / ١٧٠ .

(٦) أورد الجهشياري هذين البيتين في كتابه الوزراء والكتاب مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي : وما إن مدحت فتى قبله . ٢٠٦ / . كما أورد الصفدي : الواجف بالوفيات =

وما إن مدحت فتىً مثله
ولكن بني برمك جوهر
وقال جعفر يوماً لخدمه :

خذ معنا ألف دينار فإني أريد أن أمرُّ بالأصمعي ، وأنزل عنده فإذا حدثني وأضحكني
فضع الكيس في حجره ، ثم صار إليه ومعه أنس^(١) بن أبي شيخ^(٢) ، فحدثه الأصمعي
بكل شيء ، فلم يضحك وانصرف ، فقال له أنس بن شيخ : إنه قد
أضحكك بجهدك ، فلم تضحك ، وليس من عادتك رد شيء قد أمرت^(٣)
بإخراجه من بيت مالك ، فقال له جعفر : ويلك ! قد وصلنا هذا الرجل بخمس مئة ألف
درهم ، ولم أدخل له بيتاً قبل هذا الدفعة ، ورأيت حبه^(٤) مكسوراً ، وعليه برنكان^(٥)
منجرد^(٦) تحته مصلى وسخ ، وكل ما عنده رث ، وأنا أرى أن لسان النعمة أنطق من
لسانه ، وأن ظهور الصنيعة أمدح وأهجا من مديحه وهجائه ، فعلام أعطيه الأموال إذا
لم تظهر الصنيعة عنده ، ولم [١٥ ب] تنطق النعمة بالشكر عنه !؟

= ذلك مع وجود اختلاف في البيت الثاني كما يلي :

وما إن مدحت فتى قبله
ولكن بني جعفر جوهر . ١٢٩ / ١٩ .

(١) أنس بن أبي شيخ بن أبي أخلد الحذاء ، كان من البلاغة بمكان ، وكان صديقاً مقرباً لجعفر بن يحيى بن
برمك ، أتهم بالزندقة فقتله الرشيد وصلبه بالرقعة سنة ١٨٩ هـ . ابن النديم : الفهرست / ١٥٨ . الذهبي : سير
أعلام النبلاء . ٣٣٧ / ١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٦٧ / ٩ .

(٢) منيح : والصحيح ما أثبتناه كما ذكره الجهشيارى : الوزراء والكتاب . / ٢٠٦ .

(٣) أمرتك : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٤) حبة : الحب الجرة الضخمة . ابن منظور : لسان العرب . ٨ / ٢ .

(٥) بركان : كساء من الصوف له علمان . المصدر السابق . ١ / ٢٠٠ . وردت هذه الكلمة عند الجهشيارى في
الوزراء والكتاب (برنكان) بدلا من (بركان) . / ٢٠٦ .

(٦) منجرد : أي خلق قد سقط . ابن منظور : لسان العرب . ٤٠١ / ١ .

ثم أنشد بيت نصيب^(١) :

فعاوجوا فأتوا بالذي أنت أهله
ولو سكتوا أثت عليك الحقائق

وكان جعفرًا نظر ما بعد ، فإن الأصمعي قد هجا البرامكة فيما بعد وكفر
نعمتهم ، وقال عند نكبتهم^(٢) :

إذا ذُكرَ الشركُ في مجلسٍ
أضاءتْ وجوهُ بني برمكٍ
وإن تليتْ عندهم آيةٌ
أتوا بالأحاديثِ عن مزدكٍ^(٣)

ورد الرشيد إلى هرثمة بن أعين^(٤) الحرس ، وكان إلى جعفر بن يحيى ، فقال له
جعفر: ما انتقلت عني نعمةً صارت إليك .

(١) نصبت : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك). هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كانت أمه سوداء ، فوقع عليها أبوه فجاءت بنصيب فوثب إليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه ، كان شاعراً فحلاً مقدماً في النسيب والمديح . توفي سنة ١٢٠ هـ . الأصفهاني : الأغاني . ١ / ٣١٢ . الحموي : معجم الأدباء . ٥ / ٥٥٦ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢ / ٥٥٢ .

(٢) أورد الجهشيارى هذه الأبيات في كتابه الوزراء والكتاب مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي : وإن تليت بينهم آية . / ٢٠٦ .

(٣) مزدك: كان مزدك رجلاً يدعو الناس إلى ملة زردشت ، وقد ادعى نبوة المجوس ، وكان مزدك هذا يلبس الصوف ويتزهد تقريباً إلى العوام ، وكان هو وأصحابه يقولون بأن من كان عنده فضل من الأموال والأمتعة والنساء فليس هو بأولى بها من غيره من الناس . الطوسي : سياست نامه . / ٢٣٩ . المقدسي : البدء والتاريخ ٣ / ١٦٧ . ابن الجوزي : المنتظم / ١٠٦ .

(٤) أحد قادة الرشيد والمأمون ، كان نائباً للرشيد على فلسطين ومصر ، ودخل خراسان سنة ١٩٢ هـ وصار نائباً للرشيد عليها ، وفي سنة ٢٠٠ هـ طلبه المأمون ووضع في الحبس ، وكان الفضل بن سهل يبغضه فقتله بالحبس سرّاً سنة ٢٠٠ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٩٩ / ١٧٠٠ / ١٧٧٩ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٨٨٥ / ٩١٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٨٨ .

وقلّد الرشيدُ جعفرَ إلى ما كان يتقلّدُه من الدواوين والتوقيع والسر^(١) الجزيرة^(٢) والشام، وأمره أن يتخذ خيلاً يجريها في الحلبة ، فأجرى جعفر يوماً خيله بالرقّة^(٣) ، فسبقت خيل الرشيد ، فغضب الرشيد ، فقال العباس بن محمد الهاشمي^(٤) لجعفر: يا أبا الفضل ، ما أحسن الشكر وأدعاه إلى المزيد ! من أين لك هذا الفرس السابق؟ فقال له : إنه من خيلك فقال له : والله لأرضينك ؛ ثم أقبل على الرشيد ، فقال : كنت ، يا أمير المؤمنين مع أبي العباس السفاح ونحن في الميدان ، وقد أرسلت الخيل فبينما^(٥) نحن ننظر إذ طلع فرس سابق ، قد غطاه القتام^(٦) ، فما ترى علامته ، فقال عيسى بن علي وقال غيره : لي ، ثم طلع آخر على تلك العقبة^(٧) ، ثم طلع آخر على تلك الصفة ،

(١) السر: وهو الذي يقف بالناس على حدود الأدب في اللقاء والتحية في مجلس السلطان والتقدم بالوافدين ، ولا بد لمن يتولى هذا المنصب أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللسان . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون . ٢٤٠ / ١ . القلقشندي : صبح الأعشى . ١٣٩ / ١ .

(٢) الجزيرة : تقع بين دجلة والفرات مجاورة للشام ، تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، وطولها عند المنجمين سبع وثلاثون درجة ونصف ، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف ، ومن أمهات مدنها حرّان والرها والموصل والرقّة ورأس عين ونصيبين وغيرها . ياقوت : معجم البلدان . ١٣٤ / ٢ .

(٣) الرقّة: وهي مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة ؛ لأنها من جانب الفرات الشرقي ، طول الرقّة أربع وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتقع في الإقليم الرابع . المصدر السابق . ٥٩ / ٢ .

(٤) أبو الفضل العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أصغر ولد أبيه ، ولد قبل موت أبيه بعامين سنة ١٢٠ هـ ، أمه أم ولد ، ولي إمارة الشام لأخيه المنصور وحج بالناس مرات ، غزا الروم مرة في ستين ألفاً ، وكان شيخ بني العباس في عصره ، روى عن أبيه ، توفّي سنة ١٨٦ هـ . الأصفهاني : العظمة . ١٢٦٨ / ٤ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . ٢٠ / ١٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣٦٤ / ١٦ .

(٥) فيينا : والصحيح ما أثبتناه .

(٦) القتّامُ : الغبار . ابن منظور : لسان العرب . ٢٠٠ / ٥ .

(٧) العُقبةُ : النوبة . المصدر السابق . ٢٨٣ / ٤ .

فَنظَرُوا فَإِذَا هِيَ لِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، وَقَدْ أَخَذَ قَصَبَاتِ السَّبْقِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : مَرِيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبِضُهَا ؟ فَقَالَ لَهُ : هِيَ لَنَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّكَ عُدَّةٌ مِنْ عُدَدِنَا^(١) ، فَسُرَّ عَنِ الرَّشِيدِ ، وَزَالَ الْغَضَبُ عَنْهُ .

ثُمَّ اسْتَخْلَفَ الرَّشِيدُ جَعْفَرًا بِالرَّقَةِ ، وَخَرَجَ مَجَاوِرًا^(٢) فَاعْتَمَرَ عِمْرَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَأَقَامَ بِالْحَرَمِ حَتَّى حَجَّ وَانصَرَفَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا إِلَى الْجَزِيرَةِ يَرِيدُ الرَّقَةَ ، ثُمَّ هَاجَتْ بِالشَّامِ عَصْبَةٌ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِئَةً ، فَقَالَ الرَّشِيدُ لَجَعْفَرٍ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ إِلَيْهَا ، وَإِمَّا أَنْ أَخْرُجَ أَنَا إِلَيْهَا ، فَشَخَّصَ جَعْفَرٌ مِنَ الرَّقَةِ يَرِيدُ الشَّامَ ، فَشِيعَهُ^(٣) الرَّشِيدُ ، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمِيعٌ مِنْ بَحْضَرَتِهِ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَشْرَافِ ، وَفِيهِمْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ^(٤) ، فَلَمَّا وَدَعَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : اذْكُرْ حَاجَتَكَ ، قَالَ لَهُ : حَاجَتِي _ أَعَزُّكَ اللَّهُ _ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

وكوني على الواشين لداء شغبة كما أنا للواشي ألدُّ شغوب [١٦ أ]

(١) عددنا: العُدَّةُ ما أعددتَه لحوادثِ الدهرِ من المالِ والسلاحِ . المصدر السابق . ٤ / ٢٧٣ .

(٢) مجاوراً: المجاورةُ بمكةَ والمدِينةُ يرادُ بها المقامُ مطلقاً غيرَ ملتزمٍ بشرطِ الاعتكافِ الشرعيِّ . المصدر السابق . ٤٨٦ / ١ .

(٣) شيعه: تابعه . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٥٠٢ .

(٤) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ، أمه أم ولد كانت لمروان بن محمد الحمار ، فشرها صالح بن علي فولدت له عبد الملك هذا ، كان معظماً عند الرشيد فولاه إمرة مصر وجمع له الصلات والخراج معاً ، ثم ولاه دمشق سنة ١٧٧ هـ ، ولكنه غضب عليه بعد أن نقل عنه أنه يريد الخلافة فعزل عن دمشق ، كان لعبد الملك بن صالح لسانٌ وبيانٌ ؛ فكان لسان بني العباس ومن يضرب به المثل في البلاغة . توفي سنة ١٩٦ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٧٣٧ / ١٧٣٧ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٣٦ / ٣٦ . ياقوت : معجم البلدان . ٥ / ٢٠٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٩٠ / ٩١ / ٩٢ .

(٥) أورد الجهشيارى هذا الخبر وهذا البيت في كتابه الوزراء والكتاب . ٢٠٨ / ٢٠٨ . وكذلك ابن خلكان ونسبه إلى عبد الله بن الدمينة الخثعمي ، وهو شاعر مشهور عرف بنائحة العرب . ٣ / ٣٨٣ . وأكد ذلك الصفدي في كتابه . الوافي بالوفيات . ٢٠ / ١١٤ .

فقال له جعفر بل أكون كما قال الآخر^(١) :

وإذا الواشي أتى يسعى بها نفع الواشي بما جاء يضر

فقال منصور النمري في ذلك قصيدةً فاخترت منها أبياتاً وهي^(٢) :

لقد أوقدتُ بالشامِ نيرانُ فتيةٍ فهذا أوانُ الشامِ تخمدُ نارُها
إذا جاشَ موجُ البحرِ من آلِ برمكٍ عليها خبتُ شهبانُها وشرارُها
رماها أميرُ المؤمنينَ بجعفرٍ وفيها تلاقى صدعُها وانجبارُها^(٣)
رماها بميمونِ النقيبةِ ماجدٍ تراضى به قحطانُها ونزارُها
وفيه يقول^(٤) :

إذا ما ابنُ يحيى جعفرُ قصدتُ له ملماتُ حَظيٍّ لم ترعهُ كبارُها
لقد نشأتُ بالشامِ منكَ غمامةٌ برمكٍ جدواها ويخشى دمارُها
فطوبى لأهلِ الشامِ يا ويلَ أمِّها أتاها حياها أو أتاها بوارُها^(٥)
غدا بنجومِ السعدِ من حلِّ رحلهِ إليك وعزتِ عصبه أنت جارُها
فان سالموا كانت غمامة نائلٍ وغيثٌ وإلا فالدماءُ قطارُها^(٦)

(١) أورد هذا البيت الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢٠٨ . كما ذكر هذا الخبر وهذا البيت عند الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ، ونسب هذا البيت لجميل . ١٥٣ / ٧ .

(٢) أورد الطبري هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٧١ مع وجود اختلاف في الأبيات ، وقد أورد العمري الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي : عليها خبت شهبانها ونهارها .

(٣) أورد العمري الشطر الثاني من البيت كما يلي : وفيه تلاقى صدعها وانجبارها .

(٤) أورد العمري الشطر الثاني من البيت كما يلي : برمكٍ جدودها ويخشى دماءها .

(٥) ويأتي بعد البيت الثالث عند الطبري عدة أبيات كما يلي :

أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الكبار صفارها

كأين ترى في البرمكيين من ندى ومن سابقات ما يشق غبارها

كما أن البيت الرابع عند الطبري يأتي في الترتيب بعد هذه الأبيات . / ١٦٧١ .

(٦) أورد العمري الشطر الثاني من هذا البيت كما يلي : وغيثٌ وإلا فالدمار قطارها .

ثم صار جعفر إلى الشام فأصلحها ، وظفر بجماعة ممن سعى بالفساد ، وشرده آخرين ، حتى استقامت أمورها ، وله خطبة خطبها ذكرها من بين كلامه لسدادها وهي: الحمد لله الذي لم يمنعه غناه^(١) عن الخلق من العائدة عليهم ، ولم تمنعه إساءتهم من الرحمة لهم ، والرأفة بهم ؛ دعاهم من طاعته بما ينجيهم ، وذادهم^(٢) عن معصية عما يريد^(٣)هم ، كلفهم من العمل دون طاقتهم ، وأعطاهم من النعم فوق كفايتهم ، فهم فيما حملوا مخفف عنهم ، وفيما صلوا موسّع عليهم ؛ وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة ، والمبعوث إلى كافة الأمة ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، أيها الناس ، فإني أوصيكم بالألفة ، وأحذركم الفرقة ، وأمركم بالاجتماع ، وأنهاكم عن الاختلاف ، قال الله - عز وجل - : ﴿

﴿^(٤) فأمر بالجماعة في أول الآية ، ثم لم ينقض حتى نهى عن الفرقة تأكيداً للحجة ، وقطعاً للمعذرة^(٥) . إن الفرقة تنشئ بينكم إحنا^(٦) ، يطلب بها بعضكم [١٦ ب] بعضاً ، وإن الجماعة تعقد بينكم ذمماً يحمى بها بعضكم بعضاً ، حتى يكون المكائر لواحدكم كالمكائر لجماعتكم ؛ فمتى طمع عدو فيكم إذا كانت النائبة تعمكم ؟ إن غفل بعضكم حرسه بقيتكم ، وإن غربت^(٧) طائفة منكم منعها تألفكم ، إنه لم يجتمع ضعفاء قط إلا قووا حتى يمتنعوا ، ولم يتفرق أقوياء قط إلا ضعفوا حتى يخضعوا ؛ واجتماع الضعيفين قوة تدفع عنها ، وافتراق القويين مهانة ؛

(١) غناؤه : والصحيح ما أثبتناه .

(٢) ذادهم : أي طردهم . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٤٧٥ .

(٣) يريد بهم : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٤) ﴿

﴿ . سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٥) للمعذرة : معذرة أي خروج من الذنب . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٢٨٤ .

(٦) إحناء : الإحنة الحقد في الصدر . المصدر السابق . ١ / ٤٥ .

(٧) غربت : أي بعدت . المصدر السابق . ٥ / ١٨ .

يتمكن منها غافل الجماعة لا تضره^(١) غفلته ، لكثرة من يحفظه ، ومتيقظ الفرقة لا ينفعه تيقظه ، لكثرة من يطلبه ؛ وصاحب الجماعة يدرك الدية من الخدش^(٢) والشجة^(٣) ، وصاحباً [لفرقة] ^(٤) يذهب حقه من النفس والحرمة .
 وفي جعفر بن يحيى يقول مسلم بن الوليد ^(٥) في قصيدة طويلة عند انصرافه من الشام^(٦) :

استفسد الدهر أقواماً فأصلحهم	محمل لكتاب الله محتمل
كأنه قمرٌ أو ضيفٌ هصر	أوحية ذكر أو عارض هطل
لا يضحك الدهر إلا حين	تسأله وليس يعبس إلا حين لا يسأل
سدَّ الخليفة أطراف الثغور به	وقد تهتك واسترخى بها الطول
كلُّ البرية ملق نحوه أملاً	للرغب والرهب موصولاً به أمل
داوى فلسطين من أدوائها رجلٌ	في صورة الموت إلا أنه رجل
سلى المنون عليهم من مناصله	مثل الحريق ترامي دونه الشعل
آمنت بالشام أكباداً وأفئدةً	قد حلَّ مستوطنًا أو كارها الوجل

(١) يضره : هكذا في جميع النسخ والصحيح ما أثبتناه .

(٢) الخدش: تمزيق الجلد . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٢٢٨ .

(٣) النمه : هكذا في جميع النسخ . وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه كما ورد في كتاب الوزراء . ٢٠٨ / .

(٤) الفرقة : سقط في النسخة (أ) والنسخة (م) والتصحيح من النسخة (ك) . وكذلك من كتاب الوزراء والكتاب . ٢٠٨ / .

(٥) مسلم بن الوليد : هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري ، المعروف بصريع الغواني أحد فحول الشعراء ، ومولى أسعد بن زرارة الخزرجي ، كان أول أمره خاملاً يعمل فران ، فانقاد له الشعر ، وكسب به الأموال العظيمة ، ثم اتصل بابني سهل الحسين والفضل فولياه بريد جرجان ، وله مدائح في الرشيد والبرامكة ، توفي سنة ٢٠٨ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٩٦ / ١٣ . الكتبي : فوات الوفيات . ٥٠٩ / ٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٨٦ / ٢ .

(٦) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب بيتين من هذه الأبيات ، وأضاف إليهما بيت ثالث كما يلي :

استفسد الدهر أقواماً فأصلحهم	محمل نكبات الدهر محتمل
به تعارفت الأحياء وأتلفت	إذ ألفتهم إلى معروفة السبل
كأن قمرًا أو ضيعهم هصر	أوحية ذكر أو عارض هطل . ٢٠٩ / .

حدث ميمون بن هارون (١) :

قال : قال لي الحسن خالي ، قال أبي : كان لجعفر بن يحيى كاتب فبلغه عنه خيانة ، فأراد أن يوقع^(٢) به ، فقلت له : أنشدك الله أن تفعل ، فإنه إن بلغ أمير المؤمنين هذا ضيع أمره ، وماله فكيف تراه يضبط مالي وأمري؟ ولكن^(٣) دعه الآن ثم أعزله فيما بعد ، وتتبعه في سر ، فقبل رأيي ولم يعزله في ذلك الوقت .

وقال ابن عبدوس في كتاب الوزراء والكتاب ، وجدت بخط أحمد بن إسماعيل نطاحة^(٤) ، حدثني يحيى بن يعقوب النصراني^(٥) قال : حدثني سعيد بن حميد^(٦) قال : لم تزل كتب الملوك والرؤساء تجري في التوقيعات على أن يوقع الرئيس [أ١٧] في القصة بما يجب فيها ، ويذكر المعاني التي يأمر بها ، ولم يكن للكاتب في ذلك الأمر شيئاً أكثر من أن يكتبوا تلك الجملة من التوقيع ألفاظاً تشرحها ، ويقرب من العامة فهمها ، ولا تخرجها عن معنى ما قصده الرئيس إلى أيام الرشيد ؛ فإن المتظلمين كثروا على باب جعفر بن يحيى ، وتأخر جلوسه أياماً ، " فبعث يحيى إليه يسأله بحياته

(١) ابن هارون : وهو ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان أبو الفضل ، الكاتب صاحب أخبار وحكايات وآداب وأشعار ، حدث عن أبي الحسن المدائني وعبيد الله بن محمد بن عائشة وغيرهم ، توفي سنة ١٩٧ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢١٠ / ١٣ . ياقوت : معجم الأدباء . ٤ / ٣٦٣ .

(٢) توقع : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٣) ولكنه : هكذا في جميع النسخ وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٤) أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحة ، من الشعراء والكتاب في عصر بني العباس ومن رواة الأخبار . ابن النديم : الفهرست . ٢٠٣ / . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٩١ / ١١ .

(٥) النصراني : يحيى بن يعقوب النصراني ، لم أعثر له على ترجمة .

(٦) سعيد بن حميد يكنى أبا عثمان ، وكان شاعراً مترسلاً ، عذب الألفاظ ، مقدماً في صناعته ، وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس ، تقلد ديوان الرسائل ، وكان كثير السرقات ، له كتاب (انتصاف العجم من العرب) . ابن النديم : الفهرست . / ١٥٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٨٠ / ٣ .

الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٥ / ١٣٣ .

إن يجلس] لم [(١) جلس" (٢) ، وكانت القصص قد كثرت فنفض أكثرها ، وجاء رسول الرشيد يأمره بالمسير (٣) إليه ، فقال للرسول : قل له يا سيدي ، الساعة أجيء. ونظر فيما بقي وجاءه رسول آخر يستحثه ، " فقال له : قل له : يا سيدي ، قد بقي بين يديّ شيء يسير ، فجاءه رسول آخر ثالث ، فقال : يقول لك : إني جائع وأنا منتظر لك للطعام ، فدع كل ما بين يديك وأقبل إليّ وأنا منتظر لك" (٤) ، وكان في القصص قصة طويلة دقيقة الخط رديئة ، فكان جعفر كلما وقعت عينه عليها عزلها استثقلاً لها ، وقدر أن يكون نظره فيها بعد الفراغ ، فوافاه الرسول الثالث وهي في يده ، وأعجله أن يستتمها ، وكان يحتاج في فهمها إلى مدة ، وكره أن يتأخر عن الرشيد ، [وكره] (٥) وقد رأيت في يده أن يطرحها فيما لم ينظر فيه ، فوقع في ظهرها يعمل في ذلك بما يعمل به في مثله على سنن الحق وقصده ، وجهة الإنصاف وسبيله_ إن شاء الله تعالى_ فورد على الكتاب من هذا التوقيع ما لم يرد مثله ، وصار ذلك رسماً للرؤساء في التوقيع بالألفاظ الجميلة .

وكان عبد الله المأمون (٦) في حجر محمد بن خالد بن برمك ، فنقله الشريف إلى جعفر بن يحيى ، فأشار على الرشيد ببيعته للمأمون بعد محمد ، وقام

(١) لم : وردت بين كلمة يجلس فجلس ، وهي زائدة فحذفت لإخلالها بالمعنى .

(٢) لم يورد الجهشيارى ذلك الخبر في كتاب الوزراء والكتاب . / ٢١٠ .

(٣) المصير : هكذا في جميع النسخ والصحيح ما أثبتناه .

(٤) لم يذكر ذلك عند الجهشيارى في كتاب الوزراء والكتاب . / ٢١٠ / ٢١١ .

(٥) وكره : وردت بين كلمة الرشيد وقد ، وهي زائدة فحذفت لإخلالها بالمعنى .

(٦) عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وأمه أم ولد اسمها مرجل قرأ العلم في صغره ، برع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ، دفعه ذلك إلى القول بخلق القرآن ، كان من رجال بني العباس حلماً وعزماً ورأياً وعلماً ودهاءً ، دُعي له بالخلافة بخراسان في حياة أخيه الأمين ، ثم قدم بغداد بعد قتله ، كان يكنى أبا العباس ، فلما استخلف كني بأبي جعفر ، توفي سنة ٢١٨ هـ . ابن قتيبة : المعارف . / ٣٨٧ / ٣٩١ . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٤ . ابن حزم : جمهرة أنساب الغرب . / ٢٣ . ابن العمري : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ٩٦ .

بالأمر حتى عقد له ، وشخص معه من الرقة إلى مدينة السلام ، حتى أكد^(١) البيعة له ، والأخذ للأيمن على بني هاشم والوجوه^(٢) بها ، وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك ، ثم انصرف إلى الرقة .

وتكلم سهل بن هارون^(٣) بحضرة جعفر بن يحيى ، فأعرب ، وأعرب ، فقال له جعفر : أيُّ شيء هذا الكلام ؟ وأنت من دهستان^(٤) . فقال له سهل : هي أقرب إلى البادية من بلخ^(٥) ، وهذا الكلام قد رُويَ أن المتكلم به مالك بن شاهي^(٦) ، وأن جعفر قال له أتتكلم بهذا الكلام وأنت من أهل نفر أقرب إلى البادية من بلخ ؟ وصنع أبان بن عبد الحميد بن لاحق^(٧) مولى الرقاشين^(٨) ،

(١) ركد : هكذا في جميع النسخة وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) الوجوه : وجوه القوم سادتهم . ابن منظور : لسان العرب . ٦ / ٤٠٥ .

(٣) أبو عمرو سهل بن هارون بن رهبان من أهل نيسابور ، انتقل إلى البصرة ، وخدم المأمون فكان صاحب خزانة الحكمة ، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل ، شعوبياً المذهب شديد التعصب على العرب ، وله مصنفات تدل على بلاغته وحكمته ، توفي بعد عام ٢٠٠ هـ . ابن النديم : الفهرست . / ١٥١ / ١٥٢ . الكتبي : فوات الوفيات . ٤٤٦ / ١ . ابن نباتة : سرح العيون . / ٢٤٣ .

(٤) دهستان : بكسر أوله وثانيه ، بلد مشهور في طريق مازندان ، قرب خوارزم وجرجان . ياقوت : معجم البلدان ٤٩٢ / ٢ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٥٤٥ / ٢ .

(٥) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان من أجلها وأشهرها ذكراً وأكثرها خيراً ، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً . ياقوت : معجم البلدان ٤٧٩ / ١ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٢١٧ / ١ .

(٦) مالك بن شاهي : كان من كتاب يحيى بن خالد البرمكي كان فصيحاً ملماً بالعربية ، وهو من أهل دير قنى ، سعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي في سنة ٢١٠ هـ ، فكشف أمره ومن كان معه فسجنه المأمون في المطبق ، ثم قتل بعد أن أثار الشغب في السجن مع جماعة من رفاقه على يد المأمون سنة ٢١٠ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٨٠٦ . ياقوت : معجم البلدان . ٢ / ٥٢٨ .

(٧) أبان بن عبد الحميد بن لاحق مولى بني الرقاش ، من أهل البصرة ، شاعر مطبوع مقدم في العلم والشعر والحفظ ، اتصل بالبرامكة وحمل لهم كتاب كليلة ودمنة ، كان له مدائح في هارون الرشيد وفي الفضل بن يحيى ، توفي سنة ٢٠١ هـ . ابن النديم : الفهرست . / ١٥٠ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤٤ / ٧ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٨٦ / ٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٩٧ / ٢ .

(٨) الرقاشين : وهم بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية ، أهمهم رقاش ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، خليفة بن خياط : الطبقات لابن خياط . / ١٩٩ .

كتاب كليلة ودمنة^(١) شعراً ، وأهداه إلى جعفر بن يحيى ، فوهب له مئة ألف درهم .
وذكر إسحاق الموصلي ، قال : قال لي إبراهيم بن المهدي^(٢) : خلا جعفر بن
يحيى [١٧ ب] يوماً في منزله وحضر ندماؤه ، وكنت فيهم فتضمخ^(٣) بالخلوق^(٤) ،
ولبس الحرير ، وفعل بنا مثل ذلك ، وتقدم إلى الحاجب يحفظ الباب إلا من عبد الملك
[بن بحران^(٥)] ، فوقع في أذن الحاجب عبد الملك ومضى صدر من النهار ، وبلغ عبد الملك
بن صالح^(٦) مقام جعفر في منزله فركب إليه ، فوجه الحاجب إلى جعفر : قد حضر
عبد الملك ، فقال : يؤذن له وهو يظنه ابن بحران ، فدخل عبد الملك بن صالح في
سواده^(٧) وقلنسوة^(٨) ، فلما رآه جعفر اسود وجهه ، ورآنا على حائنا ، وكان لا
يشرب النبيذ ، وكان ذلك سبب موجدة^(٩) الرشيد عليه ؛ لأنه كان يلمس نُدَامَه

(١) كتاب كليلة ودمنة : كلام نقله أبان بن عبد الحميد إلى شعر في قصيدة عدد أبياتها أربعة عشر ألف بيت ،
وقد أجازه يحيى بن خالد بعشرة آلاف دينار . ابن النديم : الفهرست . / ١٥٠ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد
٤٤ / ٧ .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور ، ويعرف بابن شكلة ، ولد سنة ١٦٢ هـ ، ولاء الرشيد إمرة
دمشق مدة سنتين ثم عزل عنها ، خرج في خلافة المأمون ودعا لنفسه ، وبايعه أهل بغداد ، ثم ظفر به المأمون
وعفا عنه ، توفى سنة ٢٢٤ هـ بسمر من رأى وصلى عليه ابن أخيه المعتصم . الطبري : تاريخ الأمم
والمملوك . / ١٨٧٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . / ١ / ٣٩ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ . ابن كثير : البداية والنهاية .
٢ / ٢١٠٠ / ٢١٠١ / ٢١٠٢ / ٢١٠٣ .

(٣) تضمخ : تلتخ . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ١٣٦ .

(٤) الخلوق : ضرب من الطيب . المصدر السابق . ٢ / ٣٠٦ .

(٥) عبد الملك بن بحران : وهو أحد ندماء جعفر بن يحيى اليرمكي وقهرمانه ، وكان لا يُحجب عن مجلس جعفر
بن يحيى . ابن خلكان . وفيات الأعيان . / ١ / ٣٣٠ . الصفي : الوايف بالويف . ١١ / ١٢٢ .

(٦) سقط في النسخة (ك) .

(٧) سواده : لبس السواد . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٣٦٢ .

(٨) قلنسوة : لباس مشترك بين الرجال والنساء ، وهو ما يُلاث على الرأس تكويراً كما الحال في العمامة ، تلبس
كغطاء للرأس إما لوحدها أو تلف حولها العمامة . المصدر السابق . ٥ / ٤٣٧ .

(٩) موجدة : أي العتب . المصدر السابق . ٤ / ٢٤٨ .

فيأبى^(١) ، فوقف عبد الملك على ما رأى من جعفر، فدعا غلامه ، فناوله سوادة وقلنسوة ، وأقبل حتى وقف على باب المجلس الذي نحن فيه ، فسلم وقال : افعلوا بنا ما فعلتم بأنفسكم ، فدنا منه خادمه^(٢) فألبسه حريره ، وجاء فجلس ودعا بطعام فأكل

(١) يتضح هنا للدارس أن هناك الكثير من القبح في شخصية هارون الرشيد ، فلم يكن هناك في سائر الزمن ليلة مات فيها خليفة ، وقام خليفة وولد خليفة لإتلك الليلة ، وهي ليلة السبت لأربع عشرة بقية من ربيع الأول سنة سبعين ومئة ؛ حيث تولى هارون الرشيد أمر الأمة حيث كان أمير الخلفاء ، وأجل ملوك الدنيا ، كان كثير الغزو والحج ، فكان يحج عاماً ويغزو عاماً ، يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات ، لا يتركها إلا لعة ، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ، كان يحب العلم وأهله ويعظم حرمان الإسلام ويبغض الرياء ، كان يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه ، وإذا حج أحج معه مئة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاث مئة من الفقهاء وأبنائهم .

قال أبو معاذ الضير: حدثنا هارون الرشيد بهذا الحديث ، يعني قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " وددت أن أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا فأقتل " فبكى هارون الرشيد حتى انتحب ، ثم قال : يا أبا معاوية ترى لي أن أغزو؟ قلت : يا أمير المؤمنين مكانك في الإسلام أكثر ، ومقامك أعظم ، ولكن ترسل الجيوش ، قال أبو معاوية : ما ذكرت النبي - صلى الله عليه وسلم - بين يدي هارون الرشيد قطُّ الا قال صلى الله على سيدي . ويقول منصور بن عمار : ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة فضيل بن عياض ، وأبو عبد الرحمن الزاهد ، وهارون الرشيد .

فكيف بمن يتهم الرشيد بمثل تلك التهم من شرب الخمر و عمل المنكرات ، فهل يعقل بمن تتوفر فيه تلك الصفات الجليلة أن يقدم على هذه الأمور المنكرة ؟ والجواب هنا واضح فكل من ألصق هذه التهم بخليفة المسلمين هارون الرشيد هم أعداء الأمة الزنادقة ، قاتلهم الله بعد أن كشف أمرهم ، ونكل بهم وضرب أعناقهم ؛ حيث كان الكثير منهم يتربع على عرش الكتابة والأدب ففسدوا السم الزعاف للنيل من هارون الرشيد ، ومهاجمته وتمجيد الزنادقة بطريقة غير مباشرة لتشويه الحقائق التاريخية لشخصية هارون الرشيد يرحمه الله .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٧/٦/٥/١٤ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٠٧٦/٢٠٧٧/٢٠٧٨ .
السيوطي : تاريخ الخلفاء . / ٢٨٣/٢٨٤/٢٨٥ . الدوري : الجذور التاريخية للشعبوية . / ٣٨ .

(٢) خادمه : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

ودعا بنبيذ فأتوه برطل^(١) فشربه ، وقال لجعفر: ما شربته قبل اليوم ، فليخفف عني فدعا له برطلية^(٢) ، فجعلت بين يديه ، وجعل كلما فعل من ذلك شيئاً سر عن جعفر ، فلما أراد الانصراف قال له: جعفر سل حاجتك فيما يحيط بمقدرتي بمكافأة ما كان منك ؛ فقال: إن في قلب أمير المؤمنين مني أحنة^(٣) ، فتسأله الرضا عني ، قال : قد رضي عنك أمير المؤمنين ، قال : وعليّ دين أربعة آلاف ألف درهم تقضى عني ، قال : إنها لعندي حاضرة ، ولكن جعلتها من مال أمير المؤمنين فإنها أنبل لك وأحب إليك ، قال : وإبراهيم ابني^(٤) أحب أشد ظهره بصهر^(٥) من أولاد الخلفاء ، قال : قد زوجه^(٦) أمير المؤمنين ابنته الغالية^(٧) ، قال : وأحب أن يخفق لواء على رأسه ، فقال : قد ولاه مصر .

وانصرف عبد الملك ونحن نتعجب من إقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان ، وقلت : لعله أن يجاب إلى ما سألته من الحوائج ، فكيف بالتزويج ؟ أن يطلق لجعفر أو لغيره ذلك ؟
فلما كان من الغد ، وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر ، فلم يلبث^(٨) أن دعا بأبي

(١) رطل : يلفظ أيضاً رطل ورُطل ، وعند الأوربيين في العصور الوسطى روتولو ، وهو أكثر وحدات الوزن استعمال في الشرق العربي ، ويساوي اثنتي عشرة أوقية ، أي : كيلو ونصف . فالترهنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية . / ٣٠ .

(٢) رطلية : إناء للشرب . الأصفهاني : الأغاني . ١٩٤/٥ .

(٣) أحنة : أي حقد في الصدر . ابن منظور : لسان العرب . ٤٥ / ١ .

(٤) انني : والصحيح ما أثبتناه .

(٥) بظهر : والصحيح ما أثبتناه .

(٦) زوجته : هكذا في النسخة (أ) و(م) والصحيح ، ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٧) الغالية : وهي أم الغالية بنت هارون الرشيد ، وأمها سمندل زوجة هارون الرشيد . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧١١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٠٨٢ .

(٨) نلبث : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

يوسف القاضي^(١) ، ومحمد بن الحسن^(٢) ، وإبراهيم بن عبد الملك ، وخرج إبراهيم وقد خلع عليه وزوج ، وحملت البدر إلى منزل عبد الملك ، وخرج جعفر فأشار علينا باتباعه إلى منزله ، فلما صرنا إليه قال : تعلقتم قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم علم آخره ، وإني لما دخلت على أمير المؤمنين وقمت [١٨ أ] بين يديه ، ابتدأت القصة كيف كانت من أولها إلى آخرها ، فجعل والله يقول : أحسنت ! حتى أتمت خبره ، ثم قال : فما صنعت به ؟ قال : فأخبرته ما سألت ، وما أجبت له ، فجعل يقول : أحسنت ! أحسنت !.

وقال : مخارق غدوت يوماً إلى إبراهيم بن ميمون الموصلية ، وكان يوم دجن^(٣) ، فأصبت بين يديه قدوراً تغرغراً^(٤) ، وأباريق تزهر ، وهو كالمهموم ، فسألته عن حاله ، فقال : لي ضيعة^(٥) ، وإلى جانبها ضيعة تباع ، ثمنها مئتا ألف درهم ، وأن دخل فيها غيري أفسد عليّ ضيعتي ، وما أقول إن ثمنها ليس يمكنني ، ولكن لست أسمح بإخراج شيء في منزلي ، قال : فأمسكت عنه وأتممت يومي عنده ، وغدوت على يحيى بن خالد فلقيته ،

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن جيش بن سعد ، ولد بالكوفة سنة ١١٣ هـ ، وهو أول من دُعِيَ بلقب قاضي القضاة ، ولي القضاء للمهدي وابنيه ، تفقه على يد أبي حنيفة ، كان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ، توفي سنة ١٨٢ هـ . ابن قتيبة : المعارف / ٤٩٩ . البخاري : التاريخ الكبير . ٣٩٧ / ٨ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٥١ / ٣٥٠ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ، فقيه العصر الإمام صاحب أبي حنيفة - رحمه الله - ، أصله دمشقي قدم أبوه إلى العراق فولد سنة ١٣٥ هـ ، نشأ بالكوفة وطلب الحديث وسمع سماعاً كثيراً ، جالس أبا حنيفة وسمع منه وناظره ، وله مصنفات حسان في الفقه والحديث ، وكان من أجمل الناس ، توفي سنة ١٨٩ هـ . الذهبي : العبر في خبر من غبر . ٣٠٢ / ١ . حاجي خليفة : كشف الظنون . ٥٦٧ / ١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣٢٢ / ١ .

(٣) يوم دجن : يوم مطير . ابن منظور : لسان الغرب . ٣٥٩ / ٢ .

(٤) تعرق : والصحيح ما أثبتناه كما في الوزراء والكتاب . / ٢١٤ . وقدوراً تغرغراً أي تغلي . ابن منظور : لسان العرب . ٢٥ / ٥ .

(٥) ضيعة : عند الحاضرة مال الرجل من النخل والكرم والأرض . المصدر السابق . ١٤٧ / ٤ .

فسألني عن خبري في أمس ، فخبرتة الخبر فأضحكه ما قال إبراهيم ، وانصرفت لإبراهيم لأعرفه الخبر فوجدت المال قد سبق إليه ، فقلت له : اشتر^(١) الآن الضيعة ، فقال لي : لكل جديد لذة ، وهذا مال جديد ولست أحب إخراجة ، قال : فحدثت يحيى بن جعفر بن يحيى الخبر فأضحكه ، وبعث بالمال إليه ، ثم صرت إليه ، فقلت : اشتر الآن الضيعة ، فقال : العجلة من عمل الشيطان ، دعني أستمتع بهذا المال مدة ، ثم صرت إلى الفضل بن يحيى فحدثته بالحديث ، فابتاع له الضيعة ، ووجب ثمنها ، ووجه إليه بمثل الثمن^(٢) ، ووجه إليه بالصك ، فصرت إلى إبراهيم فوجدته فرحاً مسروراً بوصول المال ، وحصوله الضيعة في ملكه ، فبلغ ذلك جعفر ، فقال : والله لأزيد^(٣) على الفضل ، فأمر له بثلاث مئة ألف درهم حملت إليه في ساعتها ، وفي جعفر بن يحيى يقول : أشجع^(٤) السلمي^(٥) :

ولا يصنعون كما يصنع	يحبُّ الملوكُ ندى جعفرٍ
وهم يجمعون ولا يجمع ^(٦)	وكيفَ ينالونَ غاياته
ولكن معروفه أوسع	وليسَ بأوسعهم في الغنى

(١) اشترى : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٢) المثلث : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك).

(٣) يزيد : هكذا في جميع النسخ وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٤) اشجع : والصحيح ما أثبتناه كما في النسخة (ك) .

(٥) أشجع بن عمرو السلمي من ولد الشريد بن مطرود ، ربي ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيد بها

فمدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، فمدحه ووصله الرشيد وأعجبه وأثرت حاله في أيامه وتقدم

عنده ، توفي سنة ٢٠٠ هـ . الأصفهاني : الأغاني . ١٨ / ٢٤١ - ٢٤٧ / ابن خلكان : وفيات الأعيان .

٩ / ١٥٧ / ١٥٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ١ / ٢٢٣ / ٢٢٤ .

(٦) أورد الجهشيارى هذه الأبيات في كتابه الوزراء والكتاب ، وقد وضع البيت الثالث مكان البيت

الثاني . ٢١٥ / .

وحكى أن المأمون قال لمحمد بن عباد المهلبي^(١) يوماً : بلغني أن فيك سرفاً ؟ فقال :
ياأمير المؤمنين ، منع الموجود سوء الظن بالمعبود ، وإني لأهم بالإمساك فأذكر قول
أشجع في جعفر ، وذكر هذه الأبيات ، فأمر له المأمون بمئة ألف درهم ، وقال له : استعن
بها على مروءتك [١٨ ب] .

وحكى أن الرشيد^(٢) : قام عن مجلسه يريد الدخول إلى بعض حجر [قصره]^(٣) ، وأن
جعفراً أسرع فرفع الستر، وأن الرشيد تأمل عنقه، فقال له : ما تتأمل مني يا أمير
المؤمنين؟ فقال : حسن عنقك ، وحسن موقع الجريان^(٤) عليه ، فقال : لا والله ، ما
تأملت إلا موقع سيفك منها ، فقال له : أعيدك بالله من هذا القول ، واعتقه وقبّله ،
فلما قتله بعد ذلك قال للفضل بن الربيع : قاتل الله جعفراً ! وذكر هذا الخبر ، وقال :
تأملت عنقه لموقع السيف منها ، وفي طول عنقه ، يقول أبو نواس يهجو^(٥) :

قالوا مدحتَ فماذا اعتضت قلت لهم خرق النعالِ وأخلاق السراويلِ
قالوا فسمِّ لنا الممدوحَ قلت لهم وصفي يعدل التفسيرَ في القيلِ
ذاك الأميرُ الذي طالت علاوتهُ كأنَّهُ ناظرٌ في السيفِ بالطولِ

ولأبي نواس في جعفر أهاج كثيرة بلغته ، فتغمدها بحلمه ، وقابلها بفضله ، وأجازه

(١) محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، كان يتولى الصلاة والإمارة بالبصرة ،
قدم بغداد وحدث بها عن أبيه وعن صالح المري وعن هشيم بن بشير وروى عنه ابن القاسم وإبراهيم الحبي ،
وكان محمد سخياً كريماً ، توفى بالبصرة سنة ٢١٤ هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٥٩ . الخطيب
البغدادي : تاريخ بغداد . ٢ / ٣٧١ / ٣٧٢ / ٣٧٣ . السمعاني : الأنساب . ٤ / ٢٨٤ .

(٢) أورد الجهشيارى هذا الخبر في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢١٦ .

(٣) قصره : ساقطة في الأصل ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٤) الجريان : هو جيب القميص . ابن منظور . لسان العرب . ١ / ٣٩٨ .

(٥) أورد أبو نواس هذه الأبيات . ديوان الحسن بن هانئ . / ٧٦٦ .

عليها ، ووصله بشأنها^(١) منها قوله^(٢) :

لقد غرني من جعفر حسنُ بابِه ولم ندر أن اللؤمَ حشو إهابِه
ولستُ وإن أخطأتُ في مدح جعفرِ بأولِ إنسانٍ خرى في ثيابِه

فبعث إليه بعشرة آلاف درهم ، وقال له : اغسل ثيابك بهذه الدراهم .

وقد كان جعفر بن يحيى كريماً ولا يستحق الهجو، ولكن الشعراء لا تملك ألسنتهم ، وما زالت الأشراف تُهَجَى وتُمدح ، وأول دليل على كرمه أن أبا نواسٍ على حدقه وتقدمه في الصناعة لما أراد هجاءه لم يجد له ما يعيبه به إلا طول عنقه ، ولو وجد غير هذا لقاله ، والعيب في الخلق دون العيب في الخلق ، ثم لما هجاه ثانياً بما ذكرنا لم يعبُ خُلُقاً ، ولا خُلُقاً غير أنه تحمل فيه ، قوله: أن اللؤم حشو إهابه ، ولو كان وجد خُلُقاً دميماً أو خُلُقاً ذميماً لقاله في هجائه وذمّه به، ورماه بأوابده ، ولكنه لم يجد إلا ملء سمعه وبصره ، على أنه قد كان يقال : إن جعفر بن يحيى مبخل ، وما ذاك كذاك، وإنما كان كرم أبيه يحيى ، وأخيه الفضل يغمران البحار كثرة . [١٩ أ] وكان جعفر دونهما على كرمه المفرط ، وجوده الزائد مع قربه من الخليفة أكثر من قربهما ، فلهذا بخل ، وإلا فهو كنز السماح ، ورسيل^(٣) البحر إذا سح ، والغمام إذا ساح . وتنازع الفضل بن الربيع ، وجعفر بن يحيى يوماً بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يا لقيط فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : تراه عند [من]^(٤) يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين ، وأنت حاكم الحكام !

(١) بسنها : هكذا في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) أورد أبو نواس هذين البيتين . ديوان الحسن بن هانئ . / ١١٨ .

(٣) رسيل : السهل . المصدر السابق . / ٧١ .

(٤) من : ساقط في النسخة (ك) .

قال إسحاق بن سعد القطريلي^(١) : أخبرنا أبو حفص عمر بن فرج^(٢) ، قال : انصرفت مع عمرو بن مسعدة يوماً من الشماسية، والمأمون بها في زلال^(٣) لعمرو بن مسعدة ، فلما صرنا إزاء قصر جعفر بن يحيى ، قال أبو عمرو : يا أبا حفص ، سرت [أنا]^(٤) وجعفر يوماً كمسيرنا هذا ، فلما نظر إلى البناء ، قال لي : يا أبا الفضل ، والله أني لأعلم أن هذا ليس من بناء مثلي ، ولكن قلت : إن بقي لي فهو قصر جعفر ، [وإن شره^(٥) السلطان إليه في وقت من الأوقات فهو قصر جعفر]^(٦) وإن مضت عليه الأيام فإنما يقال: قصر جعفر ، ويبقى لي اسمه وذكره ، ولعل أن يمر به بعض من لنا عنده معروف فيترحم علينا ، ثم قال عمرو: فوالله لكأن جعفرًا كان ينظر إلى ما آلت إليه الحال فيه .

وقد حكى : أن السبب كان في بناء جعفر هذا القصر أن متظلمًا من أهل أصبهان^(٧)

(١) إسحاق بن سعد بن مسعود القطريلي كاتب المتوكل ، كان يتولى خاص أموره وأمر ضياع بعض الولد ، قبض عليه المتوكل بعد ذلك وحبسه وغرمه واحدًا وخمسين ألف دينار بعد اعترافه بالسرقة . الطبري : تاريخ المم والملوك . / ١٩١٨ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي وجهه المأمون إلى مصر مع خالد بن يزيد بن مزيد ، على أن يتولى أمر الخراج بعد فتح مصر ، وجعله الوثائق مكان إبراهيم بن رباح ، بعد أن سخط عليه حتى غلب على الوثائق كما يقول اليعقوبي ، ثم سخط عليه المتوكل وعلى أخيه محمد فحبسه فأقام في الحبس سنتين . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ . / ٤٥٧ / ٤٨١ / ٤٨٣ / ٤٨٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٨٤ / ١٧ .

(٣) الزلال : الموضع والمكان . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ١٩٦ .

(٤) أنا : ساقطة في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٥) شره : شتد حرصه عليه . المصدر السابق . / ٤٢٩ .

(٦) سقط في النسخة (ك) .

(٧) أصبهان : منهم من يفتح الهمزة وهو الأكثر الشهر ، وكسرهما آخرون ، وأصبهان لفظ معرب من سبهان بمعنى الجيش ، فيكون معناه على حذف المضاف مدينة الجيش ، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وكانت مدينتها أولاجي ثم صارت اليهودية ، وهي من نواحي الجبل . ياقوت : معجم البلدان . ٣ / ١٩٠ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ١ / ٨٧ .

تظلم إلى يحيى بن خالد من^(١) عامله بها ، وقال له : إنه ظلمني وأساء معاملتي ، وأخذ ما لا يجب له مني ، وهدم شرفي ، فقال له يحيى : قد علمت جميع ما تظلمت منه خلا [قولك]^(٢) "هدم شرفي" ففسر^(٣) ذلك ، فقال له الرجل^(٤) : أنا من بني رجل كان بنى قصرًا جليلاً ، وكان ينسب إليه ، فكان الرائي إذا رأى القصر وجلالته وعلم أنني من ولد الباني له ، عرف بذلك قديم نعمتي وجلالة أولي ، فهدمه فاستحسن يحيى ذلك منه .

وقال للفضل^(٥) وجعفر : لا شيء أبقى ذكراً من البناء ، فاتخذوا منه ما بقي لكم ذكراً ، فاتخذ جعفر قصره ، وكذلك الفضل ، وأمر يحيى بإنفاذ محتسب^(٦) مع المتظلم يطالب العامل بإعادة بناء قصره ، وإنصافه في ظلامته .

قال إسحاق بن سعد : [١٩ ب] وحدثني أبو جعفر محمد بن علي^(٧) كاتب عمر بن فرج عن حدثه ممن أدرك البرامكة ، وكان يخبر كثيراً من أمرهم ، قال : لما قارب جعفر بن يحيى الفراغ من بناء قصره هذا صار إليه ومعه أصحابه فيهم مؤنس بن عمران^(٨) ، وكان عاقلاً كاملاً فطاف به واستحسنه ، وقال : من حضره من أصحابه ، وأكثروا فيه القول ومؤنس^(٩) بن عمران ساكت ، فقال جعفر : مالك لا تتكلم ؟ فقال : فيما

(١) في : والصحيح ما أثبتناه من النسخة (ك).

(٢) قولك : ساقطة في الأصل ، وما أثبتناه من النسخة (ك) .

(٣) تفسير : والصحيح ما أثبتناه من النسخة (ك) .

(٤) الرجل : في النسخة (ك) فقال له : المتظلم .

(٥) الفضل : والصحيح ما أثبتناه .

(٦) المحتسب : المحتسب هنا يقوم بمراقبة أعمال العمارة وتنفيذ المباني على الوجه المطلوب . الماوردي : الأحكام السلطانية . ٢٨١/ .

(٧) محمد بن علي : لم أعثر له على ترجمة .

(٨) مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار ، جده زياد مولى بني الهيثم ، كان من ندماء جعفر بن يحيى بن برمك ، وكان راجح الرأي كريماً وقد أثنى عليه معاذ بن معاذ لكرمه . البلاذري : فتوح البلدان . ١ / ٣٦٥ . ابن حيان :

أخبار القضاة . ٢ / ١٥٣ . الأصفهاني : محضرات الأدباء . ١ / ٣١٨ .

(٩) يونس : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

قال أصحابنا كفاية ، وتكرار القول فيما لا يحتاج إليه ، وكان جعفر ذكياً فعلم أن تحت قوله شيئاً ، فقال له : وأنت فقل ، فقال : هو ما قالوا ، قال : أقسم لتقولنَّ ، قال : فاذا أبيت الآن إلا أن أقول فتعتزل ناحية ، فقال له : أتصبر على الصدق ؟ قال : نعم قال : بل تختصر ، قال : أسألك بالله إن خرجت من دارك هذه فمررت بدار لبعض أصحابك تشبهها أو تقاربها ما أنت قائل؟ قال : فهمت ما أردت ، فما الرأي ؟ قال : هو رأي واحد ، إن أخرته عن ساعتك هذه فأنت لم تلحقه ، قال : وما هو ؟ قال : لا شك أن أمير المؤمنين قد طلبك ، وسأل عن خبرك ، وضجر بتخلفك فأطل اللبث هاهنا ، ثم امضِ إليه من فورك فادخل عليه وعليك أثر الغبار ، فإذا سألك عن خبرك ، فقل : صرت إلى الدار التي بنيتها للمأمون ، ثم أتبع ذلك القول بما أنت أعلم به ، وقد كان جعفر اتخذ في هذا القصر ثلاث مئة وستين مقصورة^(١) ، وكتب إلى كل ناحية يُعمل فيها الفرش ، فأمر أن يتخذ له ما يحتاج إليه لبنائه من الفرش على ذرعه^(٢) ومقاديره ، وكان قد كثر القول في البناء والفرش ، فأقام في الدار الشارعة مدة ، ثم مضى من فوره فدخل على الرشيد فسأله عن خبره ، فقال : كنت في الدار التي اتخذتها للمأمون على دجلة^(٣) ، وتفقدت بعض ما احتجت إلى تفقده فيها ، فقال : أو للمأمون بنيتها ؟ قال : لما شرفني أمير المؤمنين بأن جعله في حجري ، واستخدمني له ، وعرفت محله من قلبك ، أردت بأن أبنى له بناء يشبه هذا المحل ، ومع ذلك فإني كتبت بأن يتخذ لجميع البناء فرش من^(٤) جميع النواحي التي تستعمل فيها الفرش على مقادير ، وبقي شيء لم يتهيأ اتخاذه ، فقدرنا أن نعول فيه على خزائن أمير المؤمنين ، إما عارية^(٥) وإما هبة ،

(١) مقصورة: الدار الواسعة المحصنة . ابن منظور: لسان العرب . ٢٦٧/٥ .

(٢) ذرعه: ذرع كل شيء قدره من ذلك . المصدر السابق . ٤٥٨/ ٢ .

(٣) دجلة: النهر العظيم الذي المشهور الذي يشق بغداد ، قيل وهي معربة من ديلة ، ولهما اسمان آخران وهما: إربل رود وكودك أي البحر الصغير ، مخرجها من عين تسمى عين دجلة ، على يومين ونصف من أمد ويصب إليه أنهار أخرى تخرج من أرض الروم . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٥١٥ / ٢ .

(٤) في : والصحيح ما أثبتناه .

(٥) عارية: يجب ردها مهما كانت عينها باقية . ابن منظور : لسان العرب . ٤٦٤/ ٤ .

وزال بذلك التشنيع الواقع عليه كله وأمره بنزولها رأى أن [٢٠ أ] يطلق للمأمون الانتقال إليها ، فانتقل إليها جعفر بن يحيى ، ولما عزم جعفر على بناء قصره هذا شاور أباه يحيى بن خالد ، فقال : هو قميصك إن شئت فوسعه ، وإن شئت فضيقه ، وأتاه وهو بين يديه^(١) يبني داره هذه ، وإذا الصناع ينقضون حيطانها ، فقال : إنك تعطي الذهب^(٢) بالفضة ، فقال له جعفر : في كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم ، مخالطتها دور السفلى والسوق^(٣) .

وحكى : أن جعفرأ بن يحيى لما عزم على الانتقال إلى داره ، وهو القصر جمع المنجمين^(٤) لاختيار وقت ينتقل فيه إليه ، فاختاروا له وقتاً من الليل ، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي كان ينزل فيه إلى قصره والطريق خالية والناس هادئون ، فلما صار إلى سوق يحيى^(٥) رأى رجلاً قائماً وهو يقول^(٦) :

يدبرُ بالنجم^(٧) وليسَ يدري وربُّ النجمِ يفعلُ ما يريدُ

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل ، فقال له : أعد عليّ ما قتلته فأعاده ، فقال له : ما أردت بهذا ؟ فقال له : والله ما أردت به معنى من المعاني ، ولكنه شيء عرض لي ،

(١) بين يده : ساقطة في النسخة (ك) .

(٢) الذهب : تكرر ذكرها مرتين في النسخة (أ) .

(٣) السوق : عامة الناس . المصدر السابق . ٣٧٠/ .

(٤) المنجمين : المنجم الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها . المصدر السابق ١٤٧/٦ .

(٥) سوق يحيى : ببغداد بالجانب الشرقي ، كانت بين الرصافة ودور المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة ، منسوبة إلى يحيى بن خالد بن برمك . ياقوت : معجم البلدان . ٣ / ٢٨٤ .

(٦) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذه الخبر وهذا البيت . ٢١٧/ . وعند ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٣٤٤ .

(٧) تريد النجم : هكذا في النسخ (أ) و(م) والصحيح ما أثبتناه من (ك) .

وجاء على لساني في هذا الوقت ، فأمر له بدنانير ، ومضى لوجهه^(١) وقد تنغص عليه سروره .

قال إسحاق بن سعد : سمعت عمر بن فرج الرخجي [يقول كانت الحال بين فرج]^(٢) وبين الحرث بن سنجر^(٣) حالاً لطيفة جداً ، وإنه وصف جلالته الحرث ونبله وفضله ، قال : فقلد جعفر بن يحيى في بعض الأوقات الحرث ضياعه بالأهواز ، وكان لها قدر جليل ، فسعى به إليه ، وقيل : إنه قد أقطع من أمواله أموالاً جليلاً ، وإن فرج الرخجي يعلم ذلك ، وإنه إن سر ما بلغه فأحضر فرجاً فجاءه ، وسأله واستحلفه صدقه عن ذلك ، فأحضر جعفر أبي وخلا به ، وسأله عن أمر الحرث وما بلغه عنه ، فأنكره فاستحلفه عنه بالطلاق فحلف له به ، فلما خرج من عنده ، قال لي : قل لفلانة الحرة وكانت عنده تسترمي ؛ فقلت لها ذلك وزال عن الحرث ما كان أشرف عليه ، ثم حج الرشيد وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر ، فلما صار بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد [٢٠ب] فأعطى أهل العطاء ، ثم جلس بعده محمد ومعه الفضل بن يحيى ، فأعطاهم العطاء ، ثم جلس عبد الله ومعه جعفر بن يحيى فأعطاهم العطايا ، فأعطوا في تلك السنة ثلاثة أعطية ، وكان^(٤) أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الثلاثة أعطية ،^(٥) ولم يروا مثل ذلك قط إلا في أيام البرامكة ، في نحو من ذلك يقول ابن مناذر^(٦) : ستظلم بغداد ، الأبيات وقد تقدمت .

(١) ومضى لوجهه: مكررة في النسخة (ك) .

(٢) ساقط في النسخ (أ) و(م) وما أثبتناه من النسخة (ك) .

(٣) يستجير: في (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك). ولم أعثر على ترجمة للحرث بن سنجر.

(٤) كانوا: هكذا في جميع النسخ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٥) أعطية: اسم لما يُعطى . ابن منظور : لسان العرب . ٣٦٩ / ٤ .

(٦) ابن مناذر: هكذا في (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وكان جعفر بن يحيى طالب لما حلف للمؤمن في بيت الله الحرام أن يقول : خذلني الله إن خذلتته ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فحكى عن الفضل بن الربيع : فيما حدث ميمون بن هارون أن محمداً قال له في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله : يا^(١) أبا العباس هو ذا أجد في نفسي أن أمري لا يتم ، فقال له : ولم ذلك - أعز الله الأمير - ؟ قال : لأنني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر ، فقلت له : سبحان الله ! في مثل هذا الموضع ؟ فقال لي : هو ما قلت لك^(٢) .

ولما أنفق الرشيد في تلك الحجة الأموال الجلييلة نفذ ما كان معه ، فقال ليحيى بن خالد : يا أبت احتل^(٣) لي مالا ، فأخذ له من التجار مالا فاستزاده ، فقال : يا أمير المؤمنين إننا بمكة وما نجد فلقى جعفر بن يحيى عمر بن حبيب القاضي^(٤) ، وكان انقطاعه إلى يحيى فقال له : ما صنع بنا صديقك ؟ يعني أباه ، فقال : وكيف أعزك الله ؟ قال : طلب منه أمير المؤمنين مالا فلم يحمل إليه حتى أتاه بعض خدمه بمئة ألف دينار ، فقبضها بين يديه ، وقال له : اصرف هذا يا أمير المؤمنين في بعض ما تحتاج ، فلما رآه استكثره ، وأحب الرشيد جمع المال ، وفرغ مما كان قصد له من توكيد بيعة ابنه ، وأخذ الأيمان لكل واحد منهما على صاحبه ، وعلى الناس لهما .

قال موسى بن يحيى بن خالد : فخرج أبي إلى الطواف وأنا معه من بين ولده ، فجعل يتعلق بأستار الكعبة ، ويردد هذا الدعاء ويقول : اللهم إن ذنوبي جمّة ولا يحصيها غيرك ، ولا يعرفها سواك ، اللهم إن كنت معاقبي فاجعل عقوبتي في دار الدنيا ، وإن أحاط بذلك سمعي وبصري ومالي وولدي ، حتى تبلغ رضاك مني .

(١) ايا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٢) له : لا تستقيم الجملة إلا بما أثبتناه .

(٣) احتل : أي الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف . ابن منظور : لسان العرب ٢ / ١٨٩ .

(٤) عمر بن حبيب القاضي العدوي ، كان قاضياً على البصرة ثم ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد للمؤمن ، روى عن داود بن أبي هند وابن جريج روى عنه البصريون وليس بالقوي في روايته ، توفي سنة ٢٠٧ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ١٦١٩ . البستي : المجروحين ٢ / ٨٩ / ٩٠ . الخطيب البغدادي : تلخيص المتشابه ١ / ٢٣١ . تاريخ بغداد ١١ / ١٩٩ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٩١ .

قال : وعلق الرشيد الكتب بالعقد لابنيه في البيت الحرام ، وانصرف فنزل الأنبار ، ودعا الرشيد صالحاً^(١) صاحب المصلى^(٢) حين تتكرر [٢١ أ] للبرامكة ، فقال له : اخرج إلى منصور بن زياد^(٣) فقل له : قد صحت لي عليك عشرة آلاف ألف درهم فاحملها إليّ في يومك هذا وانطلق معه ، فإن هو دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا ، وإلا فاحمل إليّ رأسه ، وإياك ومراجعتي في أمره ، قال صالح : فخرجت إلى منصور ، وهو في الدار فعرفته الخبر ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب والله نفسي ! ثم حلف والله لا يعرف موضع ثلاث مئة ألف درهم ، فكيف بعشرة آلاف ألف :

(١) صالح بن سليمان صاحب المصلى ، كان ممن جاء مع أبي مسلم الخراساني إلى المنصور ، كان من أولاد ملوك خراسان من أهل بلخ ، وبعد هزيمة عبد الله بن علي أنفذ أبو مسلم الخزائن إلى المنصور فعرضها على صالح والخرسي وشبيب ، وغيرهم ممن كان اتخذهم من جنبة أبي مسلم وقال : من أراد من هذه الخزائن شيئاً فليأخذه فقد وهبته له ، فاختر كل واحد منهم شيئاً جليلاً : فاختر صالح حصيراً للصلاة من عمل مصر ، ذكر أنه كان في خزائن بني أمية ، وأنهم ذكروا أنه كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له المنصور : إن هذا لا يصلح أن يكون إلا في خزائن الخلفاء . فقال قلت : إنك قد وهبت لكل إنسان ما اختاره ، ولست أختار إلا هذا ، فقال : خذ على شرط أن تحمله في الأعياد والجمع فتفرشه حتى أصلي عليه . فقال : نعم ، وكان المنصور إذا أراد الركوب إلى المصلى أو الجمعة أعلم صالحاً فأنفذ صالح الحصير ففرشه له ، فإذا صلى عليه أمر به فحمل إلى داره فسمي لهذا صاحب المصلى ، ثم أمره المنصور ببيع القراطيس ثم عدل عن ذلك ، وبعثه الرشيد لتخليص المال من ابن زياد . الجهشيارى : الوزراء والكتاب . ٢٢٢/١٣٨ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤٣٧ / ١١ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ١٤٨ . المزي : تهذيب الكمال . ١٤ / ١٧٣ - ٢٠ / ١٤٨ .

(٢) الموصل : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتته من (ك) .

(٣) منصور بن زياد : وهو من جملة كتاب البرامكة فقد ، كتب ليحيى بن خالد والفضل بن يحيى ولما ولي الرشيد الفضل أمر محاربة يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، واستخلف الفضل منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين ، تجري كتبه على يديه وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم لقديم صحبته ، وأرسله يحيى بن خالد إلى عبدويه الأنباري عندما تغلب على إفريقية هو ويقطين بن موسى . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٦٢ / ١٦٦٨ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب . / ١٧٨ . ابن الجوزي : المنتظم . ٩ / ١٦ .

فقال له صالح : خذ في عملك ، فقال له : امض بي إلى منزلي حتى أوصي وأتقدم في أمري . فما هو إلا أن دخل حتى ارتفع الصياح في منازلهم ، فأوصى وخرج وما فيه دم ولحم ؛ فقال لصالح : امض بنا إلى أبي علي يحيى بن خالد؛ لعل الله أن يأتينا بفرج من جهته ، فمضى معه فدخل إلى يحيى وهو يبكي ، فقال له يحيى: ما وراءك ؟ فقلق يحيى بأمره وأطرق مفكراً ، ثم دعا خازنه ، فقال له : كم عندك ؟ فقال : خمسة آلاف ألف درهم ، فقال له : أحضرنى مفاتيحها فأحضرها ، ثم وجه إلى الفضل ابنه فقال له : إنك كنت أعلمتني أن عندك - فذاك أبوك - ألفي ألف درهم قدرت أن تشتري بها ضيعة ، وقد أصبت لك ضيعة تبقى ذكرها وتحمد ثمرتها ، فوجه إليّ بالمال ؛ فوجه به .، ثم قال للرسول : امض إلى جعفر ، فقل له : فذاك أبوك ، وجه إليّ ألف ألف درهم لحقّ لزمني ، فوجه إليه به ، ثم قال لصالح : هذه ثمانية آلاف ألف درهم ، ثم أطرق إطراقة ؛ لأنه لم يكن بقي عنده شيء ، ثم رفع رأسه إلى خادم له على رأسه ، وقال له : امض إليّ دنانير^(١) ، وقل لها: وجهي إليّ بالعقد الذي كان أمير المؤمنين قد وهبه لك ، فجاء به فإذا عقد كعظم الذراع ، فقال له : اشتريت هذا لأمير المؤمنين بمئة وعشرين ألف دينار، فوهبه الدنانير وقد حسبته عليك بألفي ألف درهم ، وهو تمام حقك ، فأنصرف وخل صاحبنا ، ولا سبيل لك عليه ، قال صالح : فأخذت ذلك ورددت منصوراً

(١) دنانير: وهي مولاة يحيى بن خالد البرمكي ومغنية من مغنيات العصر العباسي ، كانت صفراء مولدة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأعلمهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء ، وظلت موالية للبرامكة حتى آخر عهدها بالحياة ؛ فقد قيل إن الرشيد طلب منها الغناء بعد نكبة البرامكة ، فقالت : يا أمير المؤمنين إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبداً . الأصفهاني : الأغاني . ٧٠ / ١٨ - ٧٥ / . كحالة : أعلام النساء ٤١٧ / ١ - ٤١٩ / .

معي ، فلما صرنا بالباب أنشد منصوراً متمثلاً^(١) :

فما بُقيا عليَّ تركتmani ولكن خفتُما صرد^(٢) النبال

قال صالح : ما على وجه الأرض رجل أنبل من رجل كنا خرجنا من عنده ، ولا سمعت بمثله قط فيما مضى ، ولا يكون مثله فيما بقى ، ولا على وجه الأرض أخبث سريرة ، ولا أردأ [٢١ ب] طبعاً من هذا النبطي ؛ إذ لم يشكر من أحياه .

قال صالح : وصرت إلى الرشيد فقصصت عليه القصة ، فقال لي الرشيد : أما إني قد علمت أنه إن نجا لم ينجُ إلا بأهل هذا البيت ، وقال لي : اقبض المال ، وأرجع العقد؛ فإنني لم أكن أهب هبةً وترجع إليّ مالي .

قال صالح : ولم أظبُ نفساً بترك تعريف يحيى ما قاله منصور ، فقلت له : لما رأيته بعد أن أطلت في شكره ، ووصف ما كان منه ، ولقد أنعمت على غير شاكر ، قابل أكرم فعل بالأمر قول ، قال : وكيف ذاك ؟ فأخبرته بما كان منه ، فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول: يا أبا علي إن المتخوِّف القلب ، ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره ، وقد كان الرجل في حالة عظيمة ، فقلت له : والله ما أدري أي أمر بك أعجب! من أوله أم من آخره ؟ ولكني أعلم أن الدهر لا يخلف مثلك أبداً .

قال : ثم [لم] ^(٣) ألث حتى بلغ جعفر الخبر ، فسألني فقصصت عليه ما كان ، فقال: يا هذا لا تسرع إلى ملامة ^(٤) الرجل ، ولُمنا إذا لم يجعل المال له صلة ، وندراً ^(٥) أمير المؤمنين عنه ، ثم لوى ^(٦) رأس دابته عائداً إلى باب الرشيد وأنا معه فتركني بالباب

(١) أورد الجهشيارى هذا الخبر وهذا البيت في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢٢٤ / ٢٢٥ . ابن الجوزي : المنتظم

١٩١ / ٩ . وهذا البيت للعين المنقري وهو يقضي بين جرير والفرزدق . العباسي : معاهدة التنصيص . ٥٠ / ١ .

(٢) صرد : الرمح والسهم يصرد صرداً : نفذ حده . ابن منظور : لسان العرب . ٣٠ / ٤ .

(٣) لم : سقط في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٤) ملامة : أي الذم . ابن منظور : لسان العرب . ٢ / ٤٦٩ .

(٥) ندرأ : ندفع . المصدر السابق . ٣٦٨ / .

(٦) لوى : ثناه وصرفه . المصدر السابق . ٥ / ٥٤٢ .

ودخل ثم لم يكن بأسرع من عوده ، وبيده توقيع الرشيد ، بإعادة المال عليه ، ثم قال : اذهب به إلى الرجل ، ثم قال : خذ المال صلة لك ، بارك الله لك فيه ، قلت : يابى الله إلا أن يكون ابن يحيى ، قلت : والبيت الذي يميل به منصور بن زياد من أبيات اللعين المنقري^(١) يهجو فيها جريراً وهي^(٢) :

ساقضي بين كلب بني كليب وبين القين قين بني عقال
فإن الكلب مطمعه خبيث وإن القين يعمل في سفال
كلا العبدین قد عملت معدُّ لئيم الأصل من عم وخال
فما بقيا عليَّ تركتmani ولكن خفثما سرد النبال

وكان أبو الشمقمق^(٣) قد صار إلى منصور بن زياد ليسأله^(٤) أن يبهره، وكان منصور ضيقاً بخيلاً ، فوهب له عشرة دراهم ، وأمره بالعود إليه ليبره ، فأخذها وقام وهو يقول هذا^(٥) :

لولا ابن منصور وأفضاله سلحت في لحية منصور [٢٢ أ]
فبلغ ذلك محمداً فقال : إنما خفنا هذا ، وما أفلتنا^(٦) منه ، وإنما حكيت هذه

(١) منازل بن زمعة ، وكنيته أبو أكيدر مصغر أكدر من بني منقر بكسر الميم وفتح القاف ، وهو شاعر إسلامي عاش في الدولة الأموية هجا جريراً والفرزدق وغيرهم ، وسبب تسميته باللعين أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم . ابن حجة : خزنة الأدب . ١٩٦/٣ / ١٩٨/١٩٧ . الزبيدي : تاج العروس . ٤٨/ ٩ .

(٢) ورد ذكر هذه الأبيات عند الجاحظ في كتابه الحيوان . ٢٥٦/١ . وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . ٥ / ٢٤٤ . والعباسي . معاهدة التنصيص . ١٠ / ٥٠ .

(٣) مروان بن محمد أبو أحمد الشاعر المشهور الكوفي المعروف بأبي الشمقمق ، مولى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد ، كان له مدائح وصف بغداد في شعره . . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٣ / ١٤٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦ / ١٤٦ .

(٤) يسأله : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذا البيت . / ٢٢٤ .

(٦) أولينا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

الحكاية، وإن لم يكن موضع ذكرها ، ليعرف بها لؤم منصور وكرم البرامكة العيون البحور، "والضد يظهر حسنه الضد".

وحكى : أن منصوراً بن زياد أفسد نية جعفر بن محمد بن الأشعث على ابن يحيى بن خالد وضربه عليه فتكلم فيه يحيى ، وصار إليه جعفر بن محمد فقال له : لا تحوجني فأكفر نعمتك ، وكان جعفر بن يحيى يساعد الرشيد على كل شيء يطالبه به ، وكان الفضل يتمنع عليه ، وكان لا يشرب النبيذ فظن الرشيد أنه يتيه عليه ، فكان يعتب عليه من ذلك ، وكان يحيى بن خالد ينكر على جعفر دخوله مع الرشيد فيما يدخله فيه ، ويتخوف عليه من عاقبته .

وذكر سعيد^(١) بن هريم^(٢) أن يحيى كتب إلى جعفر يوماً في شيء عتب عليه منه من هذا الجنس: "إنما أهملتك ليعثر الزمان بك عشرة تعرف بها أمرك ، وإن كنت أخشى أن تكون التي لا سوى لها " . وقال يحيى للرشيد غير مرة : يا أمير المؤمنين ، إنني أكره مداخلتك جعفرًا ، ولست آمن [أن]^(٣) ترجع العاقبة عليّ في ذلك منك ، فلو أعفيتة، واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم^(٤) أعمالك كان ذلك أحب إليّ ، وأولى بتفضلك عليه ، وآمن عليه عندي ، فقال له الرشيد : ليس بك هذا، ولكن تحب أن تقدم الفضل عليه .

(١) سعد: هكذا في النسخة (أ) و(ك) وما أثبتناه من (م) .

(٢) سعيد بن هريم : الكاتب كان يتولى بيت الحكمة للمأمون مع سهل بن هارون ، وكان بليغاً فصيحاً مترسلاً ، يحكي عنه الجاحظ ، وله من الكتب كتاب الحكمة وله رسائل مجموعة . الأصفهاني : الأغاني.

١٩ / ٢٩٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٥ / ٢٦٨ .

(٣) أن : ساقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) جسيم: الجُسمُ الأمور العظام . المصدر السابق . ١ / ٤٢٤ .

وقال صاحب كتاب الوزراء: حدثني بختيشوع بن جبريل^(١) قال: حدثني أبي، وكان صنيعة^(٢) البرامكة، أنه دخل إلى الرشيد يوماً وهو جالس على بساط^(٣)، وكان على مشرعة^(٤) باب خراسان، فيما بين^(٥) الخلد والفرات^(٦)، وأم جعفر - يعني زبيدة - حاضرة من وراء ستر، فقال لي: أم جعفر تجد شيئاً، فأشر عليها بما تعمل به، فبينما أنا أنظر في ذلك إذ ارتفعت ضجة عظيمة فسأل عنها، فقيل له: جعفر بن يحيى^(٧) ينظر في أمور المتظلمين، فقال: بارك الله عليه، وأحسن جزاءه؛ فقد خفف عني، وحمل الثقل دوني، وناب منابي، وذكره بكل جميل، وفعلت أم جعفر مثل ذلك، ولم تدع شيئاً يذكر به أحد من الجميل إلا ذكرته به فامتألت سروراً، وقلت في ذلك:

ما أمكنني، وخرجت مبادراً إلى يحيى بن خالد، وكنت آتية بالأخبار فخبرت به بذلك، فسربه، ومضت مدة، ثم جاءني رسول الرشيد يوماً، فصرت [٢٢ ب] إليه، فوجدته جالساً في ذلك المجلس بعينه، وأم جعفر من وراء الستر، والفضل بن الربيع بين يديه، وأم جعفر قد وجدت شيئاً، فأمرني بتأمل حاله والمشورة عليها بما أراه؛ فإنسي لفي

(١) بختيشوع بن جبريل: الطبيب النصراني صاحب التصانيف، كان سريانياً نبيل القدر، خدم الخلفاء الواثق والمتوكل، ونكبه المتوكل مرة ونفاه، ثم عفا عنه وأكرمه، ثم سخط عليه، وردّه إلى المطبق وقيّد وغلّ بمئة رطل بالبغدادي، له كتاب التذكرة في الطب، كان يظاهي المتوكل في اللبس والفرس ونقل له كتب كثيرة من كتب جالينوس. توفى سنة ٢٥٦هـ. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. / ٢٠١ - ٢٠٩/الذهبي: تاريخ الإسلام. ١٩ / ٩١. الصفدي: الوافي بالوفيات. ١٠ / ٥٤.

(٢) صنيعة: صنيع فلان إذا اصطنعه وأدبه وخرجه ورياه. ابن منظور: لسان العرب. ٤ / ٧٨.

(٣) سباط: هكذا في جميع النسخ وما أثبتناه من الجهشيارى: الوزراء والكتاب / ٢٢٥.

(٤) مشرعة: ابتداء الطريق. ابن منظور: لسان العرب. ٣ / ٤٢٢.

(٥) من: هكذا في النسخة (أ) و(ك) وما أثبتناه من (م).

(٦) الغرار: هكذا في النسخة (أ) و(ك) وما أثبتناه من (م).

(٧) يحيى بن خالد: عند الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب. / ٢٢٥.

ذلك إذ ارتفعت ضجةً شديدةً، فقال الرشيد : ما هذا ؟ فقيل :جعفر بن يحيى بن خالد^(١) ينظر في أمور المتظلمين ، فقال : فعل الله به ! وجعل يذمه ويسبه أشد سباً، استبدَّ بالأمور دوني ، وأمضاها على غير رأبي ، وعمل بما أحبه دون محبتي ؛ وتكلمت أم جعفر بأغلظ من كلامه ، وثلبته^(٢) بأكثر مما يثلب به أحد ، فورد علي من ذلك مورداً^(٣) أقام وأقعد ، ثم أقبل على الرشيد ، وقال : يا جبريل إنه لم يسمع كلامي غيرك وغير الفضل ، وليس الفضل ممن يحكي شيئاً منه ، وعلي وعلي لئن تجاوزك لأتلفنَّ نفسك ، قال : فبرأت إليه من ذكره ، وأكبرت الإقدام على حكاية شيء جرى في مجلسه وانصرفت ، ولم أصبر وقلت [في نفسي]^(٤) : إن تلفت في الوفاء فلا أبالي، وصرت إلى يحيى بن خالد ، فعرفته بما جرى ، فقال لي : أتذكر وقد جئتني في يوم كذا من شهر كذا ، وأنا في هذا الموضع ، فحكيت لي عن أمير المؤمنين الحمد والثناء ، والشكر والدعاء ، وعن أم جعفر مثل ذلك ؟ فقلت : نعم ، وعجبت من حفظه الوقت ؛ فقال : إنه لم يكن منه في تلك الحال التي أحدها ، ولا كان منه في تلك ما لم يكن منه في هذا ، ولكن المدة إذا أذنت بالانقضاء جعلت المحاسن مساوئ ، ومن أراد أن يتجنى^(٥) قدر ، ونسأل الله حسن الاختيار .

وكان جبريل صنيعه البرامكة ، وكان يقول للمأمون كثيراً : هذه النعمة لم أفدها منك ولا من أبيك ، هذه أفدتها من يحيى بن خالد^(٦) .

(١) أورد الجهشيارى هذا الخبر في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢٢٦ .

(٢) ثلبته : أي لامته وأعابته وصرحت بالعيب وقالت فيه وتقصته . المصدر السابق . ١ / ٣٤٢ .

(٣) مورداً : سقط في (ك) .

(٤) في نفسي : سقط في النسخة (ك) .

(٥) يتجنى : تقول عليه وهو بريء . ابن منظور . لسان العرب . ١ / ٤٧٥ .

(٦) عند الجهشيارى . الوزراء والكتاب . / ٢٢٥ / ٢٢٦ .

ولما أحس يحيى من الرشيد بالتغير، ركب إلى صديق له من الهاشميين ليشاوره في أمره، فقال له : إن أمير المؤمنين قد أحب جمع المال ، وقد كثر ولده ، فأحب أن يعتقد^(١) لهم الضياع ، وقد كثر على أصحابك عنده ، فلو نظرت إلى ما بين أيديهم من ضياع وأموال ، فجعلتها لولد أمير المؤمنين ، وتقربت بها إليه رجونا لك السلامة ، ولهم في ذلك من مكروهه ؛ فقال يحيى: جعلني الله فداك ، لأن تزول النعمة عني أحب إليّ من إزالتها عن قوم كنت سببها إليهم^(٢) .

وسمع رجل بعتاب يحيى [يحيى] ^(٣) بن خالد وهو يتضجر بالعمل ويستعفي منه ، فقال له رجل كان يحتضر به منهم ؛ أعيذك بالله أن يعلم أمير المؤمنين أنه مستغن عنك طرفة عين ، فلا نصلح بعدها أبداً ، ودعه يظن أن ملكه يزول بزوالك ، وأن صرفك [٢٣ أ] مالا يجوز ولا يكون ، فلم يقبل يحيى ذلك ، ووصل التضجر إلى الرشيد والاستغفاء فهلك وبنوه ، وكان أسرعهم هلكاً وأشنعهم صرعة جعفر .

وحكي عن عبيد الله^(٤) بن زياد^(٥) الكاتب^(٦) : أنه لما أحس يحيى بالتغير من الرشيد ، صار إلى معاذ بن مسلم فدخل على دابته إلى باب مجلسه ، فقام إليه معاذ وأكب^(٧) عليه يحيى يكلمه ، فلما فرغ من حديثه وليّ منصرفاً ، وعاد معاذ إلى مجلسه ، فقال لمن حضر : أتدرون ما قال لي يحيى ؟ فقالوا لا ، قال : جئت أشكو إليك أمير المؤمنين ، فقلت : في ماذا ؟ فقال : كان سألتني أن أصرف له في السنة أربعة آلاف ألف درهم

(١) يعتقد: يشتري . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٣٨٧ .

(٢) عند الجهشياري . الوزراء والكاتب . ٢٢٧ / .

(٣) يحيى : مكررة في النسخة (أ) و(ك) وقد حذف لإخلاله بالمعنى .

(٤) عبد الله : والصحيح ما أثبتناه . كما ذكر الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٦٣٩ / .

(٥) عبيد الله بن زياد ابن أبي ليلى الكاتب صاحب الرسائل ، وزر للهادي ، ثم عزله وولى مكانه الربيع بن يونس والد الفضل بن الربيع في منصب الوزارة سنة ١٦٩هـ ، وولى عبيد الله بن زياد خراج الشام وما يليه للهادي .

الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٦٣٩ / .

(٦) الكاتب : سقط في النسخة (ك) .

(٧) أكب: أقبل عليه ولزمه . ابن منظور: لسان العرب . ٥ / ٣٦٢ .

لخاص نفقاته ليصرفها فيما أحب ، ففعلت ثم سألني أن أزيد فزدته فجعلتها ستة آلاف، ثم استزادني في وقت بعد آخر فأزدته ، ثم سألني اليوم أن أصيرها عشرة آلاف درهم فأبي بيت مالٍ يبقى على هذا ؟ وقد أشرتُ عليه بأن يداريه ويرفق به ولا يسخطه . ودخل يحيى بن خالد على الرشيد لما ابتدأت حالة الفساد وهو خالٍ فعرفه خبره فرجع وانصرف ، فقال الرشيد لبعض الخدام : الحق يحيى [فقل له] : ^(١) خنتني فاتهمتني ، فلحقته فقال له ذلك ، فقال يحيى للرسول : إذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة ، ووالله ما انصرفت عنك في خلوتك إلا تخفيفاً عنك ^(٢) .

(١) فقل له : ساقطة في النسخة (أ) و (ك) وما أثبتناه من النسخة (ك).

(٢) من الواضح أن نفوذ الفرس قد تفاقم في عهد الرشيد ممثلاً في البرامكة ، وبدا للناس أن بيدهم مقاليد الأمور وأنه ليس للخليفة العباسي من شيء ، ومع ذلك فقد تغافل الرشيد في أول الأمر ولم يعطه شيئاً من الأهمية على اعتبار أن مرضعته برمكية ، ومن ثم يستبعد ما كان يجمع عليه المؤرخون من أن الرشيد سلم خاتم الدولة للبرامكة ، وبالإضافة إلى ما ذكرناه عن علاقة الرشيد بهم ، هناك سبب رئيس في اعتماد الرشيد عليهم وثقته بهم : هذا السبب هو ما قام به يحيى البرمكي من محاولة لإبقاء الرشيد في ولاية العهد عندما حاول الهادي خلعه ، وزيادة على ذلك فإن الرشيد مازال بحاجة ماسة إلى الخبرة في مجال الإدارة والسياسة ، والتي لا تتوفر إلا في أمثالهم ، ويؤكد هذا ما قاله البعض من تشبث يحيى البرمكي بحق هارون الرشيد في ولاية العهد ، و كان أكثر من حرص الرشيد وهو صاحب الحق في استمراره في ولاية العهد ، إلا أن البرامكة مع كل هذا قد تمادوا في غيهم وسلبوا الخليفة الكثير من سلطاته ومالوا أعداء العلويين : وهناك بعض الأسئلة لدى الدارس وهي :

هل كان البرامكة مخلصين للرشيد حقاً ولييته ولدولته ؟

وهل كان ذلك الرابط المقدس الذي يشده إليهم من أبوة ورضاعه صارفاً لهم عن التواطؤ مع أعدائه ؟

وهل كان أبناء خالد بن برمك يفضلون أي علوي أو فارسي على ابنهم هارون الرشيد ؟

كما مر بنا سابقاً فإن آل برمك من الشخصيات المرموقة عند الفرس، وكانوا سدنة لأحد بيوت النار المقدسة عند المجوس . هذه الملامح لشخصية البرامكة تجعل الدارس يظن أنهم كانوا مدفوعين بعامل العطف على قومهم ، وأنهم رغم إسلامهم لم يستطيعوا التخلص من رباط الوضعية الفارسية في السياسة والدين والجنس كما أن شكوك الرشيد في ميلهم لآل علي بن أبي طالب قد تأكدت عندما أسند الرشيد إلى الفضل =

= وجعفر التحفظ على يحيى العلوي بعد أن استدرجه الفضل من الديلم، واستطاع أن يأتي به إلى الرشيد فأمنه على أن يظل في حبسه حتى يقضي فيه بأمره ، فيقال إن جعفر أطلق سراحه كما أنه حينما ثار يحيى العلوي ضد الرشيد بعث إليه يحيى البرمكي بمئتي ألف دينار ، فقال له الرشيد : ما حملك على أن حملت إلى يحيى بن عبد الله بالديلم مئتي ألف دينار ؟

فقال : أردت أن تقوى شوكة يحيى فيظفر به الفضل بعد قوة فيكون أحظى له عندك .

فقد كان هذا التبرير الذي أورده يحيى البرمكي للرشيد يعد في الواقع تبريراً هزلياً ، وغير منطقي؛ فقد كان الرشيد يعتقد فيما يبدو أن يحيى العلوي لو ترك وشأنه لأزاله عن عرشه كما حاول النفس الزكية إزالة جده المنصور عن أريكته ، ويحيى أخوالنفس الزكية لا يقل عن أخيه خطراً ، بل ربما يزيد عنه ؛ لأنه في منطقة أمنع من المنطقة التي حارب فيها النفس الزكية كما أن استبداد البرامكة على الدولة واحتجازهم أموال الجباية واحتجازهم الأموال دون الرشيد حتى كان يحتاج إلى القليل من المال فلا يقدر عليه .

كانت هذه من الأسباب التي جعلت الرشيد يقرر القضاء على البرامكة وينكب بهم وهذا في رأي الدارس. أما من قال إن سبب نكبة البرامكة بسبب قضية زواج العباسة من جعفر فهذا كذب، وهذا من وضع المتشيعين للشعوبية الفارسية أو لأسرة آل برمك؛ فلو أنه وقع فعلاً فإن الرشيد ما كان ليقتل إلا المذنب نفسه . فهل يمكن للرشيد وهو العاقل المحنك أن يقتل أسرة كلها بذنب واحد منها ؟ والغريب في الأمر أن الرشيد لم يكشف عن السبب الذي دفع به إلى التتكيب بالبرامكة ، ولعله احتفظ بهذا السر لنفسه لأمر لا يود الكشف عنها ، ويؤيد ذلك ما قاله اليعقوبي إذ يقول : " لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعتها " ، كما أن عالية بنت المهدي قالت للرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة : " ياسيدي ما رأيت لك يوم سرور تام منذ قتلت جعفرًا فلاي شيء قتلته ؟

فقال لها : " يا حياتي لو علمت أن قميصي يعلم بعلم السبب في ذلك لمزقته " . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٢١ / ٤٢٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٥٥ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب . / ٢٤٢ . المسعودي : مروج الذهب . ٣ / ٣٧٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٠ / ٣٣٦ . الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية / ٣٧ / ٣٨ .

وهذا كلام لأمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : " إذا انقضت المدة كان الهلاك في العدة . " أي : الاستعداد ، وأخذ هذا الكلام ابن الرومي ^(١) الشاعر ^(٢) :

غَلَطَ الطَّيِّبُ عَلَى غَلْطَةِ مُورِدٍ عَجَزَتْ مُوَارِدُهُ عَنِ الْأَصْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحُونُ الطَّيِّبَ وَإِنَّمَا غَلَطَ الطَّيِّبُ إِصَابَةَ الْمَقْدَارِ

وذكر محمد بن زكريا الغلابي ^(٣) قال : حدثني مهدي بن سابق ^(٤) قال : رأى يحيى بن خالد في منامه قبل نكبته كأن قائلأس يقوله له :

أَنْعَمُوا آلَ بَرْمَكٍ وَانظُرُوا مَا مَتَى هِيَةُ
يُوشِكُ الدَّهْرُ أَنْ يَحُلَّ عَلَيْكُمْ بِدَاهِيَةُ

(١) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس المعروف بابن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور ، ولد سنة ٢٢٤هـ كان شاعراً مشهوراً ، صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، يفوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ، كثير الهجاء في شعره ، كان كثير الطيرة . توفي سنة ٢٨٣هـ بعد أن دس له السم وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان ؛ لأنه كان يخاف من هجوه . ابن النديم : الفهرست / ٢٠١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣ / ٣٥٨ - / ٣٦٠ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢١ / ١١٤ / ١١٣ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٢١٩ / ٢٢٢٠ .

(٢) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي :

عجزت محالته عن الإصدار . / ٢٢٧ / ٢٢٨ .

(٣) أبوجعفر محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري ، روى عن عبد الله بن رجاء الغداني وطبقته قال ابن حبان : يعتبر بحديثه إذا روى عن الثقات ، توفي بالبصرة سنة ٢٩٠هـ . الذهبي : العبر في خبر من غير . ٢ / ٩٢ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٣ / ٦٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣ / ١٣١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢ / ٢٠٦ .

(٤) مهدي بن سابق البهذلي الإخباري ، روى عنه محمد بن زكريا الغلابي . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٢٣ / ٣٢٧ . الإشبيلي : العاقبة في ذكر الموت . / ١٩١ .

وكان الرشيد بعد صرف الفضل بن يحيى عن خراسان قلد علي بن عيسى^(١) بن ماهان خراسان [٢٣ ب] لتكسير^(٢) وقع عنده على الفضل في الأموال^(٣) ، فقتل علي بن عيسى وجوه أهل خراسان وملكوها ، وجمع أموالاً جليلاً ، فحمل إلى الرشيد ألف بدرة^(٤) معمولة من الحرير ، فيها عشرة آلاف ألف درهم ؛ فلما وصلت إليه سُرّبها ، وأحضر يحيى بن خالد ، فقال له : يا أبت ، أين الفضل عن هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن سبيل خراسان أن يحمل إليها المال لا أن يحمل منها ، والفضل أصلح نيات رؤسائها واستجلب طاعتهم ، وعلي بن عيسى قتل صنديد أهل خراسان ، وطراخينها^(٥) ، وحمل أموالهم ، ولو قصدت لدرب من دروب الصيارف^(٦) بالكرخ^(٧) ، لوجدت فيه أضعاف هذا ، وسينفق أمير المؤمنين مكان كل درهم عشرة ، فثقل هذا القول منه على الرشيد

(١) عدي : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه كما عند الجهشيارى : الوزراء والكتاب / ٢٢٨ .

(٢) انكسار الخراج ، وهو مصطلح مالي يعني بقاء بعض الأموال على أصحابها ولم يستطيعوا دفعها لبيت المال . ابن جعفر : الخراج وصناعة الكتاب . / ٤١١ .

(٣) يذكر الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذه العبارة كما يلي :
"لتكثير وقع عنده على الفضل في الأقوال" . / ٢٢٨ .

(٤) بدرة : كيس . ابن منظور : لسان العرب . / ١ / ١٧٥ .

(٥) طراخينها : والطرخان أو الترخان لقب عند المغول لأشراف الجند ، وكان الطرخان يعفى من الضرائب ، وله حق الاستيلاء على الغنائم ، ويباح له الدخول إلى الخان دون استئذان . الباشا : الفنون الإسلامية . ١ / ٣٣٧ .

(٦) الصيارف : والصيرفي من وظائف كتاب الأموال ، وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها . المصدر السابق / ٢ / ٧٢٣ .

(٧) الكرخ : بالفتح ، ثم السكون وخاء معجمة ، وهي كلمة نبطية من قولهم كرخت الماء وغيره إذا جمعته إلى موضع وهو في عدة مواضع ، وهناك كرخ البصرة وكرخ بغداد وما قصد هنا هو كرخ بغداد ؛ فقد أمر المنصور لما بنى بغداد بأن يجعل الأسواق في طاقات المدينة بإزاء كل سوق ، وبقيت على ذلك الحال حتى أشار عليه أحد بطارقة الروم بنقل الأسواق من المدينة فأمر المنصور بعد انصراف البطريق أن يبني لها بين الصراة ونهر عيسى وينقل السوق إليه فسميت بالكرخ . ياقوت : معجم البلدان . ٤ / ٤٤٧ / ٤٤٨ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع / ١١٥٥ / ١١٥٦ .

فلما انتقض أمر خراسان وخرج رافع بن الليث^(١) ، واحتاج الرشيد إلى النهوض إليها بنفسه ، فخرج حتى صار إلى طوس^(٢) ، وجعل يتذكر هذا الحديث ، ويقول : صدقني والله يحيى ونصح فلم أقبل منه ، لقد أنفقت مئة ألف درهم وما بلغت شيئاً . وكان يحيى بن خالد ولي رجلاً بعض أعمال الخراج ، فدخل به إلى الرشيد ليراه ويوصيه ، فقال الرشيد ليحيى ولولده : أوصياه فقال له يحيى : وفرّ واعمر ؛ وقال له جعفر : أنصف وانتصف ؛ فقال له الرشيد : أعدل وأحسن . واستأذن جعفر بن يحيى الرشيد في العمرة في سنة خمس وثمانين ومئة فأذن له ، فشخص في شعبان وأقام إلى الحج وانصرف ، ولم يزل جعفر بن يحيى مع الرشيد على حاله في الأنس والانبساط^(٣) إليه ، إلى أن ركب في يوم الجمعة مستهلاً صفر سنة سبع وثمانين ومئة إلى الصيد وجعفر معه يسايره خالياً به ، وانصرف ممسياً على تلك الحال إلى القصر الذي كان ينزله بالأنبار^(٤) وهو معه فضمه إليه ، وقال : لولا أنني أريد الجلوس الليلة مع النساء لم أفارقك ، فصار جعفر إلى منزله ، وواصل الرشيد

(١) رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ثار من بيت إمارة وسياسة كان مقيماً فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ثم عُزل وحبس ، ثم هرب من حبسه وقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠هـ . انتدب الرشيد لقتاله علي بن عيسى ، ولم يتمكن منه ، توجه إليه الرشيد سنة ١٩٢هـ وانتدب لقتاله هرثمة نائب العراق وتمكن منه سنة ١٩٣هـ وضعف أمره . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٩٥ - / ١٧٠٣ . ابن الجوزي : المنتظم . ٩ / ١٧٧ . ابن الأثير : الكمال في التاريخ . / ٨٨٢ / ٨٨٤ / ٨٨٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ١٣٢ . الزركلي : الأعلام . ٣ / ١٢ / ١٣ .

(٢) طوس : مدينة بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، تشتمل على بلدين ، يقال لإحدهما : الطبران ، والأخرى : نوقان ، وبهما أكثر من ألف قرية بها قبر الرشيد . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٢ / ٨٩٧ .

(٣) الانبساط : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من النسخة (ك) .

(٤) الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور أول من عمرها سابور ذو الأكتاف ؛ سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير ، وأقام بها أبو العباس السفاح إلى أن مات . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ١ / ١٢٠ .

الرسول إليه بالألطف إلى وجه السحر؛ ثم هجم عليه مسرور الخادم^(١) ومعه سالم أبو عصمة^(٢)، فحمل وضربت عنقه وأتى الرشيد برأسه، وكانت سنه سبعا وثلاثين سنة، وأنفذ الرشيد جثته إلى مدينة السلام مع هرثمة بن أعين ومسرور وسلام الخادمين، فقطعت نصفين، وصلبتا على الجسرين، ونصب رأسه بمدينة السلام، وحبس الفضل ومحمد وموسى بنو يحيى، ووكل سلام الأبرش^(٣) بباب يحيى، ولم يتعرض لمحمد بن خالد، ولا لأحد من أسبابه. [٢٤ أ]

قال الجهشيارى^(٤): حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي^(٥)

-
- (١) مسرور الخادم: خدم هارون الرشيد، ثم انتدبه الرشيد لقتل جعفر بن يحيى سنة ١٨٧هـ، وأسند إليه الرشيد النفقات وجميع الأمور خلا الرئاسة. الطبري: تاريخ الأمم والملوك. / ١٦٨٥ / ١٦٩٧ / ١٨٣٣. ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء. / ٨٢ / ٨٣. ابن الجوزي: المنتظم. / ٩ / ١٩٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. / ١٩٤٧.
- (٢) حماد بن سالم أبو عصمة خدم الرشيد؛ فقد كلفه مع مسرور الخادم بقتل جعفر بن يحيى البرمكي سنة ١٨٧هـ، كما أنه خدم الأمين وكان صاحب حرسه، أرسله الأمين سنة ١٩٤هـ إلى همدان في ألف رجل وولاه حرب كور الجبل. الطبري: تاريخ الأمم والملوك. / ١٦٨٥ / ١٧٢٢ / ١٧٢٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. / ٨٩٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان. / ١ / ٣٣٦.
- (٣) سلامة الأبرش الخادم، خدم المنصور في منزله وهو غلام ثم الرشيد، كما أن الرشيد كان يوجهه في المهمات، وكان سلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة، ويوجد بنقله السماع الطبيعي. الطبري: تاريخ الأمم والملوك. / ١٥٨٩. ابن النديم: الفهرست. / ٣٠٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان. / ١ / ٣٣٧.
- (٤) الجهارستاني: هكذا في جميع النسخ، والصحيح ما أثبتناه كما عند الجهشيارى: الوزراء والكتاب. / ٢٣٤ / ٢٣٥.
- (٥) أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصيبي ابن بنت المدبر، حدث عن أبي العيناء، وهو صاحب أخبار ورواية للآداب، يروي عن ميمون بن هارون، روى عنه أبو عبيد الله المرزباني. السمعاني: الأنساب. / ٢ / ٣٧٦. ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب. / ٧ / ٣٥٠٣. الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب. / ١ / ٤٥٠. الصفدي: الوافي بالوفيات. / ١٩ / ١٨٢.

قال : حدثني أبو حازم القاضي^(١) قال : قد صح عندي أن جعفر بن يحيى كان مصلوباً وفي رجليه قيد ، فكنت أعجب من ذلك حتى سألت عيسى عن ذلك ، فذكر أن مسروراً لما هجم عليه وعرفه ما أمر به في أمره ، قال له : يا أبا هاشم: الحرمة والمودة ، فقال له: مالي في أمرك حيلة ؛ فقال له جعفر : فهذه خمسون ألف دينار اقبضها واحملي معك غير مقتول ، وأعلم أمير المؤمنين بأنك قد امتثلت ما أمرك به ، فإن أمسك عني تركتني حتى يسألك عني ، فتعلمه أنك قد أشفقت من قتلي خوفاً من أن يكون ما أمرك به من عمل النبيذ ، أو بإرادة يندم عليها فاستظهرت بتركي ، وتمضي بعد ذلك ما يأمر به ، وان تكن الأخرى فأنت من المال في حل ، ففعل مسرور ذلك وحمله إلى مضرب^(٢) الرشيد بالعمر^(٣) ، فوكل به فيه واستظهر بأن قيده ، ثم دخل على الرشيد^(٤) وهو جالس على كرسي ينتظره فلما رآه قال : ما فعلت ؟ فقال : امتثلت أمر أمير المؤمنين ؛ قال : فأين رأسه يا ابن الفاعلة ؟ فرجع مسرور^(٥) يعدو حتى أخذ رأسه في بركة قبائه وألقاها بين يديه وحملت جثته والقيد في رجليه .

قال سلام الأبرش: ولما دخلت على يحيى بن خالد في ذلك الوقت فهتكت الستور وجمعت المتاع ، قال لي غير متغير ولا مضطرب: يا أبا سلامة ، هكذا تقوم الساعة! ثم بلغه

(١) عبد الحميد بن عبد العزيز ، جليل القدر ، أخذ العلم عن الشيوخ البصريين ، ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ ، أخذ عنه الطحاوي والديباس ، ولقبه أبو الحسن الكرخي ، وله من الكتب: كتاب المحاضر والسجلات ، كتاب الفرائض ، كتاب أدب القاضي ، توفي سنة ١٩٢ هـ . ابن النديم : الفهرست . ٢٥٧ .
الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٨ / ٤٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣ / ١٥٨ .

(٢) منصب: في النسخة (أ) و(م) ، والصحيح ما أثبتناه من (ك) . والمضرب : فسطاط الملك . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ١١٦ .

(٣) العمر: مكان بشرق واسط . ياقوت : معجم البلدان . ٤ / ١٥٤ .

(٤) السخيم : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) ميشوم : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من النسخة (ك) .

خبر قتل جعفر ، فقال : الحمد لله فإنني بفضل ربي واثق وبالخيار منه لي عالم ، ولا
يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، ﴿^(١) وما يغفر ^(٢) الله أكثر ،
والحمد لله على كل حال . وأنفذ الرشيد مسروراً الخادم ورشيداً الخادم ^(٣) والحسين ^(٤)
الخادم ^(٥) ، وأبا صالح ، قال لي غير متغير ولا مضطرب : يا أبا سلامة ، هكذا تقوم
الساعة ! ثم بلغه بن يحيى بن عبد الرحمن ^(٦) الكاتب ، وإبراهيم بن حميد ^(٧) الكاتب ،
لقبض أموالهم وعقاراتهم وضياعهم بالعراق ؛ فكانت مدتهم في الوزارة سبع عشرة
سنة ، وذكر مسرور الخادم : أنه دخل على جعفر في ليلة وهي الليلة [التي] ^(٨)

﴿ سورة فصلت آية ٤٦ .

﴿ (١)

(٢) يعفو: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) رشيد الخادم: وهو من خدام الخاصة عند الرشيد ، ولي ضياع الرشيد بالثغور ، وقد حسنت سيرته فضم إليه
الرشيد ما أحب من ضياع الجزيرة ومصر . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٠٨ .

(٤) الحسن : عند الجهشياري في الوزراء والكتاب . / ٢٣٥ .

(٥) الحسين الخادم : خدم هارون الرشيد والمأمون والمعتضد والمكتفي ، كان يميل إلى طاهر بن الحسين ؛ فقد
سرب إليه مكان يكن له المأمون من الضغينة والحقد ، تولى البريد للمكتفي ولقبه المكتفي بعرق الموت .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٤٩ . الثعالبي : ثمار القلوب . / ٦٨٢ .

(٦) يحيى بن عبد الرحمن ، كاتب هارون الرشيد ومن الذين يثق بهم الرشيد في كثير من الأمور؛ فكان متولياً
ختمه ، فلم يدفع الرشيد ختمه بعد نكبة البرامكة إلى أحد ، وكانت تختم بحضرته ، فإذا شغل عن ذلك أمر
أبا صالح بأن يتولى الختم ، وانتدبه الرشيد للقبض على أموال البرامكة . الطبري : تاريخ الأمم
والمملوك . / ١٦٨٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٢٧/١١ .

(٧) إبراهيم بن حميد المروزي الكاتب ، أحد كتاب الرشيد ، وكان من بين الذين انتدبهم الرشيد للقبض
على أموال البرامكة . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط . / ٤٣٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٨٦ .
الجهشياري : الوزراء والكتاب . / ٢٣٥ .

(٨) التي : ساقطة في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

قتل فيها ، وبين يديه أبو زكار الأعمى^(١) [٢٤ ب] المغني هو يغني^(٢) :

عداني أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحة شدار

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أويغادي

فقلت له : يا أبا الفضل ، الذي جئت له والله من ذلك قد والله طرقتك الأمير فأجب

أمير المؤمنين ، قال : دعني حتى أوصي ، فتركته فأوصى بما أراد وعتق مماليكه ،
وأنتني الرسل تستحنتني على قتله فحملته .

وقال الرقاشي^(٣) في قتله^(٤) :

وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي

وطي الفيا في فدفاً^(٥) بعد فدفاً

ولن تظفري من بعده بمسود

وقل للرزايا^(٦) كل يوم تجدي

أصيب بسيف هاشمي مهند

الآن استرحنا واستراحت ركابنا

فقل للمطايا قد آمنت من السرى

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر

وقل للعطايا بعد فضل تعطي

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً

(١) أبو زكار الأعمى : وهو مغنٌ من أهل بغداد من قدماء المغنين ، كان منقطعاً إلى آل برمك ، وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه إفضالاً ، وقد أحب البرامكة وأخلص لهم وخاصة جعفر ؛ فقد قال أبو زكار : كيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه وأغنائي عن سواه . الأصفهاني : الأغاني . ٢٤٦/٧ . ٢٢٤/١٢ .

(٢) أور البصري في كتابه الحماسة البصرية هذه الأبيات ، وهي لكثير بن أبي جمعة الملح . ٢٦١ / ١١ .

(٣) الرقاشي : وهو الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري ، من فحول الشعراء ، مدح الخلفاء الكبار ، كان بينه وبين أبي نواس مهاجاة ، وكان مولى رقاش وهو من ربيعة ، مدح الرشيد وأجازه إلا أن انقطاعه كان إلى بني برمك فأغنوه عن سواه ، وكان كثير التعصب لهم ، توفي سنة ٢٠٠ هـ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٣٥ / ١٣ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢ / ٢١٠ / ٢١١ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٤٠ / ٢٤ .

(٤) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي :

وقطع الفيا في فدفاً بعد فدفاً . ٢٣٦ / .

(٥) فدفاً : الفلاة التي لا شيء بها . ابن منظور : لسان العرب . ١٠١ / ٥ .

(٦) للزايا : هكذا في النسخة (أ) و(ك) و ما أثبتناه من (ك) .

وقال فيه أيضاً^(١) :

على المعروفِ والدنيا جميعاً
وما أبصرت قبلكِ يابن^(٢) يحيى
بدولة آل برمك السلامُ
حساماً قدَّهُ السيفُ الحسامُ

وقال أبو حذرة^(٣) :

ما رعى الدهرُ آل برمكٍ لما
إن دهرًا لم يرعَ حقًا ليحيى
أن رمى ملكهم بأمرٍ بديع
غيرُ راعٍ حقًا لآلِ الربيع

وقال آخر^(٤) :

يابني برمكٍ واهًا لكم
كانت الدنيا عروسًا بكم
ولأيامكم المقتبله
فهي اليوم بعدكم^(٥) أرملة

(١) أورد الأصفهاني هذين البيتين في كتابه الأغاني ، وقد قدم البيت الثاني على البيت الأول ، ووجود بعض الاختلاف كما يلي :

وما أبصرت قبلكِ يابن يحيى
على اللذات والدنيا جميعاً
حساماً قدّه السيف الحسام
ودولة آل برمك السلام

٢٦٥/١٦ . كما أورد الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد هذين البيتين . ١٥٨ / ٧ .

(٢) يالبن : هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذين البيتين . ٢٣٦/ . وعند المسعودي في كتابه مروج الذهب وقد نسبهما إلى الشاعر جرير "أبو حذرة" مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي :

ما رعى الدهر آل برمك لما . ٣٩١ / ٣ .

(٤) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي :

فهي الآن ثكولٌ أرملة . / ٢٣٦ . وعند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، وقد نسبها إلى الشاعر صالح بن طريف . ٣٤١ / ١ .

(٥) منكم : هكذا في النسخة (ك) .

وقال محمد بن الحصين الأهوازي^(١) : كنا مع جعفر بن يحيى بالرقعة ونحن بين يديه يوماً وهو يأمر وينهى ، إذ خلا بأنس بن أبي شيخ ناحية ونحن نراه ، فأدخل صاحب الشرطة^(٢) رجل من أهل الذمة^(٣) ، فوقفه من بعيد ودنا من جعفر ، [٢٥ أ] فقال له : قد أحضرت الرجل الذي أمرت بإحضاره ، قال : فقطع ما كان فيه من أنسٍ والتفت فنظر إليه ، قال : وكان الرشيد أمر أهل الذمة بتغيير الملبوس والمركوب ، ثم قال له وهو رافعٌ صوته: ما اسمك؟ قال : فلان ، قال : ابن من ؟ قال : ابن فلان ، فقال : أنت الحراني^(٤) ؟ قال : نعم ، قال : الرقعة^(٥) التي رقعته رقعتهك؟ ، قال : نعم ، قال : وما فيها عنك وأنت تقوله ؟ قال : نعم ، فأطرق جعفر ساعة ثم التفت^(٦) إلى صاحب الشرطة وقال: خذه إليك فإن أمير المؤمنين قد أمرك أن تقتله وتصلبه ، قال : فارتعبنا لذلك القول ولم نعرف الرجل ، ولا ما في رقعته ، فأخذ صاحب الشرطة بيده ، فقال أنس بن أبي شيخ : اصلبه على أطول عود بالرقعة ، فالتفت^(٧) الحراني ، وقال : إن شاء على أطول عود ، قال : وكان في الرقعة رفاعه^(٨) على البرامكة^(٩) .

(١) محمد بن الحصين الأهوازي : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) صاحب الشرطة: صاحب الشرطة هو رئيس الشرطة وقائدها ، وربما سمي أيضاً عامل الشرطة ، والشرطة هم الجنود المكلفون بالمحافظة على الأمن الداخلي بمنع وقوع الجرائم ، والقبض على الجناة وتنفيذ العقوبة التي يحكم بها القضاة وإقامة الحدود . الباشا : الفنون الإسلامية ٢/ ٦٧٥ .

(٣) أهل الذمة : هم اليهود والنصارى الذين يقيمون في بلاد الإسلام . ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة / ١٥ / ١٤ . الجبرتي : عجائب الأثر . ٢ / ١٨٧ .

(٤) الحراني : لم أعثر له على ترجمة .

(٥) الرُقعةُ : وحدة الرقاع التي تكتب . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ١٠٦ .

(٦) ألفت : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) تكررت كلمة (فلتفت) في جميع النسخ ؛ وقد حذف لإخلالها بالمعنى .

(٨) رفاعه : قضية يرفعها ويبلغها . ابن منظور : لسان العرب . ٣ / ٩٨ .

(٩) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر . ٢٣٨ / ٢٣٩ .

وقال أبو قابوس عمرو بن سليم^(١) الحيري يخاطب الرشيد ويرفقه على الفضل بن يحيى بن خالد ويذكر مقتل جعفر^(٢) :

أَمِينُ اللَّهِ هَبْ فَضْلَ بَنِ يَحْيَى
وَمَا طَلَبِي إِلَيْكَ الْعَفْوُ عَنْهُ
أَرَى سَبَبَ الرِّضَى عَنْهُ قَوِيًّا
نَذَرْتُ عَلِيًّا فِيهِ صِيَامُ شَهْرٍ
وَهَذَا جَعْفَرٌ بِالْجَسْرِ يَمْحُو
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا خَوْفٌ وَاشٍ
لَطُفْنَا حَوْلَ جَذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا
وَمَا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يَا بَنَ يَحْيَى
عِقَابُ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ فَخْرٌ
لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ
وَقَدْ قَعَدَ الْوَشَاةُ بِهِ وَقَامُوا
عَلَى اللَّهِ الزِّيَادَةُ وَالْتِمَامُ
فَإِنْ تَمَّ الرِّضَى وَجِبَ الصِّيَامُ
مَحَاسِنَ وَجْهِهِ رِيحٌ قَتَامُ
وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَتَامُ
كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجْرِ اسْتِلَامُ
حَسَامًا قَدَّهُ السَّيْفُ الْحَسَامُ
لَمَنْ بِالسَّيْفِ صَبْحَهُ الْحَمَامُ

قال : كان مسرور صديقاً للبرامكة جميعاً خلا جعفر ؛ فإنه كان يعاديه ، وكان قد جرى بينهما كلام يحضره الرشيد فشتمه جعفر ، وقرفه بشيء

(١) سليمان : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) سقط البيت الثالث والرابع والخامس في النسخة (ك) ، كما وردت هذه الأبيات عند الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد مع وجود اختلاف في بعض الأبيات كما يلي في الشطر الثاني من البيت الثاني :
وقد قعد الوشاة بنا وقاموا .

وفي الشطر الأول من البيت الثالث : أرى سبب الرضى فيه قويا .
وفي البيت الرابع :

نذرت عليّ فيه صيام حول وإن تم الرضى وجب الصيام

وفي الشطر الأول من البيت الخامس : وهذا جعفر بالجسر تمحو

كما أن هناك بيت زاده البغدادي بعد البيت الخامس :

أقول له وقمت إليه نصبا إلى أن كاد يفضحني القيام

وهناك اختلاف في الشطر الثاني من البيت السابع كما يلي : كما للناس بالركن استلام .

نسب البغدادي البيت الثامن إلى الرقاشي ، ولم يذكر البيت التاسع . ٧ / ١٥٧ / ١٥٨ .

تبراً منه مسرور وحلف على بطلانه، ثم قال لجعفر: إن كنت كاذباً فقتلك الله بسيفي هذا، فذكر الفضل بن مروان^(١) أن مسروراً ضرب عنق جعفر بذلك السيف . [٢٥ ب]
 وحكى حمزة بن حنيفة^(٢) قال : كنا مع علي بن عيسى بن ماهان في الوقت الذي نزل فيه بالبرامكة^(٣) ، وكان من معاداتهم على مالا غاية وراءه ، وكان مسروراً بنكبتهم فعدنا له يوماً من الأيام فوجدناه على قصره بيتين وهما^(٤) :

إِنَّ الْمَسَاكِينَ بَنِي بَرْمِكٍ صَبْتُ عَلَيْهِمْ غَيْرُ الدَّهْرِ
 وَلِلوَرَى فِي أَمْرِهِمْ عِبْرَةٌ فليعتبر ساكنُ ذا القصرِ

قال : ثم لم يلبث حتى نكبه الرشيد عقيب البرامكة ، ولم يزل في الحبس إلى أن أطلقه الأمين .

وحكى الأصمعي قال : لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى أرسل إليّ ليلاً فراعني وأعجلني الرسل ، فزادوا في وجلي فصرت إليه ، فلما مثلت بين يديه أومأ إليّ بالجلوس فجلست :

ثم قال^(٥) :

لو أن جعفر خاف أسباب الردى لنجا بمهجته ظهير ملجم

(١) أبو العباس الفضل بن مروان ماسرخس وزير المعتصم ، وهو الذي أخذ له البيعة ببغداد ، وكان المعتصم يومئذ ببلاد الروم وقد فوض إليه الوزارة يوم دخوله بغداد ، وخلع عليه ورد أموره كلها إليه فغلب واستقل بالأمور وكنز الأموال فنكبه المعتصم وأهل بيته سنة ٢٢٠هـ وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، كان نصراني الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، وله ديوان رسائل . توفى سنة ٢٥٠هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٨٣٧ . ابن النديم : الفهرست . / ١٦٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٩٥٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . / ٤ / ٤٥ / ٤٦ .

(٢) حمزة بن حنيفة : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) المرامكة : هكذا في النسخة (أ) وما أثبتناه من (م) و (ك) .

(٤) أورد ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي : إن لنا في أمرهم عبرة . / ١ / ٣٤٠ .

(٥) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي : (لنجا بمهجته طمر ملجم) . / ٢٣٧ / ٢٣٨ . وكذلك عند ابن خلكان : وفيات الأعيان . / ١ / ٣٣٩ .

ولكان من حذر المنون بحيث لا يرجو اللحاق به العقابُ القشعم^(١)
لكنه لما تقرب يومه لم يدفع الحدثانُ عنه منجمٌ
ثم قال : الحق بأهلك يابن قريب ، فنهضت ولم أحر جواباً ، وفكرت فلم أعرف لم
كان منه معنى ، إلا أنه أراد أن يسمعي شعره وأحكيه .
وحكى إسحاق قال : قال لي الرشيد بعد قتل جعفر بن يحيى وصلبه ، اخرج بنا ننظر
إلى جعفر ، فلما وصل إليه جعل ينظر ويتأمله وينشده^(٢) :

تقاضاك دهر ما أسلفا وكدرَ عيشك بعد الصفا

فلا تعجب فإن الزمان رهينٌ بتفريقٍ ما ألفا

قال إسحاق : فنظرت إليه ثم قلت : يا جعفر أصبحنا آية^(٣) ، ولقد كنت في الجود غاية ،
فنظر إلى الرشيد كالجمل [٢٦ أ] الصؤل .

ما يعجبُ العالمُ من جعفرٍ ما عاينوهُ فبنا كانا

من جعفر أو من أبيه ومن كاتب بنو برمكٍ لولانا

وكان جعفر قد اتخذ دنانيراً للصلة ، زنة كل دينار مئة دينار ودينار ، وكتب على أحد
وجهها^(٤) :

وأصفرُ من ضربِ دارِ الملوكِ يلوحُ على وجهِ جعفرُ

يزيدُ على مئةٍ واحداً إذا ناله معسرٌ يوسرُ

(١) القشعم: المسن الذي طال عمره . ابن منظور : لسان العرب . ٥ / ٢٦٢ .

(٢) أورد الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام هذا الخبر وهذين البيتين . ١٢ / ١٠٣ . كما ذكر الصفدي في كتابه
الوايف بالوفيات هذين البيتين ونسبهما إلى أبي عبد الله اليزيدي . ٥ / ١٢١ .

(٣) صبحنايه : هكذا في النسخة (أ) و(م) . وفي (ك) كتبت (أصبحت) ، ولا تستقيم الجملة إلا بما أثبتناه . (٤)
أور ابن كثير هذا الخبر وهذين البيتين في كتابه البداية والنهاية . ٢ / ٢٠٥٦ .

(٤) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذه الأبيات . / ٢٤١ . وكذلك عند الخطيب
البغدادي في كتابه تاريخ بغداد مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي : متى تعطه
معسراً يوسر . ٧ / ١٥٦ . وابن الجوزي : المنتظم . ٩ / ١٤٣ . وابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٠٦٤ .

ولما أوقع الرشيد بالبرامكة لم يجد لهم إلا القليل ، فسأل عن أموالهم ، فقيل له :
أذهبوها في المكرمات .

وقال إسماعيل بن صبيح^(١) : كنت يوماً أكتب بين يدي يحيى بن خالد في أيامه ،
فدخل عليه ابنه جعفر ، فلما رآه أشاح^(٢) بوجهه عنه وقطَّب^(٣) وتكرَّه رؤيته ، فلما
انصرف ، قلت : أطل الله بقاءك ! أتفضل هذا بابنك وحاله من أمير المؤمنين حالة ، لا
يقدم عليه ولداً ولا ولياً؟! فقال : إليك عني أيها الرجل ، فوالله ليكون سبب هلاك هذا
البيت ، فلما كان بعد مديدة أخرى دخل عليه جعفر وأنا عند ففعل مثل فعلته
الأولى ، فأعدت عليه القول ، فقال لي : أدن^(٤) مني الدواة ، فأدنيته ، فكتب كلماتٍ
يسيرة في رقعة وختمها ودفعها إلي ، لتكن عندك فإذا دخلت سنة سبع وثمانين ومضى
المحرم فانظر فيها ، فلما كان في صفر أوقع الرشيد فيهم ما أوقع ، فنظرت في تلك
الرقعة فكان الوقت الذي ذكره^(٥) ، ثم ندم الرشيد على ما كان منه في أمر
البرامكة ، وتحسر على ما فرط منه في أمرهم ، وقال لخواصه لو وقفت بصفو نياتهم
لأعدتهم^(٦) ، إنه كان أكثر ما يقول : حملونا على نصحائنا وكفائنا^(٧) ، وأوهمونا أنهم
يقومون مقامهم ، فلما صاروا إلى مكانهم لم يغنوا شيئاً^(٨) .

(١) إسحق بن صبيح : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أشاح : نحاه وجد في الأعراض . ابن منظور : لسان العرب . ٤٤٩ / ٣ .

(٣) قطب : أي عبس وغضب . المصدر السابق . ٢٧٩ / ٥ .

(٤) أدن : أمر بالدنو والقرب . المصدر السابق . ٤١٩ / ٢ .

(٥) أورد الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر . / ٢٤٨ / ٢٤٩ .

(٦) لأنه : هكذا في (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) كفائنا : الكفأت أي صرف الشيء عن وجهه . ابن منظور : لسان العرب . ٤١٥ / ٥ .

(٨) هذه من مبالغات الرواة التي اعتمد عليها النساخ ودونوها عن البرامكة ولم يرد عن الرشيد مثل هذا القول ،
فالواقع أن هؤلاء لم يخلصوا للعباسيين لحظة واحدة ، بل كان ولاؤهم الظاهر لآل علي ؛ لأنهم شيعتهم ، ولأن
ولاءهم لهم أكثر من ولأئهم للعباسيين الذين احتضنهم ، وأسبغوا عليهم من النعم الشيء الكثير ، وقد
اعتمد العمري على تلك الرواية التي سبقت عهده ، ونقل عنها دون تمحيص ، فمن الواضح هنا أن الرشيد لم
يرد عنه مثل ذلك القول .

فهذه جملة من أخبار البرامكة وأيامهم وكانت دولة الكرم^(١)، وصوله الجود على العدم، وغاصت بعدهم نجوم السماحة، وغارت نجوم الفصاحة، وختف وقار الثبات، [٢٦ ب] وجف ورق النبات، وأبى ضرع الكرم أن يدر لحالب، ودر الحمد أن ينتقل لحالب، وطمست أقمار النادي، وحبست أمطار الوادي، وذهبت الأيدي والأيدي، وسكنت هماهم^(٢) الأسد العوادي، وغل المعروف يده إلى عنقه، وغر الساري^(٣) المدلج^(٤) وضوح طرقة، ونزفت^(٥) رقاة^(٦) أسرة، وزلت وقاة مضرة^(٧)، ونسفت أطواد الحجى^(٨)، وخسفت^(٩) بدور الدجى، إلا بقية ذكر تلاقي أيامهم الذاهبة، ورم^(١٠) بخضاب البكاء عليهم لم^(١١) الدموع السائبة، فما ماتوا حتى أبقوا لهم ذكراً لا يموت، وشكراً غير موقوت، حتى صار سمر الحاضر والبادي، والرائح والغادي، ولا تجري لهم ذكر في محفل إلا أتى عليهم كل من حضر، ويصفهم ويثنى إليهم عنان^(١٢) الثناء من يعرفهم ومن لا يعرفهم.

لما انقضوا فكأنهم ما ماتوا^(١٣)

كفل الثناء لهم برد حياتهم

وأما بقايا وزراء الشرق فمنهم :

-
- (١) دولتهم الكريمة: هكذا في النسخة (أ) و (ك) وما أثبتناه من (ك) .
 - (٢) هماهم : المهمة تردد الصوت في الصدر . المصدر السابق . ٣٥٨/٦ .
 - (٣) الساري: أي يسير بالليل . المصدر السابق . ٢٨٢/٣ .
 - (٤) المدح: هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .
 - (٥) نزلت: هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .
 - (٦) رقاة: جفت وانقطعت . ابن منظور : لسان العرب . ١٠٣/٣ .
 - (٧) مضرة: خلاف المنفعة . المصدر السابق . ١١٧ / ٤ .
 - (٨) الحجى: ما أشرف من الأرض . المصدر السابق . ٣٥/٢ .
 - (٩) خسفت: غابت . المصدر السابق . ٢٥٤/ .
 - (١٠) ورم: أي أصلح . المصدر السابق . ١٢٤/٣ .
 - (١١) لم: الجمع الكثير . المصدر السابق . ٥٢٣/٥ .
 - (١٢) عنان: أعنان كل شيء نواحيه . المصدر السابق . ٤٤٩/٤ .
 - (١٣) نجد في هذا النص الكثير من المبالغات والترهات التي لا يصدقها العقل فإن تلك الأموال الطائلة التي =

الربيع بن يونس^(١)

ولم يكن له رتبة وزارة ولا كتابة وإنما كان حاجبًا ، وذكرناه في الوزراء لمؤازرته للخلفاء ومشاركته في كثير من الأمور ، وكان من الشيعة العباسية وأخباره معروفة ، وقد تخلل في تضاعيف^(٢) هذا التصنيف ما هو حلية جيدة، وعليه صفات مجيدة .
ومنهم ابنه :

= كان يهبها البرامكة لأولئك الشعراء أ والأدباء والشخصيات وأرباب الأمر، لم تكن لله وإنما ليقال بنو فلان الكرام ، فقد قيل ، بل إن في صرر تلك الأموال الطائلة هدر لأموال المسلمين ، وكان الضغفاء والمساكين أحق بها .

(١) الربيع بن العباس : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه ، والربيع بن يونس فهو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب المنصور ووزيره ؛ فقد وزر له بعد أبي أيوب المرياني ، وكان المنصور كثير الميل إليه ، حسن الاعتماد عليه ، وقيل إن المنصور إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ، توفيه أول سنة ١٧٠ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٥٤ . الجهشياري : الوزراء والكتاب . / ١٢٥ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٨ / ٤١٤ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . ١٨ / ٨٥ . ابن الجوزي : المنتظم . ٨ / ٣٣٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢ / ٢٩٤ / ٢٩٩ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ١٨٥ .
(٢) تضاعيف : ما ضعف منه ، وليس له واحد ونظيره في أن لا واحد له . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ١٢٦ .

ابنه الفضل الربيع

وولي الوزارة لهارون الرشيد بعد البرامكة ، وكان من أكبر الساعين في دمارهم ، والمساعدين على خراب ديارهم ، ثم ما سدّوا مسدهم ، ولا بلغوا أشدهم^(١) وكان الرشيد قد عزم على الفساد^(٢) ، ثم قال لجلسائه : أيّ شيء تهدون لي ؟ فقال كل رجل منهم : قد أعددت كذا وكذا ، واحتال الفضل بن الربيع في التخلص إلى منزله ، فرهن حقه من قطيعة^(٣) الربيع ، عند عون الجوهرى^(٤) على تحفة سنّية ، وقال له : إني أريد أن أهديها إلى الخليفة ، فصير لي منها عشرين بدرّة جدداً ، في أكياس ديباج^(٥) مختمة بفضة ، وكان عون الجوهرى يحفظ للربيع يدّاً ، فقال للفضل : أطابت نفسك أن تخرج عن جميع نعمتك [٢٧ أ] في هدية يوم ؟ فأعلم أن له عند الرشيد مواعيد ، فقال عون : إن عندي عبيد روميين ، أحدهما ناقد^(٦) ، والآخر وازن ، جميلي الصور مراهقين وقد وهبتهما لك ، وأحضر تابوت أبنوس^(٧) محلى بفضة ، وصير البدر فيه مع الطيارات^(٨) والموازن والصنجات^(٩) ، ثم أقفله بقفل فضة ، وغشاه بديباج ، وكسى

(١) أشدهم: أي قوتهم . المصدر السابق . ٤٠٩ / ٣ .

(٢) الفساد: الفصد شق العرق الضارب لكثرة الدم أو لرداءة الدم ، وإما أن يفصد لكليهما . ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء . / ١٩ . جيران جهامي : مصطلحات العلوم عند العرب . ١١٣٢ / ٢ .

(٣) قطيعة: طائفة من الأرض . ابن منظور: لسان العرب . ٢٨٤ / ٥ .

(٤) عون الجوهرى: لم أعثر له على ترجمة .

(٥) ديباج: القماش من الحرير المنقوش ببعض خيوط الذهب . الباشا : الفنون الإسلامية . ٥٣٧ / ٢ .

(٦) ناقد: هو الذي ينقد النقود ، أي يضرّ بها . المصدر السابق . ١١١٩ / ٣ .

(٧) أبنوس: نوع من الأشجار أخشابها جيده . ابن منظور . لسان العرب . ٢٨٣ / ٣ .

(٨) الطيارات: جمع طيار ، وهو ميزان الذهب ؛ سمي بذلك لخفته . الجهشياري : الوزراء والكتاب هامش . / ٢٥٠ .

(٩) الصنجات: وهي التي تضرب عليها النقود وتغير وتقاس بموجبها . ابن الأثير : / ٦١٦ .

الغلامين من الديباج المذهب ، وألبسهما المناطق^(١) الذهب المرصعة^(٢) بالجواهر
والمناديل^(٣) المصرية، ووجه بهما وبالتابوت المملوء بالبدر مع من يحمله إلى دار الندماء ،
فلما فرغ الرشيد من فصاده، قال^(٤) : أعرضوا على هداياكم ، فقدمت هدية يحيى
بن خالد وبنيه من فاكهة ومشام^(٥) وما أشبه ذلك، وعرض غيرهم هداياهم ، فقال
الرشيد للفضل بن الربيع: أين هديتك يا عباسي ؟ - وبذلك كان يدعوه - ، فقال :
أحضرها يا أمير المؤمنين ، ثم قال للفراشين : احملوها ، فحملوها شيئاً راع الرشيد لما
رآه ، وكشفوا عن التابوت فاستحسنه ، ثم حضر الغلامان ، ففتح أحدهما القفل ،
وأخرج الموازين والصنجات، وأخرج الآخر البدر ، وفتح بدرة ووزنها ، وشرع الآخر ينقد
فلم يدر الرشيد ما يستحسن ، واستطار^(٦) فرحاً وأمر بحمل المال ، وإدخال الغلامين إلى
دار النساء ، ليفرقا المال على ما يأمرهما به ، ثم قال للفضل : ويحك يا عباسي ! من أين
لك هذا ؟ قال : ستعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : والله لتقولنَّ ، فقال : بعث حقي من
قطيعة الربيع لأسرك^(٧) لما رأيتك قد فصدت وأنت مغموم ، فقال : والله لأسرك ، فقام
فدخل إلى دار النساء .، وانصرف جعفر يجر رجله^(٨) . وحكى عن الفضل بن الربيع :

(١) المناطق: كل ما يشد به الوسط . المصدر السابق . ٢٠٩ / ٦ .

(٢) المذهب المرصع : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) المناديل: من أنواع اللباس قد تلبس على الرأس أو يشد بها الوسط . القلقشندي : صبح الأعشى. ٥٨٠ / ٣ .

الشافعي : سمط النجوم العوالي . ١٩٨ / ٢ .

(٤) قدا : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٥) مشام: أي الطيب . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٦٥ .

(٦) استطار: أسرع . ابن منظور : لسان العرب . ٢١٥ / ٤ .

(٧) لأشتري: هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه كما في الجهشياري : الوزراء والكتاب . / ٢٥١ .

(٨) أورد الجهشياري هذا الخبر في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢٥١ / ٢٥٠ .

أنه قال : صرت إلى يحيى بن خالد فسألته حاجة ، فتعذر عليّ فيها ، فقامت وقلت^(١) :

متى وعسى يثني الزمانُ عنائهُ بتصريفِ حالٍ والزمانُ غيورُ
فتقضي لباناتٍ وتشفي حسائِفِ ويحدث من بعد الأمورِ أمورُ

قال : فقال يحيى : نعم يحدث الله من بعد الأمور أموراً ، أقسمت عليك لترجع ، وهذه الحاجة عليّ في مالي إلى أن أكلم الخليفة ، فما بت حتى وافقتي .

ثم أخذ الفضل بن الربيع في السعي على البرامكة ، فلما آل أمرهم إلى ما آل ، كان الفضل بن الربيع ممقوتاً من الرشيد [٢٧ ب] وسائر الناس ، وحضر يوماً بعد نكبة البرامكة جنازة أم حمدوية^(٢) بن علي^(٣) ، فذكر البرامكة ، فأطراهم^(٤) ووصفهم ، ثم قال : كنا نعتب عليهم ، فقد صرنا نتمناهم ، ثم أنشد متمثلاً^(٥) :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدتُهُ وجربت أقواماً بكيتُ على سلمٍ

وكان الفضل بن الربيع رجلاً سمحاً كريماً ، إلا أنه كره لواقعة البرامكة ، ولم يسلم

(١) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي : بتصريف حالٍ والزمان عثور
وفي البيت الثاني :

فتقضي لبانات وتشفى حسائك وتحدث من بعد الأمور أمور . / ٢٥١ .

كما أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في البيت الأول كما يلي : عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حالٍ والزمان غيور
وفي الشطر الثاني من البيت الثاني : وتحدث من بعد الأمور أمور . / ٢١١١ .

(٢) حمدونة : هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان ، أحد قواد المأمون استعمله الحسن بن سهل على اليمن سنة ٢٠٠ هـ وقد غلب عليها بعد ذلك وأعلن خروجه على المأمون سنة ٢٠٢ هـ ، فوجه عليه المأمون بعيسى بن يزيد الجلودي ؛ حيث تمكن منه سنة ٢٠٥ هـ ودخل صنعاء وأشخص حمدويه إلى المأمون . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤٨ / ٤٤٩ / ٤٥٥ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٧٨ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٩١٤ / ٩٢٤ .

(٤) فأطراهم : مدحهم . ابن منظور : لسان العرب . / ٤٠٤ / ١٦٤ .

(٥) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر وهذا البيت . / ٢٦٢ . ونسب الدينوري في كتابه المجالسة وجواهر العلم هذا البيت إلى نهار بن توسعة . / ٣٧١ .

إليه الرشيد خاتمه ، ولا سلمه إلى أحد غير^(١) البرامكة ، بل كانت الكتب تحضر إلى بين يديه ، ويختمها هو بيده ، وكان الفضل بن الربيع محافظاً على خدمة الرشيد وحضرته لا يبالي بما سوى ذلك فضاع بما وراء بابه ، واختلت الأمور ، ثم كان هو القائم ببيعة الأمين وتدييره وسد خلله وترفيه أموره ، وهو الذي أخذ له البيعة لما مات الرشيد بطوس ، وأتاه أبو نواس فأنشده هذه^(٢) :

تعزُّ أبا العباس عن خيرِ هالكٍ وأكرم ميت كان أو [هو]^(٣) كائنُ
وفي الحيِّ بالميتِ الذي غيبَ الثرى فلا أنتَ مغبونٌ ولا الدهرُ غابنُ

ولم يكن عند الأمير إلا حاجباً ، ولكنه قام بكل الأمور ، وتحدث في سائر الملك ، وكان لأبي نواس إليه ميل .
وفيه يقول^(٤) :

لقد نزلت أبا العباس منزلةً ما أن ترى خلفها الأبصارُ مطروحا
وكلت بالدهرِ عيناً غيرَ غافلةٍ من جودِ كفك تأسو كل ما جرحا

(١) بغير : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) أورد الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي :

ياكram حي كان أو هو كائن .

كما زاد بيت آخر بعد البيت الأول كما يلي:

حوادث أيام تدور صرافها لهن مساو مرة ومحاسن

٢١٦/٥ . وعند ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١١٨ / ٦ .

(٣) هو: سقط في جميع النسخ ، وما أثبتناه من ابن عساكر تاريخ دمشق . ١١٨ / ٦ .

(٤) أورد الحسن بن هانئ هذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي : لقد نزلنا أبا العباس منزلةً . ١١٣ / ٢١٢ / .

وفيه يقول ويذكر تمكينه الأمين^(١) :

لعمرك ما غابَ الأمينُ محمدٌ عن الأمرِ يعنيهِ^(٢) إذا شهدَ الفضلُ
ولولا موارِيثُ النبوةِ أنها لها دونهُ ما كانَ بينهما فضلُ
ولهذا نَقَمَ المأمونُ عليه ، ثم صلحَ أمره معه فيما بعد ، وقد أكثرَ القراطيي^(٣)
هجاءَهُ ، فمما قال فيه^(٤) :

لئنَ أخطأتَ في مدحِك ما أخطأتَ في منعي
لقد أحللتَ حاجاتي بوادٍ غيرِ ذي زرع
[٢٨ أ] ومنهم دولة السهلين^(٥) فهم :

(١) ورد ذكر هذين البيتين في ديوان أبي نواس مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :
ولولا موارِيثُ الخلافةِ أنها . / ١٣٠ . أورد الخطيب البغدادي هذا الخبر وهذين البيتين في كتابه تاريخ
بغداد وزاد عليهما بيتين كما يلي :

وإن كانت الأخبار فيها تباين فقولهما قول وفعلهما فعل

أرى الفضل للنيا وللدين جامعا كما السهم فيه الفوق والريش والنصل . ٣٢٤/١٢ . وعند ابن الجوزي :
المنتظم . ١٠ / ١٨٥ .

(٢) يعنيه : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) إسماعيل بن معمر الكوفي القراطيي ، كان مولى الأشاعثة ، وكان مألفا للشعراء وكان أبو نواس وأبو
العتاهية وطبقته يقصدون منزله ويجتمعون عنده . الأصفهاني : الأغاني . ٢٣ / ٢٠٢ . الصفدي : الوايع بالوفيات .
١٣٥ / ٩ .

(٤) أورد الجهشيارى هذين البيتين في كتابه الوزراء والكتاب . / ٢٩٩ . كما ذكرهما الأصفهاني في كتابه
الأغاني وزاد عليهما بيت يأتي قبل هذين البيتين كما يلي :

ألا قل للذي لم يهده الله إلى نفع . ٢٣ / ٢٠٣ .

(٥) وصفها العمري هنا بدولة ، ويقصد بذلك القوة والنفوذ .

(١) الفضل بن سهل

ذو الرئاستين وزير المأمون والقائم بأمره حتى استخلف وثبت قواعد ملكه ، وكان له مثل أبي مسلم للسفاح ، ولم يكن في وقته أبصر منه بالنجامة ، وله فيها الأحكام العجيبة ، والمصادفات الموافقة ، فقل إن أخطأ له حدس أو كذب له قول ، مع ما كان له من وفور البلاغة ، وعظم الشجاعة ، وسماحة اليد ، وسعد الجد ، وإضاعة الزند ، وإضاعة الند ، إذا قيل إن له ند . ولما قتل طاهر بن الحسين^(٢) محمد الأمين ، وأنفذ رأسه إلى المأمون ، قال الفضل بن سهل : ما فعل بنا طاهر ؟ سل علينا سيوف الناس وألسنتهم ، أمرناه أن يبعث به أسيراً ، فبعث به عقيراً ! ثم أمر المأمون أن ينشأ من^(٣) كتاب طاهر ، يقرأ على الناس ، فكتب عدة كتب لم ترضِ ذا الرئاستين ، فكتب أحمد بن يوسف^(٤) كتاباً نسخه :

(١) أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي ، أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠ هـ ووُزر له ، وكان يلقب بذي الرئاستين الحرب والسياسة ، وغلب على المأمون بخلاله الجميلة من الوفاء والبلاغة والكتابة حتى صار الأمر كله إليه ، وهو أول وزير اجتمع له اللقب والتأمر ، قتل بسرخس سنة ٢٠٢ هـ . الجهشيارى : الوزراء والكتاب . / ٣٠٥ / ٣٠٦ . المسعودي : مروج الذهب . ٢٨ / ٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤١ / ٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣٣ / ٣٢ / ٢٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٧٢ / ٢ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٤ / ٢ .

(٢) الحسن : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) من : ساقط في (أ) و(م) ، وما أثبتناه من (ك) .

(٤) أبوجعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح ، كاتب المأمون على ديوان الرسائل كان من أفضل الكتاب في عصره وأذكاهم وأجمعهم للمحاسن ، يقول الشعر الجيد توفي سنة ٢١٣ هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٨١ / ٨ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢١١٥ / ٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٠٦ / ٢ .

"بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة^(١) ، فقد فرق حكم الكتاب بينهما في الولاية والحرمة ؛ لفارقة عصمة الدين ، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين ، بقول الله - جل اسمه - فيما اقتص علينا :

﴿ ولا صلة لأحدٍ في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله ، وكتبت وقد قتل الله المخلوع ، وأرداه رداءه ، وأحصد لأمر المؤمنين أمره ، وأنجز له ما كان ينتظره من وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين بمعلوم حقه ، المكائد له خير عهده ، ونقض عقده ، حتى رد الله به الألفة بعد فرقتها ، وأحيا الأعلام بعد دروسها^(٢) ، وجمع به الأمة بعد شتاتها ، والسلام . " ، فلما عُرضت النسخة على ذي الرئاستين رجع نظره فيها ، ثم قال لأحمد بن يوسف : ما أنصفناك ! ثم أجزل له العطاء .

وكان الفضل بن سهل سخياً سريراً^(٤) ، نبيل النفس ، كثير الأفضال ، يذهب مذاهب البرامكة في ذلك ، وإنما كان غليظ العقوبة ، مقداماً إذا أنكر ، حسن الرجوع إذا استعطف ، وكان يبغض السعاة ويقصيههم ، وإذا أتاه ساع قال له : إن صدقتنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن استقلتنا أقلناك^(٥) [٢٨ ب] .

ومنهم أخوه :

(١) اللحمة : الطائفة . ابن منظور ، لسان العرب . ٤٨٥ / ٥ .

(٢) ﴿

سورة هود . آية ٤٦ .

(٣) دروسها : من درس الثوب أي أخلقته . ابن منظور : لسان العرب . ٣٧٥ / ٢ .

(٤) سريراً ، أي : قائداً للجيش . المصدر السابق . ٢٨٣ / ٣ .

(٥) أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب هذا الخبر . / ٣٠٨ .

الحسن^(١) بن سهل^(٢)

وتقلد الوزارة للمأمون ، وكان كاتباً بليغاً مفوهاً لسنناً ، لسانه من عصبه ، وقلمه من سحبه ، ولا تجري السير إلا على مدى قدمه ، ولا يمضي السيف إلا بشبا^(٣) قلمه ، يروى المسامع من كلامه الرقراق ، وينسى بساعات محاضرتة أيام الفراق ، وخطب المأمون إليه ابنته بوران^(٤) واسمها خديجة فقال : يا أمير المؤمنين إني وإن كنت عبدك وكاتب أمتك بوران ، فإن الدهاقين^(٥) لا يزوجون بناتهم إلا في منازلهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكمل تشريفي ، قصد منزله والذي ملكنيه ، فعقد أمر ابنته فيه ودخل بها ، فأجابه إلى ذلك وعمل عليه ، وقصد فتم الصلح في شهر رمضان سنة عشر ومئتين ، في زورق ركبه من قصره ، حتى أرسى على باب الحسن فتم الصلح ، وكان قد قدم

(١) الحسين : هكذا في النسخة (أ) و(ك) وما أثبتته من (م) .

(٢) ابو محمد الحسن بن سهل الوزير أخو الفضل بن سهل ، كان من بيت رئاسة ، أسلم مع أبيه في خلافة الرشيد ، تولى الوزارة بعد أخيه الفضل ، تزوج المأمون بابنته بوران ، مات بسرخس سنة ٢٣٦هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٣١٩ / ٧ - ٣٢٣ / ابن خلكتان : وفيات الأعيان . ١٢٠ / ٢ - ١٢٤ / الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٦ / ١٢ - ٢٧ / ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٨٧ / ٢ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٨٦ / ٢ .

(٣) بشبا : الشبا حد كل شيء . ابن زكريا . مقاييس اللغة . ٢٤٣ / ٣ .

(٤) بوران بنت الحسن بن سهل ، ولدت سنة ١٩٢هـ ، تزوجها المأمون سنة ٢١٠هـ ، وأنفق على عرسها أموالاً طائلة ، توفيت سنة ٢٧١هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٤٥٩ / ٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٨٠٧ / ١٨٠٨ . المسعودي : مروج الذهب . ٣٠ / ٤ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٣٢١ / ٣٢٠ / ٧ . ابن خلكتان : وفيات الأعيان . ٢٨٧ / ١ - ٢٩٠ /

(٥) الدهاقين : معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار . المقري . المصباح النير ٢٠١ / ١ .

العباس بن المأمون^(١) على الظهر ، ومعه العسكر والثقل^(٢) ، فتلقاه الحسن فأوماً الحسن لينزل وأوماً العباس لينزل ، وحلف كل واحد منهما على صاحبه واعتنقا وهما على دوابهما ، وأوفى المأمون ، فأكل هو والعباس بن المأمون ، ودينار^(٣) بن عبد الله^(٤) قائماً على رؤوسهم حتى فرغوا من طعامهم ، ثم دعا المأمون بشارب فأتي بجام من ذهب فيه شراب فشرب ، ثم عقد العقد ونثر الحسن في ذلك اليوم كل شيء له يجري على ملكه من الكراع^(٥) ، والرقيق ، والبزاة ، والكساء ، والطيب ، والضياع ، والعقارات ، والجواهر ، والدنانير ، والدراهم ، وكان ذلك مبيناً كله في رقاع فيها ذكر هذه الأصناف ، وجعلت في أكر^(٦) عنبر ، ثم نثرت وكان كل من التقط شيئاً من تلك الرقاع بصنف صار إلى خازن ذلك الصنف فقبض منه .

(١) العباس بن أمير المؤمنين المأمون ، وولاه أبوه الثغور والعواصم وكان فصيحاً ، بويغ بالخلافة في السر فحبسه المعتصم تويغ بعد ذلك بمنيج سنة ٢٢٣هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٨٥٨ / ١٨٥٩ / ١٨٦٠ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ٨٣ / ٨٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٤١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٦ / ٧٥ .

(٢) الثقل : المتاع . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٣٤١ .

(٣) الدينار : هكذا في (ك) .

(٤) دينار بن عبد الله بن زادا ابن عم الفضل والحسن ابني سهل ، مولى الرشيد خدم المأمون والمعتصم ، وولاه المأمون على مصر وولاه المعتصم سنة ٢٢٥هـ دمشق ، ثم عزل ولي برقة فقتل بها سنة ٢٣١هـ وهو ابن سبع وسبعين سنة . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٥٥ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٩٠ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١٧ / ٣١٩ . ياقوت : معجم البلدان . ٢ / ٤١٩ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢ / ٢٤٣ .

(٥) الكراع : البقر والغنم والخيل والإبل والحُمير . ابن منظور : لسان العرب . ٥ / ٣٩٤ .

(٦) أكر : وهي ما أدرت من شيء . المصدر السابق . / ٣٩٩ .

ودخل المأمون ببوران بعد قدومه بستة أيام وعندها حمدونة^(١) ، وأم جعفر^(٢) وجدتتها أم الفضل بن سهل ، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع ، وسألها عن عدد الدرر ، فذكرت أنه ألف حبة ، فعدت فنقصت^(٣) عشرة ، فقال المأمون : من أخذها فليردها ؟ فجمعه المأمون وجعله في حجرها ، وقال لها : هذه نحلتيك^(٤) فاسألي حوائجك فأمسكت ، فقالت لها جدتها : كلمي سيدك فقد أمرك ! [٢٩ أ] واسأليه حوائجك ؛ فقد أذن لك ، فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي ، وكان قد شخص معه في العسكر ، ولم يظهر منه الرضا عليه ففعل ، وسألته في الإذن لأم جعفر في الحج ففعل ، وجعلت عليها أم جعفر البدنة^(٥) الأموية ، وبنى بها المأمون في ليلته ، وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون مثلاً^(٦) ، فأنكر ذلك وقال : هذا سرف ، ووصل الحسن بعشرة آلاف ألف درهم من مال فارس ، ففرقها في قواد المأمون وحشمه ، وأقام المأمون سبعة عشر يوماً ، يُعدُّ له في كل يوم وجميع من معه ما

(١) حمدونية: هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه كما في الطبري . تاريخ الأمم والملوك . / ١٨٠٧ . وابن الأثير . الكامل في التاريخ . / ٩٣٥ .

وحمدونة : هي حمدونة بنت هارون الرشيد ، كان لها ذكر في حكاية مع بهلول المجنون ، قرأت على الشيخ علي بن أبي بكر الدنيلي . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٩٣٥ . أبو بكر : تكملة الإكمال . ٢ / ٢٨٢ .

(٢) أم جعفر : وهي زبيدة . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٩٣٥ .

(٣) نقصت : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) نحلتيك: أي المهر . ابن منظور : لسان العرب . ٦ / ١٥٤ .

(٥) البدنة: رداء أبيض فضفاض . المصدر السابق . ١ / ١٧٧ .

(٦) مثلاً: المَن وهو المينة القديم يساوي شرعا رطلين كل رطل ١٣٠ درهماً . فالترهنتس . المكاييل والأوزان الإسلامية . / ٤٥ .

يحتاجون إليه من جميع الأشياء ، وخلق الحسن على جميع القواد والوجوه ووصلهم ، فتكون نفقته على جميع ذلك - خاصة سوى ما أنفقه على تجهيز بوران ، وما وصله به المأمون - خمسين ألف ألف درهم ، وكانت نفقته على الجهاز ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم^(١) .

قال ابن عبدوس : وكان الحسن بن سهل قد رتب أربعين بغلاً تنقل الحطب إلى حضائر أعدها له ، وكانت تنقل في اليوم عدة مراراً ، فمكثت تنقل سنة كاملة ، ولما أعرس المأمون ببوران استعمل ذلك الحطب أجمع وجميع ماقد على سواه، واضطرهم الأمر إلى أن قطعوا سعف^(٢) النخل رطباً ، وصبوا عليها الزيت والأدهان وأوقدوها ، وفي زواج المأمون ببوران [يقول إبراهيم بن العباس]^(٣) .

ليهنيك أصهاراً أذلت بعزها
جمعت بها الشمليين من آل هاشم
خوداً وجدعت الأنوف الرواغماً
وحزت بها للكسروين المكارماً

(١) أورد الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك هذا الخبر . / ١٨٠٧/ ١٨٠٨ . وعند ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ . / ٩٣٥ .

(٢) شعب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وإبراهيم بن العباس الصولي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن الصول البغدادي مولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وهو أحد الشعراء المشهورين والكتاب المذكورين له ديوان شعر مشهور، وكان صول وفيروز أخوي ملك جرجان وهما تركيان تمجسا وصارا أشباه الفرس ، فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمنهما ، فأسلم صول على يده ولم يزل معه إلى أن قتل ، واتصل ابنه إبراهيم وأخوه عبد الله بندي الرياستين الفضل بن سهل ، ثم تنقل إبراهيم في أعمال السلطان ودواوينه إلى أن توفى وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات سنة ٢٤٣ هـ بسر من رأى . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٦ / ١٩ .

بنوك^(١) غدوا آل النبي وأورثوا الخلافة والجاوون كسرى وهاشم^(٢).

(١) بكوك: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) يرى الدارس هنا أن ما قيل عن مراسيم زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل قد تخلله نوع من البذخ، ولكن لم يكن كما صوره بعض من كتب عن ذلك الزواج؛ لعدة أسباب :
أولاً : لم يكن المأمون بذلك الخليفة الجاهل الذي غاب عنه حكم التبذير والإسراف الذي نهى عنه الإسلام، بل كان عالماً بالأحكام الشرعية .

ثانياً : كان راوياً للحديث عن أبيه وعن هاشم بن بشر وأبي معاوية الضرير وغيرهم الأحاديث التي رواها وهو في مرو؛ فقد قال : حدثني هشيم بن نشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز " . أي : إذا تزوجها الرجل ليستعف بها أعانه الله ، وكان فيها سداد من عوز المال .

ثالثاً : لقد كان المأمون يقدم مصلحة الأمة على مصلحة الخاصة؛ فقد سعى إلى مبايعة أخيه المعتصم بالخلافة من بعده متجاهلاً بذلك كل معنى عواطف الأبوة ، فلم يولي عهده إلى ابنه العباس بالرغم من مقدرته على فعل ذلك.

رابعاً : سخر المأمون حياته لخدمة الأمة؛ إما غازياً في سبيل الله ، أو جالساً لحل المظالم بنفسه ، أو لحضور مجالس العلم والعلماء ، والدليل على ذلك واضح من خلال ذلك الزخم العلمي الذي تم في عهده من تطور في مجال العلوم المختلفة .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن ما قيل عن ذلك البذخ الذي تخلل زواج المأمون ببوران قد طرأ عليه نوع من المبالغة ، فكيف برجل مثل المأمون أحد أعظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، نفذ أمره من أفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند، وعرفه المؤرخ ابن دحية بالإمام العالم المحدث النحوي اللغوي " . فخليفة تتوفر فيه مثل هذه الصفات من الواضح أنه لن يقبل بمثل تلك الأمور من بذخ وإسراف أن تحدث ، ولكن هناك من الكتاب من لاهمَّ لهم إلا الإساءة إلى أعلام الأمة، وتشويه صورة الخلفاء، وقد يكون هناك من الكتاب من قد تأثروا بما كتبه الزنادقة وغيرهم من أعداء الإسلام ، وقد يكون هناك من أخذ على المأمون من اعتقاده بخلق القرآن ، ولكن تلك المحنة لم تظهر إلا في آخر سنة من حياته ، وليس من المعقول أن نتاسى ما قدمه المأمون من أجل الإسلام والمسلمين ، وأن نتمسك بهذه الهفوة التي لم تظهر إلا في آخر أيام ذلك الخليفة . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٣٣ / ٢٩٤ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٠ / ١٢٢ .

العسكري : جمهرة الأمثال . ١ / ٥٢٦ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢١١٩ . الزركلي : الأعلام ٤ / ١٤٢ .

وحكى عنه محمد بن الجهم حكاية^(١) منها : أنه كان يسايره - يعني الحسن - حتى أتى داره ثم أمره بالنزول ، وكان يوم نوروز ، ثم قال له : إني قد جعلت لك كل شيء يهدى إليّ اليوم ؛ فأقم عندي غلامك لقبضه ، قال : فحصل في يدي ما قيمته ألف دينار ، فلما أمسينا وحضر وقت الانصراف قمت قائماً وقلت : أعز الله الأمير ، قد قبلت ما وهبته لي ، وقبضته وقد وهبته لمحمد بن الأمير^(٢) ، فقال لي : قد قبلها فانصرف مصاحباً فانصرفت ، فلما كان في اليوم الثالث [٢٩ ب] ، جاءني رسوله فأتيته فقال لي : إن أمير المؤمنين طلب مني رجلاً يوجه به إلى مصر في شيء من أموره ، وقد سميتك له واستخرجت أمره لك بعشرة آلاف دينار صلةً لك ، ومئة ألف درهم لنفقة طريقك ، وثلاثين رأساً من الظهر^(٣) فامض إلى أمره ، ثم إن استطببت البلد فاكتب إليّ حتى أقلدكه ، وإن كرهته فاكتب إليّ حتى أفعل ما أرى ، فقبضت ما أمر لي به ، وشخصت حتى أتيت مصر ، ففرغت مما أمرت به ، ولم أستطبها ، فبدل لي على الانصراف مئة ألف دينار فقبضتها ، ثم كتبت إلى الحسن فأمر لي بعشرة آلاف دينار أخرى ، وأذن لي في الانصراف .

-
- (١) محمد بن الجهم بن هارون أبو عبد الله الكاتب السمرى ، سمع يعلى بن عبيد الطنافسي المحدث وغيرهم وروى عن أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء تصانيفه ، حدث عنه موسى بن هارون الحافظ وقاسم بن محمد الأنباري ، وغيرهم ، وكان من الثقات ، توفي سنة ٢٧٧هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢ / ١٦١ . السمعاني : الأنساب . ٣ / ٢٩٧ . ياقوت : معجم الأدباء . ٥ / ٢٨٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٠ / ٤٤١ .
- (٢) محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة ، أبوه الحسن بن سهل وعمه الفضل ، كان أول مع صاحب الزنج ثم صار إلى بغداد ، وأمن ثم سعى للخروج على الخليفة المعتضد ومبايعة ابن المهدي بالخلافة ، فقبض عليه ومات محروقاً سنة ٢٨٠هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١١٣ . ياقوت : معجم الأدباء . ٥ / ٣٠٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢ / ٢٥٩ .
- (٣) الظهر: الركاب التي تحمل الأثقال . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٢٣٢ .

وقال أبو عيسى محمد بن سعيد^(١) سمعت عبيد الله بن سليمان^(٢) يقول : لم أرَ أحداً قطُّ يقطع بسجلاتٍ غير الخليفة إلا الحسن بن سهل .

وعنه قال ابن غسان بن عباد^(٣) : إنه حضر الحسن بن سهل يوماً ، وقد أعطى عطايا جزيلة عظيمة المقدار ، فقال له غسان : على سعة نفسه وأنه لما قدم من السند^(٤) ، وصل بعشرة آلاف درهم ، فلم يبرح من دار المأمون حتى فرقتها بأسرها [فقال المأمون]^(٥) : أيها الأمير لا خير في السرف فقال له الحسن : متعت بك ولا سرف في الخير .

(١) أبو عيسى: لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الكاتب ، ولد سنة ٢٢٦هـ ، ولي الوزارة للمعتضد وهو ولي العهد لعمه المعتمد سنة ٢٧٨هـ ، وكان يكتب بين يديه ، فلما ولي المعتضد الخلافة أقر عبيد الله على وزارته إلى حين وفاته سنة ٢٨٠هـ . وقد استمرت وزارته للمعتضد عشر سنين . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ٢١٠٨ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٤٨/١٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣ / ١٢٢ / ١٢٣ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢١ / ٢١٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ٤٩/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٤٧ / ١٩ .

(٣) غسان بن عباد بن أبي الفرج ، كان غسان ذا رأي وحزم ودهاء وخبرة تامة ، وقد ولي أمانة خراسان من قبل الحسن بن سهل ، وهو ابن عم الفضل بن سهل ، ثم عزله المأمون عنها سنة ٢٠٦ هـ بعد أن قدم غسان طلباً بذلك ، ثم ولاء المأمون السند بعد ذلك سنة ٢١٣ هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٤٥٦ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٨٢ / ١٧٩٥ / ١٨١٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٠ / ١٥ .

(٤) السند : بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة ، بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ، وهي خمس كور فأولها من قبل كرممان مكران ثم طوران ثم السند ثم الهند ثم الملتان ، وقصبة السند مدينة يقال لها المنصورة ، ومن مدنها ديبل والتيز . ياقوت : معجم البلدان . ٢٦٧ / ٣ .

(٥) فقال المأمون : ساقطة في الأصل ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

وعن يحيى بن خاقان^(١) - وكان يكتب للحسن بن سهل - قال : مر علي بن هشام^(٢) برجل للحسن بن سهل فأمر له الحسن بألف دابة ، وتقدم إليّ بالكتاب له بها ، قال : فصادف عليّ [بن] هشام فقال : إن الأمير قد أمر لي بألف دابة كما علمت ، وفكرت فيها ؛ فإذا هي عيال^(٤) لا أقوم بها وله عليّ مؤونة كثيرة لا أطيقها ولا يحسن بي أن أبيعها ، وهي عطية الأمير وأحب أن تحتال لي فيها ، قال : فلم يفرغ من كلامه حتى أتاني رسول الحسن بن سهل في المصير إليه ، فلما دخلت عليه قال : يا يحيى أعلمت أنني فكرت فيما أمرت به لعلي بن هشام ؟ فوجدته كما يقول العامة : "رزقك الله قليلاً تعوله" وإنه ليس له فيها حظ ، فاكتب له مع الألف دابة ألف غلام ، وأقم له إنزال الغلمان وعلوفة الدواب قال : ففعلت [أ ٣٠] ذلك .

وقيل لأبي العيناء^(٥) : ما تقول في الحسن بن سهل ؟ [قال] ^(٦) خلف آدم في ولده فهو

-
- (١) يحيى بن خاقان والد الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان عمل لخدمة الخليفة العباسي المتوكل ، فقد ولاه ديوان الخراج بعد أن عزل الفضل بن مروان سنة ٢٣٤ هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٨٥ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ١٩٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ / ٤٣ .
- (٢) أبو الحسن علي بن هشام بن فرخسوا المروزي ، أحد قواد المأمون قدم مع المأمون من خراسان وخص به ، وكان المأمون يزوره ويأنس به ، كان أديباً شاعراً فاضلاً موصوفاً بالشجاعة والإقدام مع الظلم والفتك ، ولاه المأمون على كور الجبل ، هم بالخروج على المأمون فظفر به المأمون وقتله سنة ٢١٧ هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٢ / ٤٦٧ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١١ / ٦٤ . ابن عساکر : تاريخ دمشق . ٤٣ / ٢٦٦ - ٢٧٠ / ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ٩٤٢ / . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٥ / ٣١٦ .
- (٣) بن : ساقطة في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .
- (٤) عيال : أتكفل بهم وأعولهم . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٤٨٠ .
- (٥) أبو عبد الله القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي الضرير ، مولى أبي جعفر المنصور المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ، أصله من اليمامة ، مولده سنة ١٩١ هـ بالأهواز ومنشؤه بالبصرة وبها كتب الحديث ، وطلب الأدب وسمع من أبي عبيدة والأصمعي ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً وأحضرهم نادرة . ياقوت : معجم الأدباء . ٥ / ٣٩٧ - ٤٠٧ / ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤ / ٣٤٣ . الصفي : الوايف بالوفيات . ٤ / ٢٤٢ / ٢٤٣ / ٢٤٤ .
- (٦) قال : سقط في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

يسد خلتهم ، وينقع غلتهم ، ولقد رفع الله الدنيا من شأنها أن جعله من سكانها، وفيه يقول يوسف الجوهري^(١) الشاعر^(٢):

لو أن عينَ زهيرٍ أبصرتُ حسنا وكيفَ يصنعُ في أموالهِ الكرمُ
إذا لقالَ زهيرٌ حينَ يبصرُهُ هذا الجوادُ على العلاتِ لا هرمُ

فهذه جملة أخبار السهلين وهم أوسع من البرامكة كرمًا ، وأنفع ديمًا^(٣) وإن كان أولئك أطير صيتًا ، وأشهر ذكراً محياً ومماتًا ؛ إلا أن أولئك أرجح عقولاً ، وأنجح مأمولاً؛ فأما السهلون فبحور تعب عابها، ويصيب سحابها ، لايهاب أن تهب ، ولا يوقد نار قرى إلا الذهب ، فما اصطلى بلهبها إلا من وصل بذهبها ، وإذا قصدنا قصد الحق فأولئك فتحوا الباب لهؤلاء حتى دخلوا وهؤلاء بنوا كما بنى أولئك، وفعلوا مثل ما فعلوا؛ إلا أن الحسن بن سهل امتدت أيامه إلى زمن المتوكل^(٤) ، ونزل عن تلك الرتبة التي علت على السماء مطهراً ، ولم يرضَ در الكواكب لحليها جوهرًا؛ إلا أنه كان

(١) يوسف الجوهري : وهو يوسف الجوهري الشاعر ، صاحب أحمد بن الخصيب بغدادى شاعر صالح ، كان له أشعار في المتوكل وغيره . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٧٧/ ٧ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٧٢ / ٢٩ .

(٢) أورد ابن خلكان هذين البيتين في كتابه وفيات الأعيان . ١٢٣/٢ . وعند الصفدي في كتابه الوايف بالوفيات . ٢٨/١٢ .

(٣) ديمًا: أي دائمة ويطلق ذلك على المطر . ابن منظور : لسان العرب . ٤٣٨/٢ .

(٤) أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، ولد بضم الصلح سنة ٢٠٧ هـ ، وأمه أم ولد تسمى شجاع ، كثيرة الصدقات والمعروف ، ببيع له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق سنة ٢٣٢ هـ فأظهر الميل إلى السنة ، ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق ، واستقدم المحدثين إلى سامراء ، وأجزل عطاياهم وأكرمهم ، وكثر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له ، حتى قال إبراهيم بن محمد قاضي البصرة الخلفاء الثلاثة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قاتل أهل الردة حتى استجابوا ، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية ، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة . كان جواد ممدوحاً حتى قيل ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكل ، بايع بولاية العهد لولده المنتصر ، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبة أمه ، وكان يتهدد ولده ويشتمه ؛ لأنه سأله النزول عن ولاية العهد فأبى ، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل ؛ لأنه صادر أموال وصيفاً وبغاً ، فاتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فدخلوا =

محفوظاً له ما تقدم أيام المأمون ، وكان يرعى له ^(١)الفضل بن مروان سالفه ذاك الأوان ، فلما وزر ابن الزيات ^(٢) تقصده بسوء ، وتعمده بإخماد ضوء ، ولم يتمكن منه جمعة عقوبه ، ولا قدر على تعديل الصدور من رتبه ، فلم يلحقه قذى ^(٣) غضاضة ^(٤) ، ولا أغض حلقه شجى مضاضة ، ثم نعود إلى تتمة ذكر الوزراء بالمشرق فنقول ومنهم :

= عليه فقتلوه ووزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧هـ . ابن العمراني . الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١١٥ / - ١٢٠ / . ابن خلكان : وفيات العيان . ٣٥٠ / ١ . ابن الطقطقي : الفخري . ١٩٢ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢٩٠ / ١ - ٢٩٢ / . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣٢٤ / ٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٤٦ / - ٣٥٤ / . ابن العماد : شذرات الذهب . ١١٥ / ١١٤ / ٢ .

(١) له : سقط في النسخة (ك) .

(٢) أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان المعروف بابن الزيات ، وزير المعتصم ، كان جده تاجراً يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، وكان أديباً ظالمًا عارفاً بالنحو واللغة جواداً ممدوحاً ، وزر للمعتصم والوثاق والمتوكل ، قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٩٤ / ٥ - ١٠٣ / . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٧١ / ٢ - ٢٧٢ / .

(٣) القذى : ما يقع في العين وما ترمى به . ابن منظور : لسان العرب . ٢١٨ / ٥ .

(٤) غضاضة : الغضاضة الفتور في الطرف . المصدر السابق . ٤١ / .

أحمد بن أبي خالد^(١)

وكان مبدول الطارف^(٢) والتالد^(٣) لا يذمه نزيل ، ولا ينصرف عنه ، ولما قتل الفضل بن سهل قال له المأمون : إني كنت عزمت ألا أستوزر أحداً بعد ذي الرئاستين ، وقد رأيت أن أستوزرك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل بيني وبين العامة منزلة يتأملها صديقي ويرجوها ، ويخافها عدوي ويحذرها ، ولا يقال بلغ الغاية^(٤) ، وليس إلا الانحطاط ، فاستحسن ذلك منه واستوزره^(٥).

قال أحمد بن خالد : لما قدمنا من خراسان مع المأمون وكنا بعقبة [٣٠ ب] حلوان^(٦) كنت زميله ، فقال لي : يا أحمد ، إني لأجد رائحة العراق ! فأجبتة بغير جوابه ، فقال : ما هذا جوابي ، ولكني أحسبك مفكراً ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فيم فكرت ؟

قال : في هجومنا على بغداد ، وليس معنا إلا خمسين ألف درهم مع فتنة قد غلبت على قلوب الناس كيف يكون حالنا إن هاج هائج ، أو تحرك متحرك ، فأطرق ملياً ، ثم قال : صدقت يا أحمد ما أحسن ما فكرت ! ولكني أخبرك أن الناس في هذه المدينة

(١) احمد بن يزيد بن عبد الرحمن أبو العباس بن أبي خالد الأحول كاتب المأمون ، أصله من الأردن كاتب كتب أمراء دمشق ، وترقت حالته إلى أن وزر للمأمون ، كان جليل القدر من عقلاء الرجال بصيراً بالأمور كاتباً بليغاً ، مات حتف أنفه سنة ٢١٠ هـ . ابن الطقطقي : الفخري . ١٨٢/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٧٦/٨ - ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) الطارف : المال المستفاد . ابن منظور : لسان العرب . ١٦٩ / ٤ .

(٣) التالد : المال القديم الأصلي . المصدر السابق . ٣٠٦/١ .

(٤) العامة : هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أورد ابن الطقطقي هذا الخبر في كتابه الفخري . ١٨٢/ .

(٦) حلوان : وهي حلوان العراق ، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد ، وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كان بعض الملوك أقطعها إياها فسميت به ، وهي في الإقليم الرابع ، طولها إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . ياقوت معجم البلدان . ١٩١/١٩٠ / ٢ .

ثلاث طبقاتٍ ، ظالم ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم ، فأما الظالم فليس يتوقع إلا عتابنا ، وأما المظلوم فليس يتوقع إلا أن ينصف بنا ، ومن خرج منهما فمنزله يسعه ، فوالله ما كان إلا كما قال^(١) .

وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وغسان بن عباد لما ظفر بإبراهيم بن المهدي ، ما تريان فيه ؟ قال أحمد بن أبي خالد : تعفو عنه ، وقال غسان : نقتله ، فقال أحمد بن أبي خالد لغسان : العفو قبيح أم جميل ؟ فقال له غسان : جميل ، فقال أحمد : يا أمير المؤمنين أولى الناس بالجميل ما لم يسقه أحد بمثله ، فكان من أمره ما كان .

وحكى ابن عبدوس : أن رجلاً من وجوه الكتاب كان يقال له صالح بن علي الأضخم^(٢) ، طالت به العطلة^(٣) في أيام المأمون ، قال : فبكرت يوماً إلى أحمد بن خالد مفلساً لأكله في أمري ، فخرج من بابه وبين يديه الشمع قاصداً دار المأمون ، فلما نظر في أنكر بكوري ، وعبس في وجهي وقال : أي الدنيا أحد يبكر هذه البكرة ليشغلنا عن أمورنا ؟ قال : فقلت له : أصلحك الله [والله]^(٤) ليس العجب منك فيما تلتقيني به ؛ إنما العجب مني إذ أستغيثك ، وعليّ إن عدت وقفت لك بباب أو سألتك حاجة حتى تصير إليّ سهرت ليلتي وأسهرت جميع من في منزلي تأميراً لك ،

(١) أورد الطبري هذا الخبر في كتابه تاريخ الأمم والملوك . / ١٧٩٣ . وعند ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ٩٢٦ .

(٢) الأجمع : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه . والأضخم هو صالح بن علي بن عطية الأضخم أحد وجوه الكتاب في زمن المأمون ، وولاه المأمون مصر . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٦٥٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . / ١٥٤ / ١٥٣ / ١٦ .

(٣) العطلة : الرجل إذا بقي لا عمل له . ابن منظور : لسان العرب . / ٣٦٧ / ٤ .

(٤) والله : سقط في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

وتوقفنا للصبح حتى أصير إليك معتذراً ، وانصرفت مغموماً بما لقيني به مفكراً فيه متندماً على ما فرط مني من اليمين ، غير شاكٍ في الخطب ، فأنا كذلك إذ دخل على بعض الغلمان فقال لي الوزير أحمد بن أبي خالد : مقبل إليك في الشارع ثم دخل آخر ، فقال : ها هو قرب من الباب ، ثم تبادرت الغلمان بين يديه ودخل ، فخرجت مستقبلاً له فلما استقر به الجلوس قال لي أمير المؤمنين : أمرني بالبكور^(١) إليه في بعض مهماته ، فدخلت إليه وقد غلبني السهو بما فرط [٣١ أ] إليك مني حتى أنكر عليّ ، فقصصتُ عليه القصة ، فقال لي : قد أسأت بالرجل ؛ امض إليه معتذراً مما قلت له ، [فقلت]^(٢) : أفأمضي إليه فارغ اليدين ؟ فقال : فتريد ماذا ؟ قلت : تقضي دينه ، فقال : كم هو ؟ فقلت : ثلاث مئة ألف درهم ، فأمرني بالتوقيع بها فوقعتها بها ، ثم قلت : فإذا قضى دينه رجع إليّ ، ماذا قال : فوقع له ثلاث مئة ألف درهم أخرى يصلح بها أمره ، فقلت : فولاية يُشرف بها قال : وله مصر^(٣) أو غيرها فيما يشبهها ، فقلت : فمعمونة على سفره ، فأمر لي بتوقيع بمئة ألف درهم ، وهذه التوقيعات لك بسبع مئة ألف درهم ، والتوقيع بولاية مصر ، ودفعها إليّ وانصرف ، وكان نهماً في الأكل فأجرى عليه المأمون في كل يوم لما يريد ألف درهم ، ومع هذا لم يكف نهماً ، ولاشغلت فمه .

(١) بالريكور: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٢) فقلت : ساقطة في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) أورد الصفدي في كتابه الوا في الوفيات هذا الخبر . ١٥٤/١٥٣/١٦ .

عمرو بن مسعدة

أحد كتاب المأمون في وزارته ، وله مكانة ومنزلة عنده ، واعتمد عليه المأمون في وزارته بعد أحمد وقلده أمره ، وكان من البلغاء الذين لهم يشار ، وبنان كأنه الآذني^(١) المشار .

وحكى ميمون بن هارون: أن رجلاً مر بقصر عمرو بن مسعدة بعد بنائه بأيام، فقال: ألا أخبركم ما أنفق على هذا القصر؟ فقال: أربعة وعشرون ألف ألف درهم ، ومما استجاد له قوله : أما بعد فإنك لن تعدم من معروفك عندنا أمران، أجرًا من الله وشكرًا منا ، وخير مواضع ما جمع الأجر والشكر .

ومنه كتاب كتبه إلى المأمون وهو كتابي إلى أمير المؤمنين : ومن قبلي قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة [واجب]^(٢) تراخت أعطياتهم ، واختلت لذلك أحوالهم ، والتاثلت^(٣) معه أمورهم . وكان المأمون معجباً بهذا الكتاب وكان يقول :

[إن]^(٤) استحساني إياه ؛ بعثني أن أمرت للجند قبله بعهائهم^(٥) لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته^(٦) . وكتب إلى بعض أصحابه في حق شخص يعز عليه : أما بعد ، فوصل كتابي هذا إليك سالماً والسلام ، أراد

(١) الآذني : موج البحر ، والجمع الأواذي ، ابن منظور: لسان العرب . ٥٨ / ١ .

(٢) واجب: سقط في النسخة (آ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) التاثلت: الاختلاط والالتفاف . المصدر السابق . ٥٣٤/٥ .

(٤) إن : ساقطة في الأصل ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٥) هكذا في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٦) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ٤٧٨/٣ .

بهذا قول الشاعر^(١) :

يلومونني في سالمٍ وأديرهم
وجلدة بين العينِ والأنفِ سالمُ

يعني أنه حل مني هذا المحل^(٢) .

ومن كتاب كتبه إلى رئيس تزوجت أمه فساءه ذلك: الحمد لله [٣١ ب] الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدع^(٣) بما شرع من الحلال أنف الغيرة، ثم أتم على هذا كتابه ، وقد ساق ابن خلكان^(٤) هذه الرسالة بتمامها في ترجمة ابن مسعدة ، ثم ذكر بيتين ذكرهما أنهما لابن عباد الصاحب^(٥) في معناها، وهما^(٦) :

عدلتُ لتزويجهِ أمَّهُ
فقلتُ صدقتُ حلالاً فعلتُ
فقالُ فعلتُ حلالاً يجوزُ
ولكن سمحتُ بصدعِ العجوزُ

(١) أورد ابن العديم هذا البيت في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب ، وقد نسب هذا البيت إلى عبد الله بن عمر . ٤١٢٦ / ٩ .

(٢) أورد ابن خلكان هذا الخبر وهذا البيت في كتابه وفيات الأعيان . ٤٧٧ / ٣ .

(٣) جدع : قطع . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٣٨٨ .

(٤) قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن بائك البرمكي ، ولد بمدينة إربل سنة ٦٠٨ هـ بالمدرسة المظفرية ، وتفقه بها على يد والده ، كان ذا فضل في كل فن موصوفاً بكرم الأخلاق والديانة ثقة في نقله ، صنف تاريخاً سماه وفيات الأعيان ، ولي مناصب جلييلة ، توفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ . ١٢٧ / . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٧ / ٣٥٦ . القنوجي : أبجد العلوم . ٣ / ٩٤ .

(٥) إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني ، وزير غلب عليه الأدب ، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي ، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة ، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه ، له تصانيف جلييلة فكان يدعو بذلك ولد في الطالقان سنة ٣٢٦ هـ وإليها نسبته ، وتوفي بالري سنة ٣٨٥ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٢٢٨ - ٢٣١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٦ / ٩ - ٨٠ / . اليافعي : مرآة الجنان . ٢ / ٤٢٤ . الزركلي : الأعلام . ١ / ٣١٦ .

(٦) أورد ابن خلكان هذا الخبر وهذه القصة في كتابه وفيات الأعيان . ٤٧٧ / ٣ .

واعتل عمرو فقال^(١) :

قالوا أبو الفضل معتلُّ فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذورٍ
ياليتَ علتُهُ بي غيرَ أنَّ لهُ أجرُ العليلِ وأني غيرُ مأجورٍ

ومرض فعاده المأمون فتلقاه عمرو ، وقد كان أبل من علتة ، فقال مروان [بن]^(٢)
أبي حفصة^(٣) :

صحَّ الجسمُ يا عمرو لك التمحيصُ والأجرُ
وللهِ علينا الحمدُ والمنَّةُ والشكرُ
وقد كانَ شكاً شوقاً إليك النهيُ والأمرُ
وها قد جاءك المأمونُ فأبشِرْ قد نأى الضرُّ

وكتب حميد الطوسي^(٤) إلى عمرو بن مسعدة :

ونستعدي الأميرَ إذا ظلمنا فمَنْ يعدي إذا ظلم الأميرُ

ونحن نعوذ بالله ممن ظلم صاحب المظالم ، فوقع على رقعته^(٥) ، وأنا أعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ومن فضوله ، وأنا أحب أن يتقرر عندك أن أملِي فيك أبعَد

(١) أورد ابن خلكان هذين البيتين في كتابه وفيات الأعيان مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي : ياليت عاته بي ثم أن له . ٤٧٧ / ٣ .

(٢) بن : ساقطة في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك).

(٣) وردت هذه الأبيات في ديوان مروان بن أبي حفصة . ٣٣ / ١ .

(٤) أبو غانم حميد بن عبد الحميد الأمير الطوسي ، من كبار قواد المأمون فيه قوة وبطش ، توفى بقم الصلح؛

لأنه كان مع المأمون عند توجهه إليها للدخول على بوران بنت الحسن بن سهل وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ . ابن

قتيبة : المعارف . ٧٤٢ / ٢ . الطبري تاريخ : الأمم والملوك . ١٧٨٢ / . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٥٤ / ٣ .

الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٣ / ١١٩ / ١٢٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٩٠ / ٢ .

(٥) رقعته : سقط في النسخة (ك) .

من أخلص الأمور منك اختلاس من يرى في عاجلك عوضاً من آجلك ، وفي الذهاب^(١)
من يومك بدلاً من المأمول^(٢) في غدك .

ومنها: ذو الحرمة ملوم على فرط^(٣) الدالة ، كما أن^(٤) المحترم به مذموم على التناهي
والإزالة ، ومن مذهبي الوقوف بنفسي دون الغاية إلى تقديمي إليها حتى الأمرين ،
أحدهما : أن الرضا بدون الحق أزيد في الحق ، والثاني : أني أرى النفس من الحظ
زهيداً إذا أتى من جهة الإرهاق، ولي ذمام المودة الصادقة التي يتبعها كل حرمة ، وحث
الشكر الذي جعله الله وفيها بالنعيم، وأنت فمعدن المعالي بقية [٣٢ ب] الكرم ، فأبي
سبيل للغدر، أم أي موضع للإكدار^(٥) بين حرمتي عتابك ، وذمامي وكرمك .
ومنها: كتابي إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه ، معين بمن كتبت له ، ولن يضيع
بين الثقة والعناية حاملة .

ووعده عمرو بن مسعدة ماني الموسوس^(٦) شيئاً فطلبه ، فجاءه ماني فوقف بين يديه ،
وأنشد يقول^(٧) :

هذا ابن عمرو بعبد الله كتبتُهُ والجدُّ مسعدة أيهاً له أيها
لا عيبَ بالمرءِ إلا أن زوجته غَضِبَ عليه لشيءٍ ليسَ يرضيها

ولما سمع ذلك ابن مسعدة من ماني قال : صدق والله أيهاً لعمرو أيهاً .

(١) المذاهب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) المأمون : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) فرحا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) كمال : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) للأكف : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) ماني الموسوس: هو أبو الحسن محمد بن القاسم المصري الشاعر ، نزيل بغداد ، له نظم بديع ولم يقل شيئاً
إلا في الغزل ، وماني لقب غلب عليه ، كان يسكن مزاجه في بعض الأوقات ، وكان في دولة المتوكل ، توفي
سنة ٢٤٥ هـ . الأصفهاني . الأغاني . ١٩٠ / ٢٣ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٧ / ٤٢٦ / ٤٢٧ . الصفدي : الوافي
بالوفيات . ١٩٠ / ٢٣ .

(٧) حذف البيت الثالث من هذه الأبيات من قبل الدارس؛ لوجود بعض الألفاظ البذيئة ويمكن الرجوع إلى المصدر .

وكانت بينه وبين إبراهيم بن العباس الصولي مدة مودة صحبا بها ، وما بينهما على أحسن حال ، فحصل لإبراهيم ضيق يد لبطالة طالت ، فبعث له عمرو مئة ألف ، فكتب إليه إبراهيم^(١) :

سأشكر عمراً ما تراخت منيَّتي أياذي لم تمنن وإن هي جَلَّتْ
فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتْ
رأى خلَّتِي من حيثُ يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلَّتْ

وذكر ميمون بن هارون ، أن عمرو بن مسعدة خلف ثمانية عشر ألف ألف درهم سوى الأمتعة، والكراع، والعقار، وبنى قصرًا أنفق عليه أربعة وعشرين ألف ألف درهم^(٢) .
[ومنهم]^(٣) :

(١) أورد هذه الأبيات الأصفهاني في كتابه الأغاني ونسبها إلى عبد الله بن الزبير الأسدي، قالها في عمرو بن عثمان بن عفان مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثالث كما يلي :
فكانت قذى عينيه حتى تجلت ٢٢٠/١٤ .
وعند ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٧٨/٣ . والصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٦/٣ .

(٢) هذا دليل على مدى النهب الذي لحق أموال المسلمين من بعض رجال الدولة العباسية ، وكل ما تقدم ممن أنفق مئات الآلاف من الدراهم والدنانير في غير وجه حق ، وإنما للذكر والمديح يدخل في سلك المفسدين .

(٣) ومنهم : ساقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

أحمد بن يوسف القاسم بن صبيح

الكاتب في دولة المأمون ، والصاحب الذي لا تحد به الظنون ، وكان المأمون يعلم بتقدم أحمد بن يوسف في البلاغة إذا احتاج إلى كتاب يظهر أمره بكتابته ، وكتب بين يديه مرة فاستحسن خطه ؛ فقال له : لوددتُ أني أكتب مثل خطك ، وعلى صدقة ألف ألف درهم ، فقال له : لو كان في الخط حظٌ ما حُرِّمهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقال أحمد بن يوسف : أمرني المأمون بالكتابة إلى جميع الآفاق بإيقاد المصاييح في جميع المساجد ، فلم أدر كيف أكتب ، فإنه لم يكن أحد سبقني إلى الكتابة في مثل ذلك فأسلك طريقه ، فتمت في وقت القائلة وأنا مشغول [٣٢ ب] القلب لذلك ، فرأيت كأنَّ قائلاً يقول لي : اكتب فإن في ذلك أنساً للسائلة ، وإرضاءً للمتهددة ، ونفياً لمكامن الريب ، وتزيهاً لبيوت الله - عز وجل - عن وحشة الظلم ، ومن شعره ^(١) :

كم ليلةً فيك لا صباح لها
قد غصت العين بالدموع وقد
وأنت نامت عيناك في دعة
كأن قلبي إذا ذكرتكم
أحييتها قابضاً على كبدي
جعلتُ خدي على بنان يدي
شتان بين الرقاد والسُهد
فريسةً بين ساعدي أسد

وعن محمد بن عبد الملك قال : وهب لي أحمد بن يوسف الكاتب على ظهر يدي ألفي ألف درهم تفاريق ^(٢) .

(١) أورد ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق البيتين الأولين من هذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي : أفنيته قابضاً على كبدي . ١٢٠/٦ . واختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي : وضعت خدي على بنان يدي . ١٢٠ /٦ .

كما أورد الصفدي هذه الأبيات في كتابه الوايف بالوفيات بالصيغة التي ذكرها العمري . ١٨٤/٨ .

(٢) تفاريق: أي أقسام . ابن منظور : لسان العرب . ١٢٠ /٥ .

وقال موسى بن عبد الملك^(١): قال لي أحمد بن يوسف في يوم مهرجان :
اكتب إلى الخليفة رقعة مع هذا اللطف ، وكان قد أعد شيئاً بهدية
إليه، فكتبت فأطلت ، فقال : ما أحمله أمير المؤمنين من ثقل قراءة هذه
الرقعة الطويلة بثقل كلما أتحفه به ، ثم أخذ الدواة فكتب ، جرت العادة في مثل
هذا اليوم بالطف العبيد السادة ، وقد بعثت بكذا وكذا ، واحتاج المعتصم^(٢) بعظم
اختصاص أحمد بن يوسف بالمأمون ، إلى العمل على إسقاط منزلته عنده على ما ضمنه
لمحمد بن الجليل^(٣) إذا فعل ذلك ، حتى عمل على إسقاط منزلته ، ثم قبض من المعتصم
ما كان وعده به .
[ومنهم]^(٤):

(١) موسى بن عبد الملك : وهو أبو الحسن موسى بن عبد الملك الأصفهاني صاحب ديوان الخراج ، كان من جملة
الرؤساء وفضلاء الكتاب ، وكان إليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل ، وكان مترسلاً ، وله ديوان
رسائل وله شعر رقيق ، خدم جماعة من الخلفاء توفى سنة ٢٤٦هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٤٩٢ / ٢ . ابن
عساكر : تاريخ دمشق . ٤٥٦ / ٤٥٥ / ٦٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٤١ / ٣٣٧ / ٥ . اليافعي : مرآة
الجنان . ١٥١ / ٢ .

(٢) أبو إسحاق المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي ، ولد سنة ١٨٠ هـ وأمه اسمها ماردة ،
وكان أمياً لا يحسن الكتابة ، وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة ، بويح له بالخلافة يوم وفاة المأمون ،
وكان من أعظم الخلفاء وأهيبهم ، فتح عمورية ، توفى سنة ٢٢٧هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد .
٣٤٢ / ٣ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٥ / ١١ . ابن الجوزي : تلقيح مفهوم أهل الأثر . ٦٣ . ابن كثير : البداية
والنهاية . ٢ / ٢١٣٣ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٣٤ / ٣٣٣ / ١ . الشافعي : سمط النجوم العوالي . ٤٥٠ / ٣ .

(٣) محمد بن الجليل : لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ومنهم : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

أحمد بن الضحاك الطبري^(١)

خيّم برؤياه المروءة^(٢) وأقسمت لا تبرح ، وعقلت حوله مطيها وحلفت لا تسرح ، وأبهمت على غيره معانيها وأبت أن تشرح .
وكان [يتقلد]^(٣) للمأمون ديوان البريد والرسائل والتوقيع ، ثم جهزه إلى عبد الله بن طاهر^(٤) ، فخرج من خراسان ومعه مئة بغل تحمل الثقل ، ومئة دابة لمركوبه ، ومئة غلام أتراك سوى من معه من الفرسان والغلمان وغير ذلك من الصامت والناطق ، فسربه ابن طاهر وخلع عليه ودفع إليه خاتمه ، وأمره أن يتقلد الأمور على ما يرى ، ثم وقع بينهما ؛ فحلف لا يتولى لابن طاهر عملاً ، وحلف ابن [٣٣ أ] طاهر لا يوليه عملاً ، فانصرف أحمد بن الضحاك نحو العراق ، ودس عليه ابن طاهر من أفسد غلمانها ، فاشتراهم منه بمئة ألف درهم ، وكانوا قد تقوموا عليه بنحو ألف ألف درهم ، كل غلام بعشرة آلاف درهم وما قاربها .
[ومنهم]^(٥) :

-
- (١) أحمد بن الضحاك الطبري: لم أعثر له على ترجمة ، لم يكن من الوزراء بل كان من الكتاب في العصر العباسي .
(٢) المروءة: تكرار في النسخة (ك) .
(٣) يتقلد : ساقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه النسخة (ك) .
(٤) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أمير إقليم خراسان ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، كان من كبار قواد المأمون؛ حيث قلده مصر والمغرب ثم نقله إلى خراسان ، توفّي بمرور سنة ٢٣٠ هـ .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٨٠٨/١٨٠٩ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤٨٣ / ٩ - ٤٨٧ / ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٢٩ / ٢١٧ / ٢١٨ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ١٥٦ .
(٥) ومنهم : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

أبو عباد^(١)

واسع الكرم لو لاضيق خلقه وحرّج صدره ونزقه^(٢) ، وكان يكتب هو وعمرو بن مسعدة للمأمون ، قال أبو عباد : دعاني المأمون يوماً فأعطاني كتاباً ، وأمرني أن آتي عمرو بن مسعدة ، وأخذ خطه بجوابه ، ثم أدع الكتاب عندي ولا أذكره للمأمون ، إلى أن ذكره لي ، فعلمت أنها مرافعة ، وخفت ألا يكون لي فيها تعلق؛ فإنني قد كنت شاركت عمراً في أشياء كثيرة أخذتها أنا وإياه ، قال : فأتيت عمراً فوجدته يلعب بالشطرنج^(٣) ، فعرفته أنني أحتاج إلى الخلوة ، فقال : دعني حتى أفرغ هذا الدست^(٤) ، فضاقت صدري وقلبت الشطرنج ، وقلت : قد سال بنا السيل ، وأهلكنا وأنت تلعب ، ثم أقرأته الكتاب فضحك ، وقال : ويحك ما تستحي أن تخدم رجلاً هذه المدة ! ولا تعرف خلقه ! فقلت : يا هذا كيف تقدر بجحد ، ولو جحدت كل شيء ما تقدر بجحد كذا وكذا ، وأنا قد شاركتك فيه ، فأما أنت فمهما شئت فقل ، وأما أنا فوالله لا أجحد ، واصبر لأمر الله - عز وجل - ، فقال لي :

أفتريد أن أطلعك على أشد من هذا ؟ قلت : وما هو؟ قال : كتاب دفعه إليّ المأمون منذ سنة ، وأمرني فيه بمثل ما أمرك في هذا الكتاب ، فعرفت ضيق عطتك^(٥) فما قلت لك

(١) ثابت بن يحيى بن يسار الرازي وزير المأمون ، أحد الكفاة البارعين في الحساب والتصرف والمعرفة ؛ وبذلك ساد وتقدم ، نهض بأمور الأموال لمخدومه أتم ما يكون ، ثم إنه عجز من استيلاء النقرس واستعفى ، وكان جواداً سمحاً سرياً ، إلا أنه كان منقبضاً عبوساً ، عاش خمساً وستين سنة ، وتوفي في المحرم سنة ٢٢٠ هـ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١٤٥/١١ - ١٤٨/ . ابن الطقطقي : الفخري . ١٨٤/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٠/١٩٩ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٠/١٩٢/١٩٣ .

(٢) نزقه : من النزق وهو الخفة والطيش . ابن منظور : لسان العرب . ١٧١/٦ .

(٣) الشطرنج : فارسي معرب وكسر الشين فيه أجود ، وهو لعبة معروفة اخترعها رجل من حكماء الهند . المصدر السابق . ٤٣٦/٣ . آدي شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة . / ١٠١/١٠٠ .

(٤) الدست : لفظة فارسية لها معانٍ عدة ، وتعني هنا الذي يكون في الشطرنج . المصدر السابق . ٩٣/ .

(٥) عطتك : العطن أي ربح الذراع . ابن منظور : لسان العرب . ٣٦٨ / ٤ .

عنه فكدت أموت ، ثم سألته أن يوقفني على ذلك الكتاب ، فأحضره فقرأته وأنا أنتفض^(١) وهو يضحك ، وكان الذي علينا فيها سبعة وستون ألف ألف درهم ، عليه هو أربعون ألف ألف درهم ، وعلي سبعة وعشرون ألف ألف درهم ، فقلت له : قتلتنى والله وقتلت نفسك ، أتظن أن المأمون يدع لنا هذا المال ؟ أما أنا فاحتسب نفسي عند الله ، وأما أنت فاكتب الجواب ، فكتب : لو قصرت بنا هممنا عن هذا المقدار وأضعافه لوسعتنا منازلنا ، وما بقي هذا بدلجة في برد أو تهجير في حروراء^(٢) وأرجو أن يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، ونلقى ما نؤمله به ، وعلى يده ، ثم قال لي : يا هذا ! إن صاحبنا ليس ببخيل ، ولكنه رجل يكره أن يعين [٣٣ ب] معروفه ، فأراد أن يعلمنا أنه قد علم بما صار إلينا ، وسامحنا به على علم منه ، ثم إنه ختم الكتاب بخاتمه ، فأخذته وانصرفت وأنا في الموت ، وبقيت سنة كاملة قلقاً مهموماً مغموماً ، لا أكاد أكل ولا أشرب ، حتى بان علي الضعف فرآني المأمون ، فقال : مالك هكذا ؟ فقلت من الكتاب الذي دفعه إلي أمير المؤمنين ، فقال : أمسك عليك حتى أعيد ما جرى بينكما فيه ، ثم قص الحديث حتى كأنه حاضرُه ، فقلت : هكذا كان والله يا أمير المؤمنين ، ولقد استقصى لك الذي وكلته بخبرنا ، فقال : والله ما قال لي هذا أحد ، ولكني ظننته وعمراً أعلم بنا منك ، فدعوت له ، وقلت : فما أصنع يا أمير المؤمنين [بذلك الكتاب]^(٣) ؟ قال : خرقة في لعنة الله ، وامض آمنًا مصحوبًا في ستر الله .

[ومنها] ^(٤) :

(١) أنتفض: النفضة الرعدة . المصدر السابق . ٦ / ٢٣٤ .

(٢) حروراء: بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة يجوز أن يكون مشتقاً من الريح الحرور وهي الحارة ، وهي بالليل كالسموم بالنهار ، كأنه أنث نظراً إلى أنه بقعة ، وقيل قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فنسبوا إليها . ياقوت : معجم البلدان . ٢٤٥ / ٢ .

(٣) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) ومنها : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

المعلى بن أيوب^(١)

وكان قليل العيوب جليل الأسلوب ، لا يعدل أحد وزنه الراجح ، ولا يفضل سعية الناجح ، واستكتبه المأمون على الجيش ، وأجرى له عليه كل سنة ألف ألف درهم فخدم عشرَ سنين ، ارتزق فيها عشرة آلاف ألف درهم ، ثم علت حاله وكثر ماله ، وحسن في سعة الحال ماله .

[ومنهم]^(٢) :

(١) أبو العلاء معلى بن أيوب الكاتب ابن خالة الفضل والحسن ابني سهل ، من كتاب المأمون ، قدم دمشق مع المأمون وبقي إلى أن كتب للمتوكل ، ولم يتولى الوزارة ، توفى سنة ٢٥٥هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٨٤ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٥٩ / ٣٧١ - ٣٧٥ . الصفي : الواجبات بالوفيات . ٧ / ٧ .

(٢) ومنهم : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

عمرو بن يمني^(١)

وكان لو يقلب في التراب لانقلب ذهباً ، أو دعا بالمتنع ما أبى ، ولو حلق به إلى الوهاد^(٢) جالت ربي ، وكان من كتاب المأمون ، وسلمه إلى الفضل بن مروان ليصادره فرفق به ، فبذل عشرين ألف ألف درهم ، فقال له الفضل : بل يكفي عشرة آلاف ألف ، فكتب بها خطه ، وبلغ المأمون رفق الفضل به ، فسلمه إلى غيره فعاقبه أشد العقاب ، فلم يسمح إلا أن كتب خطه بثلاثة آلاف ألف ، كأنه يعلمه أنه لو كان مستمراً عنده لما كتب بهذا المبلغ ، فقال الفضل : يا أمير المؤمنين قد كنت بلغت بالرفق ما لا يبلغه هذا بالعقوبة له ، وعرفه بالخبر ، وأراه الخط الأول ؛ فعجب المأمون من أمرهما ، ثم قال : والله لا كنتما أكثر مروءة مني ، ثم أمر بمسامحته ، وإطلاق سراحه [٣٤ أ] .
[ومنهم]^(٣) :

(١) عمرو بن يمني : لم يكن من الوزراء ، بل كان من الكتاب ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) الوهاد : الحفرة . ابن منظور : لسان العرب . ٤٩٦ / ٦ .

(٣) ومنهم : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

الفضل بن مروان

وزير المعتصم، وكان محظوظاً^(١) يقضاً، إلا أنه كان ذا مروءة لا يصدع مروتها، ولا تحل حبوتها، يرضى الذمم القديمة لأهلها، ويرى لها سابقة فضلها.

"وكتب عن المعتصم إلى المأمون في فتح تفليس^(٢) : وكتابي إلى المأمون كتاب منه للخبر، لا معتد بقيام ولا أثر.

وتوجه مع المعتصم إلى مصر زمان المأمون لرتق^(٣) فتقها، وترقيع خرقها"، فكتب عنه ألف أمان أخذ في كل أمان مئة^(٤) دينار، وحصل كتابته منها مئة ألف دينار، ولما مات المأمون قام بأخذ بيعة المعتصم، ثم كان يسرف في الدالة عليه، ويعارضه في شهواته ولذاته، ويمنعه من الإنفاق والتحرق فيما يجب الإنفاق فيه، فتقل عليه مكانه فنكبه، وأخذ جميع ماله، ونسي ما مضى من صالح^(٥) أعماله.

[ومنهم]^(٦) :

(١) محصوفاً: هكذا في النسخة (ك).

(٢) تفليس: بلد بأرمينية الأولى، وهي قصبه ناحية جرزان، فتحت في عد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على يد القائد المسلم حبيب بن مسلمة، وهي مدينة تبليسي في جورجيا حالياً. ياقوت: معجم البلدان. ٢/ ٣٥ / ٣٦. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع. ١ / ٢٦٦ / ٢٧٦.

(٣) لرتق: إلحام الفتق. ابن منظور: لسان العرب. ٣ / ٣٢.

(٤) مئة: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك).

(٥) مصالح: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك).

(٦) ومنهم: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك).

محمد بن عبد الملك الزيات

وزير المعتصم ، واتصل به اتصالاً لا ينقسم ، وكان ينكر أن يخاطبه باسم الوزارة ، ويقول: لست بوزير ، إنما أنا مدبر جيش^(١) ، وكان سهل اللقاء لا يحتجب، إلا أنه كان ظلوماً غشوماً فلا يزال لائماً وملوماً ، وكان يقول : الرحمة خور^(٢) في الطبيعة ، ويمنع الشفاعات إليه ، ويسد أبواب الذريعة ، واتخذ تتوراً من حديد ليعذب فيه الناس ، فما أفرغ حتى أمسك فيه ، وجزاه الله شؤماً كان ينويه ، ومات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومئتين ، وكان المتوكل قد قبض عليه وحبسه ، وأخذ جميع أمواله ، وعذبه بالسهر ، ثم جعله في التتور الذي كان هو صنعه ، وعذب فيه ابن أسباط المصري^(٣) وأخذ أمواله .

وكان محمد بن عبد الملك بليغاً ، وقع لرجل قلده البريد: اجعل الصدق شعارك، وتجنب الكذب فإن فيه بوارك^(٤) ، ولا تقتحمن أمراً إلا بعد تثبت ، ولا تكتبنَّ به إلا بعد بحث عنه ، وتصحيح له وترجيح لنقله ، ولمن نقله نجت الحجة به لك وعليك . وكتب إلى صديق جفاه : إن اعتلت عليّ بأشغالك ، فإن حقي قسيم تلك الأشغال ، فإن كانت في خاص نفسك فإن أداء الحق لإخوانك، والصلة لأودائك^(٥) أعظم اختصاصاً بك وأليق بوفائك ، وإن كانت في عامة أمرك، فإن تقديم [يلزمك]^(٦)

(١) مدبر الجيش: وهو من ألقاب ناظر الجيش والذي يلازم السلطان . القلقشندي : صبح الأعشى . ١٨/٤ . ٧٠ /٦ .

(٢) خور : الضعف . ابن منظور : لسان العرب . ٣٢٨/٢ .

(٣) ابن أسباط : وهو ابن أسباط المغربي عبد الله بن علي من أبناء الكتاب ، ويعرف بابن أسباط الكاتب المصري الذي صنع له ابن الزيات التتور ليعذبه فيه ، وهو جد بني أسباط لأهمهم فنسبوا إليه ، كان حاذقاً مليح الكلام غريب القوافي ظريف المعاني قليل الشعر لا يتبدل به . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٨٩ / ٥ . الصفدي : الواقي بالوفيات . ١٨٩ / ١٧ .

(٤) بوارك: البوار الهلاك . ابن منظور: لسان العرب . ٢٧٠/١ .

(٥) لأودائك: جمع ودود . المصدر السابق . ٤١٦/٦ .

(٦) تكررت كلمة (يلزمك) في النسخة (أ) و(م)، وقد حذفت لإخلالها بالمعنى .

ما يلزمك [٣٤ ب] أداءه أدبر بك وأدنى لقربك .

وله شعرٌ جيدٌ ، فمنه ما كتب مع شراب أهداه لصديق له في سفر :

ما أن ترى مثلي أخاً
تُهدى إليك إذا خلون
صفراء صافية كأنَّ
خذاها إليك كأنما
اسقِ الصديقَ ببلدة^(١)
أندى يداً وأدرَّ جودا
سلافة تذكي وقودا
على جوانبها العُقودا
كسبت زجاجتها فريدا
لم يرو فيها الماءُ عودا

ومنه قوله :

لا تشكي هواك إلا
فرغت لي في إسارِ قلبي
إليك لو ينفعُ التَشَكِّي
ثم تشاغلت عند فكي

ومنه قوله :

كتبت على فص بخاتمها
فكتبت في فصي ليلبغها
قالت يعارضني بخاتمه
من مل عن^(٢) أحبابه رَقدا
من نامَ لم يشعرَ بمن سهداً
والله لا كلمته أبداً

ومنه قوله يرثي جاريةً توفيت وخلفت له طفلاً بعدها :

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أمه
فهبني عزمْتُ الصبرَ عنها لأنني
بعيدَ الكرى عيناهُ تتسكبان
جليدٌ فمن بالصبرِ لابنِ ثمانِ

(١) ببذلة: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) من: في النسخة (ك) .

ضعيفاً القوى لا يعرف^(١) الأجر حسبه ولا يأتسي با^(٢) لناس في الحدثان
ألا من إذا ما جئتُ أكرمَ مجلسي وإن غبتُ عنه حاطني وكفاني

ومن شعره في قوله في الشيب وأجاد ما شاء^(٣):

وعائبُ عابني لشيب لم يعدلما ألم وقتُهُ
فقلتُ إذا عابني سفاهاً يا عائبَ الشيب لابلغته

ومن شعره قوله في أبي دواد^(٤) وقد رآه قائماً يصلي ، وكانت بينهما
عداوة [٣٥ أ]^(٥):

صلى الضحى لما استقادَ عداوتي وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ
لا تحملنَّ عداوةً ربطها تركتكَ تقعدتارةً وتقومُ

(١) لا يعرف : ساقط في النسخة (ك) .

(٢) به: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) أورد الأصفهاني هذين البيتين في كتابه الأغاني مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي :

لم يأل لما ألم وقته . ٦٠/٢٢ . وعند الصفدي : الوا في بالوفيات . ١٧٨/٢٩ .

(٤) داد : هكذا في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه . ابن أبي داود : وهو أبو عبد الله الإيادي أحمد بن أبي داود القاضي ، ولد سنة ١٦٠ هـ وولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق ، وكان موصوفاً بالجوهر والسخاء وحسن الخلق ووفور الأدب غير أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل الخليفة على امتحان الناس بخلق القرآن ، شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، مرض بالفالج وتوفي سنة ٢٤٠ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢٩٨/٢٩٧/١ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٧٣/١١ . الذهبي : العبر في خبر من غير . ٤٣١/١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢١٤٩ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٩٣/٢ .

(٥) أورد ابن خلكان في كتابه هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :

لا تعد من عداوة مسمومة . ٨٥ / ١ . وعند الصفدي : الوا في بالوفيات . ٢٦/٤ .

وقال وقد أدخل التور الذي صنعه ليعذب الناس فيه^(١) :

هو السبيلُ فمن يومٍ إلى يوم
لا تعجبَنَّ رويداً إنها دولٌ
كأنه ما تريك العينُ في النوم
دنيا تتقلُّ من قومٍ إلى قومٍ

ولما أتى إبراهيم الصولي خبر موته قال^(٢) :

ولما أتى خبرُ الزيات
أيقنتُ أن موتهُ حياتي
وأنه قد عُددَ في الأموات

وكان ابن الزيات صديق الصولي ، فلما ولي ابن الزيات الوزارة صادر الصولي بألف ألف درهم [فقال الصولي]^(٣) :

وكنْتُ أذمُّ الزمنا [إليك]^(٤)
وكنْتُ أمدكُ للنائبات
فأصبحتُ منكُ أذمُّ الزمانا
فها أنا أطلبُ منكُ الأمانا

ومنهم :

(١) أورد السمعاني هذا الخبر وهذين البيتين في كتابه الأنساب مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ، واختلاف كذلك في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :
لاتجزعن رويداً إنها دولٌ . ١٨٤/٣ . وعند ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٠٠ / ٥ . وعند الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٧/٤ .

(٢) أورد الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر هذه الأبيات ونسبها إلى علي بن الجهم . ٦١/٥ ، أما ياقوت فقد ذكرها في كتابه معجم الأدباء ونسبها إلى إبراهيم الصولي . ١١٠ / ١ .

(٣) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

بنو خاقان

وكانوا في دولة المتوكل نوافذ سهامها ، [ونوابت أقلامها ، بيدهم ملك إمامها ، وملك زمامها]^(١) ، وكانوا أبواب الخلافة ، وبالفتح فتحها ، وزمانهم أوقات الأسحار ووجوههم صباحها ، وكان الفتح^(٢) صدر تلك الأيام الجوالي الخوالي ، والليالي [المفخمة]^(٣) المضمخة بأزين مما تنقش الغواني بالغوالي ، وكان مصاحب^(٤) خليفتها ، وصاحب وظيفتها ، وبأمره منعها ومنحها وعقابها وصفحها .

وكان المتوكل لا يقدر على مفارقتها ، ولا يتأنس إلا بموافقته وصحبته ، وكان مجراه منه مجرى الأخ أو أقرب لا يلتذ بغير حضوره ، ولا يطرب حتى أطلعه على أموره وحرمه ، وأسكنه معه في دور حرمه ، وأشركه في شائع أموره ، وسائر غمومه [وهمومه]^(٥) وسروره ، وكان يحضر معه مجلس الأنس ؛ حيث تطرح مؤونة التحفظ ، ويؤمن معرة التلطف ، ويجالسه في منارة الأفراح ، ويراضعه في مراشف الأقداح ، وتطوف عليهم سقاتها تحمل نوار ، وتعاطى ريقه ما أبقت للغواني سوار ، وذلك مجلس [٣٥ ب] كان بعد جعفر بن يحيى قد سُدَّ على الوزراء بابه ، وأرخی عمن دون الندماء حجابها ، حتى كفل الفتح له كفايته ، واستدرك فائته ، وأقعده المتوكل معه على طراحتة ، وساهمه في اغتنام راحتها ، حتى كان له في القتل مشاركاً

(١) ساقطة في النسخة (ك) .

(٢) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج الأمير أبو أحمد التركي الكاتب وزير المتوكل ، كان شاعراً فصيحاً مفوهاً محسناً موصفاً بالشجاعة والكرم والرئاسة والسؤدد ، وكان المتوكل لا يصبر عنه ، قدمه واستوزره وأمره على الشام ، وللفتح أخبار في الجود والوفاء والمكارم ، وله تصانيف عديدة منها كتاب البستان ، قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٤٩٢ / ٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٢٢ / ١٩٢١ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٤٨ / ٢٢٢ - / ٢٢٨ . ابن الجوزي : المنتظم . ٣٥٦ / ٣٥٥ / ١١ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٩٠ / ٣٨٩ / ١٨ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢٠٦ / ٢ .

(٣) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) مصابيح : هكذا في النسخة (أ) (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) همومه : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وقتل معه ، وقال : اقتلوني ومالكاً^(١) ، فساواه حتى ختم أيامه بأيامه ، وساقاه حتى شرب معه كأس حمامه^(٢) ، فقتل معه وطرح موضعه ، وقالت الأتراك إن الفتح قتل المتوكل ، وإنه أخذ به وقتله ، بل هم قتلوهما وعرفوهما ، ثم جهلوا فحملوهما^(٣) . وكان البحترى^(٤) كثير المدح لهما ، ومن شعره في مدح الفتح بن خاقان^(٥) :

لقد أجرى الوزيرُ إلى خلال
يحلُّ بذكره عقدَ النواحي
من الخيراتِ زاكيةِ العدادِ
ويفتحُ باسمه أقصى البلادِ
إذا أمضى عزمته لخطبِ
كفاهُ العفوُ دونَ الاجتهادِ

(١) اقتبس العمري هذه المقولة من قول عبد الله بن الزبير يوم موقعة الجمل عند مبارزته لمالك النخعي المعروف بالإشتر ، واسمه مالك بن الحارث النخعي روى عن عمرو وخالد بن الوليد شهد اليرموك وقلعت عينه ، كان ممن ألب على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وسار إليه وياه علي بن أبي طالب مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة ، فسار حتى بلغ القلزم ، فمات بها في رجب سنة ٣٧ هـ ، وكان قد ثقل أمره على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٨٢٧ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٥٦ / ٣٧٦ - / ٣٨٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣ / ٥٩٢ / ٥٩٤ .

(٢) حمامه : الحميم القريب الذي توده ويودك . ابن منظور : لسان العرب . ١٦٢ / ٢ .

(٣) أورد الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك هذا الخبر . ١٩٢١ / - / ١٩٢٤ . وعند ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ . ٩٩٣ / ٩٩٤ . وعند ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣١٣ / ٢ . وعند ابن العماد : شذرات الذهب . ١١٤ / ٢ .

(٤) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلال بن جابر بن سلمة البحترى الشاعر المشهور ، ولد بمنبج ، وقيل بزدفنة سنة ٢٠٦ هـ نشأ بها ، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء ، وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ، ثم عاد إلى الشام ، للبحترى كتاب حماسية على مثال حماسية أبي تمام ، وله كتاب معاني الشعر ، توفي سنة ٢٨٤ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦ / ٢١ - / ٢٨ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤٨٦ / ٤٨٧ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٧ / ٢٧١ - ٢٧٦ / .

(٥) ورد ذكر هذه الأبيات في ديوان البحترى . ٣٥٨ / ١ .

وفيه يقول وكان قد عبر النهر فكاد يغرق^(١) :

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجداً
غمامٌ سماحٌ ما يغبُّ له حيا
ومالي عذرٌ في جحودك نعمةً
لقد كان يوم النهرِ أتي عظيمةً
وجزت عليه عابراً فتساجلت
إذا بقيَ الفتحُ بن خاقانَ والقطرُ
ومسعرُ حربٍ ما يضيعُ له وترُ
ولو كان لي عذرٌ لما حسنَ العذرُ
أطلت ونعماء جري بهما النهرُ
أياديهِ لما طمى فوقهُ البحرُ

وفيه يقول^(٢) :

قد جاء نصرُ اللهِ والفتحُ
وكلُّ بابٍ للندی مغلق
وشقُّ عنا الظلمةَ الصبحُ
قائمٌ مفتاحهُ الفتحُ

وفيه يقول :

ما نبالي يد الوزيرِ استهلتُ
بين حقٍّ ينبوهُ يصرْفُ القصدُ
أم رأيت العقيقَ سالتُ شعابهُ
إليه ومعتفٍ ينتابهُ

(١) ورد ذكر هذه الأبيات في ديوان البحري . ٤٧١/١ .

(٢) ورد ذكر هذه الأبيات في ديوان البحري . ٢٩٥ /١ . كما أورد هذه الأبيات ابن عساكر في كتابه تاريخ

دمشق ونسبها إلى وصيفة أدخلها نخاس على المتوكل وزادعليهما بيتين بعد البيت الأول كما يلي :

خدين ملك ورجا دولة

وهمه الإشفاق والنصح

الليث إلا أنه ماجد

والغيث إلا أنه سمح . ٢٢٧ / ٤٨ .

وعند ياقوت في كتابه معجم الأدياء ونسبها إلى الوصيفة التي أدخلها النخاس على الخليفة المتوكل،

كما زاد هذين البيتين بعد البيت الأول . ٥٤٦/٥٤٥ . ٤ /

وفيه يقول [٣٦ أ] : يمدحه ويعيبه^(١) :

على أيِّ أمرٍ مُشْكِلٍ أَتَلَوُّمُ
وما منعَ الفتحُ بنَ خاقانَ نيله
سحابٌ خَطَّاني جودُهُ وهو مسبل
وبدراً أضاءَ الأرضَ شرقاً ومغرباً
أأشكو نداءً بعد ما وسع الوري
أُقيمُ فأنثوي أمَّهمُ فأعزيمُ
ولكنَّها الأقدارُ تُعطي وتحرِّمُ
وبحرَّ عداني فيضُهُ وهو مفعمُ
وموضعُ رجلي منه أسودُ مظلَّمُ
ومن ذا يذمُّ الغيثَ إلَّا مذمَّمُ

(١) ورد ذكر هذه الأبيات في ديوان البحترى . ٤١/٢ . كما أورد الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء هذه

الأبيات دون ذكر البيت الأول والثاني مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الرابع كما يلي :
وموضع رجلي منه أغبر مظلَّم .

وكذلك اختلاف في الشطر الأول من البيت الخامس كما يلي :

أأشكو نداءً بعد أن وسع الوري . ٦٤٥/ ١ .

ومن الخاقانيين عبيد الله^(١) بن يحيى^(٢)

وهو من أركان هذا البيت ، وأغصان هذه الشجرة ، وله أخبار مسيرة ، وآثار كأنها بسواد الخلان على صفحات الخدود مسطرة ، أو من الدر الثمين مصورة ، وكان ممن أبعد بعد مقتل الفتح بن خاقان ممن أبعد من أهله ، فإنه لما ولي المنتصر^(٣) أحاط بهم الأ من واره الاستتار، أو أداه الرأي طريق الفرار، وكان عبيد الله^(٤) بن يحيى بن خاقان هو وزير التدبير^(٥) ، وأما الفتح ففوق رتبة الوزير .

ولما أراد المتوكل أن يوزر عيّن به فيمن عيّن ، فقال له : اكتب لي رى خطه، فقال له: أي شيء أكتب ؟ فقال : اكتب ما شئت ، فكتب بعد الافتتاح :

(١) عبد الله : في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الأمير التركي البغدادي الوزير ، وزر للمتوكل وما زال عليها إلى أن قتل المتوكل ، نفاه المستعين إلى برقة سنة ٢٤٨هـ ، ثم عاد إلى بغداد سنة ٢٥٣هـ ، وزر للمعتمد سنة ٢٥٦هـ كان كريماً سمح الأخلاق ، توفى بعد أن صدمه خادمه رشيق وهو يضرب الصولجة فمات من يومه لعشر خلون من ذي القعدة سنة ٢٦٣هـ . يعقوبي : تاريخ يعقوبي . ٤٨٨/٢ / ٥٠٧ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٠٤ / ٢٠٤٣ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٣٨ / ١٤٣ - ١٤٨ / ابن الطقطقي : الفخري . ١٩٣ / . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٣٢/٢٠ - / ١٣٤ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢٧٦/٢٧٥ / ١٩٠ .

(٣) محمد بن جعفر بن أمير المؤمنين المنتصر بالله بن المتوكل بن المعتصم ، بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧هـ ، وكان ذكياً راغباً في الخير ، قليل الظلم محسناً إلى العلويين خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده ، ولكن أيامه لم تطل ومات بعد أبيه بستة أشهر سنة ٢٤٨هـ عن ست وعشرين سنة أو دونها . يعقوبي : تاريخ يعقوبي . ٤٩٣/٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٢٦/١٩٢٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣٢٧/٢ / ٣٢٨ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٥٦ - / ٣٥٨ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١١٩ / ٢ / ١١٨ .

(٤) عبد الله : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وزير التدبير: وهي وظيفة إدارية في العصر العباسي ، ويقوم هذا الوزير بتدبير أمور الخليفة والإشراف على الدواوين . الكساسبة : المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية . ١٧٥ /

﴿ ^(١) ، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٢) ، فأعجب المتوكل بذلك فقدمه ، ثم وزره وكان مخصوصاً ، وفيه جُرأةٌ وكرم ، ودهاءٌ وحيلٌ وحلمٌ ، يقيل العثرات ، ويتغمد الذنوب الكبار .

عرض رجل به وهو في موكبه فأخذ بلجام دابته ، وقال له : يا زنديق ^(٣) قال : كذبت ما عبدت [غير] ^(٤) الله قطّ ، قال : يا فاسق . قال : كذبت ما أنا بفاسق . قال : يا كذاب . قال : صدقت يضطروننا إلى أن نكذب خل اللجام ، وانصرف ثم أمر بقضاء حاجته ، ولم يدع أحداً يعرض له ممن كان معه ، وعجب من حضر من حلمه ، وكان له أعوان تعينه على أموره ؛ فلا يقف به حال ، ولا يتأخر له طلب ، وامتدت أيامه إلى زمان المعتمد ^(٥) ، وكانت له بها دولة .
ومنهم :

(١) ﴿ . سورة الصف : سقط في النسخة (ك) .

(٢) ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ . سورة الفتح ، الآية (١) .

(٣) زنديق: والزنادقة هم المجوس يلقبون بالزنادقة ؛ لأن الكتاب الذي زعم زردشت أنه نزل عليه من عند الله مسمى بالزند ، والمنسوب إليه يسمى زندي ، ثم عرب فقليل زنديق . التميمي : التفسير الكبير . ٩٢ / ١٣ .
العيبي : عمدة القاري . ٧٩ / ٢٤ .

(٤) غير: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم، ولد سنة ٢٢٩هـ ، أمه رومية يقال لها فتيان ، ولما قتل المهدي كان المعتمد محبوباً ، فأخرجوه وباعوه ، وانهمك في اللهو والملذات فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة "الموفق" ، في أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وخربوها ، توفي سنة ٢٧٩هـ . ابن قتيبة : المعارف / ٣٩٤ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٥٠٧ / ٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ٢٠١٧ / ٢١١١ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤ / ٦٠ / ٦١ . المقدسي : البدء والتاريخ . ٦ / ١٢٤ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٠٥ / ١٢ .

جماعة الوهبيين^(١)

وكانوا أهل مواهب ، ولهم في فصاحة اللسان ، وسماحة [٣٦ ب] البنان مذاهب ؛ إن كبتوا كبتوا الأعداء ، وإن وهبوا أخلجوا على الأرض الأنداء ، وفيهم يقول أبو تمام^(٢) :

كُلُّ شَعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلٌ وَهَبٍ فَهِيَ شَعْبِي وَشَعْبُ كُلِّ أَدِيبٍ
إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ كَالْكَبِدِ الْحَرَّى وَقَلْبِي لَغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ^(٣)

(١) الوهبيين : وهم الحسن وسليمان ابني وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين ، كانا من أجلاء بغداد وفضلائهما ، وكان أبوهما وهب قد خدم البرامكة واختص بجعفر بن يحيى البرمكي ، ثم صار بعده في جملة كتاب الفضل بن سهل ، ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل وقلده كرمان وفارس فأصلح حالهما ، ثم وجهه إلى المأمون برسالة منه ففرق في طريقه . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤١٥ / ٢ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٠ / ٣٥٠ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٦٨ / ١٥ .

(٢) حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعر شامي الأصل ، كان بمصر في حادثه يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الشعراء ، والأدباء فأخذ عنهم وتعلم منهم ، كان فطناً فهماً ، وكان يحب الشعر فلم يزل يعاينه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره وسار شعره وبلغ المعتصم فقدمه على شعراء وقته ، كان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس ، حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطع والقصائد ، وله كتاب (الحماسة) الذي دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته ، وله كتاب مختار أشعار القبائل ، توفي سنة ٢٣١ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢٤٨ / ٨ - ٢٥٢ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١٦ / ١٢ - ٣٣ / ٢٣ . ابن الجوزي : المنتظم . ١١ / ١٣٠ - / ١٣٧ . ابن حجة : خزنة الأدب . ٣٤٦ / ١ - ٣٤٧ / ٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١ / ١٣٧ .

(٣) أورد ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان هذين البيتين . ٤١٦ / ٢ . كما ذكرهما الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ونسبهما إلى البحتري . ٣٦٥ / ٢ .

سليمان بن وهب^(١) ، وكان على البريد أيام المعتصم فأهمله وأخره وعطل
سبيله ، فكتب إليه مكرم :

أبلغ سليمانَ إذا جئتَه
هذا جناحُ المسلمينَ الذي
ومنهم :

ولخص الأقوالَ تلخيصاً
وليته أصبح مقصوداً

(١) أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد الكاتب أخو الحسن بن وهب ، كان من أجلاء بغداد وفضلائها ،
وكان ممدوحاً سريراً كامل الرئاسة ، كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم لإيتاخ ثم لأشناس ثم ولي
الوزارة للمهتدي ثم للمعتد ، كان وافر الأدب له ديوان ترسل ، توفى في حبس الموفق سنة ٢٧٢هـ . ابن خلكان:
وفيات الأعيان . ٤١٥/٢ - ٤١٨/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٧٤٨/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٦٨ / ١٥

بنو المدبر وأعيانهم

أحمد^(١) وإبراهيم^(٢) ، وكان أحمد من كتاب المتوكل ، وطالبه لمادته فامتتع من ذلك وناقق ، وأجرى إليه أخاه فتوقف ، فطلب المتوكل إبراهيم ونادمه ، واستأثر به ولازمه ، وكان شاعراً ظريفاً ، ونديماً لطيفاً ، فخف على قلبه ، ولطف محله منه ، وكان لا يقدر على أن يصبر عنه ، ثم قلده نفقات المختارة^(٣) التي كان بناها ، فجرت على يده نفقات أموال جلييلة ، كانت سبب تأخيره ، وأخذ قليله وكثيره ، ووقف أحمد بن المدبر على^(٤) ديوان شعر أخيه وقد نكب فقراًه، ثم كتب^(٥) :

أبا إسحاق إن تكن الليالي عطفنَ عليك بالخطبِ الجسيمِ

(١) أبو الحسن أحمد بن عبيد الله بن المدبر الكاتب ، تقلد ديوان الخراج والضياع للمتوكل ، ثم اتفق عليه الكتاب فأخرجوه إلى الشام ، وكان بليغاً مترسلاً صاحب فنون ، ثم ولي خراج مصر مع دمشق ، ثم قبض عليه أحمد بن طولون سنة ٢٦٥هـ وسجنه وعذبه حتى مات سنة ٢٧٠هـ . ياقوت : معجم الأدباء . ١٤٤/١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٥٦ / ٧ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٢٦/١٣ . الكتبي : فوات الوفيات . ١٧١/١ .

(٢) الوزير الكبير أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الضبي ، أحد البلغاء والشعراء والترسل صاحب النظم الرائق وزر للمعتمد ، ولم يكن أحد من كتاب الترسل يقاربه في فنه وتوسعه ، ولم يزل عالي المكانة إلى أن ندب للوزارة في سنة ٢٦٣هـ ؛ فأعفي لكثرة المطالبة بالمال ، وكان وافر الحشمة كثير البذل ، توفي سنة ٢٧٩هـ . الأصفهاني : الأغاني . ١٦٠ / ٢٢ . ياقوت : معجم الأدباء . ١٤٤/١٤٣/١٠ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٧٣/٧٢/٧١ / ٦ . القيسي : توضيح المشتبه . ٩٨/ ٨ .

(٣) المختارة : محلة كبيرة بين باب أبرز والمقتدية ببغداد بالجانب الشرقي . ياقوت : معجم البلدان . ٧١/ ٥ .

(٤) "أموال جلييلة: كانت سبب تأخيره ، وأخذ قليله وكثيره، ووقف أحمد بن المدبر على سقط في النسخة (ك)." .

(٥) أورد الأصفهاني هذا الخبر وهذين البيتين في كتابه الأغاني مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي : فلم أرَ قط صرف هذا الدهر يجني . ١٨٠ / ٢٢ . وعند ياقوت : معجم الأدباء . ١٢٦/١ . وعند الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٧٢/١ .

فلم أرَ قطَّ صرفَ الدهرِ يجري^(١) بمكروهٍ على غيرِ الكريمِ

ولإبراهيم بن المدبر مما قاله وهو في الحبس يذكر طيفاً زاره ، ولم يمنعه بابه المغلق ، ولا حديده الذي هو به موثق ، وكان قد رأى في نومه جارية يهواها ، وأتته على غرّةٍ غريرة بعيد^(٢) مهواها :

طارقاً من غيرِ وعدٍ	يأبي من باتٍ عندي
وأشكو فرطاً وجدي	بات يشكو شدة الشوقِ
دراً فوقَ وردٍ [أ٣٧]	وتجنّى فبكى فانهل
وخذُ فوقَ خدِّ	فيدُّ تحت يدٍ طوراً

ثم بعث بها إلى المسدود^(٣) فصاغ لها لحنًا ، وغناه للمتوكل فسأله من [غناه]^(٤) فأعلمه أنها لإبراهيم ؛ فأمر بإطلاقه .
وله أيضاً :

شكوتُ إليه غيرُهُ وهو من أعني	وذني بدعٍ في الظرفِ والشكلِ والحسنِ
ليحسبني الواشونَ عن غيره أكني	واني لأكني باسمه عنه دائماً

(١) نحوي: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) بعيد: سقط في النسخة (ك) .

(٣) الحسن وكنيته أبو علي من أهل بغداد ، كان منزله في ناحية درب المفضل في الموضع المعروف بخراب المسدود المنسوب إليه ، وأبوه كان قصاباً ، وكان مسدوداً فرد منخر ومفتوح الآخر ، وكان يقول: " لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائني أهل الحلوم وذوي الألباب " . كان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٣٢/ . الأصفهاني : الأغاني . ٣٠٤ / ٢٠ - ٣٠٧/ .

(٤) غناه: سقط في النسخة (أ) و(ك) وما أثبتناه من (ك) .

وقد ذكره صاحب بغية الألباء^(١) ، وقلد وقال : إنه وزر للمعتمد ، ثم تقلد ديوان الضياع^(٢) للمعتمد ، وأنشد له^(٣) :

يا كاشفَ الكربِ بعدَ شدِّتهِ ومنزلَ الغيْثِ بعدَ ما قنطُوا
لا تبلِ قلبي بسخطِ بينهم فالموتُ دانِ إذا هم سخطُوا

وكان يقول : ودِدْتُ أني أكون قلت : بينهم^(٤) بيتي الصولي في رثاء أبيه بكل ما قلت ثم أنشدهما^(٥) :

أنتَ السوادُ المقلتي يبكي عليك الناظرُ
من شاءَ بعدك فليمتُ فعليك [كنت] ^(٦) أحاذرُ
فإن لم يكن فقوله^(٧) :
وليلةٍ من ليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها ببديري
لم تكن غير شفقٍ وفخرٍ حتى تولتُ وهي بكرُ الدهرِ

(١) بغية الألباء : مختصر لمعجم الأدباء لياقوت اختصره أحمد بن علي التكريتي .

(٢) ديوان الضياع: ومهمة هذا الديوان أن ينظم شؤون الضياع ، كما يحفظ نسخة من التوقيع في أي أمر مالي يصرف من وارد الضياع أو يستغل ، وهذه الضياع واسعة منتشرة في مختلف أنحاء الدولة كالعراق والشام ومصر وخراسان وفارس وكرمان . ابن جعفر : الخراج وصناعة الكتاب . ٥٤/ . الكساسبة : المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية . ٧٨/ .

(٣) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في البيت الثاني كما يلي :

لاتبل قلبي بشخط بينهم فالموت دان إذا هم شخطوا . ١٤٤/١ .

وعند الصفدي : الوايف بالوفيات . ٧٢/٦ . وعند الكتبي : فوات الوفيات . ١٠١ / ١ .

(٤) بينهم : سقط في النسخة (ك) .

(٥) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر وهذين البيتين مع وجود اختلاف في البيت الأول كما يلي :

كنت السواد لمقلتي فبكي عليك الناظر . ١١٢/١ .

وعند ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٧/٤٦/١ .

(٦) كنت : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) أورد ابن بسام هذين البيتين في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . ٧٧٢/٢ .

فإن لم يكن فقوله^(١) :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ
بطيءٌ عنكَ ما استغنيت عنه
وفي العهدِ مأمونُ المغيبِ
وطلاعُ عليكَ مع الخطوبِ

وقلد المتوكل أحمد بن المدبر الشام ، وأجرى عليه في كل شهر مئة ألف وعشرين ألف درهم .

وكان أحمد جماعاً [لمال]^(٢) ، حمالاً لأثقال ، لو صودم به الجبل لتقطع ، أو زوحم به الفضاء لم يخلُ منه أجمع ، إلا أنه لم يسفر صبحه ، ولم يظفر بأجزاء المحامد سحُّه ، فأضر بسحابه الجمود ، وقبر ولم يمتع بناؤه الخلود .
ومنهم [٣٧ ب] :

(١) أورد ابن مهران في كتابه ديوان المعاني هذين البيتين وهما من قول إبراهيم الصولي . ١٩٤/٢ .

(٢) المال : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

إبراهيم بن العباس الصولي^(١)

من كتاب المتوكل ، وله في البلاغة ما كأنه قد صاغه صياغة ، على أدبه طلاوة ، ولألفاظه حلاوة . وكان البحثري إذا ذكر إبراهيم الصولي قال: كاتب العراق ، وأنشد من شعره ، وتذكر عنده جماعة من الشعراء نوم العاشق^(٢) :

أحسبُ النومَ حكاكا إذ رأى مثلَ جفناكا
مني الصبرُ ومنك الهجرُ فابلغ بي مداكا
كبرت همة عين طمعتُ في أن تراكا
إنما حظُّ لعين أن ترى من قد رآكا
ليت حظي منك أن تعلمَ مابي من هواكا

ثم قال : تصرفت هذه في معانٍ من الشعر ، أحسن جمعها فكتبها عنه أجمعهم ، وما روى ثعلب^(٣) شعر كاتب غيره ، وهو قوله^(٤) :

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا وتفتُر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن يستدام دماؤها
حمى وقرى فالموتُ دونَ مراحها وأيسرُ خطبٍ يومَ حق فناؤها

(١) وهو من الكتاب في العصر العباسي ولم يتقلد الوزارة .

(٢) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر وهذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثالث كما يلي :

كذبت همة عين طمعت أن تراكا . ١٢٢/١ .

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، صاحب الفصيح أشهر كتب اللغة ، وهو إمام الكوفيين في عصره حافظاً لمذهب الكسائي والفراء والأحمر ، كان متقدماً في صناعته عفيفاً عن الأطماع ، كان له عدد كبير من المصنفات ، توفي سنة ٢٩٠ هـ . ياقوت : معجم الأدباء . ٦٤/٢ . النووي : تهذيب الأسماء . ٥٥١/٥٥٠/٢ . الزبيدي : تاج العروس . ٣٦/١ .

(٤) أورد ياقوت هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه معجم الأدباء . ١١٤/١ .

ومما كتبه إلى بعض إخوانه ، " فلان ممن يزكو شكره ، ويعنيني ^(١) أمره ،
والصنيعة عندي واجدة مواضعها ^(٢) ، وسالكة طريقها " ^(٣) .

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى إصابة شكرٍ لم يضع معه أجرا

وكتب إلى ابن الزيات : " كتبت إليك وقد بلغت المدية ^(٤) المحز ^(٥) ، وعدت على الأيام
بك بعد عدواتي بك عليها ، وكان سوء ظني وأكثر خويف أن تسكن في وقت
حركتها ، وتكف أذاتها ، فصرت أضرب عليّ منها ، فكف الصديق عن نصرتي خوفاً
منك ، وبادر إليه العدو تقرباً إليك " ^(٦) .

وكان أحمد بن المدبر قد رافعه بحضرة المتوكل ، وعدّ عليه أموراً قال في غالبها
إفكاً وزوراً ، فقال له المتوكل : ما تقوم ، فقام وأنشأ يقول ^(٧) :

بد قولي وصدق الأقوالا وأطاع الوشاة والعُدّالا

أترأه يكون شهر صدودٍ وعلى وجهه رأيت الهللا

فقال المتوكل : زاه زاه ، أحسنت والله ، أحسنت والله ! ثم دعاها ورددها
واستحسنها ، واستجودها وقال : اخلعوا على إبراهيم فخلعوا عليه وأجازه بجائزة

(١) معيني: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) موضعه: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر وهذا البيت . ١١٣/١ .

(٤) المدية: وهي السكين . ابن منظور . لسان العرب . ٣١/٦ .

(٥) المحز: الحز القطع . المصدر السابق . ٧٣/٢ .

(٦) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر . ١٠٨/١ .

(٧) أورد ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة هذا الخبر وهذه الأبيات مع جود اختلاف في الشطر
الأول من البيت الأول كما يلي :

رد قولي وصدق الأقوالا . ٨١٣/٤ .

وعند ياقوت : معجم الأدباء . ١١٣/١ / ١١٤ . وعند الصفي : الوايف بالوفيات . ٢١/٦ .

سنية [٣٨ أ] عجلها له من بين يديه، وأتى بها وابن المدبر يرى قذى^(١) في عينيه، فأحضر له من لحنه قدامة ، وغنى، ثم قال المتوكل: أنتوني بمن يعمل في هذا لحنًا، هاتوا ما نأكل ، وجيئونا بالندماء والمغنيين ، ودعونا من فضول ابن المدبر ، فانصرف إبراهيم إلى منزله محبوبًا ، وبقي [أحمد]^(٢) بن المدبر بين ضلوعه محبوبًا^(٣) .

وكان إبراهيم بن العباس هو المتولي لعقد البيعة عن المتوكل لبنيه ، والكاتب لليمين المنشئ للكتب، وركب يومئذ بغلاً فتطير منه الناس ، وقالوا : هذا الأمر لا يتم ولا ينتج لأنه على بغل ، والبغل لا نتيجة له لا يلد ولا يولد ، وكان الفرسُ تتطير من البغل لذلك .

وأخوه عبد الله^(٤) كان من وجوه الكتاب مقدمًا في خدمة الخلفاء ، وله مكانة من الدولة ، ووجاهة في ديوان الوزارة ، وهو وأخوه من صنائع الفضل بن سهل ، وكان جدهما صول الشيعة الخراسانية ، والدعاة إلى البيعة العباسية ، وكان رجلاً تركياً إلا أنه كان ذكياً ، وإياه عنى أخوه بقوله : وقد رآه يتحجب لمن يبغضه ، ويتوالى لمن يرفضه^(٥) .

خَلَّ النِّفَاقَ لِأَهْلِهِ وَعَلَيْكَ فَالْتَمَسِ الطَّرِيقَا
وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

(١) قذى : القذى ما يقع في العين وما ترمى به . ابن منظور لسان العرب . ٥ / ٢١٨ .

(٢) علي : هكذا في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٣) أورد ابن بسام هذا الخبر في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . ٤ / ٨١٣ .

(٤) عبد الله بن العباس بن صول البغدادي ، كان جده صول وأخوه فيروز ملكي جرجان أسلم صول على يد المهلب ، ولم يزل معه حتى قتل يوم العقر ، اتصل عبد الله وأخوه إبراهيم بذوي الرئاستين الفضل بن سهل ، وعبد الله بن صول هو جد محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي أحد الأدباء المتقدمين في الأدب والأخبار ، وصاحب كتاب الوزراء . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ٤٦ / ٤٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٦ / ١٩ .

(٥) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذين البيتين . ١ / ١١٠ . وعند الصفدي : الوافي بالوفيات . ٦ / ٢٠ .

بنو مخلد وبنو صاعد، ولهم ذكر مخلد [وجد صاعد]^(١)، وأكتفي من ذكرهم بقول
البحثري فيهم^(٢):

وإذا رأيت شمائلَ ابني صاعدٍ أدت إليك شمائلَ ابني مخلدٍ
كا لفرقدين^(٣) إذا تأملَ ناظرٌ لم يعلُ موضعُ فرقدي عن فرقدي

وقال علي بن الحسين بن عبد الأعلى^(٤) : أكلت على مائدة
الحسن بن مخلد^(٥) فوجدناها تتجاوز مئة دينار، وقال محمد بن داود^(٦) : شهدت
الحسن بن مخلد يحاسب بلال بن البزار^(٧) على [كسوة الجواري في الشتاء على ستين
ألف دينار، ثم قال كان يلزم الحسين لكسوة حرمة]^(٨) مئة وعشرين ألف دينار .
ومنهم :

(١) وجد صاعد سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أورد البحثري في ديوانه هذين البيتين . ٣٢٦/ .

(٣) الفرقدان: نجمان في السماء لا يغريان ولكنهما يطوفان بالجدي . ابن منظور : لسان العرب . ١٢٣/٥ .

(٤) أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي الكاتب ، كاتب بغا الكبير ، كان أديباً راويةً
للأخبار؛ روى عن الحسن بن سهل وأحمد بن أبي داود القاضي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، توفي سنة
٢٨٣هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٩٣٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢١ / ٢٢ .

(٥) أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح البغدادي الوزير الأكمل الكاتب ، أحد رجال العصر سؤدداً ورأياً
وشهامةً وكتابةً وبلاغةً وفصاحةً ونبلاً ، ولد سنة ٢٠٩ هـ ووزر للمعتمد نوبتين ، ثم تسلل إلى مصر فأقبل
عليه ابن طولون وجعل إليه نظر الأقاليم ، والتزم له بنحو ألف ألف دينار في السنة ؛ فخافه العمال ووشوا
به إلى ابن طولون فحبسه ومات في سجنه سنة ٢٦٩هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٥٠٤ / ٢ . الذهبي :
سير أعلام النبلاء . ٨ / ٧ / ١٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٦٧ / ١٦٨ . ابن تغري بردي : النجوم
الزاهرة . ٤٥ / ٣ .

(٦) محمد بن داود: وهو أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصفهاني المعروف بالظاهري الفقيه ، أحد أذكى
زمانه ، صاحب كتاب الزهرة ، تصدر للاشتغال والفتوى ، كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً توفي سنة ٢٩٧هـ .
اليافعي : مرآة الجنان . ٢٢٨ / ٢ .

(٧) بلال بن البزار : لم أعثر له على ترجمة .

(٨) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

أحمد بن الخصيب^(١)

وزير المنتصر ، ثم للمستعين^(٢) ، وكان من أسقط^(٣) وزراء المشرق لكثرة تبرمه^(٤) ، وقلة تفهمه ، ونقص حظه من العلم وتعلمه ، وكان يتردد في رأيه ويتوقف في إيقاف كل أمر ومضائه ، وكان ربما سبقت له إلى جلسائه بادرة غضب لا دخان [٣٨ ب] لها ولا لهيب ، ثم تعصب سوء فعله بندمه ، ويتعب صدع بؤسه بتلاقي كرمه ، ومع هذا تقدم الأكفاء وتخلفوا وراءه ، وملك الخلفاء وهو الذي أخذ البيعة للمنتصر^(٥) . وقال الحسن بن مخلد^(٦) دخلت عليه زمان المنتصر وعنده أحمد بن إسرائيل^(٧) ، فجرى شيء تعجبت منه ، فقلت له : أو ليس من العجب . أعزك

(١) أبو العباس أحمد بن الخصيب بن عبد الحميد الوزير الجرجاني ، كان من يكتب للمنتصر وهو أمير، فلما تولى الخلافة تولى له البيعة على الناس فولاه الوزارة وبقي وزيراً إلى أن مات المنتصر واستُخلف المستعين، فأقره على وزارته شهرين ، ثم غضب عليه ونفاه سنة ٢٤٨هـ ، توفي سنة ٢٦٥هـ . المسعودي : مروج الذهب . ١٣٢/٤ / ١٣٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١ / ١٨٧ / ١٨٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٣١ / ٢٣٠ / ٦ .

(٢) أبو العباس أحمد بن المعتصم بن هارون الرشيد ، أخو المتوكل على الله ، ولد سنة ٢٢١ هـ ، بويغ بالخلافة سنة ٢٥٢هـ ، فتتكر له الأتراك ، فخاف وانحدر من سامراء إلى بغداد ، ثم بعث له الأتراك يعتذرون فرفض الرجوع ، فدخلوا السجن وأخرجوا المعتز بالله فبايعوه وخلعوا المستعين ، فحصلت حروب بين المستعين والمعتز وجرت بين الطائفتين عدة مواجهات إلى أن انتهى أمر المستعين ، فخلع نفسه في أول سنة ٢٥٢هـ ، فأقام بواسطة تسعة أشهر محبوساً ، ثم قتل في نفس هذه السنة ٢٥٢هـ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ٤٩٤/٢ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٩٣٣/ . المسعودي : مروج الذهب . ١٤٤/٤ . السيوطي : تاريخ الخلفاء / ٣٥٨ .

(٣) أقسط: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) تبرمه: التبرم التضجر . ابن منظور : لسان العرب . ١٩٩/١ .

(٥) أورد الصفدي هذا الخبر في كتابه الوافي بالوفيات . ٢٣٠/٦ .

(٦) الحسن بن سهل مخلد: هكذا في النسخة (أ) وما أثبتناه من (م) و(ك) .

(٧) أحمد بن إسرائيل : هو أبو جعفر أحمد بن إسرائيل بن الحسن الأنباري ، أحد الكتاب الحذق الأذكياء ، تولى الوزارة للمعتز ، وكان يحفظ وجوه المال دخلاً وخارجاً على ذهنه ، وثب عليه الأتراك واستصفوا أمواله ، فشفع فيه المعتز وأمه إلى متقدم الأتراك ، فلم يلتفت إليهم وضربه في أيام المهدي ، حتى =

اللّٰه - أن يكون كذا وكذا ؟ فقال لي : وأعجب - واللّٰه - منه يا أبا محمد أن تكون في دار أمير المؤمنين آمناً مطمئناً ، وأنت بالأمس تضرب عليه [أباه] ^(١) ، وتسعى في تقديم أخيه عليه ، وتفعل وتصنع ؛ واللّٰه إنه لغافل عن ضرب عنقك ، فقلت له : يا سيدي ، لا أعدم اللّٰه خدمتك من خلّ ، قال : فانقلبت عيناه وارتعدت فرائضه ^(٢) ، ولم يدع شيئاً من القبيح إلا قاله ، ثم قال لي : أمزح معك فتقول لي ما قلت ؟ واللّٰه ليسفكن أمير المؤمنين دمك ، وليشفين صدره منك ، فقال له أحمد بن إسرائيل : جعلني اللّٰه فداءك ، قد أمن اللّٰه بك خدمك أن ينالهم في أيامك دون هذا فضلاً عنه ، [قال] ^(٣) : فانقلب على أحمد ، وقال له : وأنت - أيضاً - تتكلم كأنك ترى أنك بريء مما دخل فيه هذا ، أو أنه عمل شيئاً وما عملت أنت أضعافه ، ومن كان آفة أمير المؤمنين مع أبيه غيركما ، واللّٰه لأفعلن بكما ولأضعنّ ، قال : فأغنانا اللّٰه بشغل أشغله عنا ، وبقينا متوقعين أن يأمر فينا بسوءٍ ، فلما فرغ من شغله أخذ ورقتين مما قدامه ، وكتب عليهما : استؤمر أمير المؤمنين - أطال اللّٰه بقاءه - في ذلك فأمر بإمضائه ، ثم رماه إينا فإذا فيهما حوائج كنا سألنا فيها عبيد اللّٰه ^(٤) بن يحيى ^(٥) منذ أول ما تقلد الوزارة ، فأخره عنا ، فقمنا فقبلنا يده وشكرناه ، فقال : سبحان اللّٰه ! أتشكران هذا مني ؟ وأيّ شيء فعلته من قضاء حقكما؟! إلا أني ربما عجلت في بعض الأوقات مني حدة فاحتملوني .

= مات سنة ٢٥٥هـ - ابن الطقطقي : الفخري . ١٩٨/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٣٣٣/٣٣٢/١٢ .
الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٤/٣٣ / ١٩ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٥٣/١٥٢/٦ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١٣١ / ٢ .

- (١) أباه: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .
- (٢) فرائضه: الفريضة اللحم الذي بين الكتف والصدر . ابن منظور : لسان العرب . ١١٣/٥ .
- (٣) قال: ساقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .
- (٤) عبد اللّٰه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .
- (٥) عبيد اللّٰه بن مبارك بن يحيى : هكذا في النسخة (ك) ، والصحيح ما أثبتناه من (أ) و(م) .

وقال أبو القاسم يحيى بن زكريا^(١): إن خط أحمد بن الخصب^(٢) كان رديئاً جداً ، وإنه كان في ديوانه ابن الإنسان علاف يشبه خطه خطه ، فكان يزور عليه ويأخذ الجمل ، فاتصل الخبر بأحمد فأحضره ، وقال له : قد اتصل بي ما تفعل ، وقد أجريت عليك خمسين ديناراً كل شهر ، على أن تترك ما أنت عليه ، ثم لك عندي مزيد الإكرام ، ففعل مدة ثم عاود عمله الأول ، فقيل لأحمد عنه فطلب أباه ، وقال : إن ابنك ابتدأنا بالإساءة ، فجزيناها بالإحسان ، وأزلنا [٣٩ أ] ضرورته التي كانت تحمله على ما يعمل ، ثم هو قد عاود عمله فلا يجاورني في هذا البلد ، ثم أمره بالمقام ببغداد ، واستمر يجازيه عليه .

وقال أحمد بن أبي الأصبح^(٣) : اجتمع لبلال البزار عند المتوكل ألف ألف ومئة ألف دينار مما ابتاع منه الأمتعة ، فلما قتل المتوكل ، يئس من المال فأتى وسألني أن أكلم أحمد بن الخصب^(٤) له ليعطيه نصف ماله ويأخذ هو النصف ، وكتب بذلك رقعة فأخذتها وتوجهت وقت خلوة وجعلت أقلبها بيدي ، فنظر إليها ، وقال : ما هذه ؟ فدفعتها إليه ، فقال لي : أو هذا المال لبلال ؟ فقلت له : نعم ، قال : فأخرج لي حسابه ، فأخرجت حسابه ، وصححه فرآه صحيحاً ، فقال لي : إذا كان هذا المال لهذا الرجل ، فلأي شيء يرضى بنصفه ويعطيني نصفه ، ثم وقع له به ، وصرف عليه المال ، ولا والله ما رزاه^(٥) ابن الخصب^(٦) شيئاً منه . ولما ولي المستعين أعطى الكتاب مئة ألف درهم

(١) يحيى بن زكريا : وهو أبو القاسم يحيى بن زكريا المعروف بالكنجي ، روى عنه أبو محمد هارون بن موسى وسمع منه . الطهراني : نوابغ الرواة . ٣٣١/ .

(٢) الخطيب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) أحمد بن أبي الأصبح الكاتب ، كتب للحسن بن مخلد ثم ليعقوب بن الليث ثم لأخيه عمرو بن الليث سنة ٢٦٥هـ ، ثم قلده المعتضد الكتابة لابنه أبي محمد علي بن المعتضد سنة ٢٨١هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢٠٤٨/٢٠٥٠/٢١١٥ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٠٥٠/١٠٦٥/١٠٩٠ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٦/٢١ .

(٤) الخطيب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) رزاه : أصاب منه خيراً . ابن منظور : لسان العرب . ٦٥/٣ .

(٦) الخطيب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

لكل كاتب ، وأعطى ابن الخصيب ثلاث مئة ألف درهم وأشياء أُخْر، وأمتعة منها فرش الجعفري^(١) الذي كان للمتوكل ، فحمل على نحو مئتين وخمسين حملَ بغيرٍ ، وزاد في إقطاعه بلاداً تغل له كل سنة ألف ألف وخمس مئة ألف درهم ، وأقطع ابنه محمد بن أحمد بن الخصيب بلاداً تغل له في السنة مئتين وخمسين ألف درهم^(٢) .
ومنهم :

(١) الجعفري : وهو القصر الذي بناه جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، ثم صار إلى المأمون بعد أن نكب الرشيد البرامكة ، ثم انتقل إلى بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون ، ثم استرده المعتمد . ياقوت : معجم البلدان ٤/٣/٢ .

(٢) أورد ابن الجوزي في كتابه المنتظم هذا الخبر . ٧/١٢ .

سعيد بن حميد

وكان المستعين استوزره لما قدم بغداد ، وله بلاغة مشهورة ، وكتب متداولة ، وأشعار كثيرة متناقلة ؛ فمنها قوله في جارية كان يحبها ويتجافى عليها فيكثر منه عتبها^(١) :

فذاك أبي مالي أراك بخيلةً مقيماً على علاتها مستزيدها
فإنك كالدينا ندم صروفها ونوسعها عيباً ونحن عبيدها

ومنه قوله :

خلت المنازل من أحبائنا وتأت بهم عنايد الدهر
وأشد ما لاقيت بعدهم أني فجعت بهم وبالصبر [٣٩ ب]

قلت : وحضره جماعة من أهل الفضل والأدب عند انبلاج الصباح والأفق قد حالت حالته ، وحفت بالبدر^(٢) هالته ، والشعاع كأنه حسام مصلت يحاول دوسه ، والبدر كأنه غلام من الترك [أدار]^(٣) على وجهة قوسه ، فقال : صفوا على هذا الحال ، فأخذوا في الفكر فسبقهم ؛ وقال :

محا دجى الليل^(٤) أديم الفجر وما انمحي منه أديم البدر
كأنه لما رمى شعاعه مهند يسلى فوق نحر

وانتبه يوماً والديك قد هب من نومه ، وهو سكران طافح ، والشعري أيام

(١) أورد المسعودي في كتابه مروج الذهب هذين البيتين مع وجود بعض الاختلاف كما يلي :

أسيدتي مالي أراك بخيلةً مقيم على الحرمان من يستزيدها
فأصبحت كالدينا ندم صروفها ونتبعها ذمًا ونحن عبيدها . ١٤٦ / ٤ .

(٢) الدر: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) ادار : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) في الفجر: هكذا في النسخة (ك) .

الجوزاء كزج جره رامح ، وسهيل كأنه ظمآن في نهر من الماء ، والعيوق^(١) سائق ظعن
قيدت خطاه لا يسرع ، والجوزاء ترقص في منطقة^(٢) مذهبة ، والتبرة^(٣) والمجرة جهة في
جانب غدیر معشبه ، فقال :

وقد تأهب الليل ثم مازها	تبه الديك للصبح
الشعراء كما قام رامح وتبا ^(٤)	والأفق جوزاؤه يقابل
سهيل فعباً أو شرباً	وقد رمى على محربه العظمى
كعاجز رام نهضة فخباً	ومستير العيوق حيث دنى
تدرع الليل للوغى يلباً	وخلت قبل الصباح نيرتها

ومنهم :

(١) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال . ابن منظور : لسان العرب . ٤ / ٤٦٧ .

(٢) المنطقة : سقط في (ك) .

(٣) التبرة: التبر الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض . ابن منظور : لسان العرب . ١ / ٢٩٢ .

(٤) هذا البيت ساقط في النسخة (ك) .

أحمد بن إسرائيل

ولما استقامت الأمور للمعتز^(١) ، وزره وألقى إليه مقاليد أموره ، وأخرج نظراءه وصدرة .

وحكى عنه إبراهيم بن زكريا النصراني^(٢) المتطبب ، وقال : غمزت رجله ليلتين فوهب لي ستة آلاف دينار ، ثم قال لي : اقصص هذا المال لا يطير ؛ فلم أدر ما أراد ! فاستفهمته إياه فقال : تبتاع به عقاراً ينتفع بفضله ، ويبقى عليك وعلى أهلِكَ أصله ، قال : وكان في حضرته بعض كتابه فقال : يا سيدي هنا [٤٠ أ] ضياع خراب تبتاعها وتعاونه عليها ، فقال له : افعل ، فابتاعها لي بسبعة آلاف دينار من مال أحمد بن إسرائيل وعمرتها ، وعلم العامل بعنايته بي ، فتجافى لي عن حق بيت المال ، فاستغللتها جُملة عظيمة ، ثم صارت تزيد غلاتها ، فقال لي يوماً : أي شيء خبرك في ضياعك ؟ فقلت له خبر قد ملأت يدي غلتها ، ووصلت إلى أملي بفضلك ، وطاب قلبي لعواقبي بحسن نظرك ، وأخذت في الشكر له ، فقال : دع عنك هذا وخذ في بيعها ؛ فلا يبقى والله عليك ولا على غيرك من جماعة السلطان شيء ، فقلت له : ولم - أعزك الله - ؟ [فقال له]^(٣) : لما تقصده هذا المرأة ، في الأتراك يعني قبيحة^(٤) أم المعتز .

ومنهم :

(١) أبو عبد الله الزبير بن المتوكل وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة ، ولد سنة ٢٣٢ هـ ، ولم يلي الخلافة أحد أصغر منه ؛ فقد بويغ له بالخلافة سنة ٢٥٢ هـ وهو ابن تسع عشرة سنة ، ثم قام فخلع أخاه المؤيد من ولاية العهد ، كان مستضعفاً مع الأتراك ، خلعه الأتراك وشهد على نفسه مكروهاً ، ثم توفى سنة ٢٥٥ هـ . ابن قتيبة : المعارف . ٣٩٤ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ١٩٨٥ . المسعودي : مروج الذهب . ١٦٦/٤ . ابن العمري : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ١٢٨ - / ١٣٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٦٠/٣٥٩ .

(٢) إبراهيم بن زكريا النصراني : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) قبيحة : وهي زوجة الخليفة المتوكل وأم ولده المعتز رومية الأصل ؛ سميت قبيحة لحسنها وهو من باب الضد ، كان المتوكل مشغولاً بحبها لا يصبر عنها ؛ فقد بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم للمعتز ثم للمؤيد ثم إنه أراد =

= تقديم المعتز لمحبته لأمه قبيجة ، فسأل المنتصر أن يتنازل عن العهد ، اختفت عند القبض على أبنها ؛ حيث كان لها أموال جمّة ببغداد ، ثم رحلت بعد ذلك إلى مكة وبقيت فيها إلى أن أعادها الخليفة المعتمد إلى سامراء فأكرمها وبقيت هناك حتى توفيت سنة ٢٦٤هـ . القلقشندي : مآثر الإنافة . ١/٢٤٤/٢٥٥ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . / ٣٥٠ ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة . ٣/٣٨ .

بنو وهب^(١)

الأخوان ، سليمان والحسن^(٢) ، وكانوا سادة وكبراء ، وكتاباً ووزراء ، تقدموا
تقدماً آخر الأقران والنظرء ، وقعدوا وأوقضوا قدامهم الأمراء ، ولاقوا للمدائح
واستتقوا^(٣) بها الشعراء ؛ حتى كان ابن المعتز^(٤) ممن مدحهم وتقلد منهم ، وأخذ
منحهم ، وفيهم يقول^(٥) :

لآلِ سليمان بن وهبِ صنائعُ عليٍّ ومعروفٌ لديٍّ تقدمَا
همُ علموا الأيامَ كيفَ تبرني وهمُ غسلوا عن ثوبِ والدي الدما

(١) سبق الحديث عن وهب بن سعيد . ٢٦١ / .

(٢) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب ، كان يذكر أنه من ولد الحارث بن كعب ، وهو
معروف في الكتابة ؛ فأباؤه وأجداده كلهم كتبة في الدولتين الأموية والعباسية ، ولد سنة
١٨٦هـ ، كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وقد ولي ديوان الرسائل ، كان شاعراً بليغاً مترسلاً
فصيحاً وأحد ظرفاء الكتاب ، وله كتاب ديوان الرسائل ، توفي في آخر أيام المتوكل . ابن النديم :
الفهرست . ١٥٤ / . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١٣ / ٤٠٣ - / ٤٠٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان .
١٢٢ / ٢ . الكتبي : فوات الوفيات . ١ / ٣٥٠ / ٣٥١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٢ / ١٨٤ - / ١٨٦ .

(٣) استتقروا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل العباسي ، الأديب صاحب الشعر البديع والنثر الفائق ، ولد
سنة ٢٤٩هـ ، أخذ الأدب والعربية عن ثعلب وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي ، كان فاضلاً شاعراً له
تصانيف كثيرة ، منها الزهر والرياض ، ومكتبات الإخوان بالشعر ، وكتاب طبقات الشعراء ، وكتاب
الجامع في الغناء وغيرها ، بويغ له بالخلافة يوماً واحداً ، ولم يتم له الأمر ، ثم قتل خنقاً سنة ٢٩٦هـ . الطبري :
تاريخ الأمم والملوك . ٢١٥٧ / . الصولي : كتاب الأوراق . ٣ / ١٠٧ / ١٠٨ . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٢٩٣ . ابن
حزم : جمهرة أنساب العرب . ٢٨ / . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١١١٤ / . الكتبي : فوات الوفيات .
٥٩٣ / ١ .

(٥) أورد المسعودي في كتابه مروج الذهب هذين البيتين ٤ / ٢٩٥ . وقد أود العمري الشطر الثاني من البيت الثاني
كما يلي : وهم رخصوا عن ثوب والدي .

ولما توفي الحسين بن عبيد الله ، كتب ابن المعتز إلى أخيه الوزير عبيد الله :

قل للوزير لئن أُصِبتُ بحادثٍ لم نحل من جزعٍ ومن إقلاقٍ
فلقد غبنتُ الدهرَ إذ شاطرتهُ بأبي الحسين كفى به من باقٍ

وكتب أيضاً معزيه عن ابنه الحسن^(١) :

قل للوزير هو الزمانُ وصرفهُ والمرءُ ذو أجلٍ يصيرُ إليه
فلقد غبنتُ [على]^(٢) الدهرَ إذ شاطرتهُ بأبي الحسين وقد برحتَ عليه
وأبو محمدٍ الجليلُ مصابهُ لكن يمينُ المرءِ خيرُ يديه

ولم يكن منهم إلا كل جواد كريم ، ثم جادت من السؤدد وقديم [٤٠ ب] وفي عبد الله يقول ابن الرومي^(٣) :

إذا ما عبیدالله ضاهاهُ قاسمٌ فثمَّ قديمُ المجدِ ضاهاهُ حادثُهُ
فتىً يقتل الأموالَ في سبيلِ العلا لتورثهُ المجدَ السنيَّ موارثُهُ
ترى صاحبيه ذا سؤالٍ يميحهُ فواضلهُ أو ذا سؤالٍ يباحثُهُ
ولا يجتبي الميسورُ من لا يزوره ولا اللؤلؤُ المنثورُ من لا يحادثُهُ
فما فضلهُ والمدحُ دعوى ومدعٍ ولكن هما مسكٌ زكيٌّ ومائتُهُ

(١) أورد الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر البيتين الثاني والثالث مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :

فلقد غبنت الدهر إذ شاطرته . ١٩٦ / ١ .

(٢) على: في النسخ (أ) و(م) وقد حذف لإخلالها بالمعنى وما أثبتاه من (ك) .

(٣) أورد ابن الرومي هذه الأبيات في ديوانه . ٩٥٠ / ٩٤٩ .

وفيهم يقول^(١) :

آل وهبٍ هنيئتمُ نعمةَ الله
كانتِ الأرضُ ظلمةً وحروراً
فاخترعتمُ من الذكاءِ شمساً
سادةُ الناسِ كالجبالِ وأنتم
فمازلتمُ لها أشكالا
أوسع الناسِ فتنةً وظلالا
وابتدعتمُ من السماحِ ظلالا
كالنجومِ التي تفوقُ الجبالا

ومن بني وهب :

(١) أورد ابن الرومي في ديوانه هذه الأبيات . ٣٤٠٧ / ٣٤٠٨ / ٣٤٠٩ .

أحمد بن سليمان بن وهب

ومن بني وهب أحمد بن سليمان بن وهب^(١)، ذكر صاحب بغية الألباء^(٢) وعده في أفاضل الأدباء، وقال إنه تصرف في الأعمال، ونظر السلطان في جباية الأموال، وأنشد له^(٣):

حفت بسرورٍ كالقيانِ تلحفت
فكأنها والريحُ حينَ تميلُها
خضرَ الحريرِ على قوامٍ معتدلٍ
ينوي التعانقِ ثم يمنعها الخجلُ

ومن نثره جواب كتبه وهو:

"وصلت رقعتك أعزك الله، وكانت كوصلٍ بعد هجر، وغنى بعد فقر، وظفر بعد صبر، أفاضها درُّ مشوق، ومعانيها جوهر موصوف، قد أصطحبنا^(٤) أحسن صحبة، وتألّفنا أقرب ألفة، لا تمجها^(٥) الآذان، فلا تعب بها الأذهان"^(٦). ومنهم:

(١) أبوالفضل أحمد بن سليمان بن وهب الكاتب، أبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير، كان أبو الفضل بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً قد تقلد الأعمال، ونظر للسلطان في جباية الأموال، له من المصنفات ديوان شعره وديوان رسائله. توفي سنة ٢٨٥هـ. ياقوت: معجم الأدباء. ١ / ٣٦٨ / ٣٦٩. الصفي: الوايف بالوفيات. ٦ / ٢٤٧ - ٢٤٩.

(٢) المقصود به ياقوت في كتابه معجم الأدباء. ١ / ٣٦٨.

(٣) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذين البيتين. ١ / ٣٧١. وعند الصفي: الوايف بالوفيات. ٦ / ٢٤٨.

(٤) أصبحنا: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٥) يمحوها: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٦) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر. ١ / ٣٦٩.

بنو ثوابة^(١)

كتبوا ثم كانوا فرسان كتابة ، استكتبهم عبيد الله^(٢) أبو القاسم^(٣) ، وكان^(٤) [٤١ أ] خمارويه^(٥) ابن أحمد بن طولون لما نقل ابنته إلى المعتضد^(٦) ، كتب إليه يذكره تجربة سلفها بسلفه ربه ، ويذكر ما ترد عليه من أبهة الخلافة وروعة الملك ، وسأله إيناسها وبسطها ، فأراد عبيد الله أن يجب عن الكتاب بخطه^(٧)

(١) بنو ثوابة من الكتاب وليسوا من الوزراء .

(٢) عبدالله : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) عبيدالله بن القاسم : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه ، كما أورد الخفاجي في كتابه سر الفصاحة؛ فقد كان جعفر بن ثوابة أحد كتاب الوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولم يكتب لعبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن وهب . سر الفصاحة . ١٦٣ / ١٦٤ . كما أورد ذلك ياقوت في كتابه معجم الأدباء . ٥٧٢ / .

(٤) وكان أحمد : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، اجتمع الجند على توليته على مصر والشام بعد وفاة والده وهو ابن عشرين ، وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله ، سار الأفشين محمد بن أبي الساج ٢٧٦ هـ لغزو مصر فهزمه خمارويه في بلاد الشام ؛ فملك بعد ذلك من الفرات إلى بلاد النوبة ، زوج ابنته قطر الندى إلى المعتضد سنة ٢٨١ هـ ، وقيل إن المعتضد أراد بنكاحها إفقار الطولونية وكذلك كان ، قتله غلمانة بدمشق سنة ٢٨٢ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١١٦ / . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٥٠ / ٢٤٩ / ٢ . ابن العديم : تاريخ حلب . ٧ / ٣٢٨٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٧٣ / ١٧١ / ٢١ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٦٦ / .

(٦) أبو العباس أحمد بن الأمير الموفق الناصر لدين الله ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ، وأمه رومية يقال لها ضرار ثم بويح له بالخلافة سنة ٢٧٩ هـ بعد عمه المعتمد ، كان ملكاً شجاعاً ، قليل الرحمة ، وكان ذا سياسة عظيمة ، توفي سنة ٢٨٩ هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١١٦ / ٢١١٧ . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٢٣١ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٤٠ / . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٨٨ / ٣ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٧٣ / - / ٣٦٨ / .

(٧) الكتاب لخطه : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

فسأله جعفر بن محمد بن ثوابة^(١) أن يؤثره بالجواب ، فأنعم له بالإجابة ، وكتب على البديهة كتاباً قال فيه : فأما الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل عن يمينك إلى شمالك عناية بها واحتفالاً بسببها وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها ولعمرك أنها الدررة الثمينة ، واستودعت اليد الأمانة ، ثم قال ابن ثوابة للوزير: تسميتي لها الوديعة ، أعز الله الوزير نصف البلاغة^(٢) .

قلت : ولقد أمرت وأنا بدمشق بكتابة كتاب عن كافل الممالك^(٣) بها إلى الأمير بكتمر الساقي^(٤) بملاحظة بنتٍ له كان زوجها^(٥) بقربيل الأمير قوصون^(٦) ، فكتب عنها في الكتاب بهذه اللفظة ، فقلت : وديعة إحسانه ،

(١) أبو الحسن جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد بن يونس الكاتب الإسكافي ، صاحب ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير ، كان بليغاً شاعراً ، توفي سنة ٢٨٤هـ . الخفاجي : سر الفصاحة . ١٦٤/١٦٣ . ياقوت : معجم الأدباء . ٥٧٢/١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٠٦/١١ .

(٢) أورد الخفاجي في كتابه سر الفصاحة هذا الخبر . ١٦٤/١٦٣ .

(٣) يطلق هذا اللقب في العرق العام على كل نائب عن السلطان أو غير السلطان بحضرته أو خارجاً عنها في قرب أو بعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف في عرف الكتاب بالكافل ، فيقال النائب الكافل ، وفي حالة الإضافة كافل الممالك الإسلامية . القلقشندي : صبح الأعشى . ٤٢٦/٥ . الباشا : الفنون الإسلامية . ٩٣٤/٩٣٣/٢ .

(٤) الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، كان أولاً من مماليك الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، انتقل إلى السلطان الملك الناصر وجعله ساقياً ، عظمت مكانته عند السلطان وزادت محبته له ثم تزوج ابنه بنت السلطان فعظم شأنه ، فكان يقال إن السلطان وبكتمر لايفترقان ، وكان وافر العقل قريباً من الناس ، والسلطان لا يخالفه في شيء ، وكان يحجز على السلطان ويمنعه من المظالم ، توفي سنة ٧٣٣هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٢٢/١٠ . ابن حجر : الدرر الكامنة في المئة الثامنة . ٢١/٢ - ٢٣/١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٠٥/٩ .

(٥) زوجها لها : هكذا في النسخة (ك) .

(٦) قوصون بن عبد الله الناصري أحد قادة الدولة الأيوبية ، تزوج من ابنة السلطان الناصر سنة ٧٢٨هـ ، فكان له شأن عظيم في تدبير شؤون الدولة الأيوبية ، اختاره الملك المنصور سنة ٧٤١هـ ليكون مدبر المملكة بعد أن خلف والده الملك الناصر الذي ، توفي في هذه السنة ، واستمر الأمير قوصون كذلك حتى مات مقتولاً سنة ٧٤٢هـ . القلقشندي : صبح الأعشى . ١٠٠/١٨٦ . المقريزي : السلوك . ٣/١٠١/٣٥٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣/١٠/٧٥ .

ولم أكن وقفت على ما ذكره ابن ثوابة ، وإنما ذكرت هذا^(١) الاتفاق توارد الخواطر^(٢).

[ال]^(٣): وفي بني ثوابة أهاج منها قول أحمد بن علي^(٤) :

قالوا ثوابة أضحت وهي ساخطة
لا تعجبوا لقميص قد من قبل
قد قدت الجيب من غيظ ومن ضجر
فإن صاحبه قد قد من دبر

ومنهم :

(١) هذه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) هذا الخبر من الأحداث التي شاهدها ابن فضل الله في عصره ، فقد ذكر ذلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، وأخذ عن العمري بعض أخبار تلك الفترة وهي فترة حكم المماليك بصفته عاصر تلك الأحداث التاريخية. القلقشندي : صبح الأعشى . ١٠ / ١٨٦ .

(٣) قال : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدياء هذين البيتين ، وهما من قول الشاعر أحمد بن علي المادري الأعور الكردي مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي :

قالو لبابة أضحت وهي ساخطة .

كما أن هناك بيت آخر لم يذكره العمري بعد البيت الأول كما يلي :

فقلت حقاً وقد قررت بقولهم عيني وأعين إخواني بني عمر . ١ / ٥٧٩ .

إسماعيل بن بلبل^(١)

وزر للمعتمد ، وكان أخوه الموفق^(٢) عليه يعتمد ، وشرفه بالمصاهرة وخلط نسبه بأنسابه الطاهرة ، ولما قدم ابن بلبل دار الخلافة ، ارتجّت الدار ، وخرج إليه الموفق بنفسه ، وأخذ في زيادة أنسه فقبل يد الموفق ، ثم [قال]^(٣) كانت المصاهرة قال ابن عبدوس : حدثني من كان يكتب لإسماعيل بن بلبل ، أنه لما وقع الصهر بينه وبين الموفق ، وزوج عبد الواحد^(٤) بابنته ، أمر بتقدير ما يحتاج إليه للمطبخ ، فكان

(١) أبوالصقرا الوزير الشيباني ، كاتب بليغ شاعر محسن جواد ممدوح ، وزر للمعتمد سنة ٢٦٥هـ بعد الحسن بن مخلد ، ثم عزل بعد شهر ؛ ثم وزر ثانية ثم عزل ، ثم وزر ثالثة بعد القبض على صاعد بن مخلد الوزير سنة ٢٧٢هـ ، وكان واسع النفس ، وظيفته في كل يوم سبعون جدياً مئة حمل مئة رطل حلواء ، ولم يزل على وزارته إلى أن ولي العهد أحمد بن الموفق ، فقبض عليه وقيده وعذبه حتى هلك في صفر سنة ٢٧٨هـ . ومن شعره :

ما آن للمعتوق أن يرحما
ووكّل العين بتسهيدها
وسنة المعشوق ألا يرى
لو رآه الله شفى غايته

قد انحلّ الجسم وأبكى الدّما
تفديه نفسي لما طالما ما حكّما
في قتل من يعشقه مأثما
فالعديل أن بيدي فما سقما

الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١٠٧/٢١٠٨ . ابن الطقطقي : الفخري . ٢٠٤/٢٠٥ . الذهبي :

تاريخ الإسلام . ٢٠٤/٣٠٤ - ٣٠٧/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٣/١٩٩ - ٢٠١/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٥٩/٥٨/٩ .

(٢) أبو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم ، واسمه محمد وقيل طلحة ، والد المعتضد وولي عهد أمير المؤمنين ، ولد سنة ٢٩٩هـ ، عقد له أخوه المعتمد ولاية العهد بعد ابنه جعفر ، كان الموفق جليل الرأي شجاعاً محباً للناس ، حارب صاحب الزنج وظفر به وقتله ، فكان الناس يلقبونه الناصر لدين الله ، توفّي سنة ٢٧٨هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢٠٨٩ - ٢٠٩٢ . المسعودي : مروج الذهب . ٤/١٩٩ ابن العمري : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٣٧/١٣٨ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢/١٢٧/١٢٨ .

(٣) قال : ساقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) عبد الواحد بن المتقي ، أُجبر على مبايعة المكتفي بالخلافة بعد وفاة الخليفة المعتضد سنة ٢٨٩هـ ، كان المعتضد يعزه ويميل إليه ؛ فقد كان ذلك هو السبب الذي جعل القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب يسعى إلى المكتفي ويحرض على قتله بالرغم أن عبد الواحد لم تكن له همة في الخلافة بل كان همته =

مما تقدر ثمان مئة جدي ، فكتب إلى ضياعه يحملها فيما يحمل منها إليه ، وقرب وقت الحاجة ولم تصل ، فاستأذنه كاتبه في ابتياعها هي ، وبقيت ما [٤١ ب] طلب ولم يصل فأذن له فابتاعه ، ثم وصل المطلوب فاستأذنه في رد ما أخذه على أصحابه للاستغناء عنه ، فقال : هذه نذالة ، بل أذبح الجميع ، ووسع على الناس^(١) .

وقال ابن عبدوس كلاماً مختصره : وقد كان أيام كتابته لعبيد الله بن سليمان قد قطع على عيسى بن الشيخ^(٢) في معنى تعلقاته مئة ألف دينار لعبيد الله بن سليمان ، وعشرين ألف دينار لنفسه ، فلما تم الأمر استأذنه عيسى بن الشيخ في حمل المال ، فقال : معاذ الله ! والله لا أخذت على معروف صنيعه ، ثم قال : إنما أردت بما كنت قررت له لي عليه من المال إعلامه بمقدار ما فعلت معه^(٣) .
وفيه يقول ابن الرومي^(٤) :

قالوا أبا الصقر من شيبان قلت لهم كلاً^(٥) لعمري ولكن منه شيبان

= في اللعب مع الأحداث ولكن ميل المعتضد له كان السبب الذي جعل القاسم يسعى به ويحرض على قتل عبد الواحد حتى كان له ذلك في منتصف شهر رمضان من نفس العام . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١١٠٢/١١٠٤ . المسعودي : مروج الذهب . ٤/٢٨٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٢/١٣١ .

(١) لم يرد هذا الخبر عند الجهشياري .

(٢) أبو موسى الشيبانيّ الذهليّ دمشقي ، ولي إمرة دمشق فظاهر الخلاف والخروج عن الطاعة سنة ٢٥٥هـ ، وأخذ الأموال وتغلب على دمشق ، فوجه المعتمد لحربه جيشاً ، فجهز الأمير عيسى للقتال وزيه ظفر بن اليمان وولده منصور بن عيسى فانكسروا وقتل ابنه في المعركة وأسر الوزير وصلب في ظاهر البلد ، توفيت سنة ٢٦٩هـ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٤٧/٣٠٩ - ٣١٢/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٠١٤ .
الذهبي : العبر في خبر من غير . ٤٧/٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣/٤٦ . ابن العماد : شذرات الذهب . ١٥٥/٢ .

(٣) لم يرد هذا الخبر عند الجهشياري ، قد يكون في الجزء المفقود من كتاب الوزراء والكتاب .

(٤) أورد هذه الأبيات ابن الرومي في ديوانه مع وجود بعض الاختلاف في الشطر الأول من البيت الرابع كما يلي :
تلقاهم ورماح الخط حولهم .

وفي الشطر الأول من البيت السادس كما يلي :

لاتوحش الأرض من شيبان إنهم . / ٤٥٢٠ - / ٤٥٢٤ .

(٥) لكي : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

كما علت برسولِ اللهِ عدنانُ
منها المبالغُ أعراقُ وأغصانُ
كالأسدِ ألبسها الأجامُ خفانُ
بيضُ المحاسنِ والأعراضِ غرانُ
قومٌ يكونون حيثُ المجدُ مُذْ كانوا
يومًا بنعمى ولو مُنُّوا بما مائُوا
حتى إذا قَدَرَتْ أيديهمُ هائُوا

وكم أبٍ قد علا بابنِ ذُرٍّ شرفِ
ولم أقصرُ بشيبانَ التي بلغتُ
تلقاهمُ ورماحُ الخطِّ دونهم
سودُ السراويلِ^(١) من طولِ ادِّراعهم
لا توحش المجد من شيبانِ إنهم
المنعمينَ ومامنُوا على أحدِ
قومٍ يعزون ما كانت مغالبةً

وفيه يقول^(٢):

قومٌ إذا مذقتُ أفعالهم صرحًا
فإنما دخلوا البابَ الذي فتحًا
فالموتُ إن جدَّ والمعروفُ إن مزحًا
نبلاً وناهيكَ من كفِّ بها اتَّشحا
فما المقاديرُ إلا ما وَحَى ومحا

يفدي أبا الصقرِ إن قاموا بفديتهِ
مهما أتى الناسَ من طولٍ ومن كرمِ
يعطي المزاحَ ويعطي الجدَّ حقَّهُما
في كفِّه قلمٌ ناهيكَ من قلمِ
يمحو ويكتبُ أرزاقَ العبادِ بهِ

ومنهم :

(١) السراويل : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أورد ابن الرومي هذه الأبيات في ديوانه مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الخامس كما يلي :

يمحو ويثبت أرزاق العباد به . / ١٠١٨ / ١٠٢١ .

العباس بن الحسن^(١) [٤٢ أ] بن أيوب^(٢)

وزر للمكتفي^(٣) ، ثم كان به يكتفي ، لا يفضل عليه أحداً ، ولو ظهر فضله عليه كالصباح إذا بدا ، وكان كاتباً بليغاً ، غرض الأدب غرض قدر الذهب ، حلو الكلام ، كأن جنى النحل في عبارته ، وغمز لواحد الغيد^(٤) في إشارته ، يتلعب^(٥) لفظه بالعقول تلعب الرياح ، ويتغلب^(٦) على الأفهام ، تغلب النهار على ضوء الصباح^(٧) ببدائع بهرجتها^(٨) وشي الربيع ، ويفجر على لآلئ الفجر الصديق .
ومما كتبه إلى صديق يستدعيه إلى مجلس أنسٍ انقطع للراحة فيه : كتبتها - أعزك الله وأدام امتاعي بك - إليك ، وقد انتظم شملنا في بكرة هذا اليوم الغنج^(٩) الجو البهج

(١) الحسين : هكذا في النسخة (أ) و(م) ومات أثبتناه من (ك) .

(٢) أبو أحمد العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجرائي وقيل المدرائي ، ولي وزارة المكتفي بالله ، ثم وزارة المقتدر فأقام أشهراً ، فلما عمل الأمير الحسين وابن حمدان وابن الجراح على خلع المقتدر لصغره ، وإقامة ابن المعتز قتل هذا الوزير وكان ذلك سنة ٢٩٦هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١٥٧/ . المسعودي : مروج الذهب . ٢٩٣/٤ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ١٢٨/١٩ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٥٥/١٥١ . ابن كثير : الكامل في التاريخ . / ١١١٤ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٤ / ٥٢ - ٥٥/ . تاريخ الإسلام . ١٧٣/١٧٢ / ٢٢ .

(٣) أمير المؤمنين المكتفي بالله علي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل ، يكنى بأبي محمد ، ولد سنة ٢٦٤هـ ، كان جميل الصورة ، بويح له بالخلافة عند موت والده سنة ٢٨٩هـ ، وعند دخوله إلى مدينة دار السلام أمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس ، وإطلاق من كان محبوباً فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد قد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها ، وفرق فيهم أموالاً ، فمالت إليه قلوب الرعية ، توفي سنة ٢٩٥هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ٢١٣٥/٢١٥٦ . المسعودي : مروج الذهب . ٣٧٥/٤ . ابن العمراني : ١٥٠/ ١٥٢/١٥١ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١١١٢/١١٠٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٢٩/٦ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢٠٨ .

(٤) لغيص : هكذا في النسخة (ك) .

(٥) تبلغت : هكذا في النسخة (ك) .

(٦) تلعب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) المصباح : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٨) بهجرتها : هكذا في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٩) الغنج : التدلل والحسن . ابن منظور . لسان العرب . ٦٥/٥ .

المراى، والسمااء كما ترى قد اكتفتتها سحب لا تتجلي ولا تمطر ، لا تعرف سبحا ولا طلا ، ولا تسكب رذذاً ولا وبلاً، ونحن في مجلس دارت أكؤوبه علينا ، وأهديت كؤوسه إلينا ، تزف منها عروس المدام كأنها حدود غلام ، وعندنا شاد^(١) ، لا يعرف أيهما للعب بنا نغمه أم الكؤوس ، وأوضح وجهه المنيرأم الشموس ، فبحق ما بيننا من عهد الشباب، وحقوق اللذات والأتراب، إلا ما كملت طربنا بحضورك ، ووصلت سرورنا بسرورك .

ومما كتبه إلى صديق له في منحةٍ سأله فيها: إن شاء^(٢) الله - تعالى - ليمتحن العبد ليكثر التواضع له ، والاستعانة به ، ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته ، ويأخذ بيده في شدته ؛ لأن دوام النعمة والعافية كلاهما ينظر الإنسان فيعجب بنفسه ، ويعدل عن ذكر ربه .

وقال محمد بن يحيى^(٣) : ركب العباس بن الحسن بعد وفاة القسم بن عبيد الله^(٤) بيوم وأنا معه ، فاجتاز بدار القاسم فرأى باباً خالياً ،

(١) شدود: هكذا في النسخة (ك) .

(٢) وردت كلمة "إنشاء" زيادة في النسخة (أ) .

(٣) أبو علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير ، تقلد الوزارة للمقتدي سنة ٢٩٩هـ فرتب أصحاب الدواوين وتولى مناظرة ابن الفرات ، كان ضيق الصدر وكثير التضجر والإهمال لقراءة كتب العمال وجباية الأموال ، كان يتقرب إلى الخاصة والعامة ، ثم منع خدم السلطان أن يخاطبوه بالعبد وقد عمل على إطلاق الأموال للفرسان والقواد فنفروا عنه واتضعت الوزارة بفعله ما تقدم ، وكان أولاده قد تحكّموا عليه ؛ فكل منهم يسعى لمن يرتشي منه ، فقبض عليه المقتدر سنة ٣٠١هـ . الطبري: تاريخ الأمم والملوك . ٢١٦٠/ . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٣٠٤ / ٣٠٥ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١١٢٦ / ١١٢٧ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون . / ٨٠٤ .

(٤) أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الوزير ، ولي الوزارة للمعتضد بعد موت والده الوزير عبيد الله سنة ٢٨٨هـ ، ونهض القاسم بأعباء الأمور عند موت المعتضد؛ فأخذ البيعة للمكتفي، كانت مدة وزارته ثلاث سنين ونصفاً ، وكان القاسم من ظلمه الوزراء سفاكاً للدماء ، حمل المكتفي على قتل عبد الواحد بن الموفق ابن عم المكتفي، كان زنديقاً فاسداً ، توفى سنة ٢٩١هـ . الطبري: تاريخ الأمم والملوك / ٢١٣٥ / ٢١٣٦ . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٢٨١ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٢ / ٢٣٠ / ٢٣١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٩٥ / ٢٤ .

فقال : لئن خلا هذا الباب لطلما امتلأ بالناس ، قال : فقلت له : كأن الوزير
نطق بلسان ابن ناجية^(١)؛ حيث يقول^(٢) :

وإن يمس وحشاً بابهُ فلربّما
يحيون بسماً كأن جبينهُ
وما غائبٌ من كان يرجو إِيابهُ
تتأطح أفواجاً إليه المواكبُ
هلالٌ بدا فانجابَ عنه السحابُ
ولكنّه من ضمن اللحد غائبٌ [٤٢ ب]

واستدعى ندماءه إلى روضةٍ يكاد يذري الدمع نرجسها إذا أضحى، ويقطر من
شقائتها الدم لا يرقأ جرحاً ، والمدام قد طافت^(٣) به الجواري ، ولآلىّ الطل
تضاحك^(٤) حباب كؤوسها ، وتخلط بلجين أنجمه ذهبت شمسها ، فقال لندمائه كلاماً
معناه: هل رأيتم أحسن من تجري دمه وهو يضحك ؟ أو أعجب^(٥) من المدام يحي
النفوس ، وأوداج أباريقه تسفك ؟! فهل من قائل في ذلك ؟ قالوا السيد أحق ، فقال :

انظروا إلى النورِ مغرباً
وانظرْ إلى الكأسِ إذ نغش بهِ
ضحكا إذا أسبلَ النوءُ جفنهُ وبكاً
وقد أطحناله دمًا سفكا

(١) أبو فراس همام بن غالب ، وكنيته أبو الأخطل ابن صعصعة بن ناجية التميمي المعروف "بالفرزدق"
الشاعر المشهور صاحب جرير ، روى عن علي بن أبي طالب وغيره ، وروى عن أبي هريرة وعن جماعة ، ولم
يكن بالبادية أحسن ديناً من جده صعصعة ، لم يهاجر وهو الذي أحيا الوثيدة وبه افتخر الفرزدق ، وكان
يقال : الفرزدق أشعر الناس عامة ، توفي سنة ١١٠ هـ . ابن قتيبة : المعارف / ٣٢٧ . ابن خلكان : وفيات
الأعيان ٨٦/٦ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٢٤/٢٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١/٢٦٨ .

(٢) أورد البصري في كتابه الحماسة البصرية هذه الأبيات مع وجود بعض الاختلاف كما يلي :

فإن تمس وحشا داره فلربما
يحيون بساما كأن جبينه
وما غائب من كان يرجى إِيابه
تواحق أفواجا إليها المواكبُ
هلال بدا وانجاب عنه السحائبُ
ولكنه من غيب الموت غائبٌ . ٢١٦/١ .

(٣) ضاقت : هكذا في النسبة (ك) .

(٤) تضاحك كؤوس : هكذا في النسخة (ك) .

(٥) عجب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وكتب العباس إلى زيادة الله الأغب^(١) صاحب المغرب يرغبه في الطاعة ويخوفه بالمكتفي ، وملاً عليه منه ، فوجه إليه ابن الأغب برسل وهدية فيها مئة خادم ، وخيل مختاره^(٢) ، وبرُّ كثير [وغيره]^(٣) ، وعشرة آلاف درهم ، وألف دينار في كل دينار عشرة دنانير ، وعلى الدنانير والدرهم مكتوب من أحد الجانبين^(٤) :

ياسائراً نحو الخليفة قل له
بزيادة الله بن عبد الله سيف
نمّ قد كفاك الله أمرك كله
الله من دون الخليفة سلّه

ومن الجانب الآخر^(٥) :

ما ينبرى لك بالشقاق
منافق إلا استباح حريمه وأذله

ووجه إلى العباس بهدايا كثيرة ، فلما كان بعد شهر ورد الخبر بانهزام ابن الأغب من الخارج عليه بالقيروان^(٦) ، ومجيئ

(١) زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الأغب التميمي صاحب القيروان، وكان أبوه وجده كلاهما قد ولي إفريقية، وكان هذا قد دخل في طاعة المكتفي، واستمر حكم بني الأغب حتى سنة ٢٩٦هـ؛ حيث أخرج من المغرب أبو عبد الله المحتسب الذي خرج في كتامة وغيرها فدعى إلى عبيد الله المهدي صاحب المغرب، وانقرضت دولة بني الأغب على يده، وكان لها مئة واثنا عشرة سنة، توفي زيادة الله بن الأغب سنة ٣٠٤هـ. المسعودي: مروج الذهب. ٤/ ٢٩٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ١١١٥/. الذهبي: تاريخ الإسلام. ٢٢/٢٣/. الكتبي: فوات الوفيات. ٤٢٠/١ - ٤٢٢/.

(٢) تختاره: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٣) وغيره: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٤) أورد الكتبي هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه فوات الوفيات. ٤٢١/١.

(٥) أورد الكتبي هذا البيت وزاد عليه بيت آخر كما يلي :

(من لا يرى لك طاعة فالله قد أعماه عن طرق الهدى وأضله). ٤٢١/١.

(٦) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقية وليس بالغرب مدينة أجل منها ، مصرت في الإسلام في عهد معاوية بن أبي سفيان على يد القائد عقبة بن نافع الفهري ؛ لتكون مقراً للجيوش الإسلامية الفاتحة . ياقوت . معجم البلدان. ٤/ ٤٢٠ - ٤٢١. ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع. ٣/ ١١٣٩.

ابن الأغلأ إلى مصر ، وإن تعجب بنفسه ورجاله^(١) .
[ومنهم]^(٢) :

(١) أورد الكتبي هذا الخبر في كتابه فوات الوفيات ٤٢١/١ . وكذلك الصفيدي : الوافي بالوفيات ١٣/١٢/١٥ .
(٢) ومنهم : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

بنو الفرات^(١)

وهم كبراء الوزراء والكتاب الذين تلقوا أمر الخلافة ، وأطربوا ببدائعهم لا بالسلافة^(٢) ، وتنقلوا في الممالك فكانوا نواها ، وتتبعوا خللها وكادوا لأواها وضعوا الأيام بالمبرات ، وسعوا بالنتام المسرات ، وخدموا الملوك ، ونظموا السلوك^(٣) ، وأفادوا منّا جساماً ، وكسفوا البدور وجوهاً وساماً ، فما حلوا في إقليم إلا [٤٣ أ] وحلوا بحلولهم كنفه ، وولوا^(٤) أقمارهم تحفه ، وتدقق في كل مرتع منهم عذب فرات ، وناقق كما نشرت عليه خيرات ، إلا إن محسن بن الفرات^(٥) كان لا يحسن في فعله ، ولا يحسب حساب أحدٍ من جهله^(٦) ، وغرته مسالمة الأيام ، ومساعدة الزمان ، وكان يحمله على هذه الأسباب ، سكرات سكر سعادة وسكر و شباب^(٧) ، فلهذا كان إذا ذكر عيبه ندم ، وإذا أظهر سعته لا يلم ، وكان من

(١) بنو الفرات: من قرية تدعى بابلي صريفين ، من النهران الأعلى ، وكان لهم بها أقارب يزيدون على ثلاث مئة نفس ، وأول من ساد منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات ، كان حسن الكتابة ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال ، متقدماً على أهل زمانه في هذه الأمور. الصابئ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . ١١ / ابن الطقطقي : الفخري . ٢١٤/ .

(٢) السلافة : الخمر . ابن منظور . لسان العرب . ٣٢١/٣ .

(٣) السواك: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) وزلوا: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أبو أحمد المحسن بن علي بن محمد بن الفرات من أبناء الوزراء ، كان في سيرته عسف وجبروت ، وواه أبوه ديوان المغرب سنة ٢٩٧هـ ، ثم عزل مع والده ونكبا سنة ٣٠٦هـ ، ثم عاد أبوه إلى الوزارة سنة ٣١١هـ وهي وزارته الثالثة ، فأطلق يد المحسن في أمور الدولة ، فبالغ في الانتقام من خصومه ، غلبا على أمر الخليفة المقتدر العباسي ، فقبض عليهما ، ثم أمر بقتلهما سنة ٣١٢هـ . المسعوي : مروج الذهب . ٤ / ٣٠٥/٣٠٤ . الصابئ: تحفة الأمراء . ٣٠ / - ٣٣ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٥٧/١٥٦ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ / ١١٤٦ / ١١٤٧ . الزركلي : الأعلام . ٢٨٨/٥ .

(٦) يجهله: هكذا في النسخة (ك) .

(٧) سكرات سكر سعادة وسكر و شباب: سقط في النسخة (ك) .

يقصد^(١) لحاجة تربقت^(٢) عيناه ، فإذا أعاب عرض حاجة ليكون قضاؤها أسهل عليه ، وأنهل إلى حمل من تحمله إليه ، فإنه كان قصده عن حوائج الناس ، ويوقف قلمه أن تجراً إلا لمبيع^(٣) ، أو نصل لا يقطع ، فقل موقعه ، وتمنوا زوال زمانه ، ودانوا في استكفاء سوء محضره ، فعاد شؤمه على أبيه ، ورأى به ما كره في نفسه وفيه .
وذكر أبو الفرج الأصفهاني^(٤) قال : قال لي أبو عبد الله زنجي الكاتب^(٥) :
لما نكب أبو الحسن بن الفرات^(٦) أبا علي بن مقلة^(٧) في وزارته الثالثة ، ولم

(١) أياه: كتبت هكذا" يقصده أياه " ، وهي زائدة في النسخة (ك) ؛ حذف لإخلالها بالمعنى .

(٢) أرتبق: أي وقع في الأمر . ابن منظور : لسان العرب . ٢٨/٣ .

(٣) لايمتتع: هكذا في النسخة(ك) .

(٤) علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو الفرج الأصفهاني العلامة النسابة الإخباري الحافظة الجامع بين سعة الرواية ، ولد سنة ٢٨٤هـ ، كان أموي النسب ، وله تصنيفات منها كتاب الأغاني ، وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه ، وكان مع ذلك شاعراً جيداً ، إلا أنه في الهجاء أجود . مات سنة ٣٥٦هـ . ابن النديم : الفهرست . ١٤٤/١٤٥ . ياقوت : معجم الأدياء . ٥٠/٤ - ٥٤/٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٠٧/٣ - ٣٠٩/٤ . إدوارد فنديك : اكتفاء القنوع . ٤٠/٤ .

(٥) محمد بن إسماعيل بن زنجي أبو عبد الله البغدادي يعرف بابن زنجي ، كان من أعيان الكتاب في أيام الرازي بالله العباسي ، من جلة الكتاب ومشايخهم معروف بجودة الخط ، وله تصانيف منها كتاب الكتاب والصناعة ، توفي في شوال من سنة ٣٣٤هـ . ابن النديم : الفهرست . ١٦٤/٤ . ياقوت : معجم الأدياء . ٢٣٦/٥ . حاجي خليفة : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . ٣٨/٦ .

(٦) علي بن محمد بن موسى بن الفرات الوزير ، من الدهاة الفصحاء الأدياء الأجواد ، وهو ممهد دولة المقتدر العباسي ، واتصل بالمعتضد بالله ، فولاه ديوان السواد ، ثم بلغ رتبة الوزارة في أوائل أيام المقتدر ، فتولاها ثلاث مرات ، انتهت بقبض المقتدر عليه سنة ٣١٢هـ فسجن وضرب عنقه . المسعودي . مروج الذهب . ٤/٤٣٠٥/٣٠٤ . الصابئ . تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . ٢٢/٣٣٠/٣٣١ . ابن خلكان . وفيات الأعيان . ٤٢٣/٤٢١/٣ . ابن الطقطقي . الفخري . ٢١٥/٢١٤ . الصفدي . الوافي بالوفيات . ٩١/٢٢ - ٩٣/٢٢ .

(٧) أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور ، استوزره الإمام المقتدر سنة ٣١٦هـ ، وعزل سنة ٣١٧هـ ثم استوزره القاهر بالله سنة ٣٢٢هـ ، ثم قبض عليه بعد أن سعى به ابن رائق حتى قطعت يده اليمنى ، ثم تولى الوزارة للرازي ، سعى به ابن رائق بعد ذلك فقطع لسانه ولحقه ذرب ومات في السجن ، سنة ٣٣٨هـ ابن النديم . الفهرست . ٢٠/٢٠٠ . ابن خلكان . وفيات الأعيان . ١١٣/٥ - ١١٧/٥ . ابن الطقطقي . الفخري . ٢١٩/٢١٨ . الصفدي . الوافي بالوفيات . ٨٢/٤ . ٧٩٩/٧٩٨/٢ . أصول الأثر .

أدخل إليه ، ولا كاتبته متوجعاً له ، ولا راسلته في شيء خوفاً من ابن الفرات ، مع ما بيني وبين [ابن] ^(١) مقلّة من المودة ^(٢) الأكيدة ، فلما طالت تمكينه كتب إليّ رقعة في أولها ^(٣) :

أين لي أم القرطاسُ أصبحَ غالياً	تري حرمت كتب الأخلاءِ بينهم
وقد دهمتتا بليّةً هي ماهياً	فما كان لو سألت كيفَ حالنا
وكلُّ تراهُ في الرخاءِ مراعيًا	صديقك من رعاك عند شدة
يكادُ الأعادي يرحمون الأعاديًا	فهبك عدوي لا صديقي فربما

ثم عطفها على رقعة إلى الوزير ^(٤) منها : " اقتصرت - أطال الله بقاء الوزير ، ولا امتحن له صبراً - عن الاستعطاف والشكوى حتى تناهت المحنة ، والبلوى في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، وحتى أفضيت إلى الحيرة والتبدد ، وعيالي إلى الهلكة والتلدد ، وما أقول إن حالاً أتاه الوزير- أيده الله - في أمري إلا بحق واجب ، وظن صادق غير كاذب ، إلا أن القدرة تذهب الحفيظة ، والاعتراف يزيل الافتراق ، ورب المعرفة يؤثره ^(٥) أهل الفضل والدين والإحسان ، إلى المسمى من أفعال [٤٣ ب] المتقين ، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة ، وتأميل وخدمة ، إن كانت الإساءة تصنعها ، فرعاية الوزير أيده الله تحفظها ، وإن رأى الوزير أن يلحظ عنده بعين رأفته

(١) ابن : ساقطة في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) الكوفة : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) أورد الذهبي هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه تاريخ الإسلام مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :

فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا .

وكذلك في الشطر الأول من البيت الثالث كما يلي :

صديقك من رعاك عند مصيبة . ٢٤١/٢٤ . وكذلك عند ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٦٨/٣ .

(٤) إلى الوزير : سقط في النسخة (ك) .

(٥) تورثه : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وينعم بإحياء مهجته ، وبتخلصها من العذاب الشديد ، والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفة نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً إن شاء الله .

قال زنجي الكاتب : فأقامت الرقعة في كمي أياماً ؛ لأتمكن من عرضها إلى أن خلوت به يوماً ، ثم قلت له قد عرف الوزير - أيده الله - ما بيني وبين ابن^(١) مقلّة من الألفة التي جمعتنا عليها خدمته ، والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت له حقاً بعونة^(٢) ، ولا غيرها منذ سخط الوزير عليه ، وهذه رقعته تدل عليه ، وطبها رقعة إلى الوزير ؛ إن أذن عرضتها عليه ، فقال : هاتهما ، فأخذهما فقرأهما ، فقلت : أسأل الوزير أن يكتب عليّ ذلك عند [سيدي]^(٣) أبي أحمد يعني المحسن ابنه ؛ فإنني أخافه ، فقال : أفعّل ، ثم قال : والله يا أبا عبد الله لقد تناهى هذا الرجل في السعي على دمي ومالي وأهلي ، ثم قال : والآن^(٤) لاجرى علي بن مقلّة مكروه فعل بعد هذا وأنا آخذه من يد المحسن ، وأنفذه مع سليمان بن الحسن^(٥) إلى فارس وأجزية مجزاة في الأمر بحراسة نفسه وباقي حاله ، فلما كان في غد أنفذ من انتزعه من حبس المحسن ، وأخرجه إلى فارس هو وسليمان ، فسلم وأمسك المقتدر علي بن محمد الفرات وانتهب أمواله ، وحصل منها سبعة آلاف ألف دينار ، وأبقى عليه أملاكه ، وكانت غلاتها في السنة ألف ألف دينار ، فكان يشغلها وهو معزول ، وذكر ذلك ابن عبدوس في كتاب الوزراء^(٦) ، وكان أبو الحسن

(١) ساقطة في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) بغير: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) سيدي: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) هناك جملة حذف من النص فيها حلفان بغير الله .

(٥) أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح ، ولي عدة ولايات في أيام المقتدر ، ثم ولاة الوزارة سنة ٣١٨هـ ، ثم ولي الوزارة للراضي سنة ٣٢٤هـ ، ثم ولي للمتقي بن المقتدر وعزل ، ومضت أيامه على سداد وإحسان من الناس ، وكان كاتباً سديداً خبيراً بأحوال الدواوين وقوانين السياسة ، توفي سنة ٣٣٢هـ . الهمداني : تكملة تاريخ الطبري . ١٣٨/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٣٢٨/١٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٤٤/١٥ .

(٦) غير موجود في كتاب الجهشيارى الوزراء والكتاب ، وقد يكون في الجزء المفقود منه .

ضجوراً، و[إن] ^(١) كان أولاده قد تحمل عليه، وكل منهم يسعى لمن يرتشي منه، كان يولي العمل الواحد عدة عمالٍ في الأيام القليلة ؛ حتى إنه ولي مسناة الكوفة ^(٢) في شهر واحد سبعةً من العمال فقيل فيه ^(٣) :

وزيرٌ قد تكاملَ في الرِّقاعة
وإن أهل الرشا اجتمعوا عليه
يولي ثم يعزلُ بعدَ ساعةٍ
فخيرُ القومِ أوقرهم بضاعةٍ

ومنهم : [٤٤ أ]

(١) إن: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) الكوفة: مدينة بسواد العراق ؛ سميت بالكوفة لاستدارتها ، وقيل سميت الكوفة كوفةً لاجتماع الناس بها من قولهم : تكوف مصرت في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ هـ . ياقوت : معجم البلدان . ٤/٤٩٠/٤٩١ .

(٣) أورد ابن الأثير هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه الكامل في التاريخ ، وقد كان ذلك الخبر وهذه الصفات للوزير أبي علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن خاقان ، ولم ينسبها إلى أبي الحسن ابن الفرات ، وهناك اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني كما يلي :

فخير القوم أوفرهم بضاعة .

كما زاد بيت ثالث كما يلي:

وليس يلام في هذا بحالٍ لأن الشيخ أفلت من مجاعة

١١٢٦/١١٢٧ . وعند ابن الطقطقي : الفخري كما نسب ذلك الخبر والأبيات إلى محمد بن يحيى بن

عبيد الله بن خاقان / ٢١٥ .

علي بن عيسى بن داود بن الجراح بن الحسن البغدادي الكاتب^(١)

وزير المقتدر^(٢) والقاهر^(٣)، وزير [لله]^(٤) جل ماله وكل أعماله ، حفظ حين أضيعت المناصب ، وبقي ماله له حين ارتجع مال الغاصب ، وكان لا يزال مُطفيًا لفواقع شرار ، ومخفيًا لطوالع سرار ، يرى خير أيامه لا يؤم ندى عرفه ساكب ، وحوله طلبه علم [لا]^(٥) المواكب ، وكانوا في أيام عطلته ، وزمان تعرى منكبه من جلسته^(٦) ، أكثر ممن هو موسوم الأيام ، محل المعاطف بالرتبات^(٧) العظام ، لوفور دخل لا يكاثر ، ولا

(١) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير ، ولد سنة ٢٤٥هـ ، كتب في الدواوين وتقلد كثيراً منها ، وزر للمقتدر ثلاث مرات ، وله مصنفات منها كتاب جامع الدعاء ، وكتاب معاني القرآن وتفسيره ، كان زاهداً عفيفاً حافظاً للقرآن وعالماً بمعانيه ، مات سنة ٣٣٤هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ٢١٦٢ . ابن النديم : الفهرست . / ١٦١ . الصابئ : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . ٢٠٧ / - / ٢١٢ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٤٣ / ١٢٠ - / ١٢٧ . ياقوت : معجم الأدباء . ٤ / ١٨٨ - / ١٩٠ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢١٦ . الذهبي . العبر في خبر من غير . ٣ / ٥٢ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢١ / ٢٤٥ .

(٢) المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، بويغ بعد أخيه المكتفي في سنة ٢٩٥هـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وما ولي أحد قبله أصغر منه ، ضعف نظام الخلافة في عهده ، تولى الخلافة ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة قتل سنة ٣٢٠هـ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . / ٢١٥٦ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٧ / ٢١٣ - / ٢١٩ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٥٣ / - / ١٦٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٥ / ٤٣ . القلقشندي : مآثر الأنفة . ١ / ٢٧٥ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . / ٣٧٨ .

(٣) القاهر بالله محمد بن أحمد أمير المؤمنين القاهر بالله العباسي ، بويغ بالخلافة سنة ٣٢٠هـ عند قتل المقتدر ، وخلعوه في جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ ، وسملت عيناه وحبسوه مدة ، ثم أهملوه وأطلقوه فمات في جمادى الأولى سنة ٣٣٩هـ . . المسعودي : مروج الذهب . ٤ / ٣١٢ / ٣١٤ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١ / ٣٣٩ / ٣٤٠ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ١٦١ / ١٦٢ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٢ / ٢٦ / ٢٧ .

(٤) الله : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) لا : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) حليته : هكذا في النسخة (ك) .

(٧) الربا : هكذا في النسخة (ك) .

يقاس بالسحاب المطر وإن كثر ، قال الفاضل أبو الصفا الصفدي^(١) : كان على الحقيقة غنياً شاكراً ، صدوقاً ديناً ، خيراً صالحاً ، عالماً من خيار الوزراء ، وهو كثير البر والمعروف ، والصلاة والصيام ، ويجالس العلماء ، توفى سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة ، ووزر للمقتدر مرتين ، وكان مستغل ضياعه في السنة سبع مئة ألف دينار ، ويُخرج منها في وجوه البرست مئة ألف دينار ، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته ، وكانت غلته^(٢) عند عطلته ولزوم بيته نيفاً وثمانين ألف دينار ، ينفق على نفسه وخاصته ثلاثين ألف دينار ، ويصرف الباقي في وجوه البر .

قال الصولي^(٣) : لا أعرف أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظ القرآن وعلمه بمعانيه ، وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا أعلم أني خاطبت أحداً أعلم منه بالشعر ، وكان يوقع بيده في جميع ما يحتاج إليه ، ولما عزل في وزارته الثانية وولي ابن الفرات لم يقنع المحسن ابن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد ، فتوجه إلى مكة وأقام بها مهاجراً ، وقال في نكته^(٤) :

ومن يكُ عني سائلاً لشماتةٍ لما نالني أو شامتاً^(٥) غير سائلٍ

(١) الإمام نادرة عصره وأديبه الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، كاتب السر بمدينة حلب ، ثم وكيل بيت المال بدمشق ، سمع من يونس الدبائيس وغيره ، وله تصانيف عدة منها : نكت الهميان في نكت العميان ، والوايف بالوفيات ، وغيرها . توفى سنة ٧٦٤ هـ . الذهبي : من ذيول العبر . ٣٦٤/٦ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٣١١٧/٢ . الكتاني : فهرس الفهارس . ٧١١/٢ .

(٢) عطيته : هكذا في النسخة (ك) .

(٣) محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد المعروف بالصولي ، كان أحد العلماء بفنون الآداب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء ، له التصانيف المشهورة منها كتاب الوزراء ، وكتاب الورقة ، وكتاب أدب الكاتب وغيرها ، كان أوحد عصره في لعب الشطرنج ، توفى سنة ٣٣٥ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤٢٧/٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٥٦/٤ - ٣٦٠/ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٢٦/٥ . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب . ٢٥١/٢ .

(٤) أورد الذهبي هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه سير أعلام النبلاء . ٣٠٠/٢٩٩/١٥ . وكذلك عند الصفدي في كتابه الوايف بالوفيات . ٢٤٦/٢١ .

(٥) سامعا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

فقد أبرزتُ مني الخطوبُ ابن حرة
إذا سرَّ لم يبطرُ وليس لنكبةٍ
صبوراً على أهوالٍ^(١) تلك الزلازلِ
إذ انزلتُ بالخشاع المتضائلِ

ولما حُبسَ كان يلبس ثوبه ، ويتوضأ للصلاة ، ويقوم ليخرج لصلاة الجمعة فيمنعه الموكلون ، فيرفع يده إلى السماء ويقول : اللهم اشهد لي^(٢) أني أريد طاعتك ، ويمنعني هؤلاء .

وأشار [٤٤ ب] على المقتدر أن يقف العقار ببغداد على الحرمين والثغور ، وغلتها ثلاثة عشر ألف دينار في كل شهر ، والضياح الموروثة بالسواد^(٣) ، وغلتها نيفاً وثمانين ألف دينار ، ففعل ذلك ، وأشهد على نفسه ، وأفراد لهذا الوقوف ديواناً وسماه ديوان البر ، وخدم السلطان سبعين سنة ؛ لم يزل فيها نعمة عن أحدٍ ، وأحصي له أيام وزارته نيفاً وثلاثون ألف توقيع من الكلام السديد . ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه ، وكان على خاتمه مكتوب :

لله صنعٌ خفيٌّ في كلِّ أمرٍ يخاف^(٤)

وعزى ولد القاضي أبو الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف^(٥) ، فلما أراد

(١) الأهوال : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

(٢) لي : سقط في النسخة (ك) .

(٣) السواد : رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : سمي بذلك لسواده بالزرور والنخيل والأشجار ، وحد السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً . ياقوت : معجم البلدان . ٢٧٢/٣ . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٧٥١/٧٥٠/٢ .

(٤) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر ٤/١٩٠ . وعند ابن الطقطقي : الفخري . ٢١٦/ . وكذلك عند الصفدي الوافي بالوفيات . ٢٦٤/٢١ .

(٥) أبو الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل الأزدي ، ولي القضاء بمدينة السلام في حياة أبيه نيابةً عنه ، ثم مات أبوه فأقر على القضاء إلى آخر عمره ، كان عالماً بالقرآن واللغة والنحو والشعر والحديث والأخبار والنسب وأكثر ما يتعاطاه الناس من العلوم ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٢٢٩/١١ - ٢٣١/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٢٠١/ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٣٠١/٢ .

الانصراف قال : مصيبة قد وجب أجرها ، خير من نعمة لا يؤدي شكرها.

وكان يجري على خمسة وأربعين ألف إنسان خيرات تكفيهم^(١) .

ومنهم :

(١) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذا الخبر ٤/١٩٠. وكذلك عند الصفي : الوافي بالوفيات. ٢١/٢٦٤.

بنو مقله

وقد صاروا مثلاً يضرب إذا قيل لأحد خطك ماهو مليح ، أو لفظك ماهو فصيح ، قال :
كأنني ابن مقله ، ورأيت لهم كتابة يأخذ بالعين حسنها ، ورأيت منها درجاً بقلم
التوقيعات الكبير على ورق الموز، ما رأيت أحلى من الورقة^(١) موقعاً منها ! ولا أعلق
بالقلوب من حسنها ! جلت القلوب في شفافها ، وأخذت من المحاسن بمجامعها لا
بأطرافها، وهي على الطريقة القديمة، لا تخلو من آثار التوليد من الكوفي في غاية من
تحرير لسطوره والحروف والمناسبة في المقادير والبياضات، ومنها خلص علي بن هلال
لكاتب المعروف بابن البواب^(٢) طريقه، ولخص أقلامه مع مازاد من تهذيب ، وأبدع من
تذهيب ، ثم خالف أوضاعها وسماها .

ولبني مقله مع جودة الخط جودة اللفظ الفائق نثراً ونظماً، الرائق مدام لمائة لمن أثبتته
رشفاً ولتماً .

فمما كتبه أبو علي : إذا كان الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وسبباً إلى
الزيادة، وطريقاً إلى السعادة ، فألسن^(٣) آثارها على الساكن مع الصحب أفصح من
لسانه ، وبيانها عند الجحود أبلغ من بيانه ، والوزير يسع العالم بإحسانه، ويستغرق

(١) في الرؤية: هكذا في النسخة(ك) .

(٢) أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور، يقال له ابن الستري أيضا ؛ لأن أباه كان
بواباً ، والبواب ملازم ستر الباب ، فلهذا نسب إليه ، لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا
قاربه ، وإن كان أبو علي ابن مقله أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة ، وله
بذلك فضيلة السبق ، ولكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها ، وكساها طلاوة وبهجة والكل معترفون لأبي
الحسن بالتفرد ، وعلى منواله ينسجون ، فاق أهل عصره في الخط المنسوب حتى شاع ذكره شرقاً وغرباً .
توفي ٤١٣ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٣٧٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٤٢/٣ . الذهبي : تاريخ
الإسلام . ٣٢٥/٢٨ - ٣٢٩/ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٥٧/٤ .

(٣) قال : هكذا في (ك) .

الشكر بامتتانه ، ويستخدم الدهر عزمه ، ويؤدب الأيام حزمه، وهو- أيده الله -
كعبة الفضل ، وغمامة [٤٥ أ] وبَل، الليالي بأفعاله مشرقة، والأقدار من خوفه
مطرقة، يحمده أولياؤه ، ويشهد له بالفضل أعداؤه، ولا يصل الشك إلى سريرته ، ولا
يرقد عن الحق عين^(١) بصيرته، كالقمر السعد، والأسد الورد .
وفيه يقول^(٢) :

إن سارَ سارَ لواءُ النصرِ يقدُمُهُ أوحلَّ حلَّ بهِ الإقبالُ والكرمُ
يلقى العدا^(٣) بجيوشٍ لا يقاومها كثر العساكرِ إلا أنها هممُ

وقد حكى : أن أبا علي بن مقلة^(٤) قال: من طريف ما اتفق في نكبتي التي أخرجت
منها إلى الوزارة ، أني أصبحت وأنا محبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير
فارس^(٥)، وقد ألحقني من الإياس من الفرج ، وضيق الصدر ما أقنطني، وكاد يغلب
على عقلي، وكان معي رجل آخر في المجلس ؛ إلا أنها^(٦) على سبيل برٍ منه وإكرام ،
فدخل علينا كاتب لياقوت كان يأتينا من جهته، فقال : الأمير يقرئ عليكما
السلام ، ويتعرف أخباركما، ويسأل هل لكما حاجة، فقلت له: أقرئ عليه السلام ،

(١) غير: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أورد ياقوت هذه الأبيات في كتابه معجم البلدان ، وقد نسبها إلى أبو فرج عبد الواحد بن محمد المخزومي
البيغاء يمدح فيها سيف الدولة بعد عودته من أحد غزواته . ٤٩٤/٢ .

(٣) تكرر كلمة العدى مرتين في النسخة (أ) و(م) ؛ وقد حذفت لإخلالها بالمعنى وما أثبتناه من (ك).

(٤) المقصود هنا هو محمد بن علي بن الحسين بن بن مقلة ، سبق الترجمة له . / ٢٩٥ .

(٥) أبو بكر محمد بن ياقوت بن عبد الله الأمير، ولد في بغداد سنة ٢٩٢هـ، كان والده أحد حجاب المقتدر ،
وكان محمد يحجب ابنه الراضي ، وكانت هذه المنزلة في ذلك الوقت تزيد على الوزارة، التحق بخدمة
الراضي، وصارت إليه أمور الجند وتديير الدولة والوزراء بيده ، كان له شعرٌ جيدٌ منسجماً عذبٌ ، توفي في
حبس الراضي في قصر الخلافة سنة ٣٢٣هـ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ / ١١٦٥ . ابن كثير: البداية
والنهاية . ٢٢٩١/٢٢٩٠/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٢٠/٥ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ٨١٩/٨١٨ .

(٦) أنا: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وقل له : قد اشتهيت والله أن^(١) أشرب على غناء طيب، ورأيه في ذلك، فأقبل المحبوس معي يخاصمني ويقول لي : يا هذا ما في قلوبنا فضل والله لهذا ؟ فقلت للكاتب: أبلغ عني ما قلت لك ، فذهب ، ثم جاء وقال : الأمير يقول لك كرامة وغزارة ، أي وقت شئت؟ فقلت : الساعة ، فلم يمض ساعة حتى جاؤوا بالطعام فأكلنا ، ثم أتوا بالمشام ، والفاكهة ، والنبيد والمغني، وصفف المجلس وجلست ، والمحبوس معي مقيدان ، وقلت له: تعال حتى نشرب ونتفائل بأول صوت يغنى به لنا في سرعة الفرج مما نحن فيه، فلعله^(٢) يصح لنا الفأل ، فقال : أما أنا فلا أشرب، فلم أزل أرفق به حتى شرب، وغنت المغنية فكان^(٣) أول صوتٍ غنته^(٤) :

تواعدَ للبينِ الخليلُ لينبتوا وقالوا الراعي^(٥) الذودُ موعدكُ السبتُ
ولكنَّهُم بانوا ولم أدرِ بغتةً وأفضع^(٦) شيءٍ حينَ فاجأكَ البغتُ

فقال لي : ما هذا مما يُتفائل به؟ فقلت : إن هو إلا فآل^(٧) مبارك، ولعلَّ الله - تعالى - أن يمن علينا بالفرج [٤٥ ب] يوم السبت، قال : ثم شربنا يومنا وسكرنا^(٨) وانصرفت المغنية

(١) والله أن : سقط في النسخة (ك) ، وقد استبدلها الناسخ بكلمة عليك .

(٢) فعله : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) فكانت : هكذا في النسخة (ك) .

(٤) أورد الجاحظ هذين البيتين في كتابه البيان والتبيين ، ونسبهما إلى ابن المعتدل مع وجود اختلاف في الشطر

الأول من البيت الثاني كما يلي : ففاجأني بغتا ولم أخش بينهم . / . ٣٦٥ .

(٥) الراعي : سقط في النسخة (ك) .

(٦) وأفصح : هكذا في النسخة (ك) .

(٧) فآل : سقط في النسخة (ك) .

(٨) انتشر في العصر العباسي الثاني الكثير من الأمور المنافية لتعاليم الدين الإسلامي من شرب الخمر

وكثرت المغنيات وغير ذلك من المنكرات ، كما أصبحت المجاهرة بها أمر طبيعي لدى الكثيرين ، ويعود

السبب في نظر الدارس إلى ضعف الخلفاء ، وضعف الولاة الديني لدى الولاة وكبار القياديين في الدولة ،

وقد تسبب ذلك إلى ضعف النظام القضائي، فقد أصبح القاضي عاجزاً عن تطبيق الحد الشرعي على مرتكب

هذه المعاصي والمنكرات ، وبالتالي زاد إنتشارها والمجاهرة بها دون الخوف من العقوبة الرادعة لمن يرتكبها.

ومضيت بقية أيام ذلك الأسبوع ، فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار إلا دون الساعتين ، فإذا بياقوت قد دخل علينا فارتعت^(١) وقيمتُ إليه ، فقال لي : أيها الوزير اللهَ اللهُ في^(٢) ، وأخذ يهنئني بالوزارة ، ولم يكن قد تقدمت عندي مقدمة علم بشيء من ذلك ، فأخرج^(٣) إليّ كتاباً من القاهر يعلمني فيه بتقليدي الوزارة ، ويأمرني بالنظر في أمر فارس ، واستصحب ما يمكنني من المال ، فحمدت اللهَ وشكرته ، وإذا الخادم^(٤) واقف فتقدمت إليه ففكَّ قيدي وقيد الرجل ، وخرجت فجلست فنظرت في الأعمال والأموال ، وجمعت مالاً جزيلاً في أيام يسيرة ، وقررت أمر البلد وسرت وذلك الرجل معي وقد فرَّج الله عني .

وفي^(٥) سنة ستٍ وعشرين وثلاث مئة ، قطعت يد الوزير أبي علي بن مقله ، وكان سببه أنه سعى في القبض على ابن رائق^(٦) ، [وقبضه]^(٧) وأقامه بحكم موضعه ، وعلم^(٨) ابن الرائق بذلك فحبسه الراضي^(٩) لأجل ابن رائق ، وترددت

(١) فلما وقفت: هكذا في النسخة (ك) .

(٢) في: سقط في النسخة (ك) .

(٣) فأخر: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) الحداد: هكذا في النسخة (ك) .

(٥) مات: هكذا في النسخة (ك) .

(٦) محمد بن رائق أبو بكر الأمير ابن الأمير أبي مسلم المعتضدي ، قدم دمشق في ذي الحجة سنة ٢٢٧هـ ، وذكر أن المتقي لله ولاة إمرة دمشق وأخرج عنها بدر بن عبد الله الإخشيدي المعروف ببدير ، وأقام بها أشهراً ، ثم توجه إلى مصر واستخلف على دمشق محمد بن يزيد الشهرزوري ، فلقي محمد بن طنج الإخشيد صاحب مصر ، فهزمه الإخشيد ورجع ابن رائق إلى دمشق ، ثم خرج إلى بغداد واستخلف الشهرزوري وخرج ابن رائق مع المتقي لله لحرب نصر الدولة ، فقتل بالموصل سنة ٣٣٠هـ . المسعودي : مروج الذهب . ٣٥٣/٤ . ابن عساکر : تاريخ دمشق . ١٧/٥٣ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٢٠٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٩٠/٢٨٩/٢٤ . سير أعلام النبلاء . ٣٢٦ / ٣٢٥ / ١٥ .

(٧) وقبضه: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٨) أعلم: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٩) الخليفة الراضي بالله محمد بن جعفر أمير المؤمنين ابن المقتدر بن المعتضد ، يكنى أبا العباس ولد سنة ٢٩٧هـ ، كان سمحاً واسع النفس أديباً شاعراً حسن البيان كريم الأخلاق محباً للعلماء مجالساً لهم ، =

الرسول بين الراضي وبين [ابن] ^(١) رائق ^(٢) ، وآخر الأمر أنهم أخرجوا ابن مقلة وقطعوا يده في منتصف شوال وعولج فبراً ، وعاد يسعى في الوزارة ، وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب ، ثم بلغ ابن رائق سعيه وأنه يدعو عليه ، فقطع لسانه ، وضيق عليه في الحبس ، ولم يكن عنده من يخدمه ومات في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، ودفن بدار الخلافة ، ثم إن أهله سألوا فيه فنبش وسلم إليهم ^(٣) .
ومن العجب أنه ولي الوزارة ثلاث مرات لثلاثة من الخلفاء ؛ المقتدر والقاهر والراضي ، وسافر ثلاث مرات واثنيتين إلى شيراز ^(٤) ، وأخرى في وزارته إلى الموصل ، ودفن بعد موته ثلاث مرات ونبش ^(٥) .

= سمع من البغوي قبل الخلافة ووصله بمال ، بويع له بالخلافة سنة ٣٢٢هـ ، فكان ختم الخلفاء في أمور عدة منها أنه آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة جالس الندماء وأوصلهم ، ومن شعره وقد تكلم الناس في إنفاقه الأموال :

لا تعذلي كرمي على الإسراف	ريح المحامد متجر الأشراف
أجري كأبائي الخلايف سابقا	وأشيد ما قد أسست أسلافي
إني من القوم الذين أكفهم	معتادة الإلتلاف والإخلاف

مرض الخليفة الراضي ، ومات سنة ٣٢٩هـ . المسعودي : مروج الذهب . ٣٢٢/٤ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤٣/١٤٢/٢ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٦٣/ - ١٦٧/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٦/٢٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٢١/٢ - ٢٢٣/ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٣٩٠/ - ٣٩٤/ .

(١) ابن : ساقط في النسخة (أ) و(م) .

(٢) الراضي وبين ابن الراضي: هكذا في النسخة (ك)

(٣) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ١١٦/١١٥/٥ .

(٤) شيراز بلد عظيم مشهور معروف مذکور ، وهو قسبة بلاد فارس في الإقليم الثالث ، وقيل شبّهت بجوف الأسد ؛ لأنه لا يحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ، ويحمل إليها ولذلك سميت شيرز ، وبها جماعة من التابعين مدفونين ، وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مئتان وعشرون فرسخاً . ياقوت : معجم البلدان . ٣٨٠/٣ .

(٥) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ١١٧/٥ .

رئيس الرؤساء أبو القاسم

علي بن [الحسن] ^(١) مسلمة ^(٢)

كان لا يُبارى له قلم ، ولا يجارى له إلى موقف نصرِ علم ، ولا تقعد به همته عن ورود المجرة ، وقعود عليائه على الأسرة ، وإنما غلبت عليه شقوة ^(٣) سابق القدر ، وراشق القضاء الذي لا ينفع معه حذر ، فجر عليه البلاء سخفه ، وجرى عليه حتفه ، وأوقعه في مصيبة ^(٤) ، ترض ^(٥) صخورها عظامه ، ويحل مقدورها نظامه ^(٦) .
وزر للخليفة القائم ^(٧) بعد عميد الرؤساء ^(٨) بسعى ذي السعادات [٤٦ أ] وزير

(١) الحسن: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) الوزير علي بن الحسين بن أحمد بن محمد الوزير أبو القاسم، كان من بيت رئاسة ومكانة، مولده في شعبان سنة ٣٩٩هـ ، استكتبه القائم بأمر الله العباسي ، وكان عزيزاً عليه إلى الغاية ، ثم استوزره سنة ٤٣٧هـ ، ولقبه رئيس الرؤساء شرفاً ورفعةً من قدره ، وكان من خيار الوزراء ، قتله أرسلان البساسيري سنة ٤٥٠هـ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٨٨/ - ١٩٤ / . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٤٥٨/١٤٥٩ . الذهبي : العبر في خبر من غبر . ٢٢٣/٣٠ . الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٥٠/٣٠ / ٢٥١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٠/٢١٥/٢١٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٦٤ / ٥ .

(٣) شقوته: هكذا في النسخة (ك) .

(٤) المصيبة: هكذا في النسخة (ك) .

(٥) ترد: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) مقدمة: هكذا في النسخة (ك) .

(٧) أمير المؤمنين القائم عبد الله بن أحمد بن القادر بالله، ولد في نصف ذي القعدة سنة ٣٩١هـ ، بويح سنة ٤٢٢هـ ، ثم نكب سنة ٤٥٠هـ في كائنة البساسيري، ثم عاد إلى خلافته بعد عام بهمة السلطان طغرلبيك، وأزيلت خطبة خليفة مصر المستنصر بالله من العراق وقتل البساسيري، توفي القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ ، وكان القائم كثيرَ الحلم والحياء فصيحض اللسان أديباً شاعراً ومن شعره:

يا أكرم الأكرمين العفوعن غرق
هانت عليه معاصيه التي عظمت
فامنن عليّ وسامحني وخذ بيدي
يا من له العفو والجنات والنار

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١ / ٤١٧ / ٤١٨ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٨٨ / - ٢٠٠ / .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٣٣٥ / ١٤٠٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٨ / ٣٠٧ .

(٨) الكاتب محمد بن أيوب أبو طالب عميد الرؤساء ، ولد سنة ٣٧٠هـ ، كان أبوه كاتب القادر ، ووزر =

الملك أبي كاليجار^(١)؛ لأنه كان سيء الرأي ، فسعى لهذا الأمر سعيه حتى أبرمه ، وانتمى رئيس الرؤساء إلى السلطان طغرلبيك^(٢) ، ورد في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وأربع مئة إلى الخليفة جواباً عن رسالة الخليفة ، وشكر إنعام الخليفة عليه بالخلع والألقاب ، وأرسل طغرلبيك إلى الخليفة عشرين ألف دينار عيناً ، وأعلقاً^(٣) نفيسة^(٤) من الجواهر، والثياب ، والطيب ، وغير ذلك ،^(٥) وأرسل إلى الحاشية خمسة آلاف دينار ، وألفي دينار لترئيس الرؤساء ، فأنزل الخليفة الرسل^(٦)

= هذا للقائم أيام ولاية عهده، ثم وزر للقادر بعد ابن حاجب النعمان، ثم وزر للقائم بضع عشرة سنة ، كان فاضلاً شجاعاً صنّف كتاباً في الخراج، توفّي سنة ٤٤٨هـ . ياقوت : معجم الأدباء . ٢٧٤/٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٨٧/٣٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤٦/٤٥/١٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٦٨/٢ .

(١) واسمه مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الديلمي البويهى نسبة إلى بويه، ولد بالبصرة سنة ٣٩٩هـ ، وكانت ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياماً ومدة ، ثم ولي على فارس والأهواز خمساً وعشرين سنة ، وكان شجاعاً فاتكاً مشغولاً بالشرب واللهو، مات سنة ٤٤٠هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٤٣٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٦٣١/١٧ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٣٦/٢٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٤٦/٥ .

(٢) محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب طغرلبيك أول ملوك السلجوقية ، راسلهم الإمام القائم بأمر الله يطلب العون منهم في محنته مع البساسيري، فدخل بغداد والعراق في سنة ٤٤٧هـ ، وتمكن من البساسيري، وكان طغرلبيك حليماً كريماً محافظاً على الصلوات ، تزوج ابنة الخليفة القائم ، توفّي طغرلبيك سنة ٤٥٥هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ٤٠٠/٩ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٤٦٥ - / ١٤٦٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦٣/٥ - / ٦٧ . الذهبي : تاريخ الإسلام ٣٧٨/٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٠/٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ز ٧٣/٥ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤١٨/ .

(٣) أعلقاً: العلق هو النفيس من كل شيء . ابن منظور : لسان العرب . ٤٣٩/١ .

(٤) بنفسه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

(٥) وأرسل إلى الخليفة عشرين ألف دينار : كرر الناسخ هذه الجملة في النسخة (ك) ؛ وقد حذفت لإخلالها بالمعنى .

(٦) الرسائل : هكذا في النسخة (ك) .

باب المراتب^(١) ، وأمرهم بإكرامهم .

وكان سبب وحشة البساسيري^(٢) من رئيس الرؤساء أن قريش بن بدران^(٣) ، كان قد سار إلى حلل البساسيري ، وكبس أصحابه ، ونهب أمواله ، وفتح السوق ، وأسرف في هلاك الناس ، ثم إن قريش بن بدران ، بعث صاحبيه أبا الغنائم^(٤) وأبا سعيد [ابني]^(٥) المحلبان إلى الخليفة القائم في رمضان سنة ثلاث وأربعين^(٦) فاستوحش البساسيري ، وأراد أخذهم فلم يمكن منهم ، فبدت الوحشة والبغضاء^(٧) بينهم ، ونسب الأمر كله إلى رئيس الرؤساء ؛ لأن القائم كان لا يخرج عن رأيه ، ولا يورد^(٨) ويصدر

(١) باب المراتب: باب المراتب هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد كان من أجل أبوابها وأشرفها وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر . ياقوت : معجم البلدان . ٣١٢/١ .

(٢) أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد ، خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، قتله عسكر السلطان السلجوقي ببغداد سنة ٤٥١ هـ ، وطيف برأسه في بغداد وصلب قبالة باب النوبي . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٤٦١ . ابن العبراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٨٨/ - /١٩٨ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٩٢/١ . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب . ١٤٩/١٥٠ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٠٢/٣٠٠ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٢١/٨ .

(٣) أبو المعالي قريش بن بدران بن القمليد بن المسيب الأمير العقيلي صاحب الموصل ، تملك بعد موت أبيه في سنة ٣٩١ هـ مع أرسلان البساسيري على نهب دار الخلافة ، ولم يؤاخذ الإمام القائم بأمر الله على ما بدا منه وصفح عنه ، مات بالطاعون بنصيبين سنة ٤٥٣ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٤٥٠ . ابن العبراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ١٩٣/ - /١٩٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٦٧/٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٠ / ٣٤٨ . سير أعلام النبلاء . ١٧ / ٦٣٣ / ٦٣٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٠ / ٢٢١ .

(٤) أبو الغنائم وأخوه أبو سعيد ابنا المحلبان ، من المقربين إلى الخليفة القائم وإلى قريش بن بدران ، وقد حمل أبو الغنائم المقتدي بن الخليفة القائم وأخضاه في حران إبان فتنة البساسيري ، ثم أعاده إلى دار الخلافة سنة ٤٥٢ هـ بعد انقضاء الفتنة ؛ فقربه القائم وأحسن إليه ، وأنزله بدار أعده له باب المراتب . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٤٤٨ / ١٤٦٣ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٩/٣١ .

(٥) ابني: سقط في النسخة (أ) و(م) وكتبت (ابن) في النسخة (ك) ، والصحيح ما أثبتناه .

(٦) يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ أن بداية هذه الوحشة كانت في سنة ٤٤٦ هـ .

(٧) القضاء: هكذا في النسخة (ك) .

(٨) ولايوردبه: هكذا في النسخة (ك) .

إلا به، فرأيت على هذا الأمر ما رأيت^(١) من خلع القائم ، وإقامة الخطبة للمستنصر العبيدي^(٢) حتى آل الأمر إلى خروج القائم من بغداد، واستجارته وتمادى الحال إلى سنة، حتى عاد الأمر لطغرل بك ، ولما دانت الدولة للباساسيري أمسك رئيس الرؤساء^(٣) .
ومنهم :

(١) فرتب على هذا الأمر ما رتب . هكذا في النسخة (ك) .

(٢) صاحب مصر المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر العبيدي المصري، ولي الأمر بعد أبيه وله سبع سنين وذلك في سنة ٤٢٧هـ ، فامتدت أيامه ستين سنة ، وفي وسط دولته خطب له بإمرة المؤمنين على منابر العراق في سنة ٤٥٢هـ ، ودعى له الصليحي في اليمن، توفى سنة ٤٨٧هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . /١٤٥٨/ ١٥٢٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٣٠/٢٢٩/٥ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٥ / ١٨٦ . تاريخ الإسلام . ٢٢٨/٣٣ . ابن تغري بردي : مورد اللطافة . ٢٨٠/١ .

(٣) أورد الطبري هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . / ١٤٤٨ .

فخر الدولة بن جهير^(١)

أفق سماءٍ لا تعد نجومه ، ونوُّ سماحٍ لا يرد سجومه ، تآلفت أقمار بنيه ، وأشرفت
مفاخرُ بيته لمبتتية ، وطلعت بنوره^(٢) بدور أندية ، وصدور مواكب وألوية^(٣) ، دنت له
سحب الخلافة ثم أقلعت ، وأعنتها إليهم منصرفة ، وأسنتها لديه معترفة ، وشرف بصهر
ما وطدت الممالك [إلا بقلمه]^(٤) ، ولا وطئت المسالك إلا لقدمه ، فكان لا يحوز زنده
إلاوقد ، ولا يحفو حده إلاوقد^(٥) ، حتى آلت به الوزارة إلى الملك ، وآتت تجري بسعادته
الفلك ، وكان رجل دهرٍ لا يقلقل له رجل ، ولا يقل له ساقاً^(٦) على قدم إلا والهلال
خجل ، بعزائم لا تهن^(٧) ، وعظائم لا تشبه .

(١) محمد بن محمد بن جهير الوزير أبو نصر فخر الدولة ووزير ميارفارقين ، ولد سنة ٣٩٨ هـ ، كان من رجال العالم حزماً ودهاءً ورأياً ، سعى في طلب الوزارة إلى أن قدم بغداد وتوصل إلى أن ولي وزارة أمير المؤمنين القائم بأمر الله في سنة ٤٥٤ هـ ، ودامت دولته مدة ، ولما بويع المقتدي بالله أقره على الوزارة عامين ، ثم عزله في حدود سنة ٤٧٠ هـ ، ثم استدعاه السلطان ملكشاه فعقد له على ديار بكر ، ثم فتح أبو فخر الدولة ميارفارقين بعد أشهر ، وكان رئيساً جليلاً مدحه الشعراء ، عاش نيفاً وثمانين سنة ، توفى بالموصل سنة ٤٨٣ هـ ، وكان قد قدمها متولياً من جهة ملكشاه : ابن الأثير . الكامل في التاريخ . ١٥٠٨ / . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٢٨ / ١٢٧ / ٥ . ابن الطقطقي : الفخري . ٢٣٦ / ٢٣٥ / . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١١٩ / ١١٨ / ٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١١ / ١ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٥٢٣ / ٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٣٠ / ٥ .

(٢) بره: هكذا في النسخة (ك) .

(٣) إليه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) إلا بقلمه: سقط في النسخة (أ) (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) وقد: أي ضرب المثخن . ابن منظور . لسان العرب . ٤٧٢ / ٦ .

(٦) مساقا: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) تهنه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وزر للقائم ، ثم عزل ثم أعيد في سنة إحدى وستين وأربع مئة ، ولما عاد مدحه صردر^(١)
[٤٦ ب] وبقوله^(٢) :

"قد رجع الحق إلى نصابه"^(٣) القصيدة المعروفة .

وتزوج ابن جهير بنت نظام الملك^(٤) بالرى وعاد إلى بغداد ، وكان هذا
سبب عودته إلى الوزارة حتى قال القائل^(٥) :

قل للوزير لا تفرعك^(٦) هيبته وإن تعاضم واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

(١) صرد: هكذا في النسخة (أ) و(م)، وكتبت في (ك) "صودر" والصحيح ما أثبتناه .

(٢) الرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل ، الكاتب المعروف بصردر الشاعر المشهور ، أحد
نجباء شعراء عصره جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، كان يلقب أبوه بصربع لشحه ، فلما نبغ ولده
المذكور وأجاد في الشعر قيل له صردر، توفي سنة ٤٦٥ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٨٦/٣٨٥/٣ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٣٠٣/١٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٨٧/٢٠ . ابن العماد : شذرات
الذهب . ٣٢٢/٣ .

(٣) وهذا مطلع قصيدة صردر:

قد رجع الحق إلى نصابه وأنت من دون الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته يدٌ ثم أعادته إلى قرابه

أورد ابن الأثير هذين البيتين في كتابه الكامل في التاريخ . ١٤٧٦/١٤٧٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان .

١٣٠/٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١٣/١ .

(٤) الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الوزير أبو علي الطوسي ، ولد سنة ٤٠٨ هـ ، وزير للسلطان ألب
أرسلان ، وكان يدبر أمره ، وجرى على يديه من الرسوم المستحسنة ونفي الظلم ، ثم وزر بعده ملكشاه بن ألب
أرسلان ، كان مجلسه عامراً بالفقها والقراء ، أمر ببناء المدارس في الأمصار ، ورغب في العلم ، وهو أول من
بنى المدارس في الإسلام ؛ بنى نظامية بغداد ونظامية نيسابور ونظامية طوس ونظامية أصبهان ، توفي مقتولاً سنة
٤٨٥ هـ . السمعي : الأنساب . ٥٩٩/٥ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥١٤/١٥١٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان
١٨٣/١٨٢/٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٤٣/١٤٢/٣٣ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٧/١٢ .

(٥) أورد ابن خلكان هذين البيتين في كتابه وفيات الأعيان ، وهي من شعر الهبارية قالها في عميد الدولة ولد فخر
الدولة ، ولم يقلها في فخر الدولة بن جهير . ١٣٢/٥ . وعند الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١٣/١ .

(٦) لاتفرعن: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

ثم علت مكانته عند القائم ، واعتمد عليه ، وأسربواطنه إليه ، وقرب أقرباءه ، وبعث ولده عميد الدولة ابن جهير^(١) بالخلع إلى السلطان أرسلان^(٢) ، وإلى ولده ملكشاه^(٣) ، وكان السلطان قد طلب من الخليفة أن يجعل ولده ملكشاه وليّ عهده ، فأذن له وسيرت له الخلع مع عميد الدولة ، وأمر بأن يخطب سفري^(٤) خاتون^(٥) ابنة السلطان ألب أرسلان

(١) أبو منصور محمد بن الوزير الكبير فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير، وزر في أيام والده ، وخدم ثلاثة خلفاء ، وأوصى به القائم حفيده المقتدي وأتى عليه ، ثم وزر سنة ٤٧٢هـ واستقل خمس سنين ، وعزل بأبي شجاع ، ثم عزل أبو شجاع سنة ٤٨٤هـ ، واستوزر عميد الدولة ، فدام تسعة أعوام ولكن كانت وزارة الخلفاء هذا الزمان دون رتبة وزارة السلطان؛ فكان نظام الملك أعلى رتبة منه ، وكان عميد الدولة خبيراً سائساً شجاعاً شهماً تياهاً ، وكان بكبره يضرب المثل ، حبسه المستظهر وصادره وزير السلطنة ، ثم أخرج ميئاً في شوال سنة ٤٩٣هـ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١١٥٣٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٣٣ / ١٣١ / ٥ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢٣٨ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١ / ١٧٥ / ١٧٦ . تاريخ الإسلام . ١٦٦ / ٣٤ - ١٦٩ / الصفيدي : السويف بالوفيات . ٢١٠ / ٢٠٩ / ١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٤٠٠ / ٣ .

(٢) السلطان ألب أرسلان عضد الدولة أبو شجاع محمد الملقب بالملك العادل ثاني ملوك بني سلجوق ، تولى السلطنة في سنة ٤٥٧هـ ، وكان ملكاً مطاعاً شجاعاً ، مات وهو أجل ملوك بني سلجوق وأعد لهم في الرعية ، مات ألب أرسلان قتلاً سنة ٤٦٥هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٤٨٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٧٠ / ٦٩ / ٥ . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . ١٩٧١ / ٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٦٠ / ٣١ - ١٦٣ / ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٥٠١ / ٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٩٢ / ٥ .

(٣) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة ، ولد سنة ٤٤٧هـ ، ولي الأمر من بعده وفاة والده = وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة ، وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء المتقدمين ، وكان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل ، توفي سنة ٤٨٥هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥١٥ / ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٨٣ / ٥ - ٢٨٨ / أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء . ١٧ / ١٦ / ١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٣٤ / ٥ .

(٤) سفر: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) سفري خاتون: لم أعثر لها على ترجمة .

لولي العهد المقتدي^(١) ، فلما حضرت بحضرة السلطان خطبها فأجيب ،
وعقد النكاح بظاهر نيسابور^(٢) ، وكان عميد الدولة الوكيل في قبول
النكاح للمقتدي ، ونظام الملك الوكيل في العقد قبل السلطان ، ونشرت الجواهر
والذهب ، ثم عاد عميد الدولة من عند السلطان إلى عند ولده ملكشاه ، وهو ببلاد
فارس فلقية بأصبهان ، فأفاض عليه الخلع فلبسها ، وسار بها إلى أبيه ، ثم أتى عميد
الدولة بغداد ، وكان ذلك كله في سنة أربع وستين وأربع مئة^(٣) .

ولما بويع المقتدي قام فخر الدولة بأخذ البيعة له في جماعة كانوا معه ، فأقر فخر
الدولة على الوزارة ، وسير ابنه عميد الدولة إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة له ،
وأرسل معه من خالص ماله من أنواع الهدايا والتحف ما يجلب عن وصفه ، ولما توفيت ابنة
نظام الملك زوجة فخر الدولة دفنت بدار الخلافة إكراماً لابنها وزوجها ، وجلس للعزاء
لها ثلاثة أيام^(٤) .

ودام على وزارته وأمور الخلافة تمضي بإشارته حتى قدم أبو نصر بن
القشيري^(٥) بغداد سنة إحدى وسبعين ، وذكر مذهب الأشعري فقامت عليه

(١) أبو القاسم المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، مات أبوه في حياة القائم وهو حمل فولد
بعد وفاة أبيه بستة أشهر ، بويع له بالخلافة سنة ٤٦٧هـ عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي
سنة ٤٦٨هـ ، خطب للمقتدي بدمشق ، وأبطل الأذان بحي على خير العمل وفرح الناس بذلك ، وفي سنة ٤٧٩هـ
قطعت الخطبة في الحرمين للبيدي وخطب للمقتدي ، وكان ديناً خيراً قوياً النفس ، توفي سنة ٤٨٧هـ . ابن
العمري : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٢٠١/ - ٢٠٥/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٢٠/ ١٥٢١ . أبو الفداء :
تاريخ أبي الفداء . ٣/٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢١٠/٣٣ - ٢١٢/ . سير أعلام النبلاء . ٣١٨/١٨ . الكتبي :
فوات الوفيات . ٥٧٠/١ . اليافعي : مرآة الجنان . ١٤١/١٤٠/٣ .

(٢) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ومنبع العلماء ، بينها وبين الري مئة وستون
فرسخاً ، ومنها إلى سرخس أربعون فرسخاً ، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .
ياقوت : معجم البلدان . ٣٣١/٥ .

(٣) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر في أحداث سنة ٤٦٤هـ . ١٤٧٦/ .

(٤) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر في أحداث سنة ٤٧٠هـ . ١٤٨٩/ .

(٥) عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن أبو نصر القشيري النيسابوري ، ربّاه والده واعتنى به =

الحنابلة ، وظهرت دفائن الأحن ، وقامت الفتن ونسب أصحاب نظام الملك هذا إلى الوزير بن جهير لميله إلى الحنابلة ؛ فكتب [٤٧ أ] أبو الحسن الواسطي الفقيه الشافعي^(١) إلى نظام الملك^(٢) :

يانظامَ الملكِ قدخلُ
وابنكَ القاطنُ فيها
وبها أودى له قت
والذي منهم تبقي
ياقوامَ الدينِ لم يب
عظمَ الخطبُ فللحر
فمتى لم يحسمِ الدا
ويكفَّ القومُ
[فعلى مدرسةٍ في
واعتصامُ بحريم

ببغدادَ النظامَ
مستهانُ^(٣) مُستَظامُ
لى غلامٍ وغلامُ
سالمًا فيه سهامُ
قَ ببغدادَ مقامُ
بِ اتصالُ ودوامُ
ءُ أياديك الحسامُ
ببغداد قتل وانتقامُ
ها ومن فيها السلامُ
لكَ بعدُ حرامُ^(٤)

= حتى برع في النظم والنثر واستوفى الحظ الأوفى من علم التفسير والتأليف فيه والأصول ، ثم لازم إمام الحرمين حتى أحكم عليه المذهب والخلاف والأصول ، وسمع الحديث من أبيه وأبي عثمان الصابوني وغيرهم ، كان يدرس ويعظ ويروي الحديث إلى أن توفى سنة ٥١٤هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦١٨/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٠٠/١٨ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٠٥٩/٢ . السيوطي : طبقات المفسرين . ٦٥/ .

(١) أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر المعروف بابن أبي الصقر الواسطي ، ولد سنة ٤٠٩ هـ ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي - رحمه الله تعالى - ، لكنه غلب عليه الأدب والشعر ، وكان كاملاً في البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر ، وتوفي بواسط سنة ٤٩٨ هـ . ياقوت : معجم الأدباء . ٣٧٩/٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٥٠/٤ - ٤٥٢/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٢٣٨/١٩ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٠٥/٤ . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى . ١٩٢/١٩١/٤ .

(٢) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر وهذه الأبيات . ١٤٨٩/ .

(٣) مستلان : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

فلما سمع نظام الملك ما جرى وقصد مدرسته ، والقتل بجوارها مع كون ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه ، فبعث رسالة إلى المقتدي يتضمن الشكوى من بني جهير، ويسأل عزل فخرالدولة وأمر كوهرائين^(١) الشحنة بأخذ أصحاب بن جهير وإيقاع المكروه بهم ، فأتى الخبر بني جهير ، فسار عميد الدولة إلى العسكر لاستعطاف نظام الملك ، وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفاً من لقاء كوهرائين ، وأتى كوهرائين بغداد واجتمع بالمقتدي ، وأبلغه رسالة نظام الملك، فأمر ابن جهير بلزوم بيته ، ووصل عميد الدولة والعسكر السلطاني، ولم يزل نظام الملك يستصلح حتى عاد إلى ما أُلْفُهُ منه وزوجه بابنة بنت له ، وعاد إلى بغداد على أن الخليفة يرد أباه إلى الوزارة فلم يرد ، واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين^(٢) ، ثم إن نظام الملك أرسل الخليفة في إعادة ابن^(٣) جهير ، وشفع إليه فيهم فاستوزر عميد الدولة، وأذن لأبيه فخرالدولة^(٤) في فتح بابه ، والتصرف في نفسه وذلك سنة اثنين وسبعين^(٥) ، ثم عزل في سنة خمس وسبعين ، وتوجه بأهله كلهم إلى نظام الملك ؛ لطلب منه^(٦) لهم فأكرمهم ، وفوض السلطان إلى فخرالدولة

(١) سعد الدولة كوهرائين ، كان خادماً تركياً للملك أبي كليجار ابن سلطان الدولة بن بوية ، ثم التحق بخدمة ملكشاه ، كان حليماً كريماً حسن السيرة صاحب صلاة وتهجد وصيام ومعروف ، قتل سنة ٤٩٣هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٨٣/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٣/٣٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٥٢/٥ .

(٢) أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم ظهير الدين الروذراوري ، من وزراء المقتدي بأمر الله العباسي ، ولد سنة ٤٣٧هـ ، ولي الوزارة بعد عزل عميد الدولة ابن جهير سنة ٤٧٦هـ ، وعزل عنها سنة ٤٨٤هـ ، كان رجلاً فاضلاً أديباً له شعر وله تصانيف ؛ منها ذيل تجارب الإمام ، توفي سنة ٤٨٨هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٢٦/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٣٥/١٣٤/٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام / ٢٦٢/ ٢٦٣/ . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى . ١٣٦/٤ - ١٤٠/ . حاجي خليفة : هدية العارفين . ٧٧/٦ .

(٣) بني : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) فخر الدين : هكذا في جميع النسخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٥) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر . ١٤٨٩/ .

(٦) منهم : هكذا في النسخة (ك) .

ديار بكر^(١) ، وخلق عليه وأعطاه الكوسات^(٢) ، وسير معه العساكر ، وأمره بأن يأخذها من بني مروان ، ويخطب بها لنفسه^(٣) ، ثم إن السلطان أمدّه بولده عميد الدولة ، وبعث معه قسيم الدولة أقسنقر^(٤) جد نور الدين^(٥) فأخذوا الموصل وغيرها ، وانقرضت دولة بني مروان ، وكان عسكره قد أوقعوا بحلّل العرب نحو آمد^(٦) حتى أفتك سيف الدولة صدقة^(٧) نسائهم وأولادهم ، وأسدى مكرمةً شريفةً مدح بها ، ومما

(١) ديار بكر: ديار بكر هي بلاد كبيرة واسعة تتسب إلى بكر بن وائل بن أسد بن ربيعة ، وحدّها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني، وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل، ياقوت : معجم البلدان ٤٩٤/٢ . ابن عبد الحق : مرصد الاطلاع . ٥٤٧/٢ .

(٢) الكوسات: وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . القلقشندي : صبح الأعشى . ٨ / ٤ .

(٣) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر . / ١٤٩٤ .

(٤) أقسنقر قسيم الدولة أبو الفتح مملوك السلطان ملكشاه الحاجب، قيل هو لصيق وقيل اسم أبيه إكّ ترغان، تولى نيابة حلب لقسيم الدولة سنة ٤٧٩هـ ، فأحسن فيها السياسة ، وأقام الهيئة وعمّر منارة حلب ، قتله تتش صاحب دمشق بعد أن وقع في الأسر سنة ٤٨٧هـ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٥٢١/١٤٩٩ . الذهبي : العبر في خبر من غير . ٣١٨/٣١٧/٣ . تاريخ الإسلام . ٢٠٢/٢٠١/٣٣ . سير أعلام النبلاء . ١٣٠/١٢٩/١٩ . الصفدي . ١٨٢/١٨١/٩ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣٨٠/٣ .

(٥) الملك العادل نور الدين محمود ، أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر الملقب بالشهيد ، ولد ٥١١هـ قتل أبوه سنة ٥٤١هـ فصار الحكم في حلب إليه ، ثم استولى على بلاد الشام ، وافتتح من بلاد الروم عدة حصون ، وكان ملكاً عادلاً زاهداً ، بنى المدارس والمساجد ، كانت وفاته سنة ٥٦٩هـ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ . / ١٧٥٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٦٤/٥ - ١٨٨/ . اليافعي : مرآة الجنان . ٣٨٧/٣٨٦/٣ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢ / ٢٦٢٥/٢٦٢٦ .

(٦) آمد: بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال ، وفي وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين يُتناول ماؤها باليد ، فتحت سنة عشرين من الهجرة على يد عياض بن غنم . ياقوت : معجم البلدان . ٥٦/١ .

(٧) الملك سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة منصور بن ملك العرب دبيس ، كان ذا بأس وإقدام ، اختط مدينة الحلة في سنة ٤٩٥هـ وسكنها الشيعة ، نافر السلطان محمد بن ملكشاه وحاربه ، فالتقى الجمعان عند =

قاله السننسي^(١) :

كما أحرزت شكرَ بني عقيل
غداة رمتهم الأتراكُ طراً
فما جَبُّوا ولكن فاضَ بحرٌ
فحين تنازلوا تحت المنايا
مننتَ عليهم وفككتَ عنهم
ولولا أنتَ لم ينفكَّ منهم
بآمدحين كظهم الحذارُ [٤٧ ب]
بشهب في حوافرِها أزورارُ
عظيمٌ تقاومه البحارُ
وفيهنَّ الرزيةُ والدمارُ
وفي أثناءِ حبلهم انتشارُ
أسيرٍ حينَ أعقله الأسارُ^(٢)

ولد بالموصل سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة ، وتوفي بها سنة ثلاث وثمانين وأربع مئة^(٣) .

ومنهم :

= النعمانية فقتل صدقة في المصاف سنة ٥٠١ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٧٧/١٥٧٦ . اللباب في تهذيب الأنساب . ٢٨٩/٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٢٦٤/١٩ . اليافعي : مرآة الجنان . ١٦٩/٣ .

(١) محمد بن خليفة بن حسين أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسننسي ، اسم أمه سنيسة ، أصله من هيت أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ، وكان شاعره وشاعر ولده دبيس ، لكن لم يحسن له دبيس فتركه ، وقدم بغداد ومدح الوزير أبا علي بن صدقة فأجزل عطاءه ، وأقام ببغداد ، توفي سنة ٥١٥ هـ .

الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٩٣/٣٥ . الكتبي : فوات الوفيات . ٣٣٢/٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٤٠/٣ .

(٢) أورد ابن الأثير هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه الكامل في التاريخ . ١٤٩٥/ .

(٣) المقصود به هنا فخر الدولة ابن جهير .

أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ظهير الدين الروذاروري

قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق^(١) ، وتأدّب ووزر للمقتدي بعد عميد الدولة ابن جهير، وأخمل ذكره الشهير ، وخطا البرق على أثره ، وسرى والجوزاء أقرط في لجامه أو عذره، أقام^(٢) في الوزارة سنتين ، ثم عزل عنها وأنشد لما عزل^(٣) :

تولّاهَا وليسَ له عدوٌّ وفارقَهَا وليسَ له صديقُ

وكان أمره مع الناس بخلاف ما ظن .

حكى ابن خلكان: أنه خرج بعد عزله ماشياً يوم الجمعة إلى الجامع من داره، فانهالت عليه العامة تصافحه وتدعو له ، وكان ذلك سبباً لإلزامه بالقعود في داره ، ثم أخرج إلى روذارور^(٤) فأقام مدةً ، ثم خرج حاجاً فخرجت العرب على الركب الذي هو

(١) إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله أبو إسحاق الشيرازي ، صاحب المذهب والتبويه الفيروز آبادي منسوب إلى فيروز آباد ، ولد سنة ٣٩٣هـ ، وتفقه بفارس على أبي الفرج ابن البيضاوي ، وبالبحر على الجوزي ، ثم دخل بغداد سنة ٤١٥هـ ، كان عاملاً بعلمه صابراً على خشونة العيش مُعظماً للعلم ، يضرب به المثل في الفصاحة ، ونقل عنه - رحمه الله - أنه قال : بدأت في تصنيف المذهب سنة ٤٥٥هـ ، وفرغت منه آخر رجب سنة ٤٦٩ هـ ، توفى ببغداد سنة ٤٧٣هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٤٩١/ . النووي . تهذيب الأسماء ٤٦٥/٢ - ٤٤٧/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٨/١ - ٣١/ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٤٥٢/١٨ - ٤٦٤/ . تاريخ الإسلام . ١٤٩/٣٢ - ١٦٣/ .

(٢) أيام: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر وهذا البيت . ١٥٠٩/ .

(٤) روذارور: بضم أوله وسكون ثانيه وذال معجمة وراء وبعد الواو المفتوحة راء أخرى، كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال ، وهي مسيرة ثلاثة فراسخ فيها ثلاثٌ وتسعون قريةً متصلةً بجنانٍ ملتفةٍ وأنهارٍ مطرّدةٍ منبتها الزعفران ، وفي أشجارها جميع أنواع الفواكه . ياقوت : معجم البلدان . ٧٨/٣ .

فيه بقرب الريدة^(١)، فلم يسلم من الرفقة [سواه]^(٢)، فحج وجاور بالمدينة الشريفة حتى مات ، ودفن عند القبة التي فيها إبراهيم عليه السلام^(٣) .

وكان سبب عزله أنه كان ينتقص بالسلطان وبنظام الملك ويتكلم فيهما ، ولما جاءت البشرية بأن السلطان فتح سمرقند^(٤) قال : أيُّ بشرى هذه !؟ كأنه فتح بلاد الروم، أو قاتل كفار الهنود ؛ جاء إلى قومٍ مسلمين ، استباح نساءهم وأموالهم، وأخذ ملكهم وديارهم ، فأرسل إلى الخليفة في عزله فعزله^(٥) .

قال العماد الكاتب^(٦) : ولما كان عصره أحسن العصور ، وزمانه أقصر الأزمان ، ولم يكن في [٤٨ أ] الوزراء من يحفظ أمر الدين ، وقانون الشريعة مثله ، صعباً شديداً في أمور الشرع ، سهلاً ليناً في أمور الدنيا ، لا تأخذه في الله لومة لائم^(٧) .

(١) الريدة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه -، وكانت من أحسن منزل في طريق مكة . ياقوت : معجم البلدان . ٢٤ / ٣ .

(٢) سواه : سقط و ما أثبتناه من ابن خلكان . ١٣٥/٥ .

(٣) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ١٣٥ / ٥ .

(٤) سمرقند : هو قسبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفع عليه ، فيها بساتين ومزارع ، ولها اثنا عشر باباً ، من الباب إلى الباب فرسخ ، وعلى أعلى السور آراج وأبرجة للحرب ، والأبواب الاثنا عشر من حديد وبين كل بابين منزل للنواب ، وفيه أبنية وأسواق وفيها المسجد . ياقوت . معجم البلدان : معجم البلدان . ٢٤٧/٢٤٦/٣ .

(٥) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر . ١٥٠٩/ .

(٦) الوزير العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني، ويعرف بابن أخي العزيز، ولد سنة ٥١٩هـ بأصبهان، وتفقه ببغداد في مذهب الشافعي، قدم دمشق بعد سنة ٥٦٠هـ، وخدم في ديوان الإنشاء، فبهر الدولة ببديع نثره ونظمه وشعره، وترقى إلى أعلى المراتب، ثم عظمت رتبته، صنف التصانيف الأدبية، ومن مصنفاته خريدة القصر وجريدة العصر وغيرها، توفي سنة ٥٩٧هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٥٢/١٤٧/٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١١٩/١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣٣٣/ ٣٣٢/٤ .

(٧) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ١٣٥/٥ .

ثم قال : ذكر ابن الهمداني ^(١) في الذيل فقال ^(٢) : كانت أيامه أوفى ^(٣) الأيام سعادةً للدولتين ، وأعظمها بركةً على الرعية ، وأعمها أمنًا ، وأشملها ^(٤) رخصًا وأكملها ، ولم يعادلها سرور ^(٥) ، ولم يغادرها بؤس ، ولم تشبها مخافة ، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الأيام ، وكان أحسن الناس خطأ ^(٦) .

قال ابن السمعاني ^(٧) : وكان يرجع إلى فضل كامل ، وعقل وافر ، ورزانةٍ ورأيٍ صائبٍ ، وكان له شعر رقيق مطبوع ، وقال : سمعت من أثق به أن الوزير أبا ^(٨) شجاع وقت أوان ارتحاله من الدنيا ، حمل إلى مسجد رسول الله - صلى

(١) محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني المقدسي أبو الحسن بن الشيخ أبي الفضل ، ولد سنة ٤٦٣ هـ وسمع أبا الحسين بن النقوم وطراد الزينبي وغيرهما ، وله تصانيف كثيرة ؛ قال ابن النجار : به ختم فن التاريخ وله الذيل على تاريخ ابن جرير ، والذيل على الذيل الذي عمله الوزير أبو شجاع لتاريخ ابن مسكويه وغيره . توفي سنة ٥٢١ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٦٣٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٠ / ٣٧٨ . العبر في خبر من غير . ٣ / ٢٣٨ . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ١٣ / ١٤ .

(٢) فقلت : هكذا في النسخة (ك) .

(٣) في : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتته من (ك) .

(٤) اسلمنا : هكذا في النسخة (ك) .

(٥) لم يعادلها سرورًا : سقط في (ك) .

(٦) أورد ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان هذا الخبر ٥ / ١٣٥ / ١٣٦ .

(٧) عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد أبو سعد التميمي المروزي السمعاني الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٥٠٦ هـ بمرور ، وحمله ولده الإمام أبو بكر إلى نيسابور سنة ٥٠٩ هـ ، وأحضره وسمع على عدد من العلماء ، رحل إلى بغداد وذيل تاريخ بغداد ، عاد إلى وطنه بمرور سنة ٥٣٨ هـ ، وأقام مشغلاً بالجمع والتصنيف والتحديث والتدريس بالمدرسة العميدية ، إلى أن توفي سنة ٥٦٢ هـ . ابن عساكر : تاريخ دمشق . ٣٦ / ٤٤٧ - ٤٤٩ . البغدادي : التقييد . / ٣٦٧ / ٣٦٨ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٧٣٧ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٩ / ١١٨ - ٢١٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٩ / ٦٠ - ٦٣ . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى . ٧ / ١٨٠ - ١٨٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٥ / ٣٧٨ .

(٨) ابن : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتته من (ك) .

اللَّهُ عليه وسلم - فوقف عند الحظيرة وبكى ، وقال: يا رسول الله ، قال الله تعالى :- ﴿

﴿^(١) ، ولقد جئتكم معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتكم ، وبكى ورجع وتوفي من يومه^(٢) .

ومن شعره قوله^(٣) :

لأعذبنَّ العينَ غيرَ مراقبٍ فيها بكتُ بالدمعِ أو فاضتُ دماً
ولأهجرنَّ منَ الرُّقادِ لذيدهُ حتى يعودَ على الجفونِ محرماً
هيَ أوقفتني في حبالِ فتنةٍ لو لم تكن^(٥) نظرتُ لكنتُ مسلماً
سفكتُ دمي فلاسُفكنَّ دموعها وهي التي بدأتُ فكأنتُ أظلماً

ومنه قوله^(٦) :

أيذهبُ جُلُّ العمرِ بيني وبينكم بغيرِ لقاءٍ إنَّ ذا لشديدُ
فإنَّ يسمحَ الدهرُ الخؤونُ بوصولكم على فاقتي إنِّي إذا لسعيدُ

وله تصانيفُ منها : ذيل تجارب الأمم .

﴿ (١)

﴿ سورة النساء آية ٦٤ .

(٢) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ / ١٥٢٦ . وعند ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان . ١٣٦/٥ .

(٣) أورد ابن خلكان هذه الأبيات في كتابه وفيات الأعيان مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الثالث كما يلي : هي أوقعتني في حبال فتنة . ١٣٦/٥ .

(٤) في: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) تكن : سقط في (ك) .

(٦) أورد ابن خلكان هذه الأبيات في كتابه وفيات الأعيان . ١٣٧/٥ .

عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير^(١)

رجل^(٢) لو لم يَجُنْ عليه لسانه ، وَيَهِنُ بقبيح إساءته إحصانه ، لما جاذبته السعادة عنائها ، ولا جاوزته عيائها ، ولو لم يكن نوادر كلامه بوادركلامه ، ولا أخذ بفلتات [٤٨ ب] اللسان الطائحة ، وصفحات البغضاء اللائحة ، حتى لقم حر الأوار^(٣) ، ولفح^(٤) إلى دار البوار .

وزر للمقتدي بعد عزل أبي شجاع ، وكان السلطان ونظام الملك يكرهان^(٥) أباشجاع؛ لما تقدم ذكره في ترجمته ، ولما عزل أبو شجاع استتاب المقتدي أبا سعيد بن موصليا^(٦) كاتب الإنشاء في الوزارة ، وطلب عميد الدولة ليؤازره ، فسير إليه وركب إليه نظام الملك وهنأه بالعود إلى الوزارة ، وأكثر الشعراء تهنئته ، فأخذ في العمارة ،

(١) في النسخة (أ) و(م) سبق اسم الوزير كلمة ، قال عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير وقد يكن ذلك سهواً من قبل الناسخ ؛ وقد حذفت لإخلالها بالمعنى .

(٢) رجل: سقط في النسخة (ك) .

(٣) الأوار: شدة حر الشمس ، ولفح النار ووهجها ، والعطش . ابن منظور . لسان العرب . ١٣٢/١ .

(٤) نفع: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

(٥) بذكرهان : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

(٦) أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلاني من أهل كرخ بغداد ، كان أحد الكتاب المجودين ومن يضرب به المثل ببغداد في الفصاحة وحسن الكتابة ، وكان نصرانياً فأسلم في زمان الوزير أبي شجاع وحسن إسلامه ، وولي النيابة عن الوزير بالكرخ ، وأُضِرَّ في آخر عمره ، ورسائله وأشعاره مدونة ومنها :

أحن إلى روض التصابي وأرتاح	وأمتح من حوض التصافي وأمتاح
وأشتاقُ ريما كلما رمت صيده	يصد يدي عنه سيوف وأرماح
غزالٌ إذا ما لاح أوفاح نشره	تعذب أرواح وتعذب أرواح

وتوفي - تقديرًا - في حدود سنة ٤٩٠هـ . السمعاني : الأنساب . ٤٠٨/٥ . ابن الأثير : الكامل في

التاريخ / ١٥٠٩ . اللباب في تهذيب الأنساب . ٢٧٠/٣ .

وتثمير البلاد ، وتوطين الرعايا ، وبنى سور الحرير^(١) ، وأمر فزينة بغداد لفراغه . وكان عاقلاً حليماً كريماً؛ إلا أنه كان عظيم الكبريكاد يعد كلامه [عداً]^(٢) ، وكان إذا كلم إنساناً كلاماً هنأ ذلك الرجل بكلامه ، إلا أنه كان يهب الألف عيناً من الذهب، والخيل المسومة ، والأقمشه^(٣) الثمينة حتى ذهب الكرم بماله كله ، ولم يزل على جاهه ووجاهته، وانتشاء ظرفه ونباهته حتى عادى الدولة السلجوقية^(٤) فعمل عليه ، ورمى بسهامها فما أخطأت لبتة ونحره ، فعزل في سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة^(٥) ، وقبض عليه وعلى إخوته ، وأخذ عليه خمسة وعشرون ألف دينار ، ولم يزل محبوساً بدار الخلافة إلى أن توفي في سادس عشر شوال منها، ومولده سنة خمس وثلاثين وأربع مئة^(٦) .
ومنهم :

(١) سور الحرير : سقط في النسخة (ك) .

والحرير : أصله من حرير البئر وغيرها، وهو ما حولها من حقوقها ومرافقها ؛ وبذلك سمي حرير دار الخلافة ببغداد ، ويكون بمقدار ثلث بغداد وهو في وسطها، ودور العامة محيطة به، وله سور يتحيز به ابتداءه من دجلة وانتهاءه إلى دجلة كهيئة نصف دائرة، وله عدة أبواب وأولها من جهة الغرب ، وجميع ما يشتمل عليه هذا السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر يسمى الحرير . ياقوت : معجم البلدان . ٢٥١/ ٢٥٠/٢ .

(٢) عدأً : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) الأقسمة : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) السلاجقة أصلهم من أعمال بخارى ، وهم أهل عمودتسب دولتهم إلى سلجوق بن دقاق الذي ظهرت عليه إمارات النجابه ، فقريه ملك الترك وقدمه ، ولقبه سباشي ، ومعناها الجيش ، وأول ملوكهم طغرليك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق . ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٤١٤ . الذهبي : العبر في خبر من غير . ٢٣٧/٣ . ٢٣٨/٣ . تاريخ الإسلام . ٣٧٨/٣٠ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٠/٥ .

(٥) ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ، أن عزل عميد الدولة بن جهير والقبض عليه وعلى إخوته ، ووفاته كانت في سنة ٤٩٣هـ ، وليس كما أورد العمري .

(٦) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٥٣٩/ .

سديد^(١) الملك أبو المعالي بن عبد الرزاق^(٢)

الملقب عضد الدين^(٣)

عزُّ لم تره التجارب ، ولم ترضيه المآرب ، ولم تروه الأيام وما فيها ريُّ الشارب ، ولم ترمه مطالبه على أمله ، ولا ما يقارب ، لم تسع دائرة تدبير الخلافة همته ، ولا مضت على قدر سيوفها عزيمته ، ف جذب رداءه الذي يقمص جلابه ، وتقلص ظله الذي يقل سحابه واستمطر ربابه .

وزر للخلافة سنة خمس وسبعين وأربع مئة ، وورد عليه أهله من أصفهان وتصرف ولكن لم تبسط له يد ، ثم قبض عليه في منتصف رجب سنة ست وتسعين ، ونقل إليه أهله إلى محبسه ، ولم يضيق عليه ؛ لأنه لم يعد له ذنب إلا جهله بقواعد ديوان الخلافة ؛ لأنه قضى عمره في أعمال السلاطين ، وقواعده لا تشبه قواعد الخلفاء ، وكان قد سكن في دار عميد الدولة بن جهير ، وجعل له فيها مجلساً عاماً يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي^(٤) ، فلما [٤٩ أ] رآه المؤيد عيسى في دار بني جهير أنشده

(١) شديد : هكذا في النسخة (أ) و(م) والصحيح ما أثبتناه .

(٢) هناك سقط في ترجمة سديد الملك في النسخة (ك) : فلم يذكر الناسخ الوزير سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق .

(٣) أبو المعالي بن عبد الرزاق استوزره الخليفة المستظهر بالله سنة ٤٩٥ هـ ، ولقبه عضد الدين ، ثم عزل وقبض عليه في رجب سنة ٤٩٦ هـ ، وحبس في دار الخلافة ، وسببُ عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة ، وكان محبسه جميلاً ، أطلق من محبسه في ربيع الأول سنة ٤٩٧ هـ ، فهرب إلى الحلة السيفية ، ومنها إلى السلطان بركيارق ، فولاه الإشراف على المملكة . ابن العمري : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٣٠٧ / . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٥٥٣ / ١٥٥٦ / ١٥٦٠ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . / ٨٧٤ .

(٤) المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي ، كان واعظاً شاعراً كاتباً ، قدم بغداد ووعظ بها ، ونصر مذهب الأشعري ، وكان له قبول عظيم ، وخرج منها فمات بإسفرين سنة ٤٩٨ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٥٦٥ / ١٥٦٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٨٤ / ٣٨٣ / ٣٤ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٥٤٢ / ٢ .

ارتجالاً ومنها^(١) :

سديدَ الملكِ سُدتَ وخضتَ بحراً
وأحيَ معالمَ الحربِ واجعلُ
عميقاً فاحفظ فيه روحكُ
لسانَ الصدقِ في الدنيا فتوحكُ
وفيَ الماضينَ معتبرٌ فأسرَجُ
سروحكُ في السلامةِ أوْجُمُوحكُ

ثم قال له : يا سديدَ الملكِ من شربِ مرقةِ السلطانِ احترقتِ شفتاهُ ولو
بعدَ زمانٍ ، ثم أشارَ إلى الدارِ وقرأ : ﴿
قال : فقبضَ على سديدِ الملكِ بعدَ أيامِ قلائلٍ ، وبقي
في الاعتقالِ وهربَ ولحقَ بالحلةِ السيفيةِ^(٢) ، ثم وصلَ إلى مخيمِ السلطانِ
بركياروق^(٤) ، فولاهُ إشرافَ على ممالكه .
ومنهم :

(١) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر وهذه الأبيات مع وجود اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول كما يلي :

عميق اللج فاحفظ فيه روحك

وفي الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي :

وأحيي معلم الخيرات واجعل . / ١٥٥٦ .

﴿سورة إبراهيم . آية ٤٥ .

﴾ (٢)

(٣) الحلة السيفية: وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت تسمى الجامعين ، أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي ، وذلك في محرم سنة ٤٩٥ هـ ، وكانت أجمة تأوي إليها السباع فنزل بها بأهله وعساكره ، وبنى بها المساكن الجليلة ، والدور الفاخرة ، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق ، وأحسنها مدة حياة سيف الدولة . ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤ .

(٤) أبو المظفر بركياروق الملقب ركن الدين ، ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ، ولد سنة ٤٧٤ هـ ، ولي السلطة وهو ابن اثني عشرة سنة بعد موت أبيه ، قتل عمه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وقاتل الإسماعيلية سنة ٤٩٥ هـ بأصبهان ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، توفي سنة ٤٩٨ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٥٦١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/ ٢٦٨ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٤ / ٢٧٣ / ٢٧٤ . سير أعلام النبلاء . ١٩ / ١٩٥ / ١٩٦ / ٤٠٣ / ٤٠٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٠ / ٧٥ / ٧٦ .

زعيم الرؤساء^(١) أبو القاسم بن جهير^(٢)

ركن من البيت الجهيري لم يخلُ من طائف ، ولم يخلُ من لطائف ، نهضت به جدود
الآمال العواثر ، وعمرت معالم الأفضال الدواثر، بهمة تحلق حيث حلق العقاب، وتحل
حيث لا تصل الرؤوس منه إلى مواطئ الأعقاب، لا يضيق به فترٌ عن مسير، ولا مدى سير
عن مصير .

لما قبض المستظهر^(٣) على سيد الملك استقدمه من الحلة ، وكان قد
لجأ إلى سيف الدولة صدقة، وكان قد فر إليه من ثغرة السور في حال غفلة، فلما قدم
بغداد خرج إليه جميع أرباب الدولة واستقبلوه ، فلما مثّل بين يدي الخليفة ورأه خلعت
عليه الخلع التامة ولُقّب قوام الدين، فخرج وجلس في الديوان وقرئ عهده بحضوره ،

(١) هناك سقط في النسخة (ك) فلم يذكر الناسخ الوزير زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير .

(٢) زعيم الرؤساء علي بن محمد بن محمد بن جهير أبو القاسم بن أبي نصر الوزير زعيم الرؤساء أخو الوزير
عميد الدولة ، ولي النظر بديوان الزمام ، فنظر فيه إلى أن عزله المقتدي، ونظر بعد وفاة والده في الموصل
وذياريبيعة، ثم وزر للمستظهر سنة ٤٩٦هـ ، استدعاه السلطان محمد ووزر له إلى أن توفى سنة ٥٠٧هـ . ابن
الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٤٦/١٥٥٧/١٥٩٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٣٤/٥ . الصفدي : الوافي
بالوفيات . ٨٥/٢٢ .

(٣) أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ، ولد سنة ٤٧٠ هـ بويح بالخلافة بعد موت المقتدي سنة

٤٨٧هـ ، وكان سمحاً جواداً ، كان حافظاً للقرآن محباً للعلماء والصالحين ، منكرًا للظلم، ومن شعره :

أذاب حرُّ الهوى في القلب ما جمداً لما مددتُ يدي إلى رسمِ الوداع يدا
وكيف أسلكُ نهجَ الاصطبارِ وقد أرى طرائقَ مهوى الهوى قدداً
إن كنتُ أنقضُ عهدَ الحبِّ في خلدي من بعدِ حبي فلا عاتبتكمُ أبدا

توفي سنة ٥١٢هـ . ابن العمراني : الإنبياء في تاريخ الخلفاء . ٢٠٦/ - ٢٠٩/ . ابن الأثير : الكامل في
التاريخ . ١٦٠٣/ . المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين . ١٠٩/١ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٢٦/٣٥ . سير
أعلام النبلاء . ٣٩٦/١٩ - ٣٩٩/ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤٣١/٤٣٠ .

وتوفى سنة سبع وخمس مئة ، ووزر بعده الربيب أبو منصور^(١) بن أبي شجاع^(٢) .
ومنهم :

(١) الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد الروذاراوري أبو منصور ابن أبي شجاع الوزير ابن الوزير ربيب الدولة المعروف بالقيراطي، ولقبه نظام الدين ، وكان يلقب بالربيب ، ولي الوزارة للمستظهر بالله سنة ٥٠٧ هـ، فأقام وزيراً إلى أن نفذ رسولا إلى السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه إلى أصبهان، ثم استوزر ولده وهو حينئذ صبي دون العشرين سنة، وتوفي الربيب سنة ٥١٣ هـ . ابن العمrani: الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٣٠٧/ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٥٩٣/١٦٠٣/١٦٠٨ . الذهبي تاريخ الإسلام . ٣١٦/٣٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٥/٢٤/١٣ .

(٢) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٥٩٣/ .

جلال الدين^(١) أبو علي بن صدقه^(٢)

وزير يفرح له الدست ، ويطرب به صرير قلمه طرب الرست^(٣) ، تقلبت به أحوال الدهر تسقيه شهداً وصاباً ، وتريه سروراً ومصاباً ؛ إذ أنه تدعه في الكفاءة مهذباً ، وآونة تدعه في القلاة مزبداً ، فذاق طعم يوميه ، وتقلب تحت حكميه ، ثم كان انتهاؤه إلى أحسن حاله وأنعم غالية ، وأكرم من كان يؤمل أن يصير [٤٩ ب] إليه ، وكان المسترشد^(٤) به يسترشد ، وبسببه يستنجد ، وكان لا يعقد له راية بيده تيمناً بما عقد ، وتيقناً بأنه لا يفعل ما ينتقد .
ثم قبض المسترشد عليه ، واستتاب في الوزارة النقيب شرف الدين علي

(١) جلال الدولة: والصحيح ما أثبتاه كما عند ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ . ١٦١١/

(٢) هناك سقط في النسخة (ك) ؛ حيث أسقط الناسخ الوزير جلال الدين ؛ فلم يذكر ترجمة لهذا الوزير وأبي علي بن صدقة : هو جلال الدين الوزير الحسن بن علي بن صدقة أبو علي بن أبي العز الوزير الملقب بجلال الدين ، ولد بنصيبين سنة ٤٥٩ هـ ، ولي النظر في أملاك الوكلاء بواسط ، ثم ولي نظر ديوان الزمام ثم ، ولي الوزارة ومالت قلوب الناس إليه ، ولم يزل على ولايته عالي القدر إلى أن قبض عليه ، وحبس بدار الخلافة ، ثم أعيد إلى الوزارة ، ولم يزل في علو قدر إلى أن توفى سنة ٥٢٢ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦١١/١٦٣٦ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢٤٣ . الذهبي : العبر في خبر من غبر . ٥١/٤ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٩١ / ١٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٥ / ٢٣٣ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٦٦/٤ .
(٣) الرست : وهو أحد المقامات الموسيقية . إبراهيم مصطفى وآخرون . المعجم الوسيط . ٧٨٢/٢ .

(٤) أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله أمير المؤمنين ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ ، وكان المسترشد لما تغيرت أحوال مملكته ، صار يباشر القتال بنفسه ، فمات قتيلاً سنة ٥٢٩ هـ . ابن العمراني . الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ٢١٢٠ - ٢٣١ / . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٦٥٢/١٦٠٣ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٧٣ / ٢ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٥٦١/١٩ . ابن تغري بردي : مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة . / ٢١٦ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . / ٤٣١ - ٤٣٣ .

بن طراد الزينبي^(١) ، وأرسل السلطان إلى الخليفة ، ليوزر نظام الدين^(٢) وزير السلطان ، وهو أخو شمس الملك عثمان^(٣) ، فاستوزر في شعبان سنة ست عشرة وخمس مئة ، وكان قد وزر السلطان محمد^(٤) سنة خمس مئة ، ثم عزله ولزم داراً استخدمها ببغداد ، فلما خلع على نظام الدين ، وجلس في الديوان طلب أن يخرج ابن صدقة عن بغداد ، فطلب ابن صدقة من الخليفة أن يسير إلى

(١) الوزير أبو القاسم علي بن طراد الزينبي الهاشمي ، لقب بالزينب نسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي زوجة إبراهيم الإمام ، وزير من العقلاء العارفين بسياسة الملك وتدييره ، ولاء المستظهر العباسي نقابة النقباء ، ثم استوزره المسترشد سنة ٥٢٣ هـ ، ولم يوزر من بني العباس هاشمي غير ، استقال عند تولي المقتدي للخلافة سنة ٥٣٤ هـ ، ولزم بيته واشتغل بالعبادة إلى أن مات سنة ٥٣٨ هـ . السمعاني : الأنساب . ١٩٣/٣ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٢١٦ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٣٧/١٦٦٦ / ١٦٧٢ . اليافعي : مرآة الجنان ج٣/ص ٢٦٩ . الزركلي : الأعلام . ٢٩٦ / ٤ .

(٢) أبو نصر أحمد بن نظام الملك ، وزر للخليفة المسترشد سنة ٥١٦ هـ ، ثم عزل بعد أن قبض السلطان محمود على أخيه سيف الملك عثمان وعاد جلال الدين أبو علي بن صدقة إلى الوزارة ، وأقام نظام الدين بالثمن التي في المدرسة النظامية ببغداد . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٢٣/ ١٦٢٦ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ٦٢٠/٣ .

(٣) شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود ، وزر له بعد قتل الوزير أبي طالب السميرمي ، أبطل ما جده السميرمي من المكوس ، ثم قبض السلطان محمود على شمس الملك عثمان ؛ لأنه أشار على السلطان بالعودة عن حرب الكرج ، ثم قتل سنة ٥١٧ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٢٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٩٥ / ٣٥ .

(٤) محمد بن ملكشاه السلجوقي أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان الملقب غياث الدين ، دخل مع أخيه سنجر إلى بغداد ، وخلع عليهما الإمام المستظهر بالله ، وخطب لمحمد بالسلطة في جامع بغداد سنة ٤٩٥ هـ ، وكان السلطان محمد رجل الملوك السلجوقية ، كما أن الإمام المقتفي لأمر الله قد تزوج من فاطمة بنت السلطان محمد ؛ فزاد ذلك من مكانة السلطان محمد ، توفي سنة ٥١١ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٠٠/١٦٠٠ . ابن خلدون : وفيات الأعيان . ٢٧/٧١/٥ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٥٥٤/٢ . المقرئ : السلوك . ١٤٢/١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٣٠/٤ .

الحديثة^(١) ليكون عند سليمان بن مهارش^(٢) ، فأجيب سؤاله فخرج عليه في الطريق إنسان من التركمان المفسدين اسمه يونس الحرمي^(٣) ، فأسره ونهب أصحابه ، فخاف الوزير أن يعلم به دبب^(٤) فيبذل له مالاً ويأخذه منه للعداوة السابقة بينهما ، فقرر أمراً مع يونس على ألف دينار حمل إليه منها ثلاث مئة دينار، وأخذ البقية على أنه يرسلها إليه من الحديثة ، وأرسل إلى عامل بلد الفرات في تخليصه ، وإنفاذ من يضمن الباقي الذي عليه ؛ فأعمل الحيلة له ، وأحضر إنساناً فلاحاً وألبسه ثياباً فاخرة وطيلساناً ، وأركبه وسيّر معه غلماناً ، وأمره أن يمضي إلى يونس ويدعي أنه قاضي بلاد الفرات ، ويضمن الوزير منه على ما بقي من المال ، فسار إليه وضمن الوزير ، وقال له : أقم عندك إلى أن يصل المال مع صاحبك لتنفذه مع الوزير ، فاعتقد يونس صدق ذلك ، وأطلق الوزيرَ ومعه جماعة من أصحابه ، فلما وصل إلى الحديثة قبض على من معه منهم ؛ فأطلق يونس ذلك الفلاح ، وأعاد المال الذي أخذه ، وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وكان الوزير لما سار من عند يونس لقي إنساناً أنكره فأخذه فرأى معه كتاباً من دبب

(١) الحديثة : وهي حديثة النورة فوق هيت ، ولها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها ، أقام بها القائم الخليفة عند ابن مهارش ، كان أهلها صالحين من أهل السنة . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع . ٣٨٧ / ١ .

(٢) سليمان بن مهارش العقيلي أمير بني عقيل أمير الحديثة ، كان أبوه مهارش قد أخفى الخليفة القائم بأمر الله عنده في الحديثة إبان فتنة البساسيري ، توفى سنة ٥٢٨ هـ . ابن العمـراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . / ١٩٥ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٦٤٩ .

(٣) يونس الحرمي : لم أعثر له على ترجمة .

(٤) أبو الأغر دبب بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبب بن علي بن مزيد الأسدي الملقب نور الدولة ، ملك العرب صاحب الحلة المزيدية ، كان جواداً كريماً ، تمكن في خلافة الإمام المسترشد ، واستولى على كثير من بلاد العراق ، أتهم بقتل المسترشد فقتله السلطان مسعود على ذلك الجرم سنة ٥٢٩ هـ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٠ / ٥٣ / ٥٢ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٦٥٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٣ / ٣٢١ / ٣٢٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٥٦ / ٥ .

إلى يونس ، يبذل له ستة آلاف دينار؛ ليسلم الوزير إليه فكان خلاصه من أعجب الأشياء^(١).

ثم إنَّ السلطان نَقِمَ على وزيره شمس الملك بن نظام الملك وقتله ، وكان قريبه الشهاب أبو المحاسن^(٢) وزير السلطان سنجر^(٣) قد مات بعزل المسترشد نظام الدين أحمد ، وعاد ابن صدقة إلى وزارته ، وأحله في دست صدارته في سنة سبع عشرة وخمس مئة [٥٠ أ] ، وتوفي مستهل رجب سنة ثلاث وعشرين ، وكان حميد الطريقة متواضعاً محباً لأهل العلم ، مكرماً لهم ، وله شعر متوسط ، ولما مات استتيب ابن طراد الزينبي في الوزارة وخلع عليه^(٤) ، ولما طالت مظالم ابن صدقة كتب إلى المسترشد^(٥) :

تقسم أمري فيك كيف نسيّتي وأنتَ بأنْ ترعى الحقوقَ حقيقُ
وماذاك إلا أن شميّتكَ العُلا وليسَ لها يوماً إلَيَّ طريقُ

فلما وقف عليها وصله بمالٍ ، ووعدّه بظهور الإنعام عليه ، ثم خلع عليه المسترشد حين

(١) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . / ١٦٢٣ .

(٢) عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي ابن أخي نظام الملك ، كان قد تفقه على الجويني وأفتى وناظر ، ثم وزر لسنجر فترك طريقة الفقهاء واشتغل بالجند وتدبير المال ، توفي سنة ٥١٥ هـ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٢٩/٩ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٦٢٠ .

(٣) أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر ، ولد سنة ٤٧٧ هـ ، تولى المملكة في سنة ٤٩٠ هـ نيابة عن أخيه بركياروق ، خطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين ، وضربت السكة باسمه في الخافقين ، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين ، توفي سنة ٥٥٢ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٤٩٧/١٧٠٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٢٧/٢ / ٤٢٨ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٢ / ١٠٥ . المقرئ : السلوك . / ١٤٧/١ .

(٤) أورد ابن كثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر . / ١٦٣٦ .

(٥) أورد الصفدي هذه الأبيات في كتابه الوايف بالوفيات ، وزاد عليها بيت ثالث كما يلي :

عاد في جهة ديبس ، وكان قد هرب إليه فلما دخل عليه أنشده:

بدأت بنعمي ثم واليت فعلها وواصلتها في حالة البعد والقرب
ولم يحلني من حسن رأيك إذ سطا بي الدهر واسودت له أوجه الخطب
فأقررت عين الأولياء بأوبتي وأرغمت أعدائي وأوطأتهم عقبي

فلما وصل ديبس مع الملك طغرلن مصر خرج المسترشد لدفعهم ، وأقام ابن صدقة في
العسكر مقابل شهرابان^(١) إلى أن تفرق العسكر عن ديبس ، وانفصل عن الملك ، وأتى
الخبر بأن ديبساً وصل إلى جاوان مصعداً ، فكتب ابن صدقة إلى المسترشد^(٢) :

وُلِّيَ وقد أجم الخط منطقة يسكنه تحتها الأحشاء في صخب
موكلاً ببقاع الأرض يُشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب

أصله المملوك هذه الخدمة من مقابل شهرابان ، وقد لاذ العدو بأكناف حلوان
مستعداً سلامته ، مسترخياً مهجته ، يقول لمن عزه بجلا به ، وجمعه بإفكه وكذابه
﴿ (٣) ﴾

وحكى ابن النجار^(٤) قال : لما خرج الوزير ابن صدقة من محبسه إلى الدار المعروفة

(١) شهرابان: قرية كبيرة عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص في شرقي بغداد ، وقد خرج منها قوم من
أهل العلم . ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٣٧٥ .
(٢) أورد أبو تمام هذين البيتين في ديوانه . ٢٢/ .
(٣) ﴾

﴿سورة إبراهيم . آية ٢٢ .﴾

(٤) محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن الحافظ الكبير محب الدين بن النجار البغدادي صاحب
التاريخ ، ولد سنة ٥٧٨ هـ سمع الحديث من ابن كليب وابن الجوزي ، وصنف التاريخ الذي ذيل به على
تاريخ الخطيب ، كان إماماً ثقةً ، وله مصنفات عديدة منها : كتاب القمر المنير في المسند الكبير ، وله =

بالزبني استأذن في الدخول أولاده وخواص أصحابه، قال : فدخلنا عليه، وسألناه عن حاله فقال : لما حُملت إلى دار السلطنة^(١) جاءني خادم معه خادم للمستترشد ، ومكتوب الخليفة بإطابة قلبي وأني ما نقلت إلى دار [السلطنة]^(٢)، إلا حيناً وحفظاً بمهجتي، وأحضرني دواة ، ودرجاً لأستدعي ما أحتاج إليه ، فسألت [٥٠ ب] إنفاذ مصحف ومصلى وشيء من المجاميع فجاءني خادمان بذلك ، فمددت يدي إلى أخذ المجلدات ، فإذا هو بخط أبي عبد الله بن مقلة، وعلى ظهره مكتوب لأخي أبي علي :

أفكر في الذي ألقى وصبري فأحمدُ همِّي وألومُ دهرِي
وما قصرتُ في حالي ولكن لربِّ الناسِ أمرٌ فوقَ أمرِي

فوجب من الاتفاق، ثم أخذ مجلداً آخر، فإذا على ظهره مكتوب بخط المستظهر:

ما هو إلا الله فارفع طرفكاً يكفيك ربُّ الناسِ ما أهمكاً

فأعجبني وسكنت إلى الفال، وأيقنت بالخلاص ، وكان الخليفة قصد إيضاح هذه الكتب ، ولم أعرف إن كان قصدها، فسألت إن حسن وإن كان اتفاقاً فهو

= كتاب كنز الإمام في معرفة السنن وغير ذلك ، كما أن له شعراً جيداً، ومنه :

وقائل قال يوم العيد لي ورأى تَمَلُّمِي ودموعُ العينِ تتهمرُ
مالي أراك حزيناً باكياً أسفاً كأنَّ قلبكَ فيه النارُ تستعرُ
فقلتُ إنني بعيدُ الدارِ عن وطني ومملىقُ الكفِّ والأحبابُ قد هجرُوا

توفي ابن النجار في سنة ٦٤٣ هـ . الذهبي : تذكرة الحفاظ . ١٤٢٨/٤ . تاريخ الإسلام . ٢١٧/٤٧ -

٢٢١/ . الكتبي : فوات الوفيات . ٤٣٤/٢ - ٤٣٦/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧/٥ - ٩/ . السبكي :

طبقات الشافعية الكبرى . ٩٩/٩٨/٨ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٧٩٤/٢ . السيوطي : طبقات الحفاظ .

. ٥٠٢/

(١) السياطة: هكذا في النسخة (أ) و(م) ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

(٢) السلطنة: سقط في جميع النسخ ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

أحسن ، ولوى ابن الأقفاسي^(١) قبره فلثمه ، وأنشد^(٢) :

يزورك في ثوبي خشوعٌ وذلةٌ كأنك ترجى في الضريح وترهبُ
وترثى بما قد كنت ممتدحاً به فيحزناً منك الذي كان يطربُ

ومنهم :

(١) محمد بن الحسن بن منصور أبو عبد الله الموصلي المعروف بابن الأقفاسي الشاعر النقاش الضرير، قدم دمشق وامتدح بها جماعة من المقدمين ، كان له شعرٌ في المدح والرثاء والغزل ، ومن شعره :

يا نصيرَ الإمام قد عوقبَ العبد بأوفى من ذنبه واحترامه
ورمته يدُ التعتب عن قوسِ التجني بمصميات سهامه
نثرت لؤلؤ المدامع في خديه من سلك نثره ونظامه
وأرته العبوسَ في وجه الأيك بعد ابتهاجه وابتسامه
ضحوة إن تواصلت واستمرت فرقت بين جفنه ومنامه

ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٥٢/ ٣٣٠/ ٣٣١ .

(٢) أورد ياقوت في كتابه معجم الأدباء هذين البيتين مع وجود اختلاف في الشطر الأول من البيت الأول كما يلي :

نزورك في ثوبي خشوع وذلة .

كما زاد ياقوت بيتاً ثالثاً بعد البيت الأول كما يلي :

ونلثم تريباً من رفيع محجب كما يلثم البيت الرفيع المحجب . ٢٦/٤ .

وعند الصفيدي في كتابه الوايف بالوفيات . ٩٢/٩١/١٢ .

أنوشروان بن خالد شرف الدين^(١)

وزير كان لا يعبأ بمنصبه على أنه كان خليل ، ولا يرفع على مخضبه ومرآه جميل ، وكان له ببديع الأدب اعتناء ، ومن فروع الطلب اجتناء ، حتى كان ناديه لا يزال للأدباء مجمعاً ، وللأولياء مرتعاً ، وسحاب كرمه ينهمر ، وحرمة بيته للحاج والمعتمر ، وزر للمستترشد والسلطان محمود^(٢) وللسلطان مسعود^(٣) ، وكان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك ، ثم يخطب لها فيجيب كارهاً ، وهو الذي كان السبب في عمل المقامات الحريرية^(٤) .

(١) أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني أبو نصر الوزير ، ولد بالري سنة ٤٥٩ هـ ، تنقلت به الأحوال إلى أن ولي وزارة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه سنة ٥١٧ هـ ، ثم عزل عن الوزارة ، ثم أعيد إليها ، ثم استوزره الإمام المستترشد أواخر سنة ٥٢٦ هـ ، ثم عزل سنة ٥٢٨ هـ ، وأقام في منزله إلى حين وفاته سنة ٥٣٣ هـ . السمعاني: الأنساب . ٤٢٠/٤١٩/٤ . ابن الجوزي : المنتظم . ٧٨/٧٧/١٠ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٦٦٥/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦٧/٤ . الجزري : اللباب في تهذيب الأنساب . ٤٥٢/٢ . ابن الطقطقي : الفخري . ٢٤٦/٢٤٥/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٤٣/٢٤٢/٩ .

(٢) السلطان محمود بن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان عضد الدولة السلجوقي ، كان قد عزم على إفساد الأمور على الخليفة المستترشد العباسي فعاجله الموت بهمدان في يوم الخميس الخامس عشر من شوال سنة ٥٢٥ هـ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٢١٧/ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ / ١٦٤١ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٦٧/٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٤٧/٢٤٦/٥ .

(٣) السلطان غياث الدين أبو الفتح السلجوقي ، خروج مسعود على أخيه محمود ، ثم تنقلت الأحوال بمسعود وأل به الأمر إلى السلطة ، واستقل بها في سنة ٥٢٨ هـ ، قتل خلقاً من كبار الأمراء ، ومن جملة من قتل : الخليفين المستترشد والراشد ، ثم استقل بدست الخلافة في أيام المقتفي ، واتسع ملكه ودانت له الأمم ، ثم أقبل مسعود على اللهو واللذات ، مات سنة ٥٤٧ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٩٠/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٠٠/٥ - ٢٠٢/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٨٧/٢٨٦/٣٧ . المقرئزي : السلوك . ١٤٦/١ .

(٤) المقامات الحريرية: وهي تلك المقامات التي اشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، بلغت نحو خمسين مقامة ، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل صاحب هذه المقامات وهو: أبو محمد القاسم بن علي بن بن محمد عثمان الحريري البصري الحرامي صاحب المقامات ، ولد سنة ٤٤٦ هـ ، كان أحد أئمة عصره ، ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات ، وقد دلت هذه المقامات على كثرة اطلاعه وغزارة مادته ، كما اعتنى بشرحها خلق كثير : فمنهم من طول ومنهم من =

وكان رجلاً عاقلاً شهماً ديناً خيراً، وكان يتشيع إلا أنه لم يظهر عنه غلو ولا سب ولا تعصب لأهل ذلك^(١)، وكان إذا ولي عدل وأنصف، وكشف ظلم من جار وأجحف، ثم إذا نزع رداء الوزارة عكف على معاناة الأدب، وله فيه يدٌ ليست بالعليا .
وتوفى في صفر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة معزولاً ببغداد، وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه، ودفن في داره، ثم نقل إلى الكوفة فدفن بمشهد علي - رضي الله عنه -^(٢). [٥١ أ]
ومنهم :

= اختصر، وقد أتى فيها من الفصاحة والبلاغة ما يبهر العقول. ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٦٢١/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦٤/٤ - ٦٧/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٩٧/٢٤ . ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية . ٦٦٣/٦٦٢/٢ .

(١) أورد ابن كثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٦٦٥/ .

(٢) أورد ابن الجوزي هذا الخبر في كتابه المنتظم، ويذكر أن وفاة أنوشروان كانت في سنة ٥٣٢ هـ .

الشريف علي بن طراد الزينبي

شرف الدين أبو الحسن ، من بيت الشرف الرفيع ، ولؤلؤ النسب الشريف لا الصدف الوضيع، طلع قمراً في الأسرة العلوية ، وكوكباً في أفق الذرية الدرية ، وشد عضد الخلافة العباسية ، منه بشقيق نسب ، وشفيق قربي كلاهما لأب^(١) ، ولم تزل الوزارة تعرض عليه عقيلتها ، وتبيت لديه عقيدتها ، حتى وسمها بسمته، وعقد عليها وأصبحت في عصمته .

وزر مرات ؛ وزر للمسترشد والراشد^(٢) والمقتفي^(٣) ، وكان تارةً يكون نائباً عن الوزارة ، وتارةً وزيراً مستقلاً بالوزارة^(٤) ، وكان هو كأحد من أشار بخلافة المقتفي^(٥) على ما هو مذكور ، وتحالف هو والسلطان على إقامته واتحدت بينهما الصداقة^(٦) . ولما تزوج الخليفة فاطمة^(٧) أخت السلطان

(١) الأدب: هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد ، ولد في سنة ٥٠٢ هـ ، ويقال إنه ولد مسدوداً ، فأحضره الأطباء فأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ، ففعل به ذلك ، فنفع وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ٥١٣ هـ ، وبويع له بالخلافة عند قتل أبيه في ذي القعدة سنة ٥٢٩ هـ ، ولم تطل أيامه خلعه السلطان مسعود ، وباع عمه الإمام المتقي ، خرج إلى أصبهان فقتل هناك على يد جماعة من العجم سنة ٥٣٢ هـ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٢٢٢/ - ٢٢٤/ ابن الجوزي : المنتظم . ١٠/ ٥٠/ - / ٥٢/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٦٢/ ١٦٦٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٩/ ٥٦٨/ ٥٦٩ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢/ ٥٣٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤٣٦/ ٤٣٧ .

(٣) المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين محمد بن أحمد المقتفي لأمر الله أبو عبد الله ابن المستظهر بالله ، ولد سنة ٤٨٩ هـ ، بويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ ، وفي أيامه عادت بغداد والعراق بإيدي الخلفاء ، وكان محباً للحديث ، توفي سنة ٥٥٥ هـ . ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء . ٢٢٥/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧١٦/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٦/ ٢٣٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٨/ ١٧٢/ ١٧٣ . الصفي : الوافي بالوفيات . ٢/ ٦٨ . اليافعي : مرآة الجنان . ٣/ ٣١٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤٣٧/ ٤٣٨ .

(٤) أورد الصفي في كتابه الوافي بالوفيات هذا الخبر . ٢١/ ١٠٤ .

(٥) المقتدي: هكذا في النسخة (أ) و (م) وما أثبتناه من (ك) .

(٦) أورد الصفي في كتابه الوافي بالوفيات هذا الخبر . ٢١/ ١٠٥ .

(٧) فاطمة بنت السلطان محمد ملكشاه ، تزوجها الخليفة المقتفي في سنة ٥٣١ هـ ، وحضر أخوها مسعود العقد ، ونقلت فاطمة بنت السلطان المذكورة إلى دار للزفاف سنة ٥٣٤ هـ ، ويقال إنها كانت تقرأ =

مسعود على صدق مبلغه مئة ألف دينار ، كان الوكيل في قبول النكاح عن الخليفة وزيره الشريف بن طراد المذكور ، والوكيل عن السلطان في العقد وزيره كمال الدين الدرکزي^(١) .

قال ابن الأثير^(٢) جرى بين المقتفي وبين ابن طراد منافرة^(٣) ؛ وسببها أنه كان يتعرض على الخليفة في كل ما يأمره به ، فنصر الخليفة منه فغضب ، ثم خاف فقصد دار السلطان في سميرية^(٤) وقت الظهر ، ودخل إليها فاحتوى بها ، فأرسل إليه الخليفة في العودة إلى منصبه ، فامتنع فكانت الكتب تصدر باسمه ، واستتب قاضي القضاة الزينبي^(٥) ، وهو ابن عم الوزير ، وأرسل الخليفة على

= وتكتب ولها التدبير الصائب ، في الموضع المعروف بدرکاه خاتون ، توفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٢هـ ، ودفنت بالرصافة . ابن الجوزي : المنتظم . ٦٧/١٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٥٨/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٧٤/٧٣/٥ .

(١) كمال الدين أبو البركات بن الدرکزي من أهل خراسان ، وزر للسلطان مسعود سنة ٥٣٠هـ ، وجمع له خزائن كثيرة ، وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها ويسرق ، فثقل على المتصرفين وأرباب الأعمال فأوقعوا بينه وبين الأمراء ، فقتله السلطان مسعود على كره منه سنة ٥٣٣هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦١٣/١٦٥٨/ .

(٢) أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ هذا الخبر . ١٦٦٦/ . وابن الأثير هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير أبي الكرم الشيباني الجزري ، ولد بالجزيرة العمرية سنة ٥٥٥هـ ، سمع من كثير من علماء ذلك العصر ، وكان إماماً نساباً مؤرخاً إخبارياً أديباً نبيلاً ، صنّف الكثير ومنها التاريخ المشهور المسمى بالكامل على الحوادث والسنين ، وغيرها ، توفي سنة ٦٣٠هـ . المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين . ٢٩/١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٤٩/٣٤٨/٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٣٥٥/٣٥٤/٢٢ . تاريخ الإسلام . ٤٥ / ٣٩٦/٣٩٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٨٧/٨٦/٢٢ .

(٣) منافسة: هكذا في النسخة (ك) .

(٤) سميرية: ضرب من السفن . ابن منظور : لسان العرب . ٣٣٣/٣ .

(٥) أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي ، ولد سنة ٤٧٧هـ ، سمع من أبيه وعمه طراد وابن البطر وأبي الحسن العلاف وغيرهم ، ولاء المسترشد قضاء القضاة في المحرم سنة ٥١٣هـ ، لم يرى صاحب منصب أوقر ولا أحسن هيبته منه ، خدم الراشد وناب في الوزارة ، توفي سنة ٥٤٤هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٦٦/ ١٦٨٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٥٤/١٥٣/٣٧ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣٨/٢١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٨٢/٥ .

السلطان رسلاً في معنى الوزير ، فرخص له السلطان في عزله ، فأسقط اسمه من الكتب ورفع يد نائبه ، وأقام بدار السلطان ثم توفي بن طراد في رمضان سنة ثمان وثلاث مئة وخمس مئة معزولاً ، ودفن بداره بباب الأزج^(١) ، ثم نقل إلى الحربية^(٢) .

ومنهم :

(١) باب الأزج : محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد . ياقوت : معجم البلدان ١٦٨ / ١ .

(٢) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي ، وأحمد بن حنبل وغيرهما ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ، ويعرف بالراوندي . ياقوت : معجم البلدان ٢٣٧ / ٢ .

يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن^(١)

من ولد عمر بن هبيرة الشيباني، عون الدين أبو المظفر الحنبلي، فرد في الأئمة الأعلام، بل في الأمة والسلام، كان يتمذهبُ لإمام أحمد بن حنبل^(٢)، وله تصانيف مشهورة مفيدة، لا أدعي حضورها لأنها عديدة، وقد [٥١ ب] شد الله به أزر الخلافة بعد أن كانت تهلhel^(٣) بُردها وتناثر عقدها، قام مع المقتفي قيام أبي مسلم مع المعرق^(٤) في خوولة بني عبدالمدان^(٥) وابن العاص مع ابن أبي سفيان، وشمر له تشمير كاتبان في نصر

(١) عون الدين أبو المظفر الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد الشيباني الفقيه الحنبلي، من وزراء المقتفي لأمر الله العباسي، وبعده للمستجد، ولد سنة ٤٩٧هـ، سمع الحديث وقرأ النحو واللغة والعروض، صنف الكثير، جعله الخليفة المقتفي مشرفاً في المخزن، ثم صار صاحب الديوان، ثم استوزره فسار في الوزارة أجمل سيرة، وكان ديناً جواداً كريماً، توفي سنة ٥٦٠هـ. ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء. ٢٢٥/ . ابن الجوزي: المنتظم. ١٩٣/١٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ١٧٣٤/ . ابن خلكان: وفيات الأعيان. ٢٣٠/٦ - ٢٤٢/ . ابن الطقطقي: الفخري. ٢٥٠/٢٤٩/ . الذهبي: تاريخ الإسلام. ٣٢٨/٣٨ - ٣٣٤/ .

(٢) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي إمام المحدثين، ولد سنة ١٦٤هـ، وسمع الحديث وشيوخه أكثر من أن يذكر، وأصحابه فيهم كثرة وشهرة، ولعل ببغداد ونواحيها والجزيرة من أصحابه من لا يدخل تحت الحصر والعدد، كان بعض الأئمة يقول: لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان علينا عاراً إلى يوم القيامة، وقيل: رجلان ما لهما ثالث أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وقت الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة، وقال قائلهم: فيه ضرب بالسياط في الله، فقام مقام الصديقين، مات سنة ٢٤١هـ. ٣٠/١. الباجي: التعديل والتجريح. ٣٢٠/١. ابن أبي يعلى. طبقات الحنابلة. ٤/١ - ١٩/ . السمعاني. الأنساب. ٢٧٧/٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٢٥٢/٥ - ٣٣٠/ . البغدادي: التقييد. ١٥٨/ . ابن خلكان: وفيات الأعيان. ٦٣/١ - ٦٥/ . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى. ٢٧/٢ - ٣٤/ .

(٣) كانت: سقط في النسخة (ك).

(٤) المعروف: هكذا في النسخة (ك).

(٥) بني عبد المدان: وهم من بني الحارث بن كعب بن، كانت لهم الرئاسة على نجران زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومنهم عبد الله بن عبد المدان، كان اسمه عبد الحجر فغيره النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد =

أفريدون^(١)، وطاهر بن الحسين في قتل أعداء المأمون ، حتى سل مهج السلجوقية ، وحط درج الدولة الشرقية ، وجد لبلوغ الأرب ، وأسجد تيجان العجم لعرائم العرب ، وأجلى عن أقطار بغداد أمها ، وجلى عن نهار دجلة المشرق ظلمها ، حتى أجلا للمقتفي ذرى من برم^(٢) ، وجلى للمقتفي ندى كوثره ، وكان على شغله الشاغل بحمل هذه الأثقال ، ومدافعة تلك السحب الثقال ، لا يزال منتاب الأندية بالعلماء ، معمرور الأفنية لإفاضة النعماء ، ومع هذا كله يقوم بالعبادة دجى الليل الظلماء ، وبكل ما وليه من أهل الأرض إلى رب السماء ، ولا يرى ما أدركه بجميل سعيه إلا بما سنتة المقادير ، وإذانتة منه سابق المشيئة لا التدبير ، وقد مر في ذكر المقتفي من حاله ما حلا ، وطن من خلايا النحل منه ما حلا .

قال ابن خلكان^(٣) : أصله من قرية من عمل دجيل^(٤) ، تعرف الآن بدور آل وزير^(٥) نسبة إليه ، دخل بغداد واشتغل بها ، وجالس الفقهاء والأدباء ، وسمع الحديث

= إسلامه على يد خالد بن الوليد- رضي الله عنه - ، ومنهم زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال أبو العباس السفاح . ابن سعد : الطبقات الكبرى . ٥٢٩/٥٢٨/٥ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٤٨٧/ . القلقشندي : صبح الأعشى . ٤٤/٥ . ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة . ١٦٠/٤ .

(١) أفريدون التركي أحد قادة المتوكل ، ندبه لإمرة دمشق بعد قتلهم نائب دمشق فى سبعة آلاف فارس إلى دمشق ، وأباح له المتوكل القتل بدمشق والنهب ثلاث ساعات ، فنزل أفريدون بيت لها وأراد أن يصبح ، فلما أصبح نظر الى البلد وطلب الركوب فقدمت له بغلة فضربتة بالزوج فقتلته سنة ٢٤٠هـ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٦٨/١٧ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٥٠/١٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٨٦/٢ .

(٢) برم : حب العنب إذا كان فوق الدر . ابن منظور : لسان العرب . ١٩٩/١ .

(٣) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ٢٣٠/٦ .

(٤) دجيل : اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها ، مقابل القادسية دون سامراء فيسقي كورة واسعة وبلاداً كثيرة منها ؛ وأانا وعكبرا والحظيرة وصريفين وغير ذلك ، ثم تصب فضلته في دجلة أيضا . ياقوت : معجم البلدان . ٤٤٣/٢ .

(٥) دور الوزير : وهي المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، وفيها جامع ومنبر ، وبنو أوقر كانوا مشايخها وأرباب ثروتها ، وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة ، وأثار الوزير حسنة وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ . ياقوت : معجم البلدان . ٤٨١/٢ .

وتقنن وحفظ ألفاظ البلغاء ، وتعلم الإنشاء ، قرأ الأدب على ابن الجواليقي^(١) والفقهاء علي بن الفراء^(٢)، وصحب الزبيدي الواعظ^(٣)، وسمع الحديث من ابن ملة الأصفهاني^(٤)، وأبي القاسم بن الحصين^(٥) والكاتب ومن بعدهما ، وحدث عن

(١) الإمام أبو منصور موهوب بن أبي طاهر الجواليقي من أهل بغداد ، كانت ولادته في سنة ٤٦٦هـ، وكان من مفاخر بغداد بل العراق ، وكان متديناً ثقةً ورعاً غزيرَ الفضل وافرَ العقل ، كان إماماً للإمام المقتضي بالله يصلي به الصلوات الخمس ، وألف له كتاباً لطيفاً في علم العروض ، وانتشر ذكره وشاع في الآفاق ، وقرأ عليه أكثر فضلاء بغداد ، وتوفي سنة ٣٥٩هـ . السمعاني : الأنساب . ١٠٥/٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٣٤٤ / ٣٤٢/٥ - ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب . ٣٠١/١ . اليافعي : مرآة الجنان . ٢٧٢/٢٧١/٣ . الزبيدي : تاج العروس . ١٣١/٢٥ .

(٢) محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء أبو الحسين ابن القاضي ، ولد سنة ٤٥١هـ صنف في الأصولين والخلاف والمذهب وطبقات الحنابلة ، وسمع الكثير في صباه عند والده وجده لأمه جابر بن ياسين وأبي جعفر محمد بن المسلمة وغيرهم ، وحدث بأكثر مسموعاته ومجموعاته ، وكان ثقةً صدوقاً ، روى عنه محمد بن ناصر وأبو عامر العبدري وجماعة كثيرون . توفي سنة ٥٢٦هـ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٩/ ١٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٤٥ / . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٣٦/١ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٨٢/٤ . ابن مفلح : المقصد الأرشد . ٥٠٠/٤٩٩ / ٢ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران القرشي اليمني الزبيدي الواعظ ، ولد في المحرم سنة ٤٦٠هـ ، وكان له معرفة بالنحو والأدب ، وكان صبوراً على الفقر متعظاً ، له تصانيف عدة منها : منار الاقتضاء ومنهاج الاقتضاء وغيرها ، توفي سنة ٥٥٥هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧١٨/ . ياقوت : معجم الأدباء . ٤٧٧/٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٨٠/١٧٩ / ٣٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات .

(٤) أبو عثمان بن أبي سعيد إسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الأصبهاني سمع الكثير ووعظ ، قدم بغداد فحدث عن أبي بكر بن زيدة وغيره ، وأملى بجامع المنصور ثلاثين مجلساً ، وكان مستمليه أبو الفضل بن ناصر ، ولم يكن أبو الفضل راضياً عنه ، وقال : وضع حديثاً وأملاه ، وكان يخلط ، توفي بأصبهان سنة ٥٠٩هـ . ابن الجوزي : المنتظم . ١٣٨/٩ . ابن الجوزي : الضعفاء والمتروكين . ١١٩/١ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٥٩٨/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٨٢/٣٨١/١٩ . ابن حجر : لسان الميزان . ٤٣٤/١ .

(٥) أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الكاتب ، ولد سنة ٤٣٢هـ وأسمعه والده في صباه مسند أحمد بن حنبل ، وسمع من كثيرين من علماء تلك الفترة ، توفي سنة ٥٢٥هـ وهو آخر من روى ببغداد عن ابن غيلان وابن المذهب وحسن الأمير والتتوخي . البغدادي : التقييد . ٤٧٥/ . ابن الأثير : =

وسمع منه خلق كثير ، منهم : أبو الفرج ابن الجوزي ^(١) .
وتنقل في الوظائف حتى ولي ديوان الزمام ^(٢) ، ثم ترقى إلى الوزارة ^(٣) . قال : وكان
سبب توليته أن المسعودي ^(٤) وولد كز السلطاني ^(٥) قصد بغداد بجموع كثيرة ، وصدرت منه
فتن عظيمة ، فشرع الوزير ابن صدقة في تدبير الحال فأخفق مسعاه ^(٦) ، فاستأذن
الخليفة ابن هبيرة في أمرهم ، فأذن له فخاطب ^(٧) هؤلاء ، وأحسن التدبير حتى كف

= الكامل في التاريخ . ١٦٤٢/ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٨٨/١٨٧/٢٧ .

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج الواعظ ، ولد سنة ٥١٠ هـ ، توفى أبوه
وله ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً في النحاس ولهذا كتب اسمه في بعض السماعيات عبد الرحمن الصفار ،
وأول سماعه سنة ٥١٠ هـ ، ووعظ وهو صغير ، صنف ابن الجوزي وله ثلاث عشرة سنة ، ومن مصنفاته في علم
التاريخ الكثير منها : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم وغيره ، كما صنف في علوم شتى توفى سنة ٥٩٧ هـ . ابن
الأثير : الكامل في التاريخ . ١٨٥٠/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٤٠/٣ - ١٤٢/ . الذهبي : تاريخ الإسلام .
٢٨٧/٤٢ - ٢٩١/ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ١٠٩/١٨ - ١١٥/ .

(٢) ديوان الزمام : هذا الديوان استحدثه الخليفة العباسي المهدي ، ومهمته ممارسة الرقابة على أعمال
الدواوين الأخرى لضبط العمل فيها ، وتمثل عملية الإشراف هذه بأن عهد كل ديوان رجل زمام ينظر فيه
ويضبط أموره . الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ١٦٣١/ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٩٣/٨ . الكساسبة : المؤسسات
الإدارية في مركز الخلافة العباسية . ١٧/ .

(٣) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان . ٢٣١/٦ .

(٤) إيلدكر المسعودي أحد أمراء أذربيجان ، صاحب كنجة وأرنية وقيصر ، وقد وقع بينه وبين السلطان
مسعود خلاف سنة ٥٤٣ هـ بسبب ميل السلطان إلى خاص بك ، وقد أسفر هذا الخلاف عن هجوم المسعودي على
بغداد مع جماعه آخرين من الأمراء ، فقتل من العامة خلق كثير ؛ فأصيب أهل بغداد بما لم يصابوا بمثله من
قبل . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٦٨٢/ . ١٦٨٣/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٢٣٢/٦ .

(٥) أحد أكابر الأمراء في أذربيجان ، كان مملوكاً للكمال السُميرمي وزير السلطان محمود ؛
فلما ولي السلطان مسعود السلطة ولاة أرنية ثم ملك أكثر أذربيجان ، كان عسكره خمسين ألف فارس
سوى الأتباع ، وكان يلدكز عاقلاً حسن السيرة يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكواهم ، وينصف بعضهم من
بعض ، توفى سنة ٥٦٨ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٥٣/ . ١٦٨٢/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان .
٢٣٢/٦ .

(٦) مساماه : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) يخاطب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

شهرهم ، ثم قوي عليهم حتى نهبت العامة أموالهم ، وجرت المقادير في هذا لرفع ابن هبيرة ، ووضع ابن صدقة ، فلما انقضى هذا [٥٢ أ] المهم ، استدعى المقتفي بن هبيرة كتاباً على يد أميرين ، فركب إلى دار الخلافة في جماعة وتسامع الناس بوزارته ، فلما وصل إلى باب الحجرة استدعي فدخل ، وقد جلس له المقتفي بميمنة التاج ، فقبل الأرض وسلم وتحديثاً ساعة ، ثم خرج وقد جهّز له التشريف على عادة الوزراء فلبسه ، ثم استدعي ثانية فقبل الأرض ودعا بدعاء أعجب الخليفة ، ثم أنشد يقول^(١) :

سأشكرُ عمرًا ما تراختُ منيَّتي أياديَّ لم تمننْ وإنْ هي جلتِ
رأى خلتي من حيثُ يخفى مكائها وكانتُ بمرأى منه حتى تجلّت

وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، وإنما غير عجز البيت الثاني؛ لأن أصله "وكانت قذى عينيه " ، فلم يرد مخاطبة الخليفة .

قال : ثم خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرّة مُحجّل كامل العدة بالحلي ، وخرج بين يديه طائفة من الأمراء، وأرباب المناصب والخدم والحجاب ، والطبول تضرب أمامه، والمسند محمول وراءه على عادتهم في ذلك ، ودخل الديوان ونزل على طرف^(٢) الإيوان، وجلس في الدست ، وقرأ ابن الأنباري^(٣) العهد ، ثم قرأ القراء وأنشد الشعراء ، وذلك يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسة مئة . وكان عالماً فاضلاً ذا رأي صائب ، وسريرة صالحة ، وظهر منه في أيام ولايته ، ما شهد

(١) أورد ابن خلكان هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه وفيات الأعيان . ٢٣٢/٦ .

(٢) طرف: سقط في النسخة (ك) .

(٣) محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن رفاعة سديد الدولة الشيباني المعروف بابن الأنباري ، كاتب الإنشاء بالديوان ، أقام بديوان الإنشاء خمسين سنة وناب في الوزارة ، كان رائق الخط واللفظ ، توفي سديد الدولة سنة ٥٥٨ هـ .. ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٢٧/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٧١/٣٨ - ٢٧٤/ . العبر في خبر من غبر . ١٦٦/٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٣٠/٢٢٩/٣ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ١١٥/٢ .

له بكفايته وحسن مناصحته فشكر له ذلك ، ولحظ بعين الرعاية وتوفرت له أسباب السعادة ، وكان مكرماً لأهل العلم يحضر مجلسه بحضوره ، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره ، وصنّف كتباً منها : "الإفصاح في شرح معاني الصحاح" ، و " شرح الجمع بين الصحيحين " ، وكتاب " المقتصد " وغير ذلك^(١) .

ولما أتى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه^(٢) وزين الدين علي أبو المظفر^(٣) صاحب أربيل^(٤) لحصار بغداد سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة جداً المقتفي في حفظ البلد ، وقام ابن هبيرة في هذا القيام الذي يعجز عنه غيره ، وأمر المقتفي فنودي ببغداد من جرح له خمسة دنانير ، فحضر بعض العامة عند ابن هبيرة مجروحاً ، فقال له : هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً ، فعاد إلى القتال فضرب في جوفه فخرجت أمعاؤه [٥٢ ب] ، فعاد إلى ابن هبيرة وقال : يا مولانا أبصر ؟ يرضيك هذا ؟ فضحك منه وأمر له بصلة ، وأحضر له من عالجه^(٥) .

(١) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه الوافي بالوفيات . ٢٣٣/٦ .

(٢) السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه ، ولد سنة ٥٢٢هـ ، كان عظيمًا كريمًا عاقلاً كثير التأنى في أموره ، حاصر بغداد سنة ٥٥١هـ طالباً السلطة ، وعاد عنها فأصابه سل ، وطال به فمات بباب همدان ، توفي سنة ٥٥٤هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٠٤/١٧١٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٨٣/٥ . أبو الفداء : مختصر أخبار البشر . ١٠٧/٢ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٥٩٩/٢٦٠٠ . القلقشندي : مآثر الإنافة . ٣٨/٣٧/٢ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ١٢٨٤/ .

(٣) صاحب إربل زين الدين علي بن بكتكين بن مظفر الدين كوكبوري المعروف كوجك التركي ، كان حاكماً على الموصل وغيرها ، حاصر المقتفي وخرج عليه ، ثم طلب عفو وحسنت طاعته ، وكان من أكابر الدولة الأتابكي ، بنى المدارس والقناطر والجسور ، مات سنة ٥٦٣هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٣٦/١٧٣٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١١٤/٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٦٣/٢٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣٧٩/٣٧٨/٥ .

(٤) إربل : وهي قلعة حصينة ومدينة كبيرة بين الزابين تعد من أعمال الموصل ، وبينهما مسيرة يومين ، وهي في فضاء من الأرض واسع . ياقوت : معجم البلدان . ١٣٨/١ .

(٥) أورد ابن كثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ ، وذكر أن حصار بغداد كان في عام ٥٥١هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٠٤/١٧٠٥ .

ومضت أيام المقتفي وابن هبيرة نظام جماعتها^(١) وتمام طاعتها^(٢)، فلما آل الأمر إلى المستنجد^(٣) دخل عليه ابن هبيرة وبايعه، وكان خائفاً منه، فأقره على وزارته وأكرمه، ثم لم يزل على منصبه حتى أتاه أجله^(٤)، وحكى ابن الأثير أن ابن هبيرة لما ولي يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر سنة أربع وأربعين كان القمر على تربيع^(٥)، قيل له: لولا أخرت لبس الخلعة^(٦) لهذه التربيعات، فقال: وأيُّ سعادةٍ أكثر من وزارة الخليفة؟! ولبس في ذلك اليوم^(٧).

ومنهم :

(١) جمعهما: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٢) طاعتها: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٣) المستنجد بالله أبو الظفر المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي، ولد سنة ٥١٨ هـ، خطب له أبوه بولاية العهد سنة ٥٤٧ هـ، وبويع له يوم موت أبيه، وكان موصوفاً بالعدل والرفق شديداً على المفسد، له نظم بديع ومن شعره:

عيرتني بالشيب وهو وقارٌ ليته عيرت بما هو عارٌ
إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تزيئها الأعمارُ

توفي المستنجد بالله سنة ٥٦٦ هـ. ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء. / ٢٢٦. ابن الجوزي: المنتظم.

١٠/١٩٢/١٩٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. / ١٧٤٤/١٧٤٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء. ٢٠/٤١٢ -

/ ٤١٤. الكتبي: فوات الوفيات. ٢/٦٦٥/٦٦٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. ٥/٣٨٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء. / ٤٤٢/٤٤٣.

(٤) أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه وفيات الأعيان. / ٦/٢٣٤/٢٣٥.

(٥) تربيع: أي مربوع الخلق. ابن منظور: لسان العرب. ٣/٢٥.

(٦) الخلافة: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).

(٧) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ. / ١٦٨٦.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد^(١)

ابن البلدي شرف الدين^(٢)

تحمل بالوزارة إثماً ، وابتدع سيرة سودت الصحف والأيام ، وسولت [لنا]^(٣) الحيف والآثام ، وأعادت ما كان قد نسي من المظالم ، ونسب^(٤) إلى جور الظالم ، فتقرب به ما أبعد ، وقام بما أقعده ؛ فسلب ما لبس له جلد النمر ، وحضر لا يؤذن له فيعترف ، ولا يقبل منه فيعتذر .

قال ابن الأثير : كان ناظراً بواسط^(٥) ، فبان عن همة عالية ، وسيرة سديدة في تعميمها ، وتثميرها وسداد عملها^(٦) ، فأحضره المستجد ووزره^(٧) سنة ثلاث وستين وخمس مئة ، وكان عضد الدين أبو الفرج^(٨) بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكماً عظيماً ، فأمر

(١) سعد: هكذا في جميع النسخ وما أثبتناه من ابن الأثير . / ١٧٣٧ .

(٢) أحمد بن محمد بن سعيد بن إبراهيم التميمي ، أبو جعفر بن أبي الفتح بن أبي منصور الوزير المعروف بابن البلدي ، ولاة الإمام المستجد النظر بواسط فأقام بها مدة ، ثم كاتبه الوزارة فتوجه إلى بغداد ، ولم يزل وزيراً إلى أن أرحف بموت المستجد ، ثم قتل بعد ذلك سنة ٥٦٦ هـ ، وكانت وزارة ابن البلدي ست سنين . ابن الجوزي : المنتظم ٢٣٣/١٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٤٥ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ٤٦٩/٤ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢٥٤/٢٥٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٤٣/٣٩ . سير أعلام النبلاء ٥٨٧/٢٠ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٦٩/٧ .

(٣) لنا: سقط في النسخة (أ) و(م) .

(٤) ونسبه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) واسط : وهي واسط الحجاج ؛ وسميت واسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ؛ ولأن منها إلى كل واحدة خمسين فرسخاً ، شرع في عمارة واسط في سنة ٤٨ هـ ، فرغ منها في سنة ٨٦ هـ . ياقوت : ٣٤٨/٣٤٧/٥ .

(٦) علمها: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٧) وزيره: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٨) محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وزير الخليفة ، ولد سنة ٥١٤ هـ ، كان أولاً أستاذاً دار المقتفي والمستجد ووزر للمستضيء ، كان يلقب عضد الدين ، عزم على الحج فعبردجلة في موكب عظيم ، فقتله أحد الباطنة سنة ٥٧٣ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٧٠ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٣١/١٣٠/٤٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٨٢/٨١/٦ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢٤٥/٤ .

الخليفة ابن البلدي بكفّ يده وأيدي أهله وأصحابه ففعل ذلك ، ووكل بتاج الدين^(١) أخي أستاذ الدار ، وطالبه بحساب نهر الملك^(٢) ، وكان يتولاه من أيام المقتفي وكذلك فعل بغيره ؛ فحصل أموالاً جمّة ، وخاف أستاذ الدار على نفسه فحمل مالاّ كثيراً^(٣) .

قال غير ابن الأثير : ملأ الخزائن ، وعمر البلاد وثمر الأموال ، إلا أنه قاد الناس بالعنف ، وحكم بالعسف ، وامتد في غلو الجور؛ فاتفق عليه ابن رئيس الرؤساء ويزدن^(٤) المقتفوي ، لما كان قد استحكمت بينهما وبينه من العداوة ؛ لأنّ المستجد كان يأمره بأشياء تتعلق بهما فيفعلها فيظنّان أنه هو الذي سعى بهما ، فلما مرض المستجد وأرجف بموته ، ركب الوزير ابن البلدي ، ومعه الأمراء والأجناد بالعدة ولم يتحقق خبر موته ، بعث ابن رئيس الرؤساء يقول له : إن أمير المؤمنين قد خف مابه من المرض ، وأقبلت العافية فخاف الوزير من دخول دار الخلافة بالجند ، فعاد إلى داره ، وتفرق من كان [٥٣ أ] معه ، وكان ابن رئيس الرؤساء يزدن قد استعد لما ركب الوزير

(١) تاج الدين ابن رئيس الرؤساء أبي علي الحسن بن هبة الله بن المظفر بن علي بن الحسن بن المسلمة ، عم الوزير أبي الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله ابن رئيس الرؤساء، كان أحد الأعيان الفضلاء حسن الشيم وافراً المروءة دمث الأخلاق طاهر الظاهر والباطن ، وكان ينظم ألغازاً بديعة ، من ذلك قوله في القفل :

أخوان ما افترقا إذا اجتمعا
إلا بثألهم من الجنس
قد وكّلا بالحفظ مدّ خُلُقاً
وكلاهما بعدا من الحسّ

توفي تاج الدين سنة ٥٧٢ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٦٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٨١/١٢ .
(٢) نهر الملك : وهو كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى ، يقال إنه يشتمل على ثلاث مئة وستين قرية على عدد أيام السنة ، قيل إن أول من حضره سليمان بن داود - عليهما السلام - ، وقيل إنه حضره الإسكندر لما خرب السواد . ياقوت : معجم البلدان . ٣٢٤/٥ .

(٣) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٧٣٧ .

(٤) يزدن التركي من أكابر أمراء بغداد ، تحكّم في هذه الدولة ، وتجرّد للتعصب في المذهب الشيعي ؛ فانتشر بسببه الرفض ، وتأذى أهل السنة ، فمرض أياماً ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٥٦٨ هـ ودفن في داره بباب العامة ثم نقل إلى مقابر قریش ، وقد وقع بسببه فتنة بين السنة والشيعية في واسط ؛ لأنّ الشيعة جلسوا له للعزاء وأظهر السنة الشماتة به ، فألّ الأمر إلى القتال فقتل بينهم جماعة . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٤٢/١٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٥٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٣٢٨/٣٩ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٥٦٨/٢٨ .

بالعكسر خوفاً منه ، فلما عاد أغلق أستاذ الدار^(١) باب الدار ، وأظهر وفاة المستجد ، وبايعا المستضيء^(٢) وبلغ الخبر ابن البلدي فأسقط في يده ، وقرع لعوده سنه ندماً حيث لا ينفعه الندم ، فجاء من يستدعيه للجلوس للعزاء ، والبيعة للمستضيء ، فمضى إلى دار الخلافة فصرف إلى مكان وقطع قطعاً ؛ وألقي في دجلة ، وأخذ جميع ما في داره ، فرؤي فيها خطوط المستجد يأمره بالقبض عليهما ، وخط ابن البلدي الوزير يراجعه في ذلك ويصرفه عنه ، فلما وقف ابن رئيس الرؤساء ويزدن عليهما علما براءته مما كانا يظنان به ، وندما على التعجيل عليه ، ووژر بعده بن رئيس الرؤساء^(٣) ، ثم لم يلبث^(٤) حتى عزل ؛ لأن قيمان^(٥) أكره المستضيء على عزله فعزله ،

(١) أستاذ الدار : استخدم هذا المصطلح في العصر العباسي وبخاصة عصر السلاجقة للدلالة على بلوغ مرتبه رفيعة في الدولة ، اختص صاحبه في النظر في أمور الخليفة وأحوال الحاشية على اختلاف طوائفها ، وأنواع وظائفها ، ويرتبها في الخدمة على ما يجب ، وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء مما هم عليه ، ولا يحتجب . القلقشندي : صبح الأعشى . ١٦٧/١١ . الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف . ٦١/١ .

(٢) أبو محمد الحسن ابن الإمام المستجد بالله ، ولد سنة ٥٥٣ هـ ، بويغ سنة ٥٦٦ هـ ، كان أحسن الخلفاء سيرة ، حليماً شقيقاً على الرعية ، أسقط المكوس والضرائب ، وهو الذي عادت الخطبة باسمه في الديار المصرية والبلاد الشامية والثغور ، واجتمعت الأمة على خليفة واحد ، وانقطع في أيامه دولة بني عبيد الفاطميين الراضة من مصر وأعمالها ، كانت وفاته ببغداد سنة ٥٧٥ هـ . ابن الجوزي : المنتظم . ٢٣٢/١٠ . تلقيح فهوم أهل الأثر . ٧٠/ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٧٣/ . ابن الطقطقي : الفخري . ٢٥٤/٢٥٥ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٨٤/٤٥ . سير أعلام النبلاء . ٦٨/٢١ - ٧٠/ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٨٥/٦ . ٨٦/ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤٤٤/٤٤٨ .

(٣) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٧٤٥/ .

(٤) عنه فلما وقف ابن رئيس الرؤساء ويزدن عليهما علما براءته مما كانا يظنان به ، وندما على التعجيل عليه ، ووژر بعده بن رئيس الرؤساء ثم لم يلبث . سقط في النسخة (ك) .

(٥) قيمان بن عبدالله قطب الدين المستنجد ، وژر للخليفة المستضيء ، وكان مقدماً على العساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة ، وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره ، وأمر العامة بنهب دار قيمان فنهبت ، وكان ذلك بإفتاء الفقهاء فهرب فهلك هو ومن معه في سنة ٥٧٠ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٦٣/١٧٦٤ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ١٣٧/٢ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢/٢٦٣٤ .

ثم أمر المستضيء بإعادته إلى الوزارة فمنعه يزدن ، وأغلق باب النوبي^(١) وباب العامة^(٢) ، وبقيت دار الخلافة كالمحصرة فأجاب المستضيء إلى ترك وزارته ، فقال يزدن : لا أقنع إلا بإخراجه من بغداد ، فأمر بالخروج منها ، فلجأ إلى شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل^(٣) فأخذ إلى رباطه ، ونقله إلى دار أقام بها ، ثم عاد إلى بيته ، ثم لما آل الأمر إلى إقامة يزدن بالحلة خلع المستضيء على ابن رئيس الرؤساء وأعادته إلى الوزارة وذلك سنة سبع وخمس مئة^(٤) .

ومنهم :

(١) باب النوبي : وهو أحد أبواب بغداد ، وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد .
ياقوت : معجم البلدان . ٢٥١/٢ .

(٢) باب العامة : وهو أحد أبواب بغداد ، ويعرف بباب عمورية . ياقوت : معجم البلدان . ٢٥١/٢ .

(٣) شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعيد أحمد ، وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا ، سار من عند الخليفة ليصلحاً بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل ، فلم ينتظم حاله ، توفي بعد ذلك سنة ٥٨٠هـ ، . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٧٨٧/ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٢/ ١٥١/١٥٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٦٤/٤٦ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٦٤ /٦ .

(٤) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٩٤٧/ .

محمد بن علي بن أحمد بن المبارك مؤيد الدين أبو الفضل

المعروف بابن القصاب الوزير^(١)

وزير الإمام الناصر^(٢)، وحلّ من الأيام محلّ الروح الباصر ، وكان من الدولة العباسية في سويداءٍ قلبها^(٣)، وسواد شعارها ، وحب خلبها ، بعزم يسرى منه في جحفل بحب وحزم، يرى بصره ما يخفى ويحتجب ، وكان قد كتب الإنشاء بالديوان العزيز ، وكتب من شاء بالتقدم والتبريز ، وكان ذا فضل متناصر ، وفعل غير قاصر .
ومن نثره قوله : وبيننا لك موهبة خصتك، وعمت الوري وأولتك يداً ، اهتز لها الغمام والنهي، وأولتك نعماً لا أصفها إلا أنها كما ترى . [٥٣ ب]
وقوله : وأقبل الأقبان يقبل جسمه^(٤) حين رآك ، وحلف^(٥) النرجس لا يفتح على أحد

(١) أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد بن المبارك الوزير مؤيد الدين ابن القصاب البغدادي هو أعجمي الأصل، كان أبوه يبيع اللحم، ونشأ هو مشغلاً بالعلوم والآداب، وبرع في علوم المتصرفين كالحساب، ثم تبصر بأسباب الوزارة، وكي كتابته الإنشاء مدة، ثم ناب في وزارة الخلافة سنة ٥٩٠هـ، سار بعسكر الخليفة وفتح همذان وأصبهان، فلما عاد ولي الوزارة ثم خرج بالجيش إلى همذان، فتوفي بظاهرها، وكانت وفاته سنة ٥٩٢هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ١٨٣٧/١١١. ابن الطقطقي: الفخري. ٢٥٩/١٢١/٤.

(٢) الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله، ولد سنة ٥٥٣هـ، بويغ له عند موت أبيه سنة ٥٧٥هـ، ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه؛ فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة، ولم تنزل مدة حياته في عز وجلالة، وقمع الأعداء، واستظهار على الملوك، ولم يجد ضيماً ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه ولا مخالف إلا دفعه، توفي سنة ٦٢٢هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ١٩٢٦/١٩٢٧. ابن الطقطقي: الفخري. ٢٥٨/٢٥٧/٢. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر. ٦٢٢/٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء. ٢٦٤/٢٦٣/٢٢. ابن كثير: البداية والنهاية. ٢/٢٧٥٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء. ٤٤٨/١.

(٣) قبالتها: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما اثبتناه من (ك).

(٤) وأقبل الأخوان يقل بسمه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما اثبتناه من (ك).

(٥) وخان: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما اثبتناه من (ك).

عينية حتى يراك^(١) وأكل المشور أصابعه ومما يندم ، وذبح^(٢) الشقيق وامتلات ثيابه
من دم ، فعجل ولا تفرح ، وأسرع ولا تنتظر القداح .
ومن شعره قوله :

طالَ مقامي بريِّ فارس من غيرِ نفعٍ فالرواحَ الرواحًا
مأفةُ الإنسانِ إلا المنى طوبى لمن طلقها واستراحًا
أملتهمُ ثم بالمتهمُ ولاحَ لي أن ليس فيهم فلاحًا

وتوفي أول شعبان سنة اثنين وتسعين وخمس مئة .

ومنهم :

(١) رآك: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما اثبتناه من (ك) .

(٢) ودح: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما اثبتناه من (ك) .

ابن مهدي العلوي نصير الدين^(١)

وزير لو أنصف لكان خليفة ، ولو وصف لكان البحر حليفه ، من خالص تلك السلالة^(٢) ، وخالد تلك الجلالة ، أعرق في الشرف نسباً ، وأشرف في السدف^(٣) كوكباً ، وهطلت أنواؤه ، وبطلت أشعة النجوم لما بطلت أضواؤه ، وطال ما علقت به آمال ، وعبقت به صباً وشمال ، وأملت له أيام كان يظن أن يدرك^(٤) منها ما فات أباه ، ويدرك منها ما يرد الآفات شباه ، وتعجل منه مهديُّ الأمة المنتظر^(٥) ، ويورد منه شربة المحتضر ، ويرد الخيل يدمي نحورها ، والجيش تلتطم بحورها ، لولا ما عرف من تنكر الأيام ، وتعذر المطالب على الكرام ، وهي الليالي والسييل جرب للمكان العالي . قال ابن الأثير فيه : " من الري^(٦) من بيت كريم ، قدم بغداد أيام مؤيد الدين ابن القصاب الوزير ، ولقى من الخليفة قبولاً كثيراً ، وجعله نائب الوزارة ، ثم جعله وزيراً

(١) ناصر بن مهدي بن حمزة العلوي من أهل الري من بيت كبير ، قدم بغداد بعد أن ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة ، ولقى من الخليفة قبولاً؛ فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيراً ، ثم عزل سنة ٥٠٤هـ وأغلق بابه بعد أن اتهمه أنه يدعي الخلافة ، كان عفيفاً عن أموال العامة ، وبقي على هذه الحال حتى مات سنة ٦١٧هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ١٨٨١/ ١٩١٦. ابن الطقطقي : الفخري . ٢٦٠ / ٢٦١ .
الذهبي : تاريخ الإسلام : ٣٨٥/٤٤ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٧٨/٥ .

(٢) السلامة: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) السدف: ظلمة الليل . ابن منظور . لسان العرب . ٢٦٥/٣ .

(٤) يرك: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) المهدي المنتظر : وهو رجل يخرج في آخر الزمان كما ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديث ذكره في هذا الموضع ، وهو ما أخبر به سفيان الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يوطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ؛ فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً " . النيسابوري : المستدرک على الصحيحين . ٤ / ٤٨٨ . المناوي: فيض القدير . ٢٦٢/٥ .

(٦) الرأي : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

وحكمه ، وجعل ابنه صاحب المخزن " ^(١) . وقال غيره : وبسط يده وتصرف وأعطى فأسرف ، وحصل مالاً طائلاً وجمالاً جزيلاً ، وكانت أعداؤه توصل إلى الخليفة أمره ، وتغري خاطره عليه .

قال ابن الأثير : " فلما كان في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وست مئة عزله [٥٤ أ] وأغلق بابه ، وكان سبب غلق بابه أنه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة منهم سنقر وجه السبع ^(٢) أمير الحاج ^(٣) ، فهرب من يده إلى الشام سنة ثلاث وست مئة ، وأرسل يعتذر من هربه ، ويقول إنني هربت من يد الوزير [ثم تبعه قشتمر ^(٤)] ، وهو أخص مماليك الخليفة وأكبرهم عنده ، مضى إلى الرستان ، وبعث يقول إن الوزير يريد ^(٥) أن لا يبقى أحد في خدمة الخليفة من مماليكه ، ولا شك أنه يريد [أن] ^(٦) يدعى الخلافة ، وقال الناس

(١) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٨٨١/ .

(٢) الأمير مظفر الدين سنقر صاحب بلاد خوزستان ، كان أحد الشجعان المذكورين حج بالناس سنة ٦٠٢ هـ ، ففارق الركب ، وقفز إلى صاحب الشام الملك العادل لمنافرة جرت بينه وبين الخادم الذي على سبيل الوزير ناصر بن مهدي ، وكان بينه وبين الوزير وحشة أيضاً ، فخاف منه فالتقاه العادل وأكرمه وأقام عنده ست سنين ، وكان من كبار الدولة فلما عزل الوزير ، عاد إلى العراق وبقي هناك . توفى سنة ٦٢٥ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٨٨١/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ٢٤١/٤٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ١٩٧/١٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ١٩٢/١٩١/٦ .

(٣) الحاجب : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) قشتمر : وهو جمال الدين قشتمر من أكابر مماليك للخليفة الناصر لدين الله ، كان قدفارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوي الرازي ، واجتاز بخوزستان ، ثم لحق بأبي طاهر صاحب لرستان فأكرمه وزوجه ابنته ، ثم توفى أبو طاهر فقوي أمر قشتمر وملك لرستان . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٨٧٥/ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ٦٥٦/٣ .

(٥) سقط في النسخة (أ) و(م) .

(٦) أن ساقطة في الأصل ، وسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .

في ذلك فأكثرُوا ومِمَّا قيل^(١) :

ألا مبلغاً عني الخليفةَ أحمدًا
وزيرُكَ هذا بين أمرينِ فيهما
فإن كان حقاً من سلالةِ أحمد
وإن كان فيما يدَّعي غيرَ صادقٍ
توقُّ وُقِيَّتِ السوءَ ما أنتَ صانعُ
فعالِكَ يا خيرَ البريةِ ضائعُ
فهذا^(٢) وزيرٌ في الخلافةِ طامعُ
فأضيعُ ما كانتَ لديه الصنائعُ

فَعزله ، وقيل في سبب ذلك غير ما ذكرناه ، ولما عزل أرسل إلى الخليفة يقول له:
إني قدمت وليس لي دينار ولا درهم ، وقد حصل لي من الأموال والأعلاق^(٣) النفيسة ما
يزيد على خمس مئة ألف دينار ، وأسأل أن يؤخذ مني الجميع ، وأمكن بالمقام بالمشهد
أسوة بالعلويين ، فأجابه الخليفة بأننا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا استعادته منك ، ولو
كان ملء الأرض ذهباً ونفسك في أمان الله وأماننا ، ولم يبلغنا عنك ما يستوجب ذلك ؛
غير أن الأعداء قد أكثروا فيك فاختر لنفسك موضعاً تنتقل إليه موقراً محترماً ،
فاختار أن يكون تحت الاستظهار في جانب الخليفة ، لئلا^(٤) يتمكن منه عدو فتذهب
نفسه ففعل ذلك^(٥) .

وكان حسن السيرة قريباً إلى الناس حسن اللقاء لهم ، والانبساط
معهم ، عفيفاً عن أموالهم ، غير ظالمٍ لهم ، فلما قبض عاد
وجه السبع من مصر ، وكان في خدمة العادل^(٦) ، وعاد قشتمر

(١) أورد ابن الأثير هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه الكامل في التاريخ . ١٨٨١/ .

(٢) فها : هكذا في النسخة (أ) و(م) ما أثبتناه من (ك) .

(٣) الأعلاق: المال الكريم . ابن منظور . لسان العرب . ٤١١/٤ .

(٤) لأن لا : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . ١٨٨١/ .

(٦) العادل الكبير محمد بن أيوب بن شادي بن مروان السلطان الملك العادل سيف الدين أبوبكر
ابن أبي الشكر ، ولد سنة ٥٣٤ هـ ، اشتهر بكنيته ، نشأ في خدمة نور الدين مع أبيه ، ثم ملك من الكرج إلى
قريب همذان والشام ومصر والجزيرة واليمن ، طهر جميع ولايته من الخمر والخواطئ والمكوس
والمظالم ، توفي سنة ٦١٥ هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٩٠٢/١٩٠١ . أبو الفداء : المختصر في أخبار =

وأقيم^(١) في الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن أمسينا^(٢)، إلا أنه لم يكن متحكماً ، ثم عزل وتوفي سنة سبع عشرة وست مئة^(٣).

ومنهم :

= البشر ٢/٢١٣/٢١٤. الصفدي : الوافي بالوفيات. ١٧٠/١٦٩/١٦٨/٢. ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٧٣١/٢ .
(١) أقيم: سقط في النسخة (ك) .

(٢) محمد بن أحمد بن علي أبو البدر ابن أبي العباس الكاتب المعروف بابن أمسينا ، ولد سنة ٤٩٩هـ ، خدم مع الأمراء واختص بخدمة الأمير طغرل صاحب البصرة ، وترقت به الحال إلى أن ولي النظر في ديوان الزمام ، وبقي مدة طويلة إلى أن عزل الوزير ناصر بن مهدي العلوي عن الوزارة ، فركب إلى الديوان وناب في الوزارة وجلس مجلس الوزارة ، وأسكن دار الوزارة مقابل باب الشريف النوبي ، وكان كاتباً سديداً مليح الخط حسن السيرة محمود الطريقة الغالب عليه السكون ، وكان يتشيع وعزل عن ولايته سنة ٦٠٦هـ ، واعتقل بدار الخلافة . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . / ١٨٨١ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٧٨/٢ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ٦٥٧/٣ .

(٣) أورد ابن الأثير هذا الخبر في كتابه الكامل في التاريخ . / ١٨٨١ .

ابن العلقمي^(١)

محمد بن أحمد بن محمد بن علي مؤيد الدين أبو طالب ، وزير ليته لا وزر، وارتفع ليته رُضُّ بالحجر ، وتصرف وليته صرف، وجهل أمره وليته عرف، كمن كمن الأرقم، وسقى [٥٤ ب] الناس من كأسه العلقم، وحمله تحامله على أهل السابقة الأولى على قطع شجرة الإسلام، وقلع مدة^(٢) دار السلام ؛ إذ كان في أهل [السنة]^(٣) من كبراء الدولة، من يقف في طريق رفضه ، ويرده عن كل ما رده^(٤) النبي أو بعضه، وهو يأبى إلا أن يزيد في غلوة ليبدل الإسلام كفرةً، ويدع الدار قفراً، وأخذ في ممالاة التتار^(٥)، وموالاة ما يعجل الدمار حتى كان تلك الكتابة التي

(١) محمد بن علي بن أبي طالب ابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم ، ولده سنة ٥٩١هـ، كانت دولته أربع عشرة سنة فأفشى الرفض، فعارضه السنة وأكبت ، فأخذ يكاتب التتار إلى أن جر هولاءكو وجراه على أخذ بغداد ، فلم يتم له ما أراد ؛ فقد قتل التتار أهل السنة والرافضة معاً، فلم يلبث إلا أن أمسكه هولاءكو بعد قتل المستعصم بأيام ووبَّخه بألفاظ شنيعة معناها؛ أنه لم يكن له خير في مخدمه ولا في دينه، فكيف يكون له خير في هولاءكو، ثم أمر به هولاءكو فقتل شر قتلة في أوائل سنة ٦٥٧هـ . ابن الطقطقي : الفخري . / ٢٧٠/٢٧١ . أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر . ٣٠٢/٢ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٢٣/٣٦٢/٣٦١ . تاريخ الإسلام . ٢٩٠/٤٨ . الصفدي . الواقي بالوفيات . ١٥١/١ . الكتبي : فوات الوفيات . ٢٠٥٦/٢ - ٢٥٨/ : مرآة الجنان . ١٣٧/٤ . ١٣٨/٤ .

(٢) مدرة: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتاه من (ك) .

(٣) السنة : سقط وما أثبتاه من (ك) .

(٤) مراده: هكذا في النسخة (ك) .

(٥) التتار : وهم أقوام سكنوا جبال طمغاج من أرض الصين ، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر، واستولوا على كثير من بلاد الإسلام، وكانوا لا يدينون بدين إلا أنهم يعرفون بالله - تعالى - من غير اعتقاد شريعة، فملكوا الصين، وكان ملكهم يقال له جنكيزخان ، ساروا إلى تركستان وكاشغر . قال ابن الأثير: " لو قيل إن العالم منذ خلق إلى الآن لم يبتلوا بمثل كائنة التتار، لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ، قوم خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ثم إلى بخارى وسمرقند، فتملكوها ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها تخريباً وقتلاً إلى الري وهمذان ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها، ويستبيحونها في أقل من سنة، ثم ساروا إلى دربند شروين فملكوا مدنه وعبروا إلى بلاد اللان واللكز قتلاً وأسراً، ثم قصدوا بلاد قفجاق فقتلوا من وقف، وهرب من بقي إلى الجبال، واستولت التتار على بلادهم ومضت فرقة أخرى إلى غزنة وسجستان وكرمان، ففعلوا كذلك " ، وكان ذلك =

هي في صحيفة عمله، وجر تلك البلية^(١) بحبل حيله، وجلب تلك الرزايا، وصب تلك البلايا، وفعل في أكثر الدنيا ما لم يفعل بختصر^(٢) في البيت المقدس، ولا الضحاك بن لهراسف^(٣) حين تمجس، وكلف أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ما لم يكلفه فرعون لبني إسرائيل، ولا سامة أهل مكة أبرهة^(٤) عام الفيل، فإنه لم

= سنة ٦١٧هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ١٩٠٤/ - ١٩١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء. ٢٢/ ٢٣٦/ ٢٣٧.

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٩٥ / ٢٦٠. المقرئ: السلوك. ١/ ٣٢٢.

(١) التي هي في صحيفة عمله وجر تلك البلية: سقط في النسخة (ك).

(٢) بختنصر بن نبوزرادون بن سنجاريف، ثم نسب سنجاريف إلى نمرود بن كوش بن حام الذي وقع ذكره في التوراة، ملك بابل وملك الجزيرة ثم سار إلى بيت المقدس؛ فقتل في بني إسرائيل وسباهم وحملهم إلى أرض بابل، وأخذ بختنصر التوراة، وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء فصيرها في بئر، وطرح عليها النار وكبسها، وكان في ذلك العصر أرميا النبي، ولم ينج من بختنصر إلا أرميا، وكان عدة من حمل بختنصر إلى أرض بابل ثمانية عشر ألفاً، فمنهم اليهود الذين بالعراق. ولا بد لنا هنا أن نبحت عن السبب الذي جعل بختنصر يقوم بهذه الأعمال القاسية في بيت المقدس؛ ومن الواضح أن هذه حكمة إلهية من الله - عز وجل -؛ حيث أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء، فكان ذلك عقوبة من الله لهم على هذه الأعمال السيئة، ثم سار بعد ذلك بختنصر إلى أرض مصر فقتل فرعون الأعرج ملكها. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي. ١/ ٦٥. الطبري: تاريخ الأمم والملوك. ١٧٩/ ١٨٠. المقدسي: البدء والتاريخ. ٣/ ٧٨. ابن الجوزي: المنتظم. ١/ ٣٨٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ٧٥/ - ٧٨. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون. ٢/ ١٢٣ - ١٢٥.

(٣) لهراسف اسم أحد ملوك الفرس وقد تولى ملك بلاد فارس بعد كيخسرو؛ حيث كان بختنصر أحد عماله

على بابل وقد كان جباراً عاتياً.. الطبري: تاريخ الأمم والملوك. ١٦٨/ ١٦٩/ ١٧٠.

(٤) أبرهة الأشرم أبو يكسوم ملك الحبشة، غلب على اليمن، ثم بنى لهم بيتاً عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة على غرار بيت الله الحرام، وأمر الناس فحجوه فحججه كثير من قبائل العرب سنين، وكان نفيل الخثعمي يورث له ما يكره فأمهل، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك، فقام فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته، وجمع جيفاً فألقاها فيه فأخبر أبرهة بذلك، فسار بعد ذلك أبرهة بالناس ومعه ملك حمير، ونفيل بن حبيب الخثعمي لهدم الكعبة، وعند بلوغهم مكة، أقيمت طير من البحر أبابيل، مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره، فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته، فرد الله كيده في نحره، ووقعت في جسده الأكلة فحمل إلى اليمن فهلك بها. ابن سعد: الطبقات الكبرى. ١/ ٩١/ ٩٢. ابن قتيبة: المعارف. ٦٣٨/ الطبري: تاريخ الأمم والملوك. ٢٥٢/ - ٢٥٦.

يكن^(١) يقيم بليّة مثل بليته ، ولا عرفت في قضايا الأيام مثل قضيته ، فكم من نفوس ذهبت ، ونفائس نهبت ، ونعم أخفيت ، وحرّم سبيت ، وأبكار افتضت ، وأموال من الذهب ذهبت ، ومن الفضة فضت ، ونجوم من القصور أهويت ، وأبنية نقضت وأفانيت مع سكانها مضت ، حتى بلت عروس الخلافة^(٢) ، وذهبت بقايا أهل الرحمة والرأفة ، كل هذا بسوء فعل هذا المجرم ، والكافر المقر بالشهادة كأنه مسلم ، وزير التدمير لا التدبير ، وعون إبليس في التعكيس ، وما ارتكبه^(٣) من الخطر ، وداس^(٤) فيه على الإبر ، وسلط فيه عقاربه الضارية ، وبث إليه مصائبه السارية ، وما جرأه عليه إقدامه من سفك الدماء المحرمة ، وجناه على كل مسلم ومسلمة ، وتهور فيه تهور من لا تعاوده الندامة ، وتصور أنه إذا مات لا يبعث يوم القيامة ، وهو آخر وزراء القوم ، ومن راخ عليه اللعنة إلى اليوم ، ولّي وزارة المستعصم^(٥)

(١) يكن: سقط في النسخة (ك) .

(٢) مضت حتى بلت عروس الخلافة: سقط في النسخة (ك) .

(٣) أتركبه: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٤) وكان : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ، ولد سنة ٦٠٩هـ وبويع له بالخلافة عند موت أبيه ، كان متديناً متمسكاً بالسنة كأبيه وجده ، ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة ، وزر له ابن العلقمي الذي كان حريصاً على إزالة الدولة العباسية ونقلها إلى العلوية ، والرسل في السر بينه وبين التتار ، والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الأمور ، وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند ، فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند ، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود ، ففعل ذلك فخرج إليه في جمع من الأعيان ، فأنزل في خيمة ، ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد ، فضربت أعناقهم ، وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى قتل جميع من هناك من العلماء والفقهاء ، وقتل الخليفة رفسا وكان ذلك عام ٦٥٦هـ . أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر. ٣٠٣/٣٠٢/٢. الذهبي : سير أعلام النبلاء. ١٧٤/٢٣. الصفدي : الوافي بالوفيات . ٣٤٤/٣٤٣/١٧ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٠١٦/٢٨١٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٦٤/٦٣/٧ . السيوطي : تاريخ الخلفاء . ٤٧٢/ - ٤٦٦/ .

بعد ابن الناقد^(١) في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

وكان فاضلاً رئيساً عالي الهمة ، مغالياً في التشيع ، وذلك الذي حمله على فعل ما فعل ؛ فإنه حصل بينه وبين الدوادار^(٢) شحنة^(٣) بسبب المذاهب ؛ لأن الدوادار كان مغالياً في السنة ، وعضده بعض أولاد الخليفة ، فحصل عند ابن العلقمي الوزير الضغن ، ما حمله على السعي في دمار الإسلام ، ولم يراقب الله - تعالى - ، وانضمَّ إلى هذا ركون الخليفة له ، وعدم تيقظه ، فتم للوزير مراده [٥٥ أ] ثم ندم على فعلته ؛ لأنه كان قد تقرر بينه وبين هولاء^(٤) أن هولاء^(٤) إذا ملك العراق يستتبه فيه ، ويقتل الخليفة

(١) أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد أبو الأزهر ابن أبي السعادات ، ربي في الحشمة والنعمة ، وحفظ القرآن وجوَّده وأتقنه ، خدم في أيام الإمام الناصر ، ثم ترك الخدم واختار الخمول والعزلة إلى أن توفى الناصر ، وولي الظاهر فاستدعاه ، وجعله وكيلاً لولده المستنصر فقربه واختص به ، فلما أفضت إليه الخلافة ، أقره على وكراله ورفع محله ، ثم خلع الوزارة وركب إلى الديوان بعدما دخل إلى الخليفة وشافهه بالولاية ، وكانت الأمور كلها بيده يصدرها ويوردها بذهن ثاقب ، ولم تنزل طريقته محموداً وأموره مريضة ، وفيه محبة لأهل الدين وتواضع له ، توفى ابن الناقد سنة ٦٤٢ هـ . ابن الطقطقي : الفخري . ٢٦٥ / . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ١٠٩ / ١٠٨ / ٢٣ . الصفدي : الوايف بالوفيات . ٤٣ / ٨ . ابن كثير : البداية والنهاية . ٢٧٩٢ / ٢ .

(٢) الدوادار : وهي عبارته عن كلمتين دواة العربية وهي ما يكتب منها ، ودار الفارسية بمعنى ممسك الدواة ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير ، عرفت هذه الوظيفة في العصر العباسي . والدوادار المقصود هنا هو : مجاهد الدين الدؤيدار ، وقيل ركن الدين الدوادار الملك مقدم جيوش العراق كان بطلاً شجاعاً موصوفاً بالرأي والإقدام ، كان يقول لو مكنتني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت هولاء^(٤) ، قتل وقت غلبة العدو على بغداد صبراً سنة ٦٥٦ هـ ، وكان مجاهد الدين يتعصب على الشيعة تعصباً شديداً حتى أفضى ذلك إلى نهب أهل الكرخ وإحراق بعض مساكنهم ، فغضب الوزير غضباً شديداً ، وكان مغرماً بالكيمياء . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٣٠٢ / ٢ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٨١ / ٤٩ . سير أعلام النبلاء . ٣٧١ / ٢٣ . الشوكاني : أدب الطلب . ٩٤ / . الباشا : الفنون الإسلامية . ٥١٩ / ٢ .

(٣) شحنة : هكذا في النسخة (ك) .

(٤) هولاء^(٤) هو خان بن تولي خان بن جنكيز خان ملك التتار ، على يده سقطت الخلافة العباسية ، ملك البلاد التي سنصفها نحو عشر سنين ، وهي : إقليم خراسان ، وكرسيه نيسابور ، وإقليم عراق العجم ، وهو الذي يعرف ببلاد الجبل ، وكرسيه أصفهان ، وإقليم عراق العرب ، وكرسيه بغداد ، وإقليم أذربيجان وكرسيه تبريز ، وإقليم خورستان وكرسيه تستر ، التي تسميها العامة تشتر ، وإقليم فارس وكرسيه شيراز ، وإقليم ديار بكر وكرسيه الموصل ، وإقليم الروم وكرسيه قونية ، وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة ، مثل هذه الأقاليم العظيمة ، كان هولاء^(٤) ملكاً جباراً فاجراً كفاراً ، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً =

وحاشيته حسب لا غير ، فلما جرى ما هو مشهور عومل الوزير بأنواع الهوان من صغار التتار فضلا عن الكبار منهم .

حكى أنه كان قاعداً في الديوان لتنفيذ الأشغال ، فدخل بعض من لا يؤبه إليه من التتار راكباً فرسه ؛ إلى أن وقف بفرسه على البساط الذي الوزير عليه جالس وخاطبه بما يريد واتفق أن بال الفرس على البساط ، فصاب رشاش^(١) البول ثياب الوزير ، وكان مع هذا الهوان يظهر قوة النفس لكونه بلغ مقصوده ممن أراد^(٢) .

وحكى بعض البغادة^(٣) قال له^(٤) : يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه حمية للشيعه ؟ وقد قتل من الأشراف الفاطميين خلق لا يحصون ، وارتكب الفواحش في ألوف من نسائهم ، وافترضت الأبقار من بنات الشرفاء ، مما لا يعلمه إلا الله - تعالى - فضلاً عن غيرهم ، فقال : بعد أن قتل الدوادار ، ومن كان على مثل رأيه^(٥) لا مبالاة بذلك ، ولم تطل مدته بعد واقعة بغداد ، وقدم على [ما]^(٦) قدم وكانت له يد في صناعة الإنشاء^(٧) . حكى ابن الأثير^(٨) أنه أول ما كان كاتباً للإنشاء ، ثم استتبع في الوزارة ، ثم وزر

= مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وسيجزيه الله على ذلك شر الجزاء، كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت، وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق، وكانت وفاته بالقرب من كورة مراغة سنة ٦٦٣هـ، وخلف خمسة عشر ولداً ذكراً، ولما مات جلس في الملك بعده ولده أبغا بن هولوكو، واستقرت له البلاد التي كانت بيد والده حال وفاته. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر. ٣٣٢/٣٠٢/٢. الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٨٠/٤٩ - ١٨٢/ . ابن كثير : البداية وانهاية . ٢٨٤٧/٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٢٢٠/٧.

- (١) رشات: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).
- (٢) أورد الصفدي هذا الخبر في كتابه الوافي بالوفيات . ١٥١/١.
- (٣) البغادة: هكذا في جميع النسخ، والسياق الجملة يوجب ما أثبتناه .
- (٤) قال له: سقط في النسخة (ك) .
- (٥) ومن كان على رأي مثله : هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .
- (٦) ما: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك).
- (٧) أورد الصفدي هذا الخبر في كتابه الوافي بالوفيات . ١٥١/١.
- (٨) ينسب ابن فضل الله العمري هنا هذا الخبر إلى ابن الأثير علماً أن ابن الأثير قد توفي عام ٦٣٠هـ قبل أن يتولى ابن العلقمي وزارة المستعصم .

للمستعصم^(١)، وبعث المستعصم^(٢) إليه بشدة أقلام^(٣) : فكتب إليه قبل المملوك الأرض شكراً للإنعام بأقلام قلمت عنه أظفار الحدثان ، وقامت له [في]^(٤) حرب صرف الزمان مقام عوالي المران ، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها ، وحازت له قصبات السبق يوم رهانها ، فيا الله ! كم عقد ذمام في عقدها ، وكم بحر سعادة أصبح في مدادها ومدها ، وكم منادٍ خط استقام بمثقفاتها ، وكم صوارم خطوب فلت مضاربها بمراهقاتها ، والله ينهض المملوك بفروض دعائه ، ويوفقه للقيام بشكر ما أولاه من جميل رأيه وجزيل حياته^(٥) :

خولتني نعماً كادت تعيدُ لنا عصرَ الشبابِ وتدني منه أياماً
تعطي الأقاليم من لم يبدِ مسألةً يوماً فلاعجب أن تعطِ أقلاماً
إذا نسبنَ إلى خطِّ فإن لها سنّاً إذا أعملتهُ يخرق الهاما
بالحمدِ والشكرِ أجزلها لدولتكم فالرأيُ يحصدُ من أعدائها الهاما

[٥٥ب] وكتب إلى التاج محمد بن الصلايا العلوي^(٦) ؛ يخدمه بدعاء ليليّ وثاءٍ عطرٍ

(١) المعتصم: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) المعتصم: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٣) قيل: وردة هذه الكلمة النسخ (أ) و(م)؛ وقد حذف لإخلالها بالمعنى .

(٤) في: سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أورد الكتبي هذا الخبر والبيت الثاني في كتابه فوات الوفيات ، وزاد عليه هذين البيتين :

لم يبق لي أمل إلا وقد بلغت نفسي أقاصيه برا وإنعاما
لأفتحن بها والله يقدر لي مصانعا أعجزت من قبل بهراما . ٢٥٧/٢ .

(٦) تاج محمد بن نصر بن صلايا بن يحيى صاحب أبو المكارم ابن صلايا الهاشمي العلوي، نائب إربل الشيعي ، وكان من رجالات العالم رأياً وعقلاً وحزماً وصرامةً ، وكان يشدد العقوبة على شارب الخمر بأن يقلع أضراسه ، قتله هولاء كوكب قرب توريث سنة ٦٥٦ هـ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . ٣٠٧/٢ . الذهبي : العبر في خبر من غبر . ٢٣٦/٥ . تاريخ الإسلام . ٢٩٧/٢٦٩/٤٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٨/٥ . ابن العماد : شذرات الذهب . ٢٨٤/٥ .

مندلي ، وينهى أنه خدم بها من النيل إلى سامي مجدك الأسيل ، ومحل شوقه يغني عن التفصيل ، وأبان شدة العزم إلى شريف تلك الشيم ، ويعرض بعد الدعاء لأيامه لا أخلا الله من أنعامه ، [أنه]^(١) قد نهب الكرخ المكرم ، وديس البساط النبوي المعظم ، وقد نهبوا العزة العلوية ، واستأسروا العصابة الهاشمية ، وقد حسن التمثيل بقول شاعر من غزية^(٢) :

أمورٌ تضحكُ السفهاءُ منها ويبكي من عواقبها اللبيبُ

فلهم أسوة بالحسين ؛ حيث نهب حرمه ، وأريق دمه ، ولم يعثر فمه^(٣) .

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصحَ الأضحى الغد^(٤)

وقد عزموا لا أتمَّ الله عزمهم ، ولا أنفذ أمرهم على نهب الحلة والنيل ، بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبرٌ جميل ، ونهى أن الخادم أسلف لهم الإنذار ، وعجل لهم الأعدار ، وخاطبهم سراراً ، وراسلهم جهاراً^(٥) :

أرى تحت الرمادِ وميضَ نارٍ ويوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ
وإن لم يطفها عقلاء قومٍ يكون وقودها جثث وهامُ
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيامُ

فكان جوابي بعد خطابي لآبد من الشنيعة ، ومن قتل جميع الشيعة ، ومن أحراق كتابي الوسيلة والذريعة ، وكن لما نقول سميماً ، ولما نأمر مطيعاً ، والأجرعناك الحمام تجريعاً فبكلامك كلام ، ولسلوتك سلام ، ولتتركنَّ في بغداد أخمل من الحنا عند

(١) أنه : سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٢) أورد الذهبي هذا الخبر وهذا البيت في كتابه تاريخ الإسلام . ٢٩١/٤٨ .

(٣) أورد الذهبي هذا الخبر وهذا البيت في كتابه تاريخ الإسلام . ٢٩١/٤٨ .

(٤) الغدر: هكذا في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

(٥) أورد الذهبي هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه تاريخ الإسلام ٢٩١/٤٨ . وعند السبكي في كتابه طبقات

الشافعية الكبرى . ٢٦٤/٢٦٣/٨ .

الأصلع ، والخاتم عند الأقطع ، ولتبتذنْ نبد الفلاسفة محذورات الشرائع ، وتلقي
إلقاء أهل القرى أسرار الطبائع ، فلا فعلن بالتي كما قال المتبني^(١) :

قومٌ إذا أخذوا الأقلامَ من غضبٍ ثم استهدوا بها ماء المنياتِ
نالوا بها من أعاديهمُ وإن بعدوا مالاَّ ينالُ بحد المشرفياتِ^(٢)
ولآ تينهم بجنودٍ لا قبيلَ لهم بها ، ولأ خرجنهم منها أدلة وهم صاغرون^(٣) :

ووديعةٌ من سرِّ آل محمدٍ أودعتها إذ كنتُ من أمنائها [٥٦ أ]
فإذا رأيت الكوكبينِ تقارنا فالجديُّ عند صباحها ومسائها
فهنالك يؤخذُ ثارُ آل محمدٍ بأطلابها بالتركِ من أعدائها

وكن لهذا الأمر بالمرصاد ، وترقب أول النحل وآخر صاد ، والمساعدة بالدعاء ،
والخير يكون إن شاء الله - تعالى -^(٤) .

و من شعره قوله :

من لم يرَ الوجناتِ أولَ نظرةٍ والكأسُ مترعةٌ بكفِّ الساقبي
وتغازلُ الألحاظِ عندَ فتورها لم يدرِ كيفَ مصارعُ العشاقِ

(١) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الكوفي المتبني الشاعر، ولد سنة ٣٠٣هـ ، قال الشعر من صغره حتى بلغ الغاية ، وفاق أهل عصره ولم يأت بعده مثله ، مدح الملوك وسار شعره في الدنيا ، ادعى النبوة إلى أن شهد عليه بالكذب بالدعوتين ، وحبس دهرًا ، ثم رحل إلى مصر ومدح كافورًا ، ولما لم يرضه هجاه ، ثم مدح عضد الدولة ابن بويه ، فأجزل جائزته ، ورجع من عنده قاصدًا بغداد ثم إلى الكوفة ، قتل سنة ٣٥٤هـ . السمعاني : الأنساب . ١٩١/٥ - ١٩٣/ . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ١٢٠/١ - ١٢٥/ . الذهبي : تاريخ الإسلام . ١٠٢/٢٦ - ١٠٥/ . الصفدي : الوافي بالوفيات . ٢٠٩/٢٠٨/٦ . ابن حجر : لسان الميزان . ١٦٠/١٥٩/١ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ٣٤٢/ - ٣٤٠/٣ .

(٢) أورد الذهبي هذا الخبر وهذه الأبيات في كتابه تاريخ الإسلام . ٢٩١/٤٨ .

(٣) أورد الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام هذا الخبر وهذه الأبيات . ٢٩٢/٤٨ .

(٤) أورد الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام هذا الخبر . ٢٩٢/٤٨ .

وقوله :

قد عقريتُ صدغاهُ واستجمعت
تقد الحاجبُ للعارضِ
يا أمرَ الحسنِ لا تركبوا
عساكرَ النملِ على الأشنبِ
أن يكتبَ بالأسودِ في الأشهبِ
فالقمرُ الأرضي في العقربِ

وتوفي يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وست مئة ، [ومولده ببغداد في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وخمس مئة] ^(١) .
هذا آخر مشاهير وزراء الخلفاء بالجانب الشرقي ، فأما من يلحق بهم من مشاهير وزراء الملوك ، ومن ينظم جوهره في هذه السلوك .

(١) سقط في النسخة (أ) و(م) وما أثبتناه من (ك) .

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما ينبغي لوجهه وكما يحب ربنا ويرضى، الحمد لله الذي يسر لي تحقيق هذا العمل، وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم مقبولاً عنده بفضلته ومنّته وكرمه .

لقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج وحقائق كثيرة ، من أهمها :

1. أن الوزارة لها دور كبير في تسيير أمور الدولة ؛ فالوزير يحمل أعباء الدولة وهو ملجأ للسلطان - بعد الله - ؛ يرجع إليه في معظم الأمور ، ويلجأ إلى رأيه وتدبيره في كثير من الأحوال .
2. لم تكن للوزارة أي وجود في عصر بني أمية ؛ فقد كان أعوان بني أمية وكتابهم يعملون عمل الوزراء ، وإن كان اسم الوزير لم يطلق عليهم لأنه لم يكن معروفاً عند العرب ذلك المنصب ، وعلى الرغم من ذلك فقد تلقب بعضهم ب (الوزير) كروح بن زنباع الجذمي الذي كتب في عهد عبد الملك بن مروان ، وقد يكون ذلك من باب المديح والإشادة بعمله ، وليس لأنه يقوم بعمل الوزير .
3. عمد خلفاء بني أمية إلى اختيار البعض من ذوي الرأي ليستعينوا بأرائهم ، ويدبرون لهم الأمور طوال فترة حكمهم .
4. بعد أن انتقلت الخلافة لبني العباس نجد أنهم اقتبسوا بعض أنظمة الوزارة وقوانينها عن الفرس ، فظهر منصب الوزارة ، وإن كانت سلطة الوزارة لم تتحدد بصورة واضحة في عهد أبي سلمة الخلال أول وزراء بني العباس .
5. تدرجت الوزارة ونمت حتى اتخذت شكلها النهائي في أواخر العصر العباسي الأول؛ فقد أصبح الوزير ساعد الخليفة الأيمن ، ينوب عنه في كثير من الأمور .
6. كان الوزراء في العصر العباسي الأول يخافون على أنفسهم من بطش الخلفاء بهم ؛ فقد كان كل منهم يتجنب أن يسمى وزيراً بعد أن مات أبو الجهم على يد المنصور .

٧. ظهرت أعمال الوزراء بشكل أوضح في عهد المهدي ؛ لأن المهدي كان يعتمد على وزرائه بسبب كفايتهم ، مثل معاوية بن يسار ، والربيع بن يونس ، والفيض بن صالح .
٨. غلب آل برمك على الوزارة في عهد الرشيد ؛ فتسلطوا على أمور الدولة بعد أن منحهم الخليفة الثقة المطلقة؛ فأسأؤوا الأدب ومالوا عن الحق ووقفوا مع أعداء الدولة ، وكان لهم أهداف تاريخية تتمثل في نسف التراث العربي والإسلامي وإحياء التراث الفارسي ؛ حيث تنبه الخليفة إلى ذلك ؛ فقبض عليهم ونكل بهم بعد أن عرف أمرهم .
٩. تسلط الوزراء في مطلع العصر العباسي الثاني على مقاليد الأمور في دولة بني العباس ، وأصبح لهم الحل والعقد في كثير من الأمور .
١٠. تسلط وزراء بني العباس تسبب في كثير من الفترات إلى إضعاف كيان الدولة العباسية ، بل تعدى ذلك إلى شخص الخليفة نفسه ؛ فلم يسلم من شر هؤلاء الوزراء كما حدث مع الخليفة المستعصم بالله الذي كان قد سلم أمور الدولة إلى وزيره ابن العلقمي الذي خان دينه وأمانته ، وتواصل مع أعداء الأمة والدين سرّاً لإسقاط هذا الكيان العظيم.
١١. وفي الجانب الآخر لم يسلم الوزراء سيما في العصر العباسي الثاني من تسلط الخلفاء لأسباب كثيرة ؛ فكثيراً ما تعرضوا وعائلاتهم للقتل والسجن والاستصفاء .
١٢. أن المؤلف - رحمه الله تعالى - ، تميز بسعة الاطلاع وكثرة العلم ، ورأينا ذلك من خلال مؤلفاته ، ومن خلال المقارنة بين الأقوال والتراجم فيما بينهما .
١٣. أن المؤلف - رحمه الله تعالى - اعتمد على أمهات المصادر في ذكر الوزراء وتراجمهم والأحداث التي جرت في تلك الحقب التاريخية ، مثل الطبري ، والمسعودي ، والجهشياري ، وابن عساكر ، وابن الأثير ، وابن الجوزي ، وابن خلكان ، والأصفهاني ، والذهبي ، والصفدي وغيرهم ، ولذلك فهو يقدم لنا معلومات متناثرة في المصادر المختلفة ، ولعل بعضها فُقد ؛ مما يشير إلى أهمية معلومات هذا الكتاب .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فهرس الآيات الكريمة :

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١ -	سورة آل عمران	١٠٣	٢٧٧
٢ -			
	سورة النساء	٦٤	٢٢٥
-			
	سورة هود	٤٦	٢٢٦
-			
	سورة إبراهيم	٢٢	٢٣٦
-			
	سورة إبراهيم	٤٥	٢٢٩
-			
	سورة طه	٢٩ - ٣٢	٤

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٧- ﴿	سورة فصلت	٤٦	٢١٠
٨- ﴿	سورة الفتح	١	٢٦٢

المصادر

المصادر المطبوعة :

- ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس .
- عيون الإنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- ابن أبي الدنيا : عبد الله محمد بن عبيد .
- الاعتبار ، تحقيق : نجم الدين عبد الرحمن خلف ، دار البشر ، عمان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ابن أبي الوفاء : عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي .
- طبقات الحنفية ، تحقيق : مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، د . ط ، د . ت .
- ابن أبي يعلى : محمد .
- طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعارف ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- الكامل في التاريخ ، اعتنى به : أبوصهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية .
- طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد .
- المنتظم ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ .

- الضعفاء المتروكين ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- تلقيح مفهوم الأثر ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن .
- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق : محي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ابن الطقطقي : محمد بن علي .
- الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية ، مطبعة محمد علي وأولاده بالأزهر ، د . ط ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ابن العماد : عبد الحي أحمد بن محمد .
- شذرات الذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنبوط وآخرون ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد .
- الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرئي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ابن القيسراني : محمد بن طاهر المقدسي .
- معرفة التذكرة ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدري ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٧٨ م .
- ابن النديم : محمد بن إسحاق أبو الفرج .
- الفهرست ، دار المعارف ، بيروت ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ابن الوردي : زين الدين عمر .
- تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت البدرأوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ م .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : محمد فاخوري ، دار المشرق العربي ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ابن إياس : محمد بن أحمد .

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد .

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ .

ابن بسام : أبوالحسن علي .

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة العربية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف الاتابكي .

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، تقديم : سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٩٤١ م .

- النجوم الزاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د . ط ، د . ت .

- موارد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٧ م .

ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم .

- مجموعة الفتوى ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، د . ط ، د . ت .

ابن جعفر : قدامة .

- الخراج وصناعة الكتاب ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، العراق ، ط ١ ، د . ت .

ابن حبيب : الحسن بن عمر .

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق : محمد أمين ، مطبعة دار الكتب ، د . ط ، ١٩٧٦ م .

ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني.

- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعين ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

- تعجيل المنفعة ، تحقيق : إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، د . ت .

- تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعرفة النظامية ، الهند ، مؤسسة الأعلمي ، للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

ابن حجة : تقي الدين أبو بكر علي .

- خزنة الأدب ، تحقيق : عصام شقيو ، دار مكتبة الهلال ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد .

- جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

ابن حنبل : صالح أحمد .

- سيرة الإمام ابن حنبل ، تحقيق : عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

ابن حيان : محمد بن خلف .

- أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي .

- تاريخ ابن خلدون ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د . ط ، د . ت .

- مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٤م .

ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٨ م .

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد .

- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق : سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، د . ط ، د . ت .

ابن رافع : محمد السلامي .

- الوفيات ، تحقيق : صالح مهدي وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

ابن زكريا : أحمد بن فارس .

- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وطلبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع .

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- الطبقات الكبرى ، القسم المتمم ، تحقيق : زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن .

- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

ابن عساكر : علي بن الحسن .

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محي الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر بيروت ، د . ط ، ١٩٩٥ م .

ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم .

- المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

ابن كثير : إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي .

- البداية والنهاية ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ .

ابن ماكولا : علي بن هبة الله بن أبي نصر .

- الإكمال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤١٠ ، ١هـ .

ابن مفلح : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد .

- المقصد الأرشد ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ،

الرياض ، ط ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

ابن منجويه : أحمد بن علي .

- رجال مسلم ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم .

- لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م .

ابن مهران : الحسن بن عبد الله .

- ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ابن نباتة : جمال الدين .

- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : رضا الله بن محمد وآخرون ، دار

العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .

أبوبكر : محمد بن عبد الغني .

- تكملة الإكمال ، تحقيق : عبد القيوم عبد رب النبي ، جامعة أم القرى ، مكة

المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٠ .

أبو الفداء : إسماعيل بن علي بن محمود .

- تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمود أيوب ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

الإريلي : عبد الرحمن سنبط .

- خلاصة الذهب المسبوك ، تصحيح : مكى السيد جاسم ، مكتبة المتنبى ، بغداد ،
د . ط ، د . ت .

الأشبيلي : عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله .

- العافية في ذكر الموت ، تحقيق : خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ،
الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ .

الأصبهاني : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان .

- العظمة ، تحقيق : رضا الله بن محمد وآخرون ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ،
١٤٠٨هـ .

الأصفهاني : أبو الفرج .

- كتاب الأغاني ، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط ٣ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

الأصفهاني : الحسين بن محمد المفضل .

- محاضرات الأدباء ، تحقيق : عمر الطباع ، دار القلم ، بيروت ، د . ط ، ١٤٢٠هـ -
١٩٩٩م .

الألوسي : شهاب الدين السيد محمود .

- روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

الأنصاري : زكريا .

- الجمل شرح المنهج ، دار الفكر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

الباجي : سليمان بن خلف بن سعد .

- التعديل والتجريح ، تحقيق : أبو لبابة حسن ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ،
ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

البخاري : محمد بن إسماعيل الجعفي .

- التاريخ الكبير ، مؤسسة الثقافة ، د . ط ، د . ت .

البستي : محمد بن حيان بن أبي حاتم .

- المجروحين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، ط ١ ، ١٣٩٦م .

البصري : علي بن الحسن .

- الحماسة البصرية ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .

البغدادى : محمد بن عبد الغنى .

- التقييد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر .

- أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد العظم ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، د . ط ، ١٩٨٨م .

- فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان حمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤٠٣هـ .

التملساني : أحمد بن محمد المغربي .

- نفع الطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٣٨٨هـ .

التميمي : فخر الدين محمد بن محمد بن عمر .

- التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، دار المعارف ، د . ط ، د . ت .

- بيتيمة الدهر ، تحقيق : مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الجاحظ : عمرو بن بحر .

- البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

- الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د . ط ،
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

الجبرتي : عبد الرحمن بن حسن .

- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الجيل ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

الجرجاني : علي بن محمد .

- كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

الجهشياري : محمد بن عبدوس .

- كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله .

- كشف الظنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ،

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

الخزرجي : صفي الدين أحمد بن عبد الله .

- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات

الإسلامية ، حلب ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤١٦هـ .

الخطيب البغدادي : أحمد بن علي .

- تاريخ بغداد ، دار الكتي العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

- تالي تلخيص المتشابه ، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان وآخرون ، دار الصميعي ،

الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .

خليفة بن خياط .

- الطبقات لابن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٢ ،

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار العلم ، مؤسسة الرسالة ،

دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ .

الخفاجي : محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد .

- سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

الدقيقي : سليمان بن بنين .

- اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق : يحيى عبد الرؤوف جبر ، دار عمار ، الأردن ،

ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

الدمشقي : طاهر الجزائري .

- توجيه النظر إلى أصول الأثر ، تحقيق : عبد الفتاح أبوغدة ، مكتبة المطبوعات

الإسلامية ، حلب ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

الدينوري : أحمد بن مروان .

- المجالسة وجواهر العلم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

ديوان البحثري . دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ديوان الحسن بن هاني . د . ط ، د . ت .

ديوان عدي بن الرقاع . د . ط ، د . ت .

ديوان الحماسة : التبريزي ، دار القلم ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ديوان مروان بن أبي حفصة . د . ط ، د . ت .

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان .

- العبر في خبر من غير ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ،

الكويت ، ط ٢ ، ١٩٤٨ م .

- تاريخ الإسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،

ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

ط ٩ ، ١٤١٣ هـ .

- معجم الذهبي ، تحقيق : روحية عبد الرحمن صويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

- معجم المحدثين ، تحقيق : محمد الحبيب ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- من ذيل العبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، د . ط ، د . ت .
- الزيدي : محمد مرتضى .**
- تاج العروس ، حققه مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د . ط ، د . ت .
- السبكي : تاج الدين علي بن الكايفي .**
- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وآخرون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- السخاوي : محمد بن عبد الرحيم .**
- الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق : حسن مروة ، دار ابن العمار ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي .**
- الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر .**
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- حسن المحاضرة ، وضع حواشيه : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- الديباج على مسلم ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان ، السعودية ، د . ط ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ .

الشافعي : عبد الله بن حسين بن عبد الملك .

- سمط النجوم العوالي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

الشوكاني : محمد بن علي .

- أدب الطلب ، تحقيق : عبد الله يحيى السريحي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، دار المعرفة والنشر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

الصائب : هلال بن المحسن بن إبراهيم .

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، وضع الحواشي : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٠ م .

الصفدي : صلاح الدين خليل أيبك .

- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

- الشعور بالعمور ، تحقيق : عبد الرازق حسين ، دار عمار ، عمان الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- أعيان العصر وأعيان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

صفوان : أحمد وكي .

- جمهرة خطب العرب ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

الصولي : محمد بن يحيى .

- أخبار الشعراء والمحدثين من كتاب الأوراق ، عني بنشرة : ج. هيورث . دن ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م .

الطبري : محمد بن جرير .

- تاريخ الأمم والملوك ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د . ط ، د . ت .

الطهراني : آغا بزرك.

- نوابغ الرواة في رابعة المئات ، تحقيق : علي تقي فنروي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

الطوسي : نظام الملك حسين.

- سياست نامه ، تحقيق : يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، قطر ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ.

العباس : عبد الرحيم بن أحمد .

- معاهدة التصييص ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ط ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م.

العسكري : أبو هلال .

- جمهرة الأمثال ، دارالفكر ، بيروت ، د. ط ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

العماد : عمر بن أحمد .

- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، د . ط ، د . ت .

العمري : أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري .

- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الأرض وسكان الأرض) ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٢٤ م.

- مملكة مصر والشام الحجاز ، المركز الإسلامي للبحوث ، ط ١ ، ١٩٨٦ م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الدولة العباسية) ، تحقيق : عمار محمد النهار ، رسالة جامعية ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٢ م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، طبعة تصويرية ، أصدرها : فؤاد سزكين ،

- معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، ١٩٨٨ م.

- مسالك الممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، د . ط . ١٩٨٥ م.

الفيروز أبادي : محمد بن يعقوب .

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق : محمد المصري ، جمعية إحياء التراث ، الإسلامي ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .

القاري : علي بن سلطان بن محمد .

- مراقبة المفاتيح ، تحقيق : جمال عيناني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

القالي : إسماعيل بن القاسم .

- الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب ، بيروت ، د . ط ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق : عبد القادر زكار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، د . ط ، ١٩٨١م .
- قلائد الجمال ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .
- مآثر الإنافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م .

القنوجي : صديق بن حسن .

- أبجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، د . ط ، ١٩٧٨م .

القيسي : محمد بن عبد الله بن محمد .

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم القسوسي وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير .

- فهرس الفهارس والأبيات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار العربي الإسلامي ، بيروت ، د . ط ، ٢١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد .

- فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله وآخرون ، دار الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

الكندي : محمد بن يوسف بن يعقوب .

- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوخ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٩٥م .

الماوردي : علي بن محمد بن حبيب .

- الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، د. ط ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

المزي : يوسف بن الزكي عبد الرحمن .

- تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٢م .

المسعودي : علي بن الحسين .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

المقدسي : المطهر بن طاهر .

- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، د . ط ، د . ت .

المقدسي : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم .

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : إبراهيم الزبيق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

المقري : أحمد بن محمد بن علي .

- المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

المقريزي : أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي .

- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، علق عليه : ياسر صالحين ، مكتبة الآداب ، د . ط ، د . ت .

- السلوك ، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ،
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
المنأوي: عبد الرؤوف .

- فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ .
المنصوري : بيبرس .

- التحفة الملوكية في الدولة التركية ، نشره : عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية
اللبنانية ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

الميداني : أحمد بن محمد .

- مجمع الأمثال ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ،
د . ط ، د . ت .

النووي : محيي الدين بن شرف الدين بن مري.

- شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ
- تهذيب الأسماء ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ،
١٩٩٦م .

النويري : أحمد بن عبد الوهاب .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
د . ط ، ١٩٩٢ .

النيسابوري : محمد بن عبد الله .

- المستدرك من الصحيحين ، تحقيق : عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

الهمداني: محمد بن عبد الملك بن إبراهيم .

- تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ،
بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨ .

اليافعي : عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان .

- مرآة الجنان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ط ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي .
- معجم الأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- اليعقوبي : أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح .
- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

المراجع

إدوارد قندك .

- اكتفاء القنوع ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٨٩٦م .

آدى شير .

- معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د . ط ، ١٩٨٠م .

بروكلمان : كارل

- تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : عبد الحليم النجار وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٩٥٩م .

جهامي : جرير .

- موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ، مكتبة ناشرون ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

حسن : حسن إبراهيم .

- تاريخ الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

الحسين : قصي .

- موسوعة الحضارة العربية ، دار البحار ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٤م .

الخريجي : سعود بن عبد الله .

- المراجع العربية ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٩٧م .

الخضري : محمد .

- الدولة العباسية ، دار المعرفة ، د . ط ، د . ت .

دهمان : محمد .

- معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

الدوري : عبد العزيز .

- الجذور التاريخية للشعبوية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، د . ط ، د . ت .

رزق : محمد .

- عصر سلاطين المماليك ، مكتبة الآداب ، د . ط ، د . ت .

الزركلي : خير الدين .

- الأعلام ، دار القلم للملايين ، بيروت ، ط ١٢ ، ١٩٩٧م .

زعرور : إبراهيم .

- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمملوكي ، مطبعة الجمهورية ،

دمشق ، د . ط ، ١٩٩٣م .

زيتون : عادل .

- تاريخ المماليك ، جامعة دمشق ، د . ط ، ١٩٩٢م .

السامرائي : حسام الدين .

- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، د . ط ، ١٣٦٥هـ -

١٩٤٦م .

سلام : محمد زغلول .

- الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر ، د . ط ، د . ت .

ضيف : شوقي .

- عصر الدول والإمارات ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١ ، د . ت .

عاشور : سعيد .

- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، د . ط ، ١٩٩٣م .

- نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، سوسة ، تونس ،

د . ط ، د . ت .

فالترهنتس .

- المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمه عن الألمانية : كامل العسلي ، منشورات

الجامعة الأردنية ، ط ٢ ، ٢٠٠١ .

كحالة : عمر رضا .

- إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، ط ٣ ، ١٩٧٧م .

مصطفى : شاكر .

- الدليل ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

الكساسبة : حسين فلاح .

- المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية ، منشورات جامعة مؤتة ، د . ط ،

١٤١٣هـ - ١٩٩٠م .

المنجد : صلاح الدين .

- معجم المؤرخين الدمشقيين ، دار الكتب الجديد ، ط ١ ، ١٩٧٨م .

الصفحة	الموضوع
٣	إهداء
٥	ملخص الرسالة
٦	المقدمة
١٣	الرموز المستخدمة
١٤	القسم الأول : الدراسة ومنهج التحقيق
١٥	الفصل الأول : التعريف بالمؤلف
١٦	المبحث الأول : نشأته
٢٢	المبحث الثاني : شيوخه وتلامذته
٢٨	المبحث الثالث : ثقافته ومصنفاته
٣٣	المبحث الرابع : أقوال العلماء في العمري
٣٥	الفصل الثاني : عصر المؤلف
٣٩	المبحث الأول : الأوضاع السياسية
٥٢	المبحث الثاني : الحالة الدينية
٥٤	المبحث الثالث : الحركة العلمية
٦٩	المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية والاقتصادية
٨٠	الفصل الثالث : التعريف بالجزء العاشر من كتاب ممالك الأبصار في ممالك الأمصار
٨١	المبحث الأول : الكتاب وصفته وتحقيق نسبته إلى المؤلف
٩٣	المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية
٩٥	المبحث الثالث : منهج المؤلف في كتابه ومصادر معلوماته
١٠٠	المبحث الرابع : منهج التحقيق

الصفحة	الموضوع
١٠٢	القسم الثاني : التحقيق
١٠٥	أبو سلمة الخلال
١٠٨	روح بن زنباع
١١١	نصر بن سيار
١١٣	عبد الحميد بن يحيى
١١٧	طلحة بن زريق
١١٩	أبو أيوب المرياني
١٢١	عبد الجبار بن عدي
١٢٢	عبد الله بن المقفع
١٢٤	أبو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن يسار
١٢٧	ابن طهمان يعقوب
١٣٢	الفيض بن صالح
١٣٥	عمر بن بزيع
١٣٦	البرامكة
١٤٠	خالد بن برمك
١٤٢	يحيى بن بن خالد بن برمك
١٥٧	الفضل بن يحيى
١٦٨	جعفر بن يحيى
٢١٩	الربيع بن يونس
٢٢٠	الفضل بن الربيع
٢٢٥	الفضل بن سهل
٢٢٧	الحسن بن سهل
٢٣٧	أحمد بن أبي خالد
٢٤٠	عمرو بن مسعدة
٢٤٥	أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح

الصفحة	الموضوع
٢٤٥	أحمد الضحاك الطبري
٢٤٦	أبو عباد
٢٤٨	المعلّى بن أيوب
٢٤٩	عمر بن يمتون
٢٥٠	الفضل بن مروان
٢٥١	محمد بن عبد الملك الزيات
٢٥٥	بنو خاقان
٢٥٩	عبيد الله بن يحيى بن خاقان
٢٦١	جماعة الوهبيين
٢٦٣	بنو المدبر وأعيانهم
٢٦٧	إبراهيم بن العباس الصولي
٢٧١	أحمد بن الخصيب
٢٧٥	سعيد بن حميد
٢٧٧	أحمد بن إسرائيل
٢٧٩	بنو وهب
٢٨٨	أحمد بن سليمان
٢٨٣	بنو ثوابة
٢٨٦	إسماعيل بن بلبل
٢٨٩	العباس بن الحسن بن أيوب
٢٩٤	بنو الفرات
٢٩٩	علي بن عيسى بن داود بن الجراح
٣٠٣	بنو مقلّة
٣٠٨	رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن بن مسلمة

الصفحة	الموضوع
٣١٢	فخر الدولة بن جهير
٣٢٠	أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ظهير الدين الروذاراوري
٣٢٤	عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير
٣٢٦	سديد الملك أبو المعالي بن عبد الرزاق
٣٢٨	زعيم الرؤساء أبو القاسم ابن جهير
٣٣٠	جلال الدين أبو علي بن صدقة
٣٣٧	أنو شروان بن خالد
٣٣٩	الشريف علي بن طراد الزينبي
٣٤٢	يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن
٣٤٩	أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد ابن البلدي
٣٥٣	محمد بن علي بن أحمد بن المبارك المعروف بابن القصاب الوزير
٣٥٥	ابن مهدي العلوي نصير الدين
٣٥٩	ابن العلقمي
٣٦٨	الخاتمة
٣٧٠	فهرس الآيات الكريمة
٣٧٢	فهرس المصادر
٣٨٩	فهرس المراجع